

تعقبات نقدية في التباين اللهجي
تفسير روح المعاني منطلقاً

د. معمر منير العاني

الجامعة العراقية - كلية الآداب

مهاده وتأسيس

أقدم في فواتح هذا المسعى احتراساً مضمونه: أني سأضرب الذكر صفحاً عن الخوض في سبر أغوار الظاهرة اللهجية وتفصيلاتها لعلتين: إحداهما أن مقام البحث لا يقتضيه ولا يستوعبه، والأخرى أن البحث في هذه الظاهرة محاط بصعوبات جمة لا سيما طبيعتها التاريخية، مما يفتح باب السجلات العريضة بين المصنفين، التي وصلت - بعد استنباع بعض المظان - إلى حد التعارض.

لذا سأحتفي بمفاهيم تصب في هديّ الملاحظ النقدية، مؤملاً النفس باستجلاء أبعاد الظاهرة اللهجية ومكانتها في الدرس اللغوي، ثم أفضي إلى ساحة التفسير للوقوف إلى أمثلة جزئية تعكس الموجّهات الكلية لما دونه الألوّسي من نقد في أمر اللهجات.

وأول السبل في تأتي هذا المتطلب هو رجوع النظر في مفهوم اللهجة فهي - بحسب التراث المعجمي - لغة الإنسان جُبل عليها فاعتادها ونشأ عليها^(١).

وفي وعي المصنفين إنها: "مجموعة من الصفات اللغوية، تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعها في مجموعة من الظواهر اللغوية، التي تيسر الاتصال بين أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، ولفهم ما يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات"^(٢).

(١) لسان العرب، (لهج).

(٢) في اللهجات العربية، (١٦).

ونأثر في هذا الموضوع قصداً بجعل اللهجة "لا تزيد عن كونها طريقاً في النطق، وإخراج الأصوات، وتفضيل بعض قواعد البناء اللغوي"^(١)، و "تلاحظ في ظل حالة اجتماعية خاصة، يراعيها المتكلم عند صوغ اللغة فتميز طبقة عن أخرى، ويختلف بها مكان عن آخر"^(٢). وحقيق بالالتفات هنا أن القدماء في دراستهم لهذه الظاهرة قد استعملوا ألفاظاً كاللغة واللحن واللسان، ولم "يستعملوا مصطلح اللهجة على النحو الذي نعرفه في الدرس اللغوي الحديث، بل إنهم لم يستعملوه قط في كتبهم، وغاية ما وجدناه عندهم، ما تردده معاجمهم من أن اللهجة هي اللسان، أو طرفه أو جرس الكلام، ولهجة فلان لغته، وإنما كانوا يطلقون على اللهجة لغة أو لغية، ولعل ذلك راجع إلى أنهم لم يتوفروا على دراسة لهجة كاملة من لهجات القبائل التي كان يتكلمها الناس في حياتهم العادية بل كل ملاحظهم إنما تصب على هذه الفروق اللهجية التي دخلت الفصحى"^(٣).

وإذن يترتب على المتقدم آنفاً أن تكون العلاقة بين اللهجة واللغة هي علاقة "بين الخاص والعام، أو ما بين الفرع والأصل"^(٤)، بآية أن "اللغة تشتمل على عدة لهجات، لكل منها ما يميزها، وجميع هذه اللهجات تشترك في مجموعة من الصفات اللغوية والعادات الكلامية، التي تؤلف لغة مستقلة عن غيرها من اللغات"^(٥).

(١) أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، (١٥).

(٢) أثر اختلاف اللهجات العربية في النحو، (١١).

(٣) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، (٦٣).

(٤) في اللهجات العربية، (٦٣).

(٥) المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، (٧ - ٨).

وإذا يمينا وجوهنا تلقاء صنيع اللغويين في تناولهم اللهجات نلفي افتراقاً ظاهراً يرشح في تضاعيف شروحهم ومصنفاتهم، يبدأ من المحددات المكانية للغات القبائل التي يستشهد بها، فأخذوا - على خلاف - يفرقون بين قبيلة وأخرى، فينسبون الفصاحة إلى هذه، وينكرونها على تلك، بل إنهم ذهبوا إلى أبعد من ذلك، فميزوا بين القبائل في درجات الفصاحة، وأشار بعضهم إلى أن قريشاً أجود العرب انتقاءً للأفصح وقيساً وتميماً وأسداً، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذياً، وبعض كنانة، وبعض الطائيين... ولم يأخذ عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم^(١). وكان للمبرد توجيه آخر في أمر اللهجات مفاده أن "كل عربي لم تتغير لغته على مذهب قومه، وإنما يقال بنو فلان أفصح من بني فلان أي: أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب"^(٢).

ويمتد هذا الافتراق اللهجي إلى التععيد، فمن قابل للتعدد؛ لاعتقاده أن لاختلافها وجهاً من القياس في العربية، ومن رافض له واقف عند حدود ومعالم لا يتعداها، ولكل ذلك "أثره في موقف النحاة حيث تشكلت آراؤهم بوحى من ذلك الاختلاف وعلى ضوءه - في غالب الأحيان - عندما تناولوا كلام العرب بالتقنين ووضع القواعد"^(٣). وينضاف إلى المتقدم وصف بعض النحويين لغات بعض العرب "بالقبح والرداءة، وردّوا عدداً من هذه اللغات، وقد أرجح بعضهم ذلك إلى منهج النحاة في تعاملهم مع شواهد اللغات، فإذا كانت اللغة كثيرة

(١) الاقتراح في علم أصول النحو، (٢٢).

(٢) الفاضل، محمد بن يزيد المبرد، (١١٣).

(٣) أثر اختلاف اللهجات العربية في النحو، (٨).

الشواهد استطاعت أن تفرض على النحاة الاعتراف بها وبمكانتها، وإذا كانت قليلة الشواهد بقيت عرضة لأن تُردّ، أو توصف بالقبح والرداءة، وبقيت شواهدا عرضة للتحريف والتأويل لتنسجم مع قواعد النحويين^(١).

ومما يسترعي خاطر الباحث أمر مفاده أنه على الرغم من عقدة الاختلاف في عوامل التفاضل وتباين المنازل في تناول اللهجات فإن الكم الذي وصلنا من هذه اللهجات قد أثرى - بما يقر الأعين - درس اللغوي تعقيداً وتصنيفاً، وما يزال باقياً معاصراً يمثل رافداً مستديماً لبقاء العربية على مر الزمان.

ولعله يستقيم بعد تلك الملاحظ أن نرصد واقع اللهجات في القرآن الكريم والقراءات، موقنين - بادئ ذي بدئ - أن القرآن مؤئل لغات العرب - على اختلاف هذا المقرر - ومحتوى للظواهر اللهجية التي تختص بها القبائل العربية.

ويُمثل في مقام هذا البيان مستحکم يفضي إلى أن القرآن الكريم كان له الفضل الكبير في تقريب المسافات بين اللهجات، فقد أطل القرآن على الواقع اللهجي لأمة العرب؛ "فراعى أمر لهجاتها، وبارك مسعى أبنائها في النطق بألفاظ على وفق تكوينهم العضوي "الفسولوجي"، إسهاماً منه في التيسير على هذه الأمة التي تفرقت قبائلها في أنحاء الجزيرة، واصطبغت عاداتها النطقية بعوامل بيئية واجتماعية وخلفية أدت إلى اختلاف بين لهجاتها - في معظم مظاهرها اللغوية - عبر حقب وأزمان متطاولة"^(٢). وذلك من مقتضيات حكمة الله في قرآنه المعجز.

(١) لغات القبائل في كتب إعراب القرآن ومعانيه، (٢٣١).

(٢) أثر اختلاف اللهجات العربية في النحو، (١٧).

ولنا في قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف)^(١) هدى يقوي هذا المتطلب، ويؤكد البعد الشمولي للغة القرآن باستيعاب لهجات العرب، آخذين بالحسبان الجدل الدائر بين العلماء في تفسير الحديث - وفي صدده روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: نزل القرآن على سبع لغات؛ منها خمس بلغة العجز من هوازن. قال: والعجز: سعد بن بكر، وجشم بن بكر، ونصر بن معاوية وثقيف، وهؤلاء كلهم من هوازن، ويُقال لهم: عُلّيا هوازن، ولهذا قال أبو عمرو بن العلاء: أفصح العرب عُلّيا هوازن وسُفلى تميم - يعني بني دارم^(٢). وكذا قول بعضهم إنه: نزل بلغة قريش وهذيل وتميم والأزد وربيعة وهوازن وسعد بن أبي بكر^(٣). حتى قيل: إن القرآن اشتمل من اللغات على خمسين لغة^(٤).

وإذا تجاوزنا تفاصيل النظر في هذا المرتكز، وتفحصنا مشهد القراءات يتراءى لنا أن القراءات القرآنية "هي المرآة الصادقة التي تعكس الواقع اللغوي الذي كان سائداً في شبه الجزيرة قبل الإسلام، ونحن نعتبر القراءات أصل المصادر جميعاً في معرفة اللهجات العربية؛ لأن منهج علم القراءات في طريقة نقلها يختلف عن كل الطرق التي نقلت بها المصادر الأخرى كالشعر والنثر بل يختلف عن طرق نقل الحديث"^(٥).

(١) صحيح البخاري، باب: أنزل القرآن على سبعة أحرف، الحديث (٤٧٠٥)، (١٩٠٩/٤).

(٢) الإتيان في علوم القرآن، (١٣٣/١)

(٣) ينظر: البرهان في علوم القرآن، (٢١٧/١).

(٤) ينظر: الإتيان في علوم القرآن، (١٣٧/١ - ١٣٨).

(٥) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، (٩٣).

وهي فكرة اعتنقها السيوطي - من قبل - معتقداً أن القراءات القرآنية مصدر أصيل لدراسة اللهجات العربية ومعرفتها، وأن الاستدلال بالقراءة على اللهجات أولى وأكثر صوابية من الاستدلال باللهجة على القراءة^(١).

وبعد... فإن مما يؤثر سلامة القول ويحقق سكينة اليقين في

حديث هذا المتطلب - والله تعالى أعلم - مستصفي أجلوه بالآتي:

- إن الاختلاف في مفاهيم تعدد اللهجات، لا يحيف على الدرس اللغوي فساداً، ما دمنا أمام نص رباني وحدّ العقائد ورسخها وأكمل التشريعات، وإن اختلفت أنماط القراءات، وهو دليل على باب السماحة والتيسير الذي وسم به هذا الدين العظيم.

- يتضح جلياً أن الآراء التي اختلفت في لغات القرآن، كان اختلافها شكلاً، ولكنها تتفق من حيث المضمون، ذلك أن القائل بلغة قريش يجب أن يدرك كل الإدراك أن ما لغة قريش إلا لغة هجينة بين لغات العرب الوافدة بدافع التجارة، أو ممارسة طقوسها الدينية، أو المناظرات الأدبية، لا سيما الشعر^(٢)، فجمعت هذه اللغة في مكوناتها لهجات عربية عدة.

- للقراءات القرآنية منة وفضل في حفظ التراث اللهجي للقبائل العربية، وأضحى القرآن "معيناً للهجات بفضل عناية القراء وتحريبيهم في الضبط والتلقي، وسلوك المحجة العظمى - حتى أنهم كانوا يسجلون في تلاوتهم نزر الخلاف وقليله - هذا عدا ما اشتمل عليه من نظم محبوبك فريد،

(١) ينظر: الاقتراح في علم أصول النحو، (١٧).

(٢) الكشف اللغوي عن التعدد اللهجي في لغة القرآن، (١٢٢)

وصور عجيبة أخذة، وموسيقى وتصوير، واتساق في معانيه، ووحدة وألفة في كلمه^(١).

- يستقيم تعدد صور اللهجات في النظم الكريم مع إعطاء مزيد من التنويعات المعنوية للألفاظ، "وينتهيأ معه استنباط الأحكام التي تجعل القرآن ملائماً لكل عصر، يلبي حاجات البشرية، ويقوم حياتها على نهج الله الأقوم؛ ولهذا احتج الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد في معرفة الأحكام بقراءات الأحرف السبعة"^(٢).

- إن استيعاب القرآن الكريم للهجات، ومراعاة الفروق بينها كان "منسجماً مع التوسعة التي شرعها الأثر الشريف: أنزل القرآن على سبعة أحرف، ... ويتجاوز بالعرب وحدة القبيلة ويتسق مع غاية الرسالة التي تجاوزت العرب إلى العالمين"^(٣). وبذا يندفع ما جنح إليه أرباب الزيغ والإزراء بالعرب بعدّهم هذا التعدد مثلباً ومشكلاً.

ولم يكن المفسرون بمنأى عن معترك هذه الظاهرة، بل كانت تطل بوجهها في صميم معالجاتهم التفسيرية، متمثلين قول ابن خالويه بإجماع الناس على "أن اللغة إذا وردت في القرآن فهي أفصح مما في غير القرآن، لا خلاف في ذلك"^(٤)، متمسكين وجود هذه الظاهرة في القرآن، وأثرها في الاستعمال والتركيب، والسياق والدلالة، والتوظيف... .

ولا يكون هذا - في وعيهم - على تلك المستويات، بل يتعدى إلى المعاني، بآية أن القرآن خطاب موجه، وهناك أمة تتلقى هذا

(١) اللهجات العربية في التراث، القسم الثاني، النظام النحوي، (٧١٣).

(٢) نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان، (١٠٧).

(٣) اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول، (٣٨).

(٤) المزهر في علوم اللغة، (٢١٣/٤).

الخطاب، فتوجيه "ما في كلام الله إلى المعروف من كلام من خوطب به أولى من توجيهه إلى المجهول منه، ما وُجد إليه سبيل"^(١). ومن هنا يكمن مظهر من مظاهر الإعجاز في القرآن.

والإشارة إلى تباين اللهجات في تفسير الآلوسي وارد ومتكاثراً، وقد تدبر الآلوسي وجوه اللهجات، نقف في هذا المقام على ما يلامس نظراته النقدية منها.

وقبل الشروع في عرض الرؤى النقدية للهجات لفتني أن الآلوسي وهو يدارس طائفة من الظواهر اللهجية كان مصرحاً بلغات العرب تارةً، وغاضاً الطرف عن التصريح بها تارةً أخرى؛ لذا سأعمد إلى تقسيم هذا المضمار على قسمين: أحدهما للغات المصرح بها، والآخر: للغات غير المصرح بها.

اللهجات المصرح بها:

١. تحول بنية الكلمة:

أ. في الأفعال:

إن كثيراً من التحولات التي تطرأ على أبنية الكلمات العربية لا يمكن فهمها إلا من خلال استقراء التراث اللغوي، وتتبع الأصول، وتشكل الظاهرة اللهجية عاملاً رئيساً في توصيف هذه التحولات التي تطرأ عادة على الأصول الثابتة للكلمة ونعني بها (ف ع ل)، وعلى غير هذه الأصول من لواحق الأسماء والأفعال، آخذين بالحسبان أنها "لا تميل إلى التخالف الصوتي لما يترتب عليه من إجهاد عضلات الجهاز الصوتي وأعضاء الكلام؛ ولهذا فهي تؤثر التماثل والانسجام والتناغم بين الأصوات المتجاورة، وتتأى عن النقل والتنافر"^(٢).

(١) جامع البيان للطبري، (١٣٢/٧)، (المائدة ١١٤).

(٢) المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، (١٦٨).

نقف وجاه قول - الباري عز وجل - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ [سورة الفاتحة، الآية ٥].

قرأ عبيد الليثي وزيد بن حبيش ويحيى بن وثاب والنخعي (نعبد)، بكسر النون، وهي لغة قيس وتميم وأسد وربيعة وهذيل^(١)، وكذلك حكم حروف المضارعة في هذا الفعل وما أشبهه كـ(نستعين) مما لم ينضم ما بعدها فيه سوى الياء؛ لاستئصال الكسرة عليها على أن بعضهم قال يجلب بكسر ياء المضارعة من وجل، وقرأ بعضهم يعلمون، وعن بعض أهل مكة أنه قرأ نعبد بإسكان الدال، وقرأ الجمهور نعبد بفتح النون وضم الدال، وهي لغة أهل الحجاز، وهي اللغة الفصحى^(٢).

انتهى إلى أن الألويسي قد وافق أبا حيان بجعله قراءة أهل الحجاز هي الفصحى^(٣)، وتأثفت هذه الرؤية مع المطرد من قواعد النحويين فيما يخص حركة حروف المضارعة التي لا توجب كسر نون المضارعة - كما في الآية - وإنما من جملة الأفعال التي يكسر فيها حرف المضارعة ما كان مبدوءاً بهمزة وصل مما جاوز ثلاثة أحرف، قال سيبويه: "واعلم أن كل شيء كانت ألفه موصولة مما جاوز ثلاثة أحرف في فعل فإنك تكسر أوائل الأفعال المضارعة للأسماء.." ^(٤)، "وكذلك كل شيء من تفاعلت أو تفاعلت أو تفاعلت يجري هذا المجرى؛ لأنه كان عندهم في الأصل مما ينبغي أن تكون أوله ألفاً موصولة؛ لأن

(١) ينظر: إعراب القرآن للنحاس، (١٤١/١)، الكشف (٥٧/١)، الجامع لأحكام القرآن، (١٤٦/١).

(٢) روح المعاني، (١١٧/١ - ١١٨). ما فوق الخط يمثل الألفاظ أو المصطلحات النقدية التي وردت عن الألويسي.

(٣) ينظر: البحر المحيط، (١٤١/١).

(٤) الكتاب (١١٢/٤).

معناه معنى الانفعال، وهو بمنزلة انفتح وانطلق، ولكنهم لم يستعملوه استخفافاً في هذا القبيل^(١).

فهذا الجهر يجليّ تقعيماً مفاده: أن ما كان مبدوءاً بتاء زائدة معتادة صح فيه كسر حرف المضارعة، مع أن التاء غير مكسورة تشبيهاً لتلك الأفعال التي في أولها همزة وصل من حيث إنها في الأغلب تكون مطاوعة.

وليس هذا بنافٍ قراءة كسر النون (نعبد)؛ لأنها جاءت على لغات العرب الموسومين بالفصاحة أولاً، وأن المفسرين - بعد استتباع مدوناتهم - لم يتعرضوا بالطعن لهذه اللغة ثانياً، أما الثالثة الأثافي فتستقر في قول أبي حاتم السجستاني: إنه سمع حترش بن ثمال - وهو عربي فصيح - يقول في خطبته: "الحمد لله إحمده وإستعينه وإتوكل عليه" فيكسر الألفات كلها، وعلى هذا قراءة من قرأ (وإياك نستعين)^(٢) بكسر النون.

ومما يلحق بركب المتقدم ما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا آءِذَا

ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ آءِذَا لَنِي خَلْقٍ جَدِيدٍ بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَفِرُونَ ﴿١٠﴾

[سورة السجدة، الآية ١٠]، (ضللنا) أي: ضعنا فيها بأن صرنا تراباً مخلوطاً بترابها بحيث لا نميز فيه، فهو من ضاع المتاع إذا ضاع، أو غبنا فيها بالدفن وإن لم نصر تراباً، وإليه ذهب قطرب، وأنشد قول النابغة يرثي النعمان بن المنذر:

فآبَ مَضْلُوهُ بَعِينٍ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(٣)

(١) الكتاب (١١٢/٤).

(٢) ينظر: شرح شافية ابن الحاجب، (١٤٣/١).

(٣) ديوان النابغة (٦٦)، والرواية فيه: فآب، بالفاء، وليس بالواو.

وقرأ يحيى بن يعمر وابن محيص وأبو رجاء وطلحة، وابن وثاب (ضللنا) بكسر، ويقال: ضل يضل كضرب يضرب، وضل يضل كعلم يعلم، وهما بمعنى، والأول اللغة المشهورة الفصيحة، وهي لغة نجد، والثاني لغة أهل العالية^(١).

إن الاحتكام إلى الآراء المرسلّة من السابقين تدفعني - والله تعالى أعلم - إلى القول بصحة رؤية الآلوسي النقدية في لغة نجد، وممن مثل هذه الآراء:

المفسرون: ويطالعنا منهم الطبري بقوله: "القراءة على فتح اللام هي الجوداء، وبها نقرأ"^(٢)، وكذا إلماحة أبي حيان: "فتح اللام ضللنا والمضارع يضل بكسر عين الكلمة هي اللغة الشهيرة الفصيحة"^(٣).

المعجميون: يجلي على وجه الإحكام استشراف لغة نجد قول الزبيدي: "ضَلَّتْ كزَلَّتْ تَضِلُّ وتزِلُّ، أي بفتح العين في الماضي وكسرها في المضارع وهذه هي اللغة الفصيحة، وهي لغة نجد"^(٤).

الشعراء: وتتحسس هذه اللغة من قول امرئ القيس:

غَدَائِرُهُ مُسْتَشْرِزَاتٌ إِلَى الْعَلَا تَضِلُّ الْعِقَاصُ فِي مُثْنَى وَمُرْسَلٍ^(٥)

(١) روح المعاني، (١٤٩/٢١)، وينظر: الكشاف (٥١٦/٣)، وإتحاف فضلاء البشر، (٤٥٠).

(٢) جامع البيان، (٩٦/٢١).

(٣) البحر المحيط، (١٩٥/٧).

(٤) تاج العروس، (ضلل)، (٣٤٤/٢٩)، وينظر: لسان العرب (ضلل)، (٣٩٠/١١).

(٥) ديوان امرئ القيس (٤).

ويتعين هذا المقصد في قول الأخطل:

كُنْتَ الْقَدَى فِي مَوْجٍ أَكْدَرَ مُزْبِدٍ قَدَفَ الْآتِيَّ بِهِ فَضَلَّ ضَلَالًا^(١)

وأجلو ملحظاً آخر ينضاف - والله تعالى أعلم - إلى تلكم البواعث، يحتمله سياق الآية مرده إلى اختيار صيغة الماضي وتعيين معناها، فالآية بـ(ضللنا) ماضياً مدعائه أن: "إنكارهم للحشر كان سابقاً صادراً منهم ومن آبائهم"^(٢)، أما جهة المعنى فناسبت حالة المشركين؛ لأن مؤدها إلى الضياع - سالف الذكر - وإلى تلفهم، وتقطع أوصالهم، وذهابهم حتى لم يوجدوا"^(٣).

ب. بنية اسم الفعل: - الخالفة -

نلج هذا المتطلب من باب اسم الفعل (هيهات) في قوله تعالى:

﴿ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴾^(٤) [سورة المؤمنون، الآية ٣٦]،

بفتح التاء على قراءة المصحف، وقرئ^(٤):

هيهاتاً هيهاتاً، بفتحها منونتين للتكثير.

هيهاتٌ هيهاتٌ، بالضم والتتوين، وقرئ بالضم من غير تتوين.

هيهاتٍ هيهاتٍ، بالكسر من غير تتوين، وروي أنها لغة في تميم وأسد.

هيهاتٍ هيهاتٍ، بكسرها والتتوين.

هيهاتٌ هيهاتٌ، بالإسكان فيهما، فمنهم من ينقي التاء ويقف عليها،

ومنهم من يبدلها هاء ويقف عليها.

(١) ديوان الأخطل، (٢٠٥).

(٢) التفسير الكبير، (١٥٣/٢٥).

(٣) المحرر الوجيز، (٣٦٠/٤).

(٤) ينظر: الكشاف (١٨٩/٣)، والمحرر الوجيز (١٤٣/٤)، والجامع لأحكام القرآن

(١٢٢/١٢ - ١٢٣)، الجامع البيان (٢١/١٨ - ٢٢)، وإتحاف فضلاء البشر

(٤٠٣ - ٤٠٤).

أيهاه، بإبدال الهمزة من الهاء الأولى، والوقف بالسكون على الهاء. وعقب الآلوسي ناقدًا: "والذي أميل إليه أن جميع هذه القراءات لغات، والمعنى واحد، وفي هذه الكلمة ما يزيد على أربعين لغة"^(١). ويدفعني يقين حازم - والله تعالى أعلم - إلى القول بصحة رؤية الآلوسي القاضية بأن التعدد مؤداه لغات العرب، محتجاً بجملة أمور:

أولها: إن جلَّ المصنفين في معاني القرآن وإعرابه وتفسيره قد نصوا على مجيء هذا التعدد على لغات العرب، ومنه قولهم - في هذه الآية - إن في هيهات عشرة لغات ذكرنا منها سبعة^(٢).

ثانيها: من المقرر عند أرباب اللغة أن في (هيهات) أكثر من أربعين لهجة، وحسبنا قول السيوطي: "هيهات بمعنى بعد، حكى فيها الصنعاني ستاً وثلاثين لغة: هيهات وأيهات وهيهان وأيهان وهيهاه وأيهاه، وكل واحدة من هذه الستة مضمومة الآخر ومفتوحة ومكسورته منونة وغير منونة، وحكى غيره: أيهاك وأيهان وهيهانا بالألف وإيهاء بالمد، فزادت على الأربعين"^(٣).

ثالثها: نجد هذه اللهجات في مدونات النحويين بالمأحة أو تصريح، ويكفي مؤونة ذلك قول الزمخشري: "هيهات بفتح التاء لغة

(١) روح المعاني، (٣٧/١٨ - ٣٨).

(٢) ينظر: معاني القرآن للنحاس، (٤٥٧/٤)، ومشكل إعراب القرآن، (٥٠١/٢) - (٥٠٢)، والتبيان في إعراب القرآن، (٩٥٤/١)، والبحر المحيط، (٣٧٤/٦) - (٣٧٥).

(٣) همع الهوامع، (١٠٧/٣).

أهل الحجاز، ويكسرهما لغة أسد وتميم، ومن العرب من يضمها، وقرء بهن جميعاً... إلخ^(١).

رابعها: جنح بعض النحويين إلى الاتكاء على هذه اللهجات لإثبات مذهبه النحوي، ونجتزئ من قول ابن جني ما يقوي هذا الباعث: "والتاء فيها - هيهات - للتأنيث مثلها في الفوقاة والشوشاة، والوقوف عليها بالهاء، وهي مفتوحة فتحة المبنيات، ومن كسر التاء، فقال: هيهات، فإن التاء تاء جماعة التأنيث، والكسرة كالفتحة في الواحد"^(٢).

خامسها: ليس بالغريب في موضوع أسماء الأفعال أن تأتي على لغات العرب كما في (هيهات)، فقد حفظت لنا المصنفات اللغوية كثيراً من اللهجات الواردة في بعض ألفاظ أسماء الأفعال سواء في حركتها أو حروفها، منها: أف، وهيت، على مستوى القرآن الكريم.

سادسها: كذلك شاع في وعي المستشرقين ما يستشرف هذا المبتغى، قال بلاشير: إن هيهات لهجة شرقي الجزيرة وتميم، وأيهات لهجة الحجاز^(٣).

سابعها: إن استنطاق الشعر العربي يؤذن بتحقق هذا الملحظ عند الشعراء، ومنه قول الأحوص:

تَذَكَّرْتُ أَيَّاماً مَضَيْنَ مِنَ الصَّبَا وَهِيَهَاتَ هِيَهَاتاً إِلَيْكَ رَجوعها^(٤)

وقول حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلاداً حتى صارت في القفار:

(١) المفصل، (٢٠١ - ٢٠٢).

(٢) الخصائص، (٤١/٣).

القوقاة: مصدر قولك قوقت الدجاجة إذا صوتت، وأصلها قوقية.

الشوشاة: يقال ناقة شوشاة أي سريعة.

(٣) ينظر: تأريخ الأدب العربي، (٩٨/١).

(٤) ديوان الأحوص، (١٢٤).

يُصْبِحْنَ بِالْقَفْرِ أَتَاوِيَاتٍ هِيَهَاتٍ مِنْ مُصْبِحِهَا هِيَهَاتٍ

هِيَهَاتٍ حَجْرٌ مِنْ صُنَيْبِعَاتٍ^(١)

ولعله يستقيم بعد هذا العرض أن أقدم احتراضاً في غورين أثنين:

- إن رؤية الألويسي القاضية بجعل هذه اللغات بمعنى واحد وهو البعد متحققة في الآية، وهذا ما دأب عليه العلماء في شرحهم لاسم الفعل (هيهات).

- يشف التعدد اللهجي لاسم الفعل في استعمالات العرب نظماً ونثراً عن أنماط لفظية تؤدي دلالات متعينة يحكمها حال المتكلم، وارتكز في هذا المقرر على ثلاثة أمور:

١- إن الاختلاف اللهجي ينضوي في جوانب: الصوت، والصرف، والتركيب، ويفضي الاستقراء والتحليل إلى الكشف عن دلالات عدة في هذه الجوانب.

٢- يؤذن استعمال العرب لأسماء الأفعال في أساليبهم الإفصاحية بالكشف "عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه، فهي من حيث استعمالها قريبة الشبه بما يسمونه في اللغة الإنجليزية (Exclamation)^(٢).

٣- ينبئ اختلاف العرب في نطق (هيهات) أن هذه اللفظة "ليست ظرفاً وليست ثلاثية وليست مفردة وليست جمعاً، إنما هي صوت يقوله العربي حين يستبعد شيئاً أو أمراً، وهو تعبير عن انفعاله هذا، ولذلك يختلف هذا الصوت باختلاف طبيعة هذا الانفعال ودرجته، وهذه اللغات التي ذكرها النحويون وأهل اللغة ليست إلا صوراً لاختلاف هذا الصوت في تعبيره عن الانفعال حين يشتد أو يضعف"^(٣).

(١) لسان العرب، هيه

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها، (١١٣)، ومعنى (Exclamation) الهتاف.

(٣) اسم الفعل دراسة و تيسير، (٧٧).

٢- بنية الجموع:

ومما يلامس هذا الضرب ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَجَنَّتْ
مِّنْ أَعْتَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَانٍ وَغَيْرِ صِنَوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾ [سورة
الرعد، الآية ٤]، (صِنَوَان) جمع صِنُو، وهو الفرع الذي يجمعه وآخر
أصل واحد، وأصله المثل، ومنه قيل: للعم صنو، وكسر الصاد في
الجمع كالمفرد، وهو اللغة المشهورة، وبها قرأ الجمهور، ولغة تميم
وقيس (صِنَوَان) بالضم كذئب وذؤبان، وبذلك قرأ زيد بن علي
والسلمي، وابن مصرف، ونقله الجعبري عن حفص، وقرأ الحسن
وقتادة بالفتح، وهو على ذلك اسم جمع كالسعدان لا جمع تكسير؛ لأنه
ليس من أبنيته^(١).

فالألوسي يلوذ بقراءة الجمهور وإجماعهم في رؤيته أن يكون
قراءة (صِنَوَان) على (فِعْلَان) هي اللغة المشهورة، وربما ينضاف إلى
ذلك - والله تعالى أعلم - يقينه بأنها اللغة المسموعة عن العرب - كما
نص الصرفيون - على الرغم من أنها لا تتدرج تحت الأقيسة التي
وضعها الصرفيون فيما جاء على وزن فِعْلَان في جمع التكسير.
والفيصل في هذه البنية أنها تنضوي تحت جموع التكسير التي
وردت مسموعة، وخرجت عن الأقيسة المطردة، وطراً على مفردتها
تغيير لفظي ظاهر.

ففي العرف الصرفي يطر بناء (فِعْلَان) في اسم على (فُعَال)
كخراب و (فُعَل) كجُرَد و (فُعَل) كعود و (فَعَل) كنار^(٢).

(١) روح المعاني، (١١٩/١٣)، وينظر: معاني القرآن للنحاس (٤٦٩/٣)، والكشاف
(٤٨٣/٢)، والبحر المحيط (٣٥١/٥ - ٣٥٢).

(٢) ينظر: الفيصل في ألوان الجموع، (٦٩).

وخرجت عن تلكم الأقيسة أفاظ جمعت على (فعلان) فقد سُمع من (فعل) غير واوي العين و (فعل) كقولهم: شيث وشيثان، وضرب وضربان، وفتى وفتيان، وغزال وغزلان^(١).

"فجعلوا البناء على فعلان وقل فيه الفِعال؛ لأنهم ألزموه فعلان فجعلوه بدلاً من فعال"^(٢). ومما جاء على (فعل) وجمع على (فعلان) على غير القياس: صِنو وصِنوان، وقنو وقنوان^(٣).

ويمتد الافتراق عن التّعيد الصرفي، والاكتفاء بالمسموع إلى النظير (صنوان) على (فعلان) بلغة تميم وقيس، فالمستحكم عند أهل هذا الدرس أن بناء (فعلان) يكثر في الأسماء على وزن: (فعل) كظهر - ظهران، و (فعل) صحيح العين وليست عينه ولامه من جنس واحد كذكر - ذكران، و (فعل) كغدير غدران، ويقل في جمع (فاعل) كراكب - رُكبان^(٤).

ومما يسترعي الخاطر ويوافق مقصد الكلام أن صيغتي (فعلان) و (فعلان) قائمتان في التنزيل الحكيم، فعلى (فعلان) وردت سبعة جموع عمادها:

(١) ينظر: الخصائص، (١٠١/٢ - ١٠٢)، والمنهج الصوتي للبنية العربية، (١٤٠).

(٢) الكتاب (٥٩٠/٣).

(٣) ينظر: الأصول في النحو، (٤٢٥/٢).

(٤) ينظر: المهذب في علم التصريف، (١٩٥ - ١٩٦).

(إخوان) ^(١)، و (وِلدان) ^(٢)، و (قنوان) ^(٣)، و (حيتان) ^(٤)،
و (فَتَيان) ^(٥)، و (صنوان) ^(٦)، و (غلمان) ^(٧).
وعلى (فُعلان) وردت خمسة جموع مفادها: (رُكبان) ^(٨)،
و (رُهبان) ^(٩)، و (حُسبان) ^(١٠)، و (عُميان) ^(١١)، و (نكران) ^(١٢).
فالصيغتان ليستا بمنأى عن الجموع الواردة في القرآن الكريم.
وأرغب في مختتم هذا الملحظ إلماحة ناجعة من المبرد تكشف
عن تعدد الجموع للمفرد الواحد، وتعضد ورود هاتين الصفتين، وذلك

(١) ينظر: (سورة البقرة، الآية ٢٢٠)، (سورة آل عمران، الآية ١٠٣، ١٥٦،
١٦٨)، (سورة الأنعام، الآية ٨٧)، (سورة الأعراف، الآية ٢٠٢)، (سورة
التوبة، الآية ١١، ٢٣، ٢٤)، (سورة الحجر، الآية ٤٧)، (سورة الإسراء، الآية
٢٧)، (سورة النور، الآية ٣١، ٦١)، (سورة الأحزاب، الآية ٥، ١٨، ٥٥)،
(سورة ق، الآية ١٣)، (سورة المجادلة، الآية ٢٢)، (سورة الحشر، الآية ١٠،
١١).

(٢) ينظر: (سورة النساء، الآية ٧٥، ٩٨، ١٢٧)، (سورة الواقعة، الآية ١٧)، (سورة
المزمل، الآية ١٧)، (سورة الإنسان، الآية ١٩).

(٣) ينظر: (سورة الأنعام، الآية ٩٩).

(٤) ينظر: (سورة الأعراف، الآية ١٦٣).

(٥) ينظر: (سورة يوسف، الآية ٦٢).

(٦) ينظر: (سورة الرعد، الآية ٤).

(٧) ينظر: (سورة الطور، الآية ٢٤).

(٨) ينظر: (سورة البقرة، الآية ٢٣٩).

(٩) ينظر: (سورة المائدة، الآية ٨٢)، (سورة التوبة، الآية ٣١، ٣٤).

(١٠) ينظر: (سورة الكهف، الآية ٤٠).

(١١) ينظر: (سورة الفرقان، الآية ؟؟؟).

(١٢) ينظر: (سورة الشعراء، الآية ١٦٥)، (سورة الشورى، الآية ٥٠).

لأنها أسماء فيقع الاختلاف في جمعها كالاختلاف في أفرادها^(١). في حين يتلمس بعض الدارسين مسوغاً في مجيء صينو على صنوان بأن العرب قد غلبت فيهما بناء المثى على بناء الجمع القياسي، وهم يغلبون أصلاً على فرع عارض الضرب من التخفيف^(٢)، مستحضرين ظاهرة التغليب التي عرفها العرب، وأجروها في كلامهم شعره ونثره، "فقد أدركوا وهم أرباب الفصاحة والبلاغة، بحسبهم اللغوي السليم أن الإيجاز والتعريض أو التلميح أبلغ من الإطناب والتصريح فغلبوا الأصل والأشرف والأنبه والأخف"^(٣)، مسترجعين نظرهم إلى مقولة الرضي بأن "المراد بالتغليب التخفيف فيختار ما هو أبلغ في الخفة"^(٤)، والأكثر دوراناً على ألسنة الناس.

على أن تلكم المسوغات تبقى في دائرة الاجتهاد التي لا تصل إلى سكينه اليقين، إلا أنها من المحاسن التي تلقى في النفس قبولاً، ومن الروافد المعززة للدرس الصرفي، معرجاً على أن الإمكانية اللغوية عند العرب في صوغ الجموع من المفرد الواحد تتيح مرونة في استعمال اللغة، وتلحب - توضح - السبيل أمام الدارسين لتفسير الظواهر التصريفية.

٣- مطل الحركات

يعتور هذا الملحظ اللهجات العربية، ويدور تأثيره في تفسير صيغة الكلمة المفضي إلى اتساع معنى من المعاني، ومن الأمثلة على ذلك ما جاء في قوله - تعالى - ﴿سَأُورِيكَ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة

(١) المقتضب، (٢/٢٠١).

(٢) ينظر: ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، (١٦٠ - ١٦١).

(٣) النظام النحوي في القرآن الكريم، ودلائل النظام النحوي، (٧٦ - ٧٧).

(٤) شرح الكافية في النحو، (٢/١٧٢).

الأعراف، الآية ١٤٥]، قرأ الحسن (سأوريكم) بضم الهمزة واو ساكنة وراء خفيفة مكسورة^(١).

والألوسي يرى فيها: "هي لغة الحجاز، والمعنى: سأبين لكم ذلك وأنوره، على أنه من أوريت الزند، واختاره ابن جني في تخريج هذه القراءة، ولعل الأظهر أنها على لغة الإشباع كقوله: من حيثما سلكوا أدنو فأنظور"^(٢).

ويبدو أن الاعتداد بالمفصل الصوتي متمثلاً بإشباع الواو متخلق في نفس الألوسي، في حين يطالعنا آخرون كالعبري وأبي حيان برد هذا التخريج محتجين بضعفه، واقتصاره على باب ضرورات الشعر^(٣)، بل إن الزيادة المؤدية إلى ما ليس أصلاً في كلامهم كقول الشاعر - في البيت أنف الذكر - من أقبح الضرورات عند السيوطي^(٤).

وإخال - والله تعالى أعلم - أن استظهار ملحظ إشباع الصوت، أو مطلقه يكتسب مشروعية ظاهرة لا ميساس لها بحرمة التنزيل الكريم وذلك إذا استتبقنا المتون العربية، وتتردد هذه المشروعية بين حيزين أحدهما: باعث صوتي مرافق للكلام، والآخر: مبتغى دلالي لأصوات المد.

(١) ينظر: الكشاف، (١٥٠/٢)، إتحاف فضلاء البشر، (٢٩٥).

(٢) روح المعاني، (٧٠/٩٠)، والبيت: وأنني من حيث يثني الهوى بصري من حيثما سلكوا أدنو فأنظور.

(٣) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، (٥٩٤/١)، البحر المحيط، (٣٨٨/٤).

(٤) ينظر: همع الهوامع، (٢٧٤/٣).

والحق أن هذا الملحظ قد عرّج عليه سيبويه من قبل في باب الإشباع في الجر والرفع، مشيراً إلى "الذين يشبعون فيمططون وعلامتها واو وياء، وهذا تحكمه لك المشافهة"^(١).

ويؤذن كلام ابن جني في تضاعيف خصائصه بتعيين حدود هذه الظاهرة، فإذا فعلت العرب ذلك نشأت عن الحركة الحرف من جنسها، ففتشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو"^(٢)، فتوافق قراءة الحسن (سأوريكم) على لغة الحجاز. أما المبتغى الدلالي لمطل الحركات، فقد ذهب ابن جني بعيداً في تلمس خفاياه، فألمح إلى أن "المعنى الجامع بين التذكرة والندبة قوة الحاجة إلى إطالة الصوت في الموضوعين"^(٣)، متبصراً في ذلك مراعاة العرب كحال المتكلم النفسية، "ويظهر فضل ابن جني بجلاء ووضوح، ويثبت أنه قد طرق باب هذه الموضوعات التي تعتبر من منجزات علم اللغة الحديث، وبذلك تحفظ له أصالته ومساهمته"^(٤).

وبذا يلوح في أفق هذا المتطلب سُهْمَةٌ قراءة الحجازيين للفعل في بيان مقصد النظم الكريم، فالرؤية في (سأوريكم) "رؤية العين إلا أن المعنى يتضمن الوعد للمؤمنين، والوعيد للفاسقين"^(٥). واخترناه؛ لأن الذي قبل قوله جل ثناؤه ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ أمر من الله لموسى وقومه بالعمل بما في التوراة، فأولى الأمور بحكمة الله تعالى أن يختم ذلك بالوعيد على من ضيعه، وفرط في العمل لله، وحاد عن سبيله

(١) الكتاب، ٤/ ٢٠٢.

(٢) الخصائص، ٣/ ١٢١.

(٣) الكتاب، (٤/ ٢٠٤).

(٤) الخصائص، (٣/ ١٢١).

(٥) المصدر نفسه، (٣/ ١٢٩).

دون الخبر عما قد انقطع الخبر عنه، أو عما لم يجر له ذكره^(١). فالذي "زاد من احتمال الواو في هذا الموضع أنه موضع وعيد وأغلاظ، فمكن الصوت فيه، وزاد إشباعه واعتماده، فألحقت الواو فيه؛ لذلك ينبغي أن نترصد الإشباع في الصيغ بالموضع الذي قيلت فيه، بحيث يفسر في صوته"^(٢).

ولعل استشرافاً لا يكاد ينقح زناد خاطر لغيره مرده: أن تلكم الملاحظ التراثية قد قاربت مضامين الدراسات الصوتية الحديثة كظاهرة التوليد الصوتي، والكشف عن دلالة الفونيمات، وأثر جرس الأصوات في إضفاء صفة التميز الفني والتلاؤم الموسيقي.

٤ - اللهجات في الأدوات

ألتمس في مستهل هذه الجزئية اللهجية استظهاراً مفاده: أن الأدوات شكلت جانباً مهماً في تفسير الآلوسي، فوقف على ظواهرها النحوية والتعبيرية واستعمالاتها في لغات العرب، وأن تناوله للهجات الأدوات قد انتظم عقده في ثلاث شعب:

نظرة في اللهجة وقراءات الأدوات.

نظرة في اللهجة ومبنى الأدوات.

نظرة في اللهجة وإعراب الأدوات.

وسأعمد إلى معالجة نظرة نقدية جزئية من هذه الثلاث؛ لأبني عليها موجهاً كلية عمادها المكين قائم على استشراف ملحظ لهجات الأدوات.

(١) الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني، (٧٩)، واستدراك، قوله بأن هذه الموضوعات من منجزات علم اللغة الحديث فيه نظر.

(٢) المحرر الوجيز، (٤٥٣/٢).

ومن أمثلة ما يقع على هذا الصعيد رؤيته في صرف الجواب (نَعَمْ) من قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ ﴾ [سورة الأعراف، الآية ٤٤]، (نَعَمْ) بفتح النون والعين قراءة الجمهور، "وقرأ الكسائي (نَعَمْ) بكسر العين وهي لغة نسبت إلى كنانة وهذيل، ولا عبرة بمن أنكروه مع القراءة به، وإثبات أهل اللغة له بالنقل الصحيح، نعم ما روي من أن عمر - رضي الله عنه - سأل قوماً عن شيء فقالوا: نَعَمْ، فقال عمر: أما النَعَمْ فالإيل قولوا: نَعَمْ، لا أراه صحيحاً لما فيه من المخالفة لأصح الفصيح"^(١).

والمستصفي من عرض الألوسي أنه قدم نقدين: الأول رده على من أنكر لغة (نَعَمْ)؛ لأنها جاءت على لغة كنانة وهذيل، وثبت نقلها عن أئمة اللغة، والآخر: رده على الرواية التي نسبت لعمر رضي الله عنه بحصر الجواب بلغة (نَعَمْ) واستبعاد (نَعَمْ)؛ لأنها تفضي إلى معنى آخر غير مراد.

يظهر - والله تعالى أعلم - أن ثمّ تحققاً في استعمال اللغتين عند العرب، فكلاهما حرفا جواب، ويأتیان تصديقاً لمخبر، وإعلاماً لمستخبر، ووعداً لطالب^(٢).

فلغة (نَعَمْ) لا شية عليها، فهي "القراءة المستفيضة في قراء الأمصار، واللغة المشهورة في العرب"^(٣).

أما (نَعَمْ) فلا عبرة بإنكار الرازي لها بقوله: الكسر ليس بمعروف^(٤) لأنها:

(١) جامع البيان، (٥٩/٩).

(٢) القرينة في اللغة العربية، (١٨٨).

(٣) روح المعاني، (١٤٢/٨).

(٤) ينظر: همع الهوامع، (٦٠٦/٢-٦٠٧).

- لغة بعض العرب كما أسلفنا.
- جاءت على لسان النبي ﷺ في حديث قتادة عن رجل من خثعم قال:
دفعت إلى رسول الله وهو بمنى، فقلت: أنت الذي تزعم أنك نبي؟ فقال:
نعم^(١).

- وردت في الشعر العربي ومنه قول الكلبى:
نَعِمَ إِذَا قَالَهَا مِنْهُ مُحَقَّقَةٌ وَلَا تَجِيءُ عَسَى مِنْهُ وَلَا قَمَنْ^(٢)
ومما أوقف عنده متردداً في قبوله هو تأييد الكسائي للغة (نعم)
دون لغة (نعم) بحجة رواية عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنفة
الذكر -؛ لأن هذه الرواية ترمى بالضعف بدواع آتية:
- إن هذه الرواية تتعارض مع لغة (نعم) المشهورة عن العرب، وعليها
القرء الستة.

- إن لغة (نعم) وردت عن رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة، ومنه
سؤال المرأة: "يا رسول الله إن فريضة الله على عباده في الحج أدركت
أبي شيخاً لا يثبت على الراحلة، أفأحج عنه؟ قال: نعم، وذلك في حجة
الوداع"^(٣).

- ذكر أبو عبيدة - وهو من الثقات - أن هذه الرواية غير مشهورة،
وتابعه الآلوسى بأن فيها مخالفة لأصح الفصيح^(٤). وربما قولوا سيدنا
عمر ما لم يقل.

(١) جامع البيان، (١٨٧/٨).

(٢) التفسير الكبير، (٧٠/١٤).

(٣) الحديث في لسان العرب، مادة (نعم)، (٥٨٩/١٢).

(٤) جامع البيان، (١٨٧/٨).

- ربما يكون تأييد الكسائي لهذه اللغة؛ لأنه لم يأخذ بها شيخه حمزة الزيات (ت ١٥٦هـ) مع أنه روى القراءة عن الأعمش عرضاً^(١).
- لا نغفل أن الشعر العربي حافل بلغة (نعم)، ومنه قول جميل بثينة:
- نَعَمْ صَدَقَ الْوَأَشُونَ أَنْتِ كَرِيمَةٌ عَلَيَّ وَإِنْ لَمْ تَصِفْ مِنْكَ الْخَلَائِقُ^(٢)

ب. اللهجات غير المصرح بها

١. الفصائل النحوية: تذكير اللفظة وتأنيثها:

لنا أن نحتمي بأقوال يرسلها الدارسون في هذه المزية تشكل قراءات هادية إلى تدبر اختلاف الألفاظ تذكيراً أو تأنيثاً، فإذا كان هناك في العربية علامات تصحب الاسم لدلالة على تأنيثه كالهاء والألف والألف الممدودة، فإن هناك أسماء مؤنثة دون علامة كالشمس مثلاً، ثم إن هناك أسماء اختلفت في جنسها فهي مذكورة ومؤنثة، وأغلب أن هذا الاختلاف في الجنس في اسم واحد نتج عن اختلاف اللهجات^(٣).

فلا مرأ - إذن - في أن نقول: إن القبائل العربية قد اختلفت في نظرتها إلى الأشياء من حيث الجنس، فبعضها يذكر وبعضها يؤنث، وقد تجلت هذه القضية في كتب التفسير ومنها في تفسير الآلوسي، الذي كانت له رؤى نقدية في باب تذكير الألفاظ وتأنيثها لهجياً، وسأجتزئ مثلاً يظهر هذا المتطلب.

ففي قوله - تعالى - : ﴿وَلَتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة

الأنعام، الآية ٥٥] بتأنيث الفعل بناء على تأنيث الفاعل، وهي قراءة ابن كثير، وابن عامر، وأبي عمرو ويعقوب، وحفص بن عاصم... وقرأ

(١) صحيح البخاري، باب وجوب الحج وفضله، الحديث (١٤٤٢)، (٥٥١/٢).

(٢) ينظر: التفسير الكبير، (٧٠/١٤)، روح المعاني (١٤٢/٨).

(٣) الأدوات النحوية في كتب التفسير، (٨٨).

نافع بالتاء ونصب السبيل على أن الفعل متعد أي: ولتستوضح أنت يا محمد سبيل المجرمين فتعاملهم بما يليق بهم، وقرأ الباقرن بالياء التحتية ورفع السبيل على أن الفعل مسند للمذكر، وتأنيث السبيل وتذكيره لغتان مشهورتان^(١).

لا ريب أن الألوسي كان على وعي بلغات العرب، وأنه في هذه الآية وجاه مؤنث سماعي أخذ عن العرب، ولا يُميز من المذكر بالحدود أو العلامات أو الصيغ المطردة عند اللغويين، ولي أن أسوغ هذه الرؤية - السبيل تؤنث وتذكر - بمقررات كلية تجمع نثار هذه المسألة من استقراء لروافد تراثية مأثورة تكون متقبلة في هذا المقام:

- القرآن الكريم: استعمل القرآن السبيل بالتأنيث والتذكير. ومن التأنيث

قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ

اتَّبَعَنِي ﴾ [سورة يوسف، الآية ١٠٨]، ومن التذكير: ﴿ وَيَصُدُّوكَ عَنِ

سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة إبراهيم، الآية ٣].

- مدونات المذكر والمؤنث: قال الفراء: وقد يكون السبيل كما في الطريق يؤنثه أهل الحجاز، ويذكره أهل نجد^(٢)، فالسبيل مما يذكر ويؤنث^(٣).

(١) روح المعاني، ٧/ ١٦٦.

(٢) اللهجات العربية في القراءات القرآنية، (١٧٥ - ١٧٦).

(٣) روح المعاني، (٧/ ١٩١).

- مدونات معاني القرآن وإعرابه: ذهب الفراء إلى أنه لا يجوز تذكرها وتأنيتها اعتماداً على جواز أن تقرأ بأكثر من وجه^(١). فتأنيثها لغة الحجاز، وتذكرها لغة تميم^(٢).

وكذا عند العكبري يجوز أن تكون القراءة بالياء على أن تأنيث السبيل غير حقيقي، ويقرأ بالتاء والسبيل فاعل مؤنث، وهو لغة فيه.

- كتب القراءات: نصوا على أن السبيل يذكر ويؤنث، وجاء القرآن بالوجهين^(٣).

- كتب التفسير: فعند الطبري: "هما قراءتان مستقيضتان في قراءة الأمصار، ولغتان مشهورتان من لغات العرب"^(٤). فأهل الحجاز يؤنثون السبيل، وبنو تميم وأهل نجد يذكرونه^(٥).

- مضان النحويين: ففي وعيهم أنه يؤنث المذكر ويذكر المؤنث في لغات بعض العرب حملاً على المعنى، وقد أول ذلك معظم النحويين^(٦)، آخذين بالحسبان اختلاف نظرة القبائل للأسماء تذكرياً وتأنيثاً، وأضحت إشاراتهم ظاهرة بأن أهل الحجاز يؤنثون، وأهل نجد وتميم يذكرون في كثير من الأسماء.

ومما يسترعي الخاطر أن نفرأ من الدارسين راح يفسر مثل هذه الظاهرة منطلقاً من بيئة القبائل، فأهل الحجاز الذين يسكنون بيئة حضرية قد مالوا إلى التأنيث لما فيه من رقة ونعومة تتلاءم مع بيئة

(١) المذكر والمؤنث، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، (٧١).

(٢) المذكر والمؤنث، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، (٣٩٤/١).

(٣) ينظر: إتحاف فضلاء البشر، ٢٦٤.

(٤) معاني القرآن الأخصش، (١/٢٧٦).

(٥) جامع البيان، (٧/٢٠٩ - ٢١٠).

(٦) ينظر: همع الهوامع (١٧/٢).

الحضر التي تتعم فيها الأنثى بحضور بارز لا تضاهيها فيه المرأة في بيئة البداوة... بعكس ذلك تكون البيئة البدوية بما فيها من قسوة العيش وصعوباته، مما يجعل المجتمع البدوي أكثر اعتماداً على الذكور. والحق أنها إسهامات تثري الدرس اللغوي وتوسع دائرة الاستقراء والتحليل، ولكنها لا تصل إلى درجة الثبوت بأية أن "التأنيث والتذكير مادة غير مستقرة في اللغات"^(١).

٢. التناوب بين الصوائت

صوائت العربية (الحركات) التي سماها النحاة فيما بعد حرمان بناء، هي في أصلها أوصاف للعملية التي يقوم بها الجهاز الصوتي في مختلف وضعياته عند النطق بالصوائت (الحروف)^(٢). ويقضي الصوتيون أنها على نوعين: "صوائت أصول، وهي الفتحة والضمة والكسرة والألف والواو والياء المديتان، وصوائت فروع وهي تنويعات نطقية للصوائت الأصول لدى بعض اللهجات أو في تشكيلات صوتية خاصة"^(٣).

وبمقتضى تلك المفاهيم أدارس - على التعيين - حقيقة قارة في وعي الدارسين عمادها: اختلاف اللهجات العربية في النطق بالصوائت، بمفردة قرآنية دون الألوحي فيها رؤيته التي أفضت إلى أن "في طائفة من المفردات ما نجده مضموماً في لهجة يأتي مفتوحاً في أخرى، وقد تتناوب الضمة والفتحة والكسرة في لفظة واحدة"^(٤).

(١) ينظر: شرح التصريح (٢٨٦/٢)

(٢) ينظر: لغات القبائل في كتب إعراب القرآن ومعانيه، (٨٧-٨٨-٨٩).

(٣) من سعة العربية، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الجيل، بيروت، (١٣٣).

(٤) الحروف العربية وتبادلاتها الصوتية في كتاب سيوييه (خلفيات وامتداد)، (١٧).

يقول الحق جلّ اسمه: ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْمُدَوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْمُدَوَّةِ

الْفُصُوى ﴾ [سورة الأنفال، الآية ٤٢]، قرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي (بالعدوة) بضم العين، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بكسر العين، ووافقهم الحسن واليزيدي وابن محيص، وقرأ الحسن وقتادة وعمرو (بالعدوة) بفتح العين^(١). والآلوسي على أن "كلها لغات بمعنى، ولا عبرة بإنكار بعضها"^(٢).

هذه رؤية موافقة لآراء سابقة قضت بأن الكسر والضم لغتان مشهورتان، وهما لأهل الحجاز^(٣). وقيل: الضم لغة قريش، والكسر لغة قريش وقرئ بهما^(٤).

ومثل كسر العين أسوة وقدوة، وبالرفع مثل قدوة وجدوة، وعلى الجمع مثل لُحية لُحي، وفرية وفري^(٥). واطرّد مجيؤهما في الشعر العربي ومنه بالكسر قول الراعي:

وَعَيْنَانِ حُمْرٍ مَاقِيهَا كَمَا نَظَرَ العِدْوَةَ الجُؤذِرُ

وبالرفع كقول أوس بن حجر:

لَوْ تَدُلُّ الخَيْلُ عِدْوَتَهُ سِرِّرَاعاً وَمَا هُمُّوا بِإِقْبَالِ

على أننا نلفي افتراقاً حاصلًا بين بعض العلماء في تعيين الأشهر من اللغتين، فذهب الأخفش إلى أن الكسر كلام العرب ولم يسمع

(١) الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، (١٧٨).

(٢) روح المعاني، ١٠/١١.

(٣) ينظر: الحجة في القراءات السبع لابن خالوية، (١٧٠)، الكشف، (٢٠/٢١١)، إتحاف فضلاء البشر، (٢٩٨).

(٤) روح المعاني، (٨/١٠).

(٥) ينظر: البحر المحيط، (٤/٤٩٥)، وإتحاف فضلاء البشر، (٢٩٨).

عنهم غير ذلك، في حين أن الضم أكثر اللغتين عند ثعلب^(١). وليس بالضرورة أن نسلم لذلك الافتراق؛ لتحقق وقوع اللغتين في كلام العرب كما قدمنا في البواعث أنفة الذكر.

أما الفتح (بالعدوة) فأرى أن بعضهم قد نأى بجانبه عن ذكرها في مدوناتهم، ولعل السبب يعود إلى قطعهم بأن الاستعمال العربي اقتصر على لغة الضم والكسر، أو خشية الوقوع في حرج عسر التخريج، وعلى أي حال فإن الألوسي وافق أبا حيان بعده لغة الفتح إحدى لغات العرب، ويمكن أن تكون تسمية بالمصدر، قال ابن جني: إنها لغة ثالثة كقولهم في اللبن رُغوة رَغوة رَغوة^(٢).

والمستصفي من القول أن من أسباب هذا التناوب بين الفتحة والكسرة والضمّة يعود إلى اختلاف البيئات، وقد رجح أحد المحدثين أن "أغلب الكلمات المشتملة على الضم تنتمي إلى بيئة بدوية، وأن المشتملة على الكسر تنتمي إلى بيئة حضرية، علماً أن هاتين الصفتين استعملتا في زمن واحد، فليس إحداهما بالأصل والأخرى فرع عنها، أو ليست إحداهما في آية التطور للأخرى بل إن الصيغتين قد وجدتا معاً وعاشتتا معاً في عصور ما قبل الإسلام"^(٣).

وقد تلجأ القبائل إلى إبدال الفتح مكان الضم في تضاعيف كلامها؛ لأن "الفتحة أخف من الضمة، إذ أن الضمة تحتاج إلى جهد عضوي أكثر؛ لأنها تتكون بتحريك أقصى اللسان"^(٤).

(١) ينظر: تاج العروس، (غدو)، (١١/٣٩). وينظر: ديوان الراعي النميري، ٨٦، وديوان أوس بن حجر، ٦٦.

(٢) ينظر: الخصائص، ١/٣٧٣.

(٣) زاد المسير، (٣/٣٦١).

(٤) الخصائص، (١/٣٧٣)، وينظر: المحرر الوجيز، (٢/٥٣٢).

على أن هذه الحركات مع تفاوتها في النقل "إن أجيد توزيعها وتنظيمها نتج عنه توافق وانسجام بين عناصر الطبقة الإفرادية"^(١)

مسرد اللهجات المصرح بها

النمط اللغوي	اللهجة	الشاهد القرآني
تحول بنية الأفعال	الحجاز	نَعْبُدُ - نَسْتَعِينُ (الفاصلة ٥)
تحول بنية الأفعال	نجد	ضَلَّلْنَا (السجدة ١٠)
بنية اسم الفعل: - الخالفة	تميم وأسد	هَيْهَاتَ (المؤمنون ٣٦)
بنية الجموع	تميم وقيس	صِنَوَانَ (الرعد ٤)
مطل الحركات	الحجاز	سَأُورِيكُمْ (الأعراف ١٤٥)
أمر الأدوات	كنانة وهذيل	نَعَمْ (الأعراف ٤٤)

صفوة القول

- يمتد الافتراق اللهجي إلى التععيد، فمن قابل للتعدد؛ لاعتقاده أن لاختلافها وجهاً من القياس في العربية، ومن رافض له واقف عند حدود ومعالم لا يتعداها، ولكل ذلك أثره في موقف النحاة حيث تشكلت آراؤهم بوحى من ذلك الاختلاف وعلى ضوءه - في غالب الأحيان - عندما تناولوا كلام العرب بالتقنين ووضع القواعد.

- يسترعي خاطر الباحث أمر مفاده أنه على الرغم من عقدة الاختلاف في عوامل التفاضل وتباين المنازل في تناول اللهجات فإن الكم الذي وصلنا من هذه اللهجات قد أثرى - بما يقر الأعيان - الدرس اللغوي

(١) في اللهجات العربية، (٩٢).

تقعيداً وتصنيفاً، وما يزال باقياً معاصراً يمثّل رافداً مستديماً لبقاء العربية على مر الزمان.

- يمثّل في مقام هذا البيان مستحکم يفضي إلى أن القرآن الكريم كان له الفضل الكبير في تقريب المسافات بين اللهجات، فقد أطل القرآن على الواقع اللهجي لأمة العرب؛ فراعى أمر لهجاتها، وبارك مسعى أبنائها في النطق بألفاظ على وفق تكوينهم العضوي "الفسولوجي"، إسهاماً منه في التيسير على هذه الأمة التي تفرقت قبائلها في أنحاء الجزيرة.

- للقراءات القرآنية منةً وفضل في حفظ التراث اللهجي للقبائل العربية، وأضحى القرآن معيناً للهجات بفضل عناية القراء وتحريمهم في الضبط والتلقي.

- إن كثيراً من التحولات التي تطرأ على أبنية الكلمات العربية لا يمكن فهمها إلا من خلال استقراء التراث اللغوي، وتتبع الأصول، وتشكل الظاهرة اللهجية عاملاً رئيساً في توصيف هذه التحولات التي تطرأ عادة على الأصول الثابتة للكلمة ونعني بها (ف ع ل)، وعلى غير هذه الأصول من لواحق الأسماء والأفعال، آخذين بالحسبان أنها لا تميل إلى التخالف الصوتي لما يترتب عليه من إجهاد عضلات الجهاز الصوتي وأعضاء الكلام؛ ولهذا فهي تؤثر التماثل والانسجام والتناغم بين الأصوات المتجاورة، وتتأى عن النقل والتنافر كما في رؤية الالوسي لقول - الباري عز وجل - ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [سورة الفاتحة، الآية ٥].

- يقودنا قول الالوسي في الخالفة إلى أنه ليس بالغريب في موضوع أسماء الأفعال أن تأتي على لغات العرب كما في (هيهات)، فقد حفظت لنا المصنفات اللغوية كثيراً من اللهجات الواردة في بعض ألفاظ أسماء الأفعال سواء في حركتها أو حروفها، منها: أف، وهيت، على مستوى

القرآن الكريم. كذلك شاع في وعي المستشرقين ما يستشرف هذا المبتغى.

- يلود الألوّسي بقراءة الجمهور وإجماعهم في أن تكون قراءة (صنّون) على (فعلان) هي اللغة المشهورة، وربما يضاف إلى ذلك - والله تعالى أعلم - يقينه بأنها اللغة المسموعة عن العرب - كما نصّ الصرفيون - على الرغم من أنها لا تتدرج تحت الأقيسة التي وضعها الصرفيون فيما جاء على وزن فعلان في جمع التكسير.

- إخال - والله تعالى أعلم - أن استظهار ملحظ إشباع الصوت، أو مطله يكتسب مشروعية ظاهرة لا ميساس لها بحرمة التنزيل الكريم وذلك إذا استتقنا المتون العربية، وتتردد هذه المشروعية بين حيزين أحدهما: باعث صوتي مرافق للكلام، والآخر: مبتغى دلالي لأصوات المد. والحق أن هذا الملحظ قد عرّج عليه الالوسي في قوله - تعالى - ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [سورة الأعراف، الآية ١٤٥]، ولعل استشرافاً لا يكاد ينفدح زناد الخاطر لغيره مرده: أن تلكم الملاحظ التراثية قد قاربت مضامين الدراسات الصوتية الحديثة كظاهرة التوليد الصوتي، والكشف عن دلالة الفونيمات، وأثر جرس الأصوات في إضفاء صفة التميز الفني والتلاؤم الموسيقي.

- لا ريب أن الألوّسي كان على وعي بلغات العرب، وأنه في قوله - تعالى -: ﴿وَلِتَسْبِيحَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾ [سورة الأنعام، الآية ٥٥] وقف وجاه مؤنث سماعي أخذ عن العرب، ولا يُميز من المذكر بالحدود أو العلامات أو الصيغ المطردة عند اللغويين، ولي أن أسوغ هذا المنحى - السبيل تؤنث وتذكر - بمقررات كلية تجمع نثار هذه المسألة من استقراء لروافد تراثية ماثورة تكون متقبلة في هذا المقام

تمثلت بالقرآن الكريم وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرائح الشعراء.

- في قول الحق جلّ اسمه: ﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى﴾ [سورة الأنفال، الآية ٤٢]، وافق الألويسي سابقه بأن الكسر والضم لغتان مشهورتان، وهما لأهل الحجاز، وقيل: الضم لغة قريش، والكسر لغة قريش وقرىء بهما، ومثل كسر العين أسوة وقدوة، وبالرفع مثل قدوة وجدوة، وعلى الجمع مثل لُحية لُحي، وفريية وفري، واطرد مجبئوهما في الشعر العربي.

ثبت المصادر

القرآن الكريم.

- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الغني الدمياطي، تحقيق: أنس مهرة، ط ١، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: سعيد المنذوب، ط ١، دار الفكر، لبنان، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.
- أثر اختلاف اللهجات العربية في النحو، يحيى علي يحيى المباركي، ط ١، دار النشر للجامعات، مصر، ٢٠٠٧.
- أثر القرآن الكريم في اللغة العربية، محمد عبد الواحد حجازي، دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٨.
- الأدوات النحوية في كتب التفسير، محمد أحمد الصغير، ط ١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.
- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- إعراب القرآن، أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحاس، تحقيق: زهير غازي زاهد، ط ٣، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م.
- الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن أبي بكر الخضير السيوطي، تحقيق: محمد سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، مصر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م.
- البحر المحيط، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، زكريا عبد المجيد النوقي، أحمد الجمل، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠١م.

- البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الحسين الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تأريخ الأدب العربي، بلاشير، ترجمة: إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣م.
- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب، القاهرة.
- الجوانب الصوتية في كتب الاحتجاج للقراءات، عبد البديع النيرباني، ط١، دار الفوناني للدراسات القرآنية، دمشق، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م.
- الحجة في القراءات السبع، الحسين بن أحمد بن خالوية، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، ط٤، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ.
- حجة القراءات (٢١/٨)، أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٤.
- الحروف العربية وتبادلاتها الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد)، مكي درار، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٧.

- ديوان الأحوص، تحقيق: عادل سليمان جمال، تقديم: شوقي ضيف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
- ديوان الأخطل، شرح: راجي الأسمر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٩٢م.
- ديوان امرئ القيس، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ١٩٨٩م.
- ديوان طرفة بن العبد، شرح الأعم الشمنتري، تحقيق: درية الخطيب، لطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود بن محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي البغدادي، ط١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣م.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ط٣، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٤ هـ.
- شرح التصريح على التوضيح، خالد بن عبد الله الأزهرى (٩٠٥ هـ)، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ .
- شرح شافية ابن الحاجب، الرضي الاسترآبادي، تحقيق: محمد نور الحسن محمد الزفراف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

- شرح الكافية في النحو، رضي الدين الاسترلابادي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٥.
- صحيح البخاري، الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، ط٣، دار ابن كثير، دار اليمامة، دمشق، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ظاهرة الشذوذ في الصرف العربي، حسين عباس الرفايعه، ط١، دار جريز للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠١٠.
- الفاضل، محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد العزيز الميمني، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٥.
- الفيصل في ألوان الجموع، عباس أبو السعود، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١.
- في اللهجات العربية، إبراهيم أنيس، ط٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٨٤.
- القرينة في اللغة العربية، كوليزار كاكل عزيز، ط١، دار دجلة، عمان، ٢٠٠٩.
- الكتاب، أبو البشر عمرو بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، ط١، دار الجيل، بيروت.
- الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم بن عمر الزمخشري الخوارزمي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري، ط١، دار صادر، بيروت.
- لغات القبائل في كتب إعراب القرآن ومعانيه، إسماعيل محمود منيزل القيام، ط١، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٠٨.

- اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول، نهاد الموسى، ط. دار الشروق، عمان.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ١٩٧٣ م .
- اللهجات العربية في التراث، القسم الثاني، النظام النحوي، أحمد علم الدين النجدي، الدار العربية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٣.
- اللهجات العربية في القراءات القرآنية، عبده الراجحي، ط١، دار المسيرة، عمان، ٢٠٠٨م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية - لبنان - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- المذكر والمؤنث، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، تحقيق: طارق الجنابي، ط٢، دار الرائد العربي، بيروت، (١٩٦٤).
- المذكر والمؤنث، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، تحقيق: فؤاد علي منصور، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- مشكل إعراب القرآن، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥هـ.
- معاني القرآن، أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش الأوسط، تحقيق: هدى محمود قراعة، ط١، القاهرة.
- معاني القرآن، النحاس، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ.

- معاني القرآن وإعرابه، الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، ١٩٨١م.
- المفصل في صنعة الإعراب، أبو القاسم بن عمر الزمخشري، تحقيق: علي بو ملحم، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٩٣م.
- المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، مؤسسة شهاب للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، ١٩٨٦.
- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
- من سعة العربية، إبراهيم السامرائي، ط١، دار الجيل، بيروت.
- المنهج الصوتي للبنية العربية، رؤية جديدة في الصرف العربي، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٠.
- المذهب في علم التصريف، هاشم طه شلاش، صلاح مهدي الفرطوسي، عبد الجليل عبيد حسن، مطبعة التعليم العالي، الموصل، ١٩٨٩.
- نزول القرآن على سبعة أحرف، مناع القطان، مكتبة عابدين، القاهرة.
- النظام النحوي في القرآن الكريم، دلائل النظام النحوي، عبد الوهاب حسن حمد، ط١، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

الرسائل الجامعية:

- الكشف اللغوي عن التعدد اللهجي في لغة القرآن، سلطاني نعمان، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، إشراف محمد الحباس، ٢٠٠٦م.

الدوريات

- اسم الفعل دراسة و تيسير، سليم النعيمي، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ١٦، مطبعة المجمع العلمي، العراق، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨.
- الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني، عبد الكريم مجاهد، مجلة عالم الفكر، (٢٦٤)، آذار، ١٩٨٢، (٧٩).

**Takabbat cash in contrast Allahja
Interpretation of the spirit of the meanings
springboard**

**D.Muammar Munir al-Ani
Iraqi University Faculty of Arts**

Summary

The search studies dialects and its difference in interpretation Koran especially interpretation Alusi because many dialects have received from the Koran so they show monetary linguistic level dialects and appeared Alusi in votes drainage and grammar denoting.

We analyzed for this search partial examples reflects the general rules to fit the position where we are.

Thus we get that Koran was great credit to narrow the distance between dialects after peered dialects reality of the Arab nation that tribes scattered across the island.



ما خالف فيه المبردُ البصريين
في كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لابن الانباري

م.م. احمد جاسم محمد

الجامعة العراقية - كلية الآداب

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي جعل الاختلاف سنة من سننه فقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (١) وقال ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَالْوَنُكُورُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (٢) .

والصلاة والسلام على خير من نطق بالضاد، الصادق الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

أما بعد فتكمن أهمية هذا البحث في جانبيين، أحدهما أهمية الامام العالم المبرّد، والآخر هو ابراز العقلية النحوية التي تميز بها النحاة العرب، تلك العقلية التي لم تكن مقيدة بقيود التقليد الاعمى بل هي عقلية تسعى وراء الحجة والدليل .

وعالج البحث ست مسائل جرى تقسيمها على مبحثين أحدهما خصص للحروف، والآخر للأسماء، ومهدت للبحث بترجمة للعالم موضوع البحث (المبرّد) واردفنت المبحثين بخاتمة تضمنت ابرز النتائج التي خلص اليها الباحث، وقد التزمت في بحثي بعرض اراء البصريين وحججهم، واقوال الكوفيين وحججهم فضلا عن رأي المبرّد وحجته ثم أضف الى ذلك ترجيح ابن الانباري، بعده أذكر ما يبدو لي من رأي . واعتمدت في عرض المسائل الخلافية كتاب (الإنصاف في مسائل الخلاف) لان البحث مقيد به، فضلا عن كتابي المبرّد (المقتضب، والكامل) فضلا عن أمات الكتب ابرزها (الكتاب) و(المقصد في شرح الايضاح) و(الاصول في شرح النحو) ومراجع اخرى . وختاما أحمد الله أن وفقني لهذا .

(١) سورة هود: آية (١١٨)

(٢) سورة الروم: آية (٢٢)

التمهيد المبرد

هو العالم النحوي الجليل محمد بن يزيد بن عبد الاكبر بن عمر ابن حسان^(١) ابن سليم^(٢) ابن سعد بن عبد الله بن زيد بن مالك بن الحارث ابن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم بن ثماله^(٣)، ويقال ايضاً الثمالي الازدي البصري المعروف بالمبرد النحوي^(٤).

ولد المبرد يوم الاثنين غداة عيد الاضحى من العام مئتين وعشرة للهجرة^(٥)، أما فيما يخص نشأته وصباه فلم تذكر المصادر عنها شيئاً سوى أنه كان جميلاً^(٦) وانه أكبر منذ صغره على التزود من اللغة على أيدي أعلام عصره من البصريين، وكان شغوفاً بالنحو والصرف حيث قرأ كتاب سيوييه على الجرمي (ت ٢٢٥هـ) ثم توفي الجرمي فابتدأ قرآته على المازني (ت ٢٤٩هـ)^(٧).

سبب تلقيبه بالمبرد :

اختلفت المصادر حول سبب تلقيب أبي العباس بالمبرد، فقد ذكر الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي أن المبرد سئل عن سبب هذه التسمية، فقال: طلبني صاحب الشرطة للمنادمة والذاكرة، فكرهت الذهاب اليه فدخلت إلى أبي حاتم السجستاني، فجاء رسول الوالي يطلبني، فقال لي

(١) ينظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي الاندلسي: ١٠١، وينظر إنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي: ٢٤٠/٣.

(٢) ينظر: معجم الادباء: ١٣٧/٧.

(٣) ينظر: طبقات النحويين واللغويين: ١٠١.

(٤) ينظر: وفيات الاعيان، وابناء الزمان: ٣١٤/٤.

(٥) ينظر: معجم الادباء: ٢٦٩/٧.

(٦) ينظر: بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة: ٢٦٩/١.

(٧) ينظر: انباه الرواة على أنباء النحاة: ٢٤٢/٣.

أبو حاتم: ادخل في غلاف مزملّة فارغ، فدخلت فيه وغطى رأسه ثم خرج إلى الرسول وقال: ليس عندي، فقال: أخبرت أنه دخل إليك، فقال: ادخل الدار وفتشها، فدخل فطاف كل موضع في الدار، ولم يفتن لغلاف المزملّة ثم خرج فجعل أبو حاتم يصفق وينادي على المزملّة: المبردُ المبردُ، وتسامع الناس بذلك فلهجوا به^(١).

وقيل أنه لقب بالمبردُ، لأنه لما صنف المازني كتاب الالف واللام سأله عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المبرد بكسر الراء، أي المثبت للحق، فحرّقه الكوفيون وفتحوا الراء^(٢).

وقد اخذ العلم فضلا عن المسمعي، والمازني على يد نخبة من علماء عصره منهم:

- الجاحظ (ت ٢٢٥هـ): ظهرت تلمذته على يد الجاحظ فيما رواه عنه في كتابه الكامل، حيث كناه بالليثي تارة، وباسمه الحقيقي أخرى^(٣).

- الزيادي (ت ٢٤٩هـ) روى عنه المبرد في كتابه الكامل^(٤).

- الرياشي (٢٥٧هـ) قال عنه المبرد: (وقرأت على أبي الفضل العباس بن الفرّج الرياشي)^(٥).

(١) ينظر: وفيات الاعيان: ٣٢١/٤.

(٢) ينظر: معجم الادباء: ١٣٧/٧.

(٣) ينظر: الكامل في اللغة والادب: ٦٦/٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٢٠١/١.

(٥) المصدر نفسه: ٨٥/١.

تلامذته: -

- أبو بكر المعروف بميرمان النحوي (ت ٣٢٦هـ) اخذ النحو عن المبرد وعن الزجاج وكان اماما في النحو. (١)
- الاخفش الصغير علي بن سليمان بن الفضل الاخفش (ت ٣١٥هـ). (٢)
- ابن درستويه (ت ٣٤٧هـ). (٣)
- ابن السراج (ت ٣١٦هـ). (٤)

مؤلفاته: -

ترك المبرد بحرا زاخرا من المؤلفات في علوم العربية، ومن هذه المؤلفات: (كتاب الكامل في اللغة والادب، و الروضة، والمقتضب، والاشتقاق، والانواء والازمنة، والقوافي، والمدخل الى سيبويه، والمقصور والممدود، والمذكر والمؤنث... (٥).

وفاته: -

توفي في بغداد في شوال وقيل في ذي القعدة من العام مئتين وخمس وثمانين للهجرة في خلافة المعتضد. (٦)

(١) ينظر: معجم الادباء / ١٨ / ٢٥٤ .

(٢) ينظر: وفيات الاعيان وابناء ابناء الزمان / ٣ / ٤٤ .

(٣) ينظر: المصدر السابق: ٣ / ٤٤ .

(٤) ينظر: معجم الادباء: ١٨ / ١٩٧ .

(٥) ينظر: الفهرس: ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٦) ينظر: معجم الادباء: ٧ / ١٤٢ .

المبحث الأول

أولاً: الضمير بعد لولا

ثانياً: حاشا بين الفعلية والحرفية

ثالثاً: واو (رب)

القول في الضمير في (لولاي - لولاك - لولاه)

تعد هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها النحويون، اذ تعددت آراؤهم، واختلفت وجهات نظرهم فيها، وقد تعرض ابن الانباري في انصافه لهذا الخلاف فقال: ((ذهب الكوفيون الى ان (الياء والكاف) في (لولاي ولولاك) في موضع رفع، واليه ذهب ابو الحسن الاخفش من البصريين، وذهب البصريون الى أن (الياء والكاف) في موضع جر ب(لولا)، وذهب أبو العباس المبرد الى أنه لا يجوز أن يقال: (لولاي ولولاك)، ويجب أن يقال (لولا أنا ولولا أنت) فيؤتى بالضمير المنفصل كما جاء به التنزيل في قوله: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾^(١) ولهذا لم يأت في التنزيل الا منفصلاً^(٢).

ومما تقدم من قول الانباري يتبين لنا أن في المسألة ثلاثة مذاهب: الاول: مذهب الكوفيين والاخفش^(٣): أن هذه الضمائر في موضع رفع بالابتداء، ولا عمل ل(لولا) فيها .

(١) سورة سبأ، اية ٣١

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة (٩٧) ٢٠ / ٦٨٧، وينظر ائتلاف النصر: المسألة (٥٥) ٦٥-٦٦.

(٣) ينظر: مذهب الكوفيين والاخفش: المقتضب: ٧٣/٣، وأمالي ابن الشجري: ٢١٢/٢، وشرح المفصل: ٣٤٣/ ٢، والايضاح في شرح المفصل: ٤٥٤/١ - ٤٥٥، وشرح الكافية: ٤٧/٣، ومغني اللبيب: ٢٨٩/ ٢، وشرح الدماميني على مغني اللبيب: ١٨٨/ ٢، وهمع الهوامع: ٣٧٥/٢.

الثاني: مذهب البصريين وسيبويه (١) أن هذه الضمائر في موضع جر ب (لولا)
 الثالث: مذهب المبرد (٢) أنه لا يجوز هذا التركيب، فلا يقال
 (لولا ي ولولاك)

ويتضح مذهبه هذا بقوله: ((أما قولك: (لولاك) فان سيبويه يزعم أن (لولا) تخفض المضمرة، ويرتفع بعدها الظاهر بالابتداء، فيقال: اذا قلت (لولاك) ما الدليل على أن (الكاف) مخفوضة دون أن تكون منصوبة، وضمير النصب كضمير الخفض، فيقول: انك تقول لنفسك (لولا ي)، ولو كانت منصوبة لكانت (النون) قبل (الياء) كقولك: (رمان ي وأعطاني)، فيقال له: الضمير في موضع ظاهر، فكيف يكون مختلفاً؟ و ان كان جائزاً فلم لا يكون الفعل وما أشبهه نحو (ان) وما كان معها في الباب؟

قال أبو العباس: والذي أقوله (ان هذا خطأ) لا يصح أن نقول الال(لولا أنت) قال الله عز وجل ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ (٣) ومن خالفنا بعد فهو لا بد يزعم أن الذي قلنا أجود، ويدعي الوجه الآخر فيجيزه على بُعد (٤)

(١) ينظر: مذهب البصريين وسيبويه: الكتاب: ٣٧٣/٢ - ٣٧٥، وشرح المفصل

٣٤٢/٢، والايضاح في شرح المفصل: ٤٥٤/١، وشرح الكافية: ٤٧/٣، وشرح

الدمامي على مغني اللبيب: ١٨٨/٢، وجمع الهوامع: ٣٧٥/٢.

(٢) ينظر: مذهب المبرد: المقتضب: ٧٣/٣، وشرح المفصل: ٣٤٣/٢ -

٣٤٤، وشرح الدمامي على مغني اللبيب: ١٨٨/٢، وجمع الهوامع: ٣٧٥/٢.

(٣) سورة سبأ، آية ٣١

(٤) الكامل في اللغة والادب: ١٢٧٧/٣-١٢٧٨.

وبذا يكون المبرد قد ردَّ مذهب البصريين وسيبويه في هذه المسألة اعتماداً على السماع والقياس وأشار الى مذهب الكوفيين والاختش دون أن يسميه وأجازه عن بعد، وفي الوقت ذاته يرى أن ما جاء به في هذه المسألة هو الاجود .

وقد احتج الكوفيون والاختش لمذهبهم بأن قالوا : ((انما قلنا ان (الياء والكاف) في موضع رفع، لان الظاهر الذي قام (الياء والكاف) مقامه رفع بها على مذهبنا، وبالابتداء على مذهبكم، فكذلك ما قام مقامه . قالوا: ولا يجوز أن يقال (هذا يبطل بعسى) ، فان (عسى) تعمل في المظهر الرفع وفي المكني النصب، لانا نقول :الجواب على هذا من ثلاثة اوجه، أحدها: أنا لا نسلم أنها تنصب المكني، وانما هو في موضع رفع بعسى ،فاستعير للرفع لفظ النصب في (عسى) ،كما استعير لفظ الجر في (لولاي ولولاك) واليه ذهب الاختش من أصحابكم . والوجه الثاني: أن (الكاف) في موضع نصب ب(عسى) ،وأن اسمها مضمرة فيها، واليه ذهب أبو العباس المبرد من أصحابكم، والوجه الثالث: أنا نسلم أنه في موضع نصب، ولكن لانها

حملت على (لعل) فجعل لها اسم منصوب وخبر مرفوع، وهو هاهنا مقدر، وانما حملت على (لعل) لانها في معناها ألا ترى أن (عسى) فيها معنى الطمع، كما أن (لعل) فيها معنى الطمع، فأما (لولا) فليس في حروف الخفض ما هو بمعناه فيحمل عليه فبان الفرق بينهما ((.....))^(١)

أما البصريون وسيبويه الذين يرون أن هذه الضمائر في موضع جر ب(لولا)

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: المسألة (٩٧): ٦٨٧/٢ - ٦٨٨.

فاحتجوا بأن قالوا: ((انما قلنا ان الممكني في (لولا ي ولولاك) في موضع جر، لان الياء والكاف لا تكونان علامة مرفوع، والمصير الى ما لا نظير له في كلامهم محال، ولا يجوز أن يتوهم أنهما في موضع نصب، لان (لولا) تخفض الياء والكاف فحروف الخفض لا بد أن تتعلق بفعل فبأي فعل تتعلق ؟ لانا نقول: قد تكون الحروف في موضع مبتدأ لا تتعلق بشيء كقولك (بحسبك زيد) ومعناه (حسبك) وكقولهم: (هل من أحد عندك) اي هل أحد عندك؟.....وان كانت قد عملت الجر وكذلك (لولا) اذا عمات الجر صارت بمنزلة الباء في (بحسبك) و(من) في (هل من أحد عندك) ولا فرق بينهما (١).

وقد ردَّ ابن الانباري ما احتج به البصريون وسيبويه وأكد ترجيحه مذهب الكوفيين بقوله ((والصحيح ما ذهب اليه الكوفيون)) (٢) كما رجح الزبيدي ما ذهب اليه الكوفيون في هذه المسألة قائلاً: ((والارجح عندي هنا، مذهب الكوفيين، لما ذكروه و لانه قد تستعاد علامة لعلامة)) (٣).

أما ما ذهب اليه المبرد في هذه المسألة وعدم تجويزه أن يقال (لولا ي ولولاك) فرده ابن الانباري بقوله: ((وأما انكار أبي العباس المبرد جوازه فلا وجه له، لانه قد جاء ذلك كثيراً في كلامهم وأشعارهم)) (٤).

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: المسألة (٩٧): ٦٨٩/٢ .

(٢) المصدر نفسه، الموضع نفسه .

(٣) ائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: المسألة (٥٥) : ٦٦.

(٤) الإنصاف في مسائل الخلاف : ٦٩٠/٢ .

وتابع الاشموني ابن الانباري في رده مذهب المبرد قائلاً: ((وزعم المبرد أن هذا التركيب فاسد لم يرد من لسان العرب وهو محجوج بثبوت ذلك عنهم كقوله^(١) :

أَطْمَعُ فِينَا مَنْ أَرَأَقَ دِمَاعِنَا وَلَوْلَاكَ لَمْ يَعْرُضْ لِأَحْسَابِنَا حَسَنٌ
وقوله: ^(٢)

وكم من موطنٍ لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قنة النيق منهوي^(٣)

أما الصبان فعلى ما يبدو أنه وافق الاشموني في رده ما ذهب اليه المبرد فاكتفى برد الاشموني لهذا المذهب ولم يعلق عليه، بل ولم يصرح به مطلقاً الا أن عبارته كانت واضحة في رد مذهب سيبويه والبصريين، وقبول مذهب الاخفش والكوفيين، فبعد أن عرض مذهب سيبويه، نقل عن ابن هشام ما اعتل به لهذا المذهب من أن (لولا) حرف جر حملاً على (لعل ورُب) فرده الصبان، لما يسببه هذا التعليل من اختلال بأصل المعنى هذا من جهة، وبأن حرف الجر لا بد له من متعلق اذا ما جعلنا (لولا) حرف جر أصلي من جهة أخرى، فقال الصبان ما نصه: ((قوله: (ان لولا حرف جر) أي لا يتعلق بشيء ك(رُب) ك

(١) البيت لعمر بن العاص وهو من قصيدة من بحر الطويل يخاطب بها معاوية ابن أبي سفيان، ينظر: القاصد النحوية: ٤٣٨/٢، وهو بلا نسبة في الغرة المخفية في شرح الدرر الالفية: ١٧٦/١، شموني على ألفية ابن مالك: ١/٣ وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك: ٧/٣، وشرح ١٩٢١.

(٢) ،البيت لزيد بن الحكم التقي . ينظر . الغرة المخفية في شرح الدرر الالفية: ١٧٧/١، والمقاصد النحوية: ٤٣٩/٢ وهو بلا نسبة في شرح الكافية: ٤٦/٣،

وشرح ابن عقيل: ٨/٣، وشرح الاشموني: ١٩٨/٣، وجمع الهوامع: ٣٧٤/٢
(٣) شرح الاشموني على ألفية ابن مالك: ١٩٢/٣-١٩٨، وينظر حاشية الصبان: ٢٠٦-٢٠٧.

و(لعل) الجارة تنزيلاً للثلاثة منزلة الجار الزائد كذا في المغني،^(١) وفيه نظر للفرق باختلال أصل المعنى بحذف (لولا) دون (رُب) و(لعل) ولهذا ضعف الرضي^(٢) مذهب سيبويه هذا بأن حرف الجر الأصلي لا بد له من متعلق ولا متعلق ل(لولا) فافهم^(٣)، أما مذهب الاخفش فبد أن عرض الصبان له بقوله: ((فقول الشارح وزعم الاخفش أنها في موضع رفع اي فقط، وقوله (ووضع ضمير الجر موضع ضمير الرفع))^(٤) قال معللاً لما ذهب إليه الاخفش: ((وان كان غالب نيابة الضمائر في الضمائر المنفصلة فقد وجدت في المتصلة كما في (عساه وعساك وعساني) على قول تقدم في أفعال في أفعال المقاربة، وانظر هل وضع ضمير الجر موضع ضمير الرفع لازم على مذهب سيبويه من حيث أن الضمير في محل رفع بالابتداء أو غير لازم الظاهر الثاني لما مر من أن معنى كون (الكاف والهاء والياء) ليست ضمائر رفع انها لا تكون في محل رفع فقط، فلا ينافي أنها تكون في محل رفع وجر كما في (عجبت من ضربك زيداً)^(٥)

ثم يحسم الامر لصالح الاخفش بقول الدماميني: ((واعلم أنك اذا عطفت على مدخول (لولا) اسماً ظاهراً تعين رفعه اجماعاً، لانها تجر الظاهر نبه عليه الدماميني^(٦)/^(٧)

(١) ينظر: مغني اللبيب: ٣٠١/١ .

(٢) ينظر: شرح الكافية، ٤٧/٣ .

(٣) حاشية الصبان: ٢٠٦/٢ .

(٤) المصدر نفسه: الموضع نفسه

(٥) المصدر نفسه، الموضع نفسه .

(٦) ينظر: شرح الدماميني على مغني اللبيب: ١٨٨/٢ .

(٧) حاشية الصبان: ٢٠٦/٢ .

وبعد عرض هذه الآراء والأقوال في هذه المسألة يرى الباحث أن الأرجح ما ذهب إليه الكوفيون والاختلاف فضلاً عن رد ابن الأنباري والأشموني والصبان لما ذكره البصريون وسيبويه والمبرد في هذه المسألة والعلل التي اعتلوا بها، فإن الضمير الواقع بعد (لولا) يجب أن يكون مرفوعاً لأننا نقول في المظهرات (لولا زيد)، لأن (لولا) من كلمات الابتداء، ولا يجيء بعدها الاسم إلا مرفوعاً، لذلك يجب أن يرتفع ما بعدها والمضمر قافٍ أثر المظهر في الارتفاع والانتصاب والانجرار إذا وقع موقعه .

(حاشا بين الفعلية والحرفية)

اختلف النحويون في (حاشا) أهي فعل ؟ أم حرف ؟ أم انها مترددة بين الفعلية والحرفية ؟، وقد أشار مصنفو الخلاف النحوي الى هذه المسألة وعرضوا لآراء ومذاهب النحاة فيها ،فقد ذهب الكوفيون الى أن (حاشا) في الاستثناء فعلٌ ماضٍ، وذهب بعضهم الى أنها فعل استعمل استعمال الأدوات ، وذهب البصريون الى أنها حرف جر ، وذهب أبو العباس المبرد إلى أنها تكون فعلاً وتكون حرفاً^(١) . وبذا يكون المبرد قد خالف البصريين في فعلية (حاشا) إذ قال ((أما ما كان حرفاً من أدوات الاستثناء ف (حاشا وخلا) وما كان فعلاً ف (حاشا وخلا) وان وافقاً لفظ الحروف ، و (عدا ولا يكون). وأما (حاشا) فبمنزلة (خلا) إذا أردت بها الفعل ،انما معناه جاوز من قولك : خلا يخلو ، كذلك (حاشا يحاشي) ، وكذا قوله : أنت أحب الناس الي ولا حاشي أحداً) ، اي لا

(١) ينظر : الإنصاف في مسائل الخلاف : المسألة (٧٣٧) : ٢٧٨/١ ، والتبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين . المسألة (٦٩) : ٤١٠ ، وائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة المسألة (٥٦) : ١٧٧ .

استثني أحداً وتصييرها فعلاً بمنزلة الاستثناء قول أبي عمر الجرمي،
وأُتشد من البسيط: (١)

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه ولا أحاشي من الاقوام من أحدٍ

و تقول: (أتاني القوم حاشا زيد)، ودليل كونها فعلاً هو دخولها على اللام، في قولك (حاشا لله) لو كانت حرفاً لم تدخل على حرف. (٢)
وهكذا فقد حدد المبرد نظرتَه الى (حاشا) في كونها فعلاً وموافقته الكوفيين فيما ذهبوا اليه، معتمداً في رأيه أصليين هامين من أصول الاستدلال وتقعيد القواعد النحوية ألا وهما السماع القياس، أما السماع فقول النابغة الذبياني، وأما القياس فصحة دخول (حاشا) على حرف الجر اللام في قولنا (حاشا لله) إذ لو كانت حرفاً لم تدخل على الحرف، وما احتج به المبرد لمذهبه هو عينه ما احتج به الكوفيون القائلون بفعلية (حاشا)، قال ابن الانباري: ((أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنه فعل أنه يتصرف، والدليل عن أنه يتصرف قول النابغة:

ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه وما أحاشي من الاقوام من أحدٍ

وإذا ما كان متصرفاً فيجب أن يكون فعلاً، لان التصرف من خصائص الافعال، ومنهم من تمسك بأن قال: الدليل على أنه فعل أن لام الخفض تتعلق به، قال الله تعالى ﴿وَقُلْنَ حَسَّ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا﴾ (٣)
وحرف الجر انما يتعلق بالفعل لا بالحرف، لان الحرف لا يتعلق بالحرف، وانما حذف اللام لكثرة استعماله في الكلام، ومنهم من تمسك

(١) البيت للنابغة الذبياني: ديوانه: ٢٠٠

(٢) المقتضب: ٣٩١-٣٩٢، وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٧٨/١، وشرح

المفصل: ٦٣/٢، وشرح الكافية: ١٥٢/٢-١٥٣، ومغني اللبيب: ١٦٥ .

(٣) سورة يوسف: آية (٣١) .

بأن قال: الدليل على انه فعل أنه يدخله الحذف، والحذف انما يكون في الفعل لا الحرف، ألا ترى أنهم قالوا في (حاشا لله): ((حاشَ لله))^(١).

ومذهب الكوفيين والمبرد هذا هو مذهب الجرمي والقراء والاحفش والمازني والزجاج.^(٢)

أما القول بحرفية (حاشا) فهو مذهب سيبويه الذي يرى أنها حرف جر اذ قال: ((وأما (حاشا) فليس باسم، ولكنه حرف يجر ما بعده، كما تجر (حتى)

ما بعدها وفيه معنى الاستثناء)).^(٣) وهذا هو رأي جمهور البصريين أيضاً؛ اذ ((ذهب الجرمي والمازني والمبرد والزجاج والاحفش وأبو زيد.....الى أنها تستعمل كثيراً حرفاً جاراً، وقليلاً فعلاً متعدياً)).^(٤) وقد احتج البصريون لمذهبهم بأن قالوا، ان (حاشا) لا يجوز دخول (ما) عليه، فلا يقال: (ما حاشا زيداً)، واحتجوا لذلك أيضاً أن الاسم يأتي بعده مجروراً كقول الشاعر:^(٥)

حاشى أبي ثوبان، ان به ضناً على الملحاة والشتم.^(٦)

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٧٨/١-٢٨٠، وينظر التبيين ٤١٢-٤١٣، وائتلاف النصر: ١٧٧-١٧٨.

(٢) ينظر: الاصول في النحو: ٢٨٨/١-٢٨٩، ومغني اللبيب: ١٦٥.

(٣) الكتاب: ٣٧٧/١.

(٤) ينظر: الاصول في النحو: ٢٨٨/١-٢٨٩، ومغني اللبيب: ١٦٥.

(٥) ينظر البيت في، الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٨٠/١، وشرح المفصل: ٨٤/٢، والكشاف: ٤٦٥/٢، والبحر المحيط: ٣٠٠/٥، والدر المصون: ٤: ١٧٦/.

(٦) ينظر: الاصول في النحو: ٢٨٨/١-٢٨٩، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٨٠/١، وشرح المفصل: ٨٤/٢، وشرح الكافية: ٢٤٤/١.

والبيت ورد في اللباب عند ابن عادل بهذه الرواية، وذكر أن
الزمخشري (١).

احتج به على ان (حاشا) حرف من حروف الجر، وضع موضع
التزيه والبراءة. (٢) ووردت رواية البيت بالجر ايضا في (الصاح) و
(اللسان) بجر ما بعد (حاشا) والثابت في المفضليات نصب ما بعد
(حاشا) في هذا البيت، وهذا هو الذي حكاه ابن هشام في المغني (٣).
وقد رد ابن الانباري ما احتج به الكوفيون والمبرد القائلون بفعلية
(حاشا) اذ قال: ((وأما الجواب عن كلمات الكوفيين، أما قولهم (انه
يتصرف) قلنا: لا نسلم، وأما قول النابغة: وما أحاشي من الاقوام من
أحد، فنقول: قوله (أحاشي) مأخوذ من لفظ (حاشى) وليس متصرفاً منه،
كما يقال: (بَسْمَل، وَهَلَل، وَحَمَد) ، وَسَبَحَل، وَحَوَقَل.....، وأما
قولهم: (ان لام الجر تتعلق به) قلنا: لا نسلم به، فان اللام في قولهم
(حاشى لله) زائدة لا تتعلق بشيء، كقوله تعالى (لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ
يَرْهَبُونَ) (٤).

لان التقدير فيه: يرهبون ربهم، واللام زائدة لا تتعلق بشيء،
..... وأما قوله تعالى (وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا) (٥) فليس لهم
فيه حجة فان (حاشا) ها هنا ليست باستثناء، اذ ليس هو موضع
استثناء، وانما هو كقولك - اذ ا قيل لك فلان يقتل أو يموت أو نحو ذلك

(١) ينظر: الكشف: ٢/ ٤٦٥ .

(٢) ينظر: اللباب في علوم الكتاب: ١١/ ٨٥ .

(٣) ينظر: الصاح مادة (حشا)، واللسان مادة (حشا) ، ومفضليات: ١٣٦٧ ومغني
الليبي: ١٦٦ .

(٤) سورة الاعراف: آية (١٥٤)

(٥) سورة يوسف: آية (٣١) .

- (حاشاه) وهذا ليس باستثناء، وإنما هو بمنزلة قولك (بعيداً منه) فكذلك ها هنا. وأما قولهم (يدخله الحذف، والحذف لا يكون في الحرف) قلنا: الجواب عن هذا من وجهين: أحدهما: أنا لا نسلم أنه قد دخله الحذف، فإن الأصل عند بعضهم من (حاشى) (حاش) بغير ألف، وإنما زيدت فيه الألف... والوجه الثاني: أنا نسلم أن الأصل فيه (حاشى). بالألف وإنما حذفنا لكثرة الاستعمال، وقولهم (إن الحرف لا يدخله الحذف) قلنا: لا نسلم، بل الحرف يدخله الحذف، ألا ترى أنهم قالوا في: (رُبّ) (رُبّ) بالتخفيف... وزعمتم أيضاً أن الأصل في (سأفعل) (سوف افعل) فحذفت الواو والفاء معاً، وسوف حرف، وإذا جوزتم حذف حرفين فكيف تمنعون جواز حذف حرف واحد؟ فدل على فساد ما ذكرتموه^(١).

وكما ردّ ابن الانباري مذهب الكوفيين فعل أصحابه العكبري والزيدي إذا أيدا ما ذهب اليه البصريون في حرفية (حاشا).^(٢) والذي يراه الباحث أن ابن الانباري والعكبري والزيدي لم يوقفوا فيما ذهبوا إليه في ردهم كلام الكوفيين واختيارهم مذهب البصريين القائلين بحرفية (حاشا)، وذلك لورود (حاشا) فعلاً في كلام العرب، وكذلك دفعهم أدلة وكلام الكوفيين فيه تكلف ظاهر، والصواب هو ما ذهب اليه المبرد وكثير من النحويين وهو أنها تأتي فعلاً تارة، وحرفاً تارة أخرى، وهذا الراي هو الذي يجمع بين أدلة الكوفيين والبصريين ويؤيده السماع عند العرب .

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢٨٢/١-٢٨٧.

(٢) ينظر: التبیین عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: ٤١٣-٤١٤، وأتتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة: ١٧٩.

ولعل الأرجح في (حاشا) ما ذكره ابن عادل في اللباب إذ أشار الى أن (حاشا) مترددة بين الفعلية والحرفية والاسمية فقد أورد عبارة توضح ما ذهب اليه قائلها: ((واعلم أن النحويين لما ذكروا هذا الحرف، جعلوه من المتردد بين الفعلية والحرفية كما عند من اثبت فعليته، وجعله في ذلك ك (خلا) و(عدا) وهذا عند من اثبت حرفيته، وكان ينبغي أن يذكره من المتردد بين الاسمية والفعلية والحرفية، كما فعلوا ذلك في (على) فقالوا تكون حرف جر في (عليك) واسما في قوله: (من عليه)، وفعلًا في قوله: (١)

-علا زيدنا يوم النقا

وان كان فيه نظر، تلخيصه أن (علا) حال كونها فعلا غير (على) حال كونها غير فعل، بدليل أن الالف الفعلية منقلبة عن الواو، ويدخلها التصريف والاشتقاق دون (زينك)). (٢)

وجانب الاسمية يتأكد من خلال ما حكي عن الزمخشري (٣) من أنه أجاب بأن (حاشا) في قراءة العامة (اسم مصدر) وتابعه في ذلك أبو حيان (٤) أنها اسم منصوب كما تقدم ويدل عليه قراءة (٥) أبي السمال: (حاشا لله) منصوباً منوناً، ولكنهم أبدلوا التثوين الفاء، كما يبذلونه في

(١) جزء من صدر بيت لزيد من ولد عروة بن زيد الخيل وتماه :

علا زيدنا يوم النقا رأس زيدكم بأبيض ماضي الشفرتين يمان

ينظر: شرح المفصل: ٤٤/١، والدر المصون: ١٧٨/٤، ومغني اللبيب: ٧٥ .

(٢) اللباب في علوم الكتاب: ٨٩/١١، وينظر الدر المصون: ٤/ ١٧٨ .

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٦٥/٢ .

(٤) ينظر البحر المحيط: ٥/ ٣٠٣-٣٠٤ .

(٥) تنظر القراءة في: مختصر في شواذ القران: ٦٣، والكشاف: ٤٦٥/ ٢، والبحر

المحيط،: ٥/ ٣٠٣-٣٠٤، والدر المصون: ٤/ ١٧٧ .

الوقف، ثم انهم اجروا الوصل مجرى الوقف، كما فعلوا ذلك في مواضع كثيرة)).^(١)

وفي توجيهه قراءة ابي وعبد الله.^(٢) (حاشى لله) بجر لفظ الجلالة، ذكر ابن عادل في توجيهها وجهين: الاول أن تكون (حاشا) اسما مضافا للفظ الجلالة، نحو (سبحان الله) وهو اختيار الزمخشري.^(٣) والوجه الثاني الذي ذهب اليه الفارسي.^(٤) أن (حاشا) حرف استثناء جر به ما بعده، وقد رد ابن عادل هذا الوجه بقوله: ((وفيه نظر، إذ لم يتقدم في الكلام شيء يستثنى منه الاسم المعظم بخلاف (قام القوم حاشا زيد) (...)).^(٥)

وهكذا فيبدو واضحا من سياق الكلام اختيار أن تكون (حاشا) اسماً مضافاً، بدليل رد الوجه الثاني، وعدم التعليق على الوجه الاول. وعليه فالذي يراه الباحث أن الأرجح في (حاشا) هو الرأي الذي جاء في اللباب عند ابن عادل في ان (حاشا) مترددة بين الفعلية والحرفية والاسمية .

القول في (واورب: هل تعمل الجر)

ذهب المبرد في هذه المسألة مذهب الكوفيين القائلين أن (الواو) تعمل الخفض بنفسها، في حين ذهب البصريون مذهباً آخر بشأن عامل جر الاسم بعد (الواو) إذ انهم لا يعملون (الواو)، وانما العمل ل (رب) المقدره وقد أشار ابن الانباري الى هذه المسألة بقوله: ((ذهب الكوفيون

(١) اللباب في علوم الكتاب: ٨٧/١١، وينظر الدر المصون: ٤/ ١٧٧.

(٢) تنظر القراءة في مختصر في شواذ القران: ٦٣، والكشاف: ٤٦٥/٢، والمحزر الوجيز: ٤٩٦/٧ .

(٣) ينظر: الكشاف: ٤٦٥/٢

(٤) ينظر: البحر المحيط: ٥/ ٣٠٤ .

(٥) اللباب في علوم الكتاب: ٨٩/١١، وينظر: الدر المصون: ٤/ ١٧٨.

الى أن واو (رب) تعمل في النكرة الخفض بنفسها، واليه ذهب أبو العباس المبرد من البصريين، وذهب البصريون الى أن واو (رب) لا تعمل العمل ل (رب) مقدره^(١).

وقال المبرد معلقاً على قول الفرزدق من الطويل:

وأطلسَ عسالٍ وما كان صاحباً دعوت بناري مؤهنا فأتاني

((وخفض بهذه (الواو) لأنها في معنى (رُبّ) وإنما جاز أن يخفض بها لوقوعها في معنى (رُبّ) لأنها حرف خفض))^(٢).

وبذا يكون المبرد قد خرق اجماع البصريين في هذه المسألة حيث ذهب الى أن (الواو) أبدلت من (رُبّ) مؤكداً ذلك بقوله: ((واحتجوا بإضمار (رب) في قوله: (وبلد ليس به أنيس)، وليس كما قالوا، لان (الواو) بدل من (رُبّ)).^(٣)

وقوله: ((الواو مبدلة من (رُبّ) وخفض ما بعدها))^(٤).

وما احتج به المبرد لإثبات رأيه في هذه المسألة هو ما احتج به الكوفيون، قال ابن الانباري: ((أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إن (الواو) هي العاملة لأنها نابت عن (رُبّ)، فلما نابت عن (رُبّ) وهي تعمل الخفض فكذلك (الواو) لنيابتها عنها ٠٠، والذي يدل على أنها ليست عاطفة أن حرف الجر لا يجوز الابتداء به، ونحن نرى الشاعر يبتدئ بالواو في أول القصيدة، كقوله: وَ بَلَدٍ عَامِيَّةٍ أَعْمَاؤُهُ^(٥)،

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٣٧٦، وينظر ائتلاف النصره: ١٤٥ .

(٢) الكامل في اللغة والأدب: ١/ ٣٧٤-٤٧٤ .

(٣) المقتضب: ٢/ ٤٧٣-٤٧٤ .

(٤) المصدر نفسه: ٢/ ٣٤٧-٣٤٨ .

(٥) هذا البيت من مشطور الرجز وهو لرؤية بن الحجاج وبعده قوله: (كأن لون أرضه سماؤه)، وموطن الشاهد فيه قوله، (بلد) وليست هذه الواو (واو العطف) ينظر الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/ ٣٧٧ .

وكقول الآخر: و بلدةٍ ليس به انيس^(١)، وممن ذهب مذهب الكوفيين والمبرد ووافقهم فيما ذهبوا اليه أبو الحسن الاخفش اذ قال:
 ((وقد جاء مثله شاذاً قولهم: وبلد عامية أعمأوه، انما هو رب: بلدٍ.....وصارت (الواو) عوضاً من (رب) في (و بلدٍ)).^(٢) وأبو العباس ثعلب اذ عد (الواو) عوضاً من (رب) على وفق ما عراه اليه الرماني.^(٣)، كما ذكر هذا التأويل نور الدين الجامي.^(٤)
 وقد ضعف الرماني رأيه وتأويل الكوفيين وحمله محمل الفساد استدلالاً بقول الشاعر:.^(٥)

رسم دارٍ وقفتُ في ظلِّه كدتُ أقضي الحياةَ من جلِّه.^(٦)
 لكن الرضي وصف هذا البيت بالشاذ، والشاذ لا يقاس عليه^(٧)، وأما الاعلم الشنتمري فانه اتخذ موقفاً مغايراً للنحاة حيث عد رأيه وتأويل البصريين والكوفيين كليهما صحيحاً قائلاً: ((وكلا التقديرين صحيح ان شاء الله)).^(٨)

(١) هذا بيت من الرجز قائله: جران العود، والشاهد فيه قوله تعالى: (وبلدة) إذا انجر الاسم بعد (واو رب) ولم يرد البيت بهذه الصيغة في الديوان: اذ جاء في الديوان ما نصه: الذئب أو ذو ليد هموس بسابساً ليس به أنيس.
 ينظر: ديوانه، ٥٢، والكتاب: ٣١٩/١. الا اليعاقير والا العيس وبقر ملمع كنوس
 (٢) معاني القرآن (الاخفش): ٢٧٠-٢٧١.
 (٣) ينظر: معاني الحروف، ٦١.
 (٤) ينظر: الفوائد الضيائية: ٣٢٩/٢.
 (٥) البيت لجميل بن عمر العذري: ديوانه: ١٠٥، وينظر معاني الحروف: ٦١، والانصاف: ٣٧٨/١ وشرح الكافية: ٣٣٣/٢، وشرح ابن عقيل: ٣٦/٣.
 (٦) ينظر: معاني الحروف: ٦١.
 (٧) ينظر: شرح الكافية: ٣٣٣/٢.
 (٨) ينظر: تحصيل عين الذهب: ١٣٣/١.

وممن ذهب مذهب الكوفيين والمبرد بجعل (الواو) جارة بنفسها المستشرق (برجستراسر)، غير أنه يرى أن معنى (الواو) غير معنى (رُب) حيث أكد ذلك بقوله: ((والواو قد تعمل الجر ايضاً، وهي (واو رُب) نحو: (رُب كاسٍ شربتُ) أي (وكأسٍ شربتُ) غير أن معناها ليس معنى (رُب) في كثير من الحالات وأصل هذه (الواو) غامضٌ جداً))^(١)

أما البصريون فيرون أن العمل ل(رُب) المقدره، وأن الواو حرف عطف، واحتجوا لمذهبهم بأن قالوا: ((انما قلنا: أن الواو ليست عاملة، وان العمل ل(رُب) مقدره، وذلك لان (الواو) حرف عطف، وحرف العطف لا يعمل شيئاً، لا الحرف انما يعمل اذا كان مختصاً، وحرف العطف غير مختص، فوجب أن لا يكون عاملاً، واذا لم يكن عاملاً وَّجب أن يكون العامل (رُب) مقدره، والذي يدل على أنها واو العطف، وأن (رُب) مضمرة بعدها أنه يجوز ظهورها معها، نحو (ورُبَ بلدٍ).^(٢) ويتضح مذهب البصريين في هذه المسألة بقول سيبويه: ((واذا أعملت العرب شيئاً مضمراً لم يخرج عن عمله مظهراً في الجر والنصب والرفع، تقول: (وبلدٍ) تريد (ورُبَ بلدٍ)^(٣) وقوله ايضاً: ((ولا يجوز أن يضم الجار، ولكنهم لما ذكروه في أول كلامهم شبهوه بغيره من الفعل، وكان هذا عندهم أقوى اذا أضمرت (رُب) ونحوها في قولهم: ((وبلدةٍ ليس بها أنيس))^(٤)

(١) التطور النحوي: ٨٥_ ٨٦ .

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٣٧٧/١-٣٧٨.

(٣) الكتاب: ١/١٠٦.

(٤) الكتاب: ١/٢٦٣ .

وممن ذهب مذهب البصريين أيضاً ابن السراج لكنه لم يشر الى هذا الشاهد. (١)

كما ارتضى الرماني راي البصريين (٢) وأبو علي الفارسي. (٣) ووافقهم ابن جني على وفق ما عراه اليه ابن الشجري في أماليه (٤) وممن ذهب مذهبهم ايضاً عبد القاهر الجرجاني. (٥)

وتبعهم أبو البركات الانباري محتجاً بأن (الواو) حرف عطف غير مختص، لذا لا يكون عاملاً وعليه وجب أن يكون العامل (رُبّ) المقدره. (٦) كذلك تابعهم ابن يعيش بعد أن أورد قول الشاعر مؤكداً ذلك بقوله: ((وقوله: وبلدة ليس بها أنيس) كل ذلك مخفوض بإضمار (رُبّ)، وذلك أنه لا يخلو الانجرار من أن يكون بالحرف الجار أو بحرف العطف اذ صار بدلاً منه فلا يكون بحرف العطف لانه قد انجر حيث لا حرف عطف)) (٧) ووافقهم ايضاً ابن الحاجب وقد عد (الواو) بمعنى (رُبّ) والخفض بإضمار جرف الجر قليل شاذ. (٨) وممن ذهب مذهبهم ابن عصفور حيث ضعف مذهب من جعل (بل) بدلاً من (رُبّ) ك (الفاء) و(الواو) مستدلاً بقول الشاعر: (بل بلدٍ ملءُ الفجاجِ قَتْمُهُ) والمعنى: بل رُبّ بلدٍ ملءُ الفجاج، اذ رده بقوله: ((وهذا لا حجة فيه، لاحتمال أن تكون (رُبّ) حذفت وأبقي عملها من غير عوض

(١) ينظر: الاصول في النحو: ١/٢٤٠-٢٤١.

(٢) ينظر: معاني الحروف: ٦١.

(٣) ينظر: البغداديات، ٤٦٧.

(٤) ينظر: الامالي الشجرية: ١/١٤٣.

(٥) ينظر: المقتصد في شرح الايضاح: ٢/٨٣٦-٨٣٧.

(٦) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٣٧٧.

(٧) شرح المفصل: ٨/٥٢-٥٣.

(٨) ينظر: أمالي ابن الحاجب: ٢/٧١٣.

.....و(بل) عوضاً من (رُبّ) لجاز خفض الاسم بعدها في فصيح الكلام، وهم لا يقولون: : (بل رجل أكرمته) كما يقولون: (ورجل أكرمته) ^(١) وتبعهم ابن مالك غير أنه أورد لنا نظير هذا الشاهد قائلاً: ((ومثال الجر ب(رُبّ) مضمراً بعد الواو قول امرئ القيس: ^(٢)

وليل كموج البحر أرخى سدولةً علي بأنواع الهموم لي

وممن رجع مذهب البصريين الرضي إذ أورد قول الشاعر: (وبلدة ليس بها أنيس) مؤكداً ترجيحه البصريين قائلاً: ((وأما على ما اخترنا ف(رُبّ) مضاف مقدر مدلول عليه بالحروف الثلاثة)). ^(٣) كما تابعهم ابن هشام الانصاري بعد أن أورد نظير الشاهد الذي استدلوا به وأولوه إذ قال: ((تحذف (رُبّ) ويبقى عملها وبعده (الواو) أكثر كقوله: (وليل كموج البحر أرخى سدولة)). ^(٤) وقال في موضع آخر: ((والصحيح أنها (واو) العطف وأن الجر ب (رُبّ) محذوفة خلافاً للكوفيين والمبرد)). ^(٥) و وافقهم ابن عقيل ^(٦)، والسيوطي إذ قال: ((وكثر حذف (رُبّ) وبقاء عملها بعد (الواو) كقوله: (وليل كموج البحر أرخى سدولة)). ^(٧)

وقد ردّ أبو البركات بن الانباري ما ذهب اليه الكوفيون والمبرد إذ قال: ((أما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما قولهم (انها لما نابت عن

(١) شرح جمل الزجاجي: ٤٦٩/١ - ٤٧٠ .

(٢) البيت لامرئ القيس -: ديوانه : ١٨، وأوضح المسالك الى ألفية ابن مالك:

٥٧/٣ وموطن الشاهد فيه هوجر (ليل) ب (رُبّ) المحذوفة بعد (الواو) .

(٣) شرح الكافية في النحو: ٣٣٤/٢ .

(٤) أوضح المسالك الى الفية ابن مالك: ٧٣/٣ - ٧٥ .

(٥) مغني اللبيب: ٣٦١/٢ .

(٦) ينظر: شرح ابن عقيل: ٣٦/٢ .

(٧) الفرائد الجديدة: ٥٦٦/٢ .

(رُبّ) عملت عملها كواو القسم، قلنا: هذا فاسد، لانه قد جاء عنهم الجر بأضمار (رُبّ) من غير عوض منها، وذلك نحو قوله:

رسم دارٍ وقفت في ظلّه كدت أقضي الحياة من جلّله

والذي يدل على فساد ما ذهبوا اليه أيضاً أنها تضمّر بعد (بل) قال

الشاعر:

بل جوزتيهَاءَ كظهرِ الحَجَفَتِ.

أراد: بل رُبّ جوزٍ، ولا يقول أحد ان (بل) تجر، وكذلك تضمّر

بعد (الفاء) قال الشاعر :

فحُورٍ قد لهُوتِ بِهِنِ عَيْنٍ .

وليست نائبةً عنها، ولا عوضاً عنها، والذي اعتمده دليلاً على ان

(الواو، والفاء، وبل) ليست نائبة عن (رُبّ) ولا عوضاً عنها أنه يحس

ظهورها معها، فيقال (ورُبّ بلدٍ) و(بل رُبّ بلدٍ) و(فربّ حُورٍ) ولو كانت

عوضاً عنها لما جاز ظهورها معها، لانه لا يجوز أن يجمع بين

العوض والمعوض

وقولهم (ان حرف العطف لا يجوز الابتداء به، ونحن نرى

الشاعر يبتدئ بالواو في أول القصيدة كقوله: وبلدٍ عاميةٍ أعماءُه :

فنقول هذه (الواو) واو عطف وأن وقعت في أول القصيدة، لانها في

التقدير عاطفة على كلام مقدر، كأنه قال: رُبّ قفرٍ طامس اعلامه

سلكته، وبلدٍ عاميةٍ اعماءُه قطعته ٠٠ وإذ قد ثبت بما ذكرناه أنها حرف

عطف، فينبغي أن لا تكون عاملةً، فدلّ على أن النكرة بعدها مجرورة

بتقدير (رُبّ) على ما بينا))^(١)

أما الدكتور فاضل السامرائي فله رأي خاص في دلالة هذه

(الواو) حيث ردّ ما ذهب اليه البصريون والكوفيون معاً، فهو يرى أن

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٣٧٨-٣٨١ .

(الواو) حرف خاص له دلالاته الخاصة و((أنها لا تطابق (رُبّ) وأن الجر ليس ب(رُبّ) المحذوفة ولاهي عاطفة بل هي حرف خاصلا يصح ابدالها ب(رُبّ) أو اظهار (رُبّ) معها))^(١)
لان المعنى عندئذ سيتغير، فقول امرئ القيس: ^(٢)

ألا رُبَّ يومٍ لك منهنَّ صالحٍ ولاسيما يومٍ بدارةٍ جَلَجَلٍ
لا يحسن أن يقال فيه (ويوم لك منهن صالح)^(٣) ثم يفصل الدكتور فاضل السامرائي القول فيجد أن المقصود ((بمجرور (رُبّ) العموم ولا يدل على شيء معين وأما المجرور بعد الواو (فلا بد فيه أن يكون مخصوصاً)^(٤) كما أن (رُبّ) تدل على التعليل وقد يُراد بها التأكيدفي حين أن (الواو) تدل على واحدٍ وحتى اذا كانت (رُبّ) تفيد الواحد يبقى المعنى مختلفاً، وقال :

ألا رُبَّ مولودٍ وليس له أبٌ وذِي ولدٍ لم يلدُهُ أبوانِ
لا يصح فيه ابدال (الواو) بها فنقول: (ومولودٍ ليس له أبٌ) فنحن نحسُّ أن الكلام غير تام ولايُبدَأُ أن نذكر شيئاً آخر يتعلق بهما)).
وذكر أن الكلام مع (الواو) ليس رداً على كلام، ولا تقديراً له بل هو اخبار ابتدائي، بخلاف (رُبّ) فان الاكثر فيها أن تكون رداً على كلام، ثم ان (الواو) ليست عاطفة كما ذهب اليه البصريون، ولا أصلها عاطفة كما ذهب اليه الكوفيون، لانه قد يُبتدأُ الشعر بها ^(٥) ثم زاد، ان

(١) معاني النحو: ٤١/٣ .

(٢) الديوان: ١٠ .

(٣) ينظر: معاني النحو: ٤١/٣ .

(٤) المصدر نفسه: ٤٢/٣ .

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٤٢/٣ .

هذه (الواو) تؤدي ((معنى التعجب والتفخيم ان هذه (الواو) تعطي الجملة معنى لا يؤدي بالحذف، فلو حذفت (الواو) من قوله: ^(١))
وصدر أراح الليلُ عازبَ همهِ تداعى عليه همُّ من كلِّ جانبٍ
 وقلت (صدر أراح الليلُ عازبَ همِّه) لتغير المعنى وصار الكلام مبهماً عاماً غير مراد منه صدر معين، ويصبح الكلام لا فائدة فيه^(٢))

وبعد عرض هذه الطائفة من الآراء يرى الباحث أن الصواب في هذه المسألة هو ما ذهب اليه الكوفيون وتابعهم فيه المبرد، لكونه جاء معضوداً بالسمع المتمثل بالشعر الوارد في كلام العرب، فضلاً عن انهم لم يقدروا عاملاً محذوفاً، وعدم التقدير أولى من التقدير، كما أن ((التقدير تكلف بلا دليل))^(٣) غير ان هذا لا يعني القدر بما ذهب اليه البصريون بخصوص هذه المسألة فهم يحتكمون الى القياس وما جاء به الكوفيون ينتقض قياساً، لانهم لا يعملون الحروف الا اذا كانت مختصة، فضلاً عن أن ما جاء مخالفاً للقياس أولوه، ليتفق والقواعد التي وضعوها والاصول التي أصلوها .

ومن الجدير بالذكر أن النحاة مجمعون على أن (الفاء) و(بل) ليستا جارتين بنفسيهما، وانما الجر ب (رُب) المضمرة بعدهما، فابن مالك يرى أن الجر بعد (الفاء) و(بل) ب (رُب) المضمرة باجماع النحويين، في حين يرى ابن عقيل أن جعل (الفاء) و(بل) هما الجارتان يُعدُّ وهماً أو تجوراً^(٤) كما نفى الرضي الخلاف فيهما قائلاً: ((وَأما

(١) البيت لابي جندب الهذلي، ينظر: شرح أشعار الهذليين: ٣٥١ .

(٢) معاني النحو: ٤٣/٣ - ٤٥ .

(٣) شرح التسهيل (المساعد في تسهيل الفوائد): ٢٦٩/٢ .

(٤) ينظر: شرح التسهيل (المساعد في تسهيل الفوائد): ٢٦٩/٢ .

(الفاء) و(بل) فلا خلاف عندهم أن الجر ليست بهما بل ب (رُبّ) المقدرّة بعدهما ،لان (بل) حرف عطف بها على ما قبلها، (والفاء) جواب للشرط ^(١) غير أنه جاء في الارتشاف ما يفيد أن النحويين جعلوا (الفاء) و(بل) هي الجارة، لقيامها مقام (رُبّ) ^(٢).

المبحث الثاني

أولاً : تقديم الخبر

ثانياً : الذي يعمل في الاستثناء النصب

ثالثاً : تقديم التمييز على عامله

القول في تقديم خبر (ليس) عليها

من المسائل الخلافية بين النحويين مسألة تقديم خبر (ليس) عليها، فقد ذهب الكوفيون وتبعهم أبو العباس المبرد من البصريين الى عدم جواز تقديم خبر (ليس) عليها وذهب البصريون الى جواز ذلك . وقد أشار مصنفو الخلاف الى هذه المسألة، قال ابن الانباري في انصافه: ((ذهب الكوفيون الى أنه لا يجوز تقديم خبر (ليس) عليها، واليه ذهب أبو العباس المبرد من البصريين، وزعم بعضهم أنه مذهب سيبيويه، وليس بصحيح، والصحيح أنه ليس في ذلك نص، وذهب البصريون الى أنه يجوز تقديم خبر (ليس) عليها كما يجوز تقديم خبر (كان) عليها)).

وهكذا فإن رأي المبرد في هذه المسألة موافق لما ذهب اليه الكوفيون في عدم جواز تقديم خبر (ليس) عليها وعلّة ذلك الامر أن (ليس) فعل غير منصرف فلا يعمل فيما سبقه كما تفعل الافعال المنصرفّة، وممن تابع الكوفيون والمبرد في مذهبهم هذا الزجاج، وابن

(١) شرح الكافية في النحو: ٣٣٣/٢ .

(٢) ينظر: ارتشاف الضرب: ٤٦٢/٢ .

السراج، وعبد القاهر الجرجاني، وابن بابشاذ وابن الانباري والسهيلي والزبيدي .

وقد احتج الكوفيون والمبرد ومن تبعهم لتأييد مذهبهم بالأدلة الآتية:

اولا: - أن (ليس) فعل غير متصرف، فلا يجري مجرى الفعل المتصرف، كما أجريت (كان) مجراه، لانها متصرفة، لان الفعل انما يتصرف عمله اذا كان متصرفا في نفسه، فأما اذا كان غير متصرف في نفسه، فينبغي ان لا يتصرف عمله وهو دال على النفي، فأشبهه (ما) في عدم تقديم خبره عليه .

ثانيا: - أنه لما كان متفقا على فعلية (عسى) ولا يتقدم خبرها عليها اجماعا لعدم تصرفها، كانت (ليس) أولى بأن لا يتقدم خبرها عليها لانها غير متصرفة كما أنه مختلف في فعليتها .

ثالثا: - أنهم أجمعوا على منع تقديم المتعجب منه على فعل التعجب مع عروض منع التصرف فيه، فمعاملة (ليس) بذلك أحق وأولى، لأصالتها في منع التصرف .

أما البصريون الذين ذهبوا الى جواز تقديم خبر (ليس) عليها فقد تبعهم فيما ذهبوا اليه الفراء من الكوفيين، والاختش، وابن جني، وابن برهان، والزمخشري، وأبو علي الشلوبين، وابن عصفور، وابن الحاجب، وابن معط، وهو ظاهر كلام الزجاجي، والصيمري، والعكبري .

وقد احتج البصريون ومن تابعهم لاثبات مذهبهم بما يأتي:

اولا: - قوله تعالى ﴿ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ ﴾ حيث وقع (يوم) معمولا ل(مصروفا) ولا يتقدم المعمول الا حيث يصح أن يتقدم العامل، فلما كان الامر كذلك، جاز أن يتقدم خبر (ليس) عليها .

ثانياً: - كما جاز أن يتقدم خبرها على اسمها، جاز أن يتقدم خبرها عليها .

ثالثاً: - أن (ليس) تتميز عن (عسى) وفعل التعجب، فهي فعل، والاصل في العمل للأفعال أنها تعمل في الاسماء المعرفة والنكرة، والظاهرة والمضمرة وتلحقها الضمائر وتاء التانيث الساكنة، بخلاف (عسى) فانها لا تعمل في جميع الاسماء، فلا يجوز أن يكون معمولها الا (أن) مع الفعل، وبخلاف فعل التعجب، فإنه لجواز تصغيره أجري مجرى الاسماء، وابتعد عن الأفعال ولا تلحقه تاء التانيث مثل (ليس) فبعد عن رتبته، فان خالفته (ليس) في هذه الامور جاز أن تخالفها بجواز تقديم خبرها عليها ولحاقها بأخواتها .

رابعاً: - لا يجوز أن تقاس (ليس) على (ما) في امتناع تقديم خبرها عليها ؛ لان (ما) لا يجوز أن يتقدم خبرها على أسمها بخلاف (ليس) فانه يجوز ذلك وللاختلاف بينهما جاز أن يتقدم خبر (ليس) عليها .

وبعد عرض أدلة البصريين القائلين بجواز تقديم خبر (ليس) عليها بقي لنا أن نعرف رأي سيبويه وأبو علي الفارسي والسيرافي في هذه المسألة ؛ إذ اختلف النقل عنهم، فأما سيبويه فقد نسب قوم اليه القول بالمنع، نقل ذلك عنهم أبو البركات الانباري، والزبيدي، في حين نسب اليه اخرون القول بالجواز منهم الاعلم الشنتمري، وابن السيد البطليوسي، وبدر الدين ابن الناظم، والجامي، والحق في ذلك ما قاله عبد القاهر الجرجاني، وأبو البركات الانباري، وعبد اللطيف الزبيدي من أنه ليس له نص صريح في ذلك .

أما أبو علي الفارسي فقد اختلف النقل عنه أيضاً ؛ فقد ذكر ابن يعيش، وابن مالك، وابنه بدر الدين، أنه يجيز التقديم متابعا البصريين

في مذهبهم، في حين ذكر أبو حيان، والجامي، والمرادي، أنه يرى المنع وعدم جواز تقديم خبر (ليس) عليها .

وبالعودة الى نصوص أبي علي الفارسي في كتبه نجد أنه يرى جواز تقديم خبر (ليس) عليها وبذا يكون متابعا لما ذهب اليه البصريون في هذه المسألة حيث قال: ((ويجوز أيضا (منطلقا كان زيدا) و(شاخصا صار بكر) لان العامل متصرف، وهكذا خبر (ليس) في قول المتقدمين من البصريين، وهو عندي القياس الصحيح، فتقول (منطلقا ليس زيد) أما أبو سعيد السيرافي فقد ذكر ابن يعيش، وابن مالك، أنه يرى الجواز، وذكر أبو حيان، والمرادي، والجامي، أنه يرى المنع .

ويبدو من النصوص التي وردت عنه أنه يرى الجواز في ذلك اذ نقل عنه ابن مالك وابنه بدر الدين قوله ((بين (ليس) وفعل التعجب (نعم) و(بئس) فرق ، لان (ليس) تدخل على الاسماء كلها مظهرها ومضمورها ومعرفتها ونكرتها، ويتقدم خبرها على أسمها، و(نعم وبئس) لا يتصل بهما ضمير المتكلم ولا العلم، وفعل التعجب يلزم طريقة واحدة ،ولا يكون فاعله الا ضميرا، فكانت (ليس) أقوى منها))، فما قاله السيرافي يمثل أدلة البصريين القائلين بجواز التقديم .

وقد رد مصنفو الخلاف ما ذهب اليه البصريون ناقضين أدلتهم ومعلنين تأييدهم ما ذهب اليه الكوفيون والمبرد، اذ اشاروا الى أن الجواب على أدلة البصريين كالاتي :

أما الآية التي استدلت بها البصريون، فلا حجة لهم فيها ويجب عليها من ثلاثة أوجه أحدها :أن المعمول قد يقع حيث لا يقع العامل نحو (أما زيدا فاضربْ وعمرا لا تُهنه) و(وحقك لن أضيع) فكما لم يلزم من تقديم معمول الفعل بعد (أما) تقديم الفعل ،ولا من تقديم

معمولي المجزوم والمنصوب على (لا) و(لن) تقديمهما عليهما ،كذلك لا يلزم من تقديم معمول خبر (ليس)تقديم خبرها عليها .

ثانيا: أن يجعل (يوما) منصوبا بفعل مضمر ،لان قبله (ما يحبسه) و(يوم يأتيهم) جواب، كأنه قيل: (يعرفون يوم يأتيهم) و(ليس مصروفا) جملة حالية مؤكدة أو مستأنفة .

ثالثا: أن يكون (يوم) مبتدأ بني لإضافته الى الجملة، وذلك سائغ مع الفعل المضارع كسوغه مع الفعل الماضي، كقراءة النصب، في قوله تعالى: (هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ) وقولهم: (كما جاز ان يتقدم خبرها على أسمها ،جاز أن يتقدم خبرها عليها) فالجواب عنه أن(ليس) اخذت شيها من (كان) لانهما فعلا، وأخذت شيها من (ما) في النفي، و(كان) يجوز تقديم خبرها عليها ،و(ما) لا يجوز تقديم خبرها على أسمها، فلما أخذت (ليس)شيها منهما، صار لها منزلة بين المنزلتين، فجاز تقديم خبرها على أسمها لانها أقوى من (ما) لأنها فعل ،و(ما)حرف والفعل أقوى من الحرف ولم يجز تقديم خبرها عليها، لانها أضعف من (كان) لانها لا تتصرف و(كان) تتصرف .

وأما قولهم (ان الاصل في العمل للافعال ،وهي فعل يعمل في الاسماء المعرفة والنكرة). فيجاب عن كلامهم هذا بأن هذا يدل على جواز اعمالها ،لانها فعل ،والاصل في الافعال أن تعمل ،ولا يدل ذلك على جواز تقديم معمولها لان تقديم معمول على الفعل يقتضي تصرف الفعل في نفسه ،و(ليس) فعل غير متصرف فلا يجوز تقديم معموله عليه فنحن عملنا بمقتضى الدليلين فأثبتنا لها أصل العمل ،لوجود أصل الفعلية ،وسلبناها وصف العمل ،لعدم وصف الفعلية وهو التصرف، فاعتبرنا الاصل بالأصل والوصف بالوصف

وبعد عرض هذه الطائفة من اراء النحاة في مسألة تقديم خبر (ليس) عليها فأن الباحث يرى أن ما ذهب اليه الكوفيون والمبرد من عدم جواز تقديم خبر (ليس) عليها أولى وأرجح متابعا ابن الانباري والزبيدي وغيرهم في ردهم ما استدلل به البصريون من حجج، فضلا عن أن ما ذهب اليه الكوفيون والمبرد يؤيده السماع ويسعفنا في هذا المقام قول أبو حيان: (وقد تتبعت جملة من دواوين العرب، فلم أظفر بتقدم خبر (ليس) ولا معموله، الا ما دل عليه ظاهر هذه الآية وقول الشاعر:

فيا بى فما يزدادُ إلا لجاجةً وكنتُ أبا في الخنا لست أقدمُ

القول في عامل النصب في المستثنى

اتفق النحويون على الحكم الاعرابي في الاستثناء المتصل، ولكنهم

اختلفوا في العامل في النصب فكانت لهم فيه مذاهب وأقوال هي:

الاول:- مذهب الكوفيين وتابعهم فيه المبرد والزجاج من

البصريين أن الناصب في المستثنى هو (الآ) . (١)

الثاني :- مذهب الفراء ومن تابعه من الكوفيين أن (إلّا) مركبة

من (انَّ وإلّا) ثم خُففت وأدغمت في (لا) فنصبوا بها في الايجاب اعتباراً ب(انَّ)

الثالث:- مذهب الكسائي أن العامل في الاستثناء هو (أنَّ) بعد

(إلّا) .

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف: م(٣٤) ٢٦١/١، وشرح المفصل

٤٧/٢، وشرح الكافية ١١٥/ وائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة

م(٥١) ١٧٤.

الرابع :- مذهب البصريين وهو أن ناصب المستثنى فعلٌ مضمّر تقديره (أستثنى) أو معنى الفعل بتوسط (إلّا)^(١)

هذه مجمل الآراء والمذاهب والاقوال التي قيلت في ناصب المستثنى، وقد ذكر ابن الانباري حقيقة الخلاف في هذه المسألة بقوله (اختلف مذهب الكوفيين في العامل في المستثنى النصب نحو(قام القومُ إلّا زيداً) فذهب بعضهم الى أنَّ العامل فيه (إلّا) واليه ذهب ابو العباس محمد بن يزيد المبرِّ وابو اسحاق الزجاج من البصريين ، وذهب الفراء ومن تابعه من الكوفيين وهو المشهور من مذهبهم، الى أن (إلّا) مركبة من (أنّ) و(لا) ثم خفت (انّ) وأدغمت في (لا) فنصبوا بها في الايجاب اعتباراً ب(انّ) وعطفوا بها في النفي اعتباراً ب (أنّ)، وعطفوا بها في النفي اعتباراً ب (لا) وحُكي عن الكسائي أنه قال: انما نصب المستثنى، لأنّ تأويله: قام القوم إلّا أنّ زيداً لم يقم وحكي عنه أيضاً أنه قال: ينتصب المستثنى، لأنه مشبه بالمفعول . وذهب البصريون الى أنَّ العامل في المستثنى هو الفعل، او معنى الفعل بتوسط(الّا)^(٢)

وكلام ابن الانباري أعلاه يؤكد أنّ المبرّد قد ذهب مذهب الكوفيين في جعلهم عامل النصب في المستثنى (الّا) والحقيقة أنّ المبرّد في هذه المسألة لم يخرج عما ذهب اليه البصريون بل ذهب مذهبهم في كون عامل النصب في المستثنى هو الفعل أو معنى الفعل وهذا ما صرح به

(١) ينظر: الكتاب: ٣١٠/٢، ٣٣٠/٢، ٣٣١/٣، والإنصاف في مسائل الخلاف : م(٣٤) : ٢٦٥/١، ٢٦٥/٢، وشرح المفصل: ٣٢٥/١، ٤٦/٢، وشرح الكافية: ١١٤/٢، والايضاح في شرح المفصل : ٣٢٥/١، وائتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة :م(٥١) : ١٧٤ .

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف م(٣٤) /١ -٢٦٠-٢٦١، و ينظر :أ سرار العربية : ١٨٨.

في (المقتضب) و(الكامل) قال المبرد: ((الذي نصب الاسم بعد (إِلا) في الكلام الموجب هو (معنى الفعل) نحو (جاءني القوم إِلا زيدا) لأنك لو قلت (جاءني القوم) وقع عند السامع أنَّ (زيداً) منهم فلما قلت: (إِلا زيداً) فالمعنى: استثنيتي من القوم زيداً، أو لا أعني فيهم زيداً، والنصب هنا على (معنى الفعل) أو (الفعل المحذوف) ودلَّ على الفعل (إِلا)، أو (الآ) بدل من الفعل ^(١) وقد أشار الاستاذ محمد عبد الخالق عزيمة محقق كتاب المقتضب الى هذه المسألة .

وقد أحتج الكوفيون لمذهبهم بأن (إِلا) هي العامل، لان (إِلا) قامت مقام استثنيتي)، ألا ترى أنك اذا قلت ((قام القوم الآ زيداً) كان المعنى فيه (استثنيتي زيداً) ولو قلت (أستثنيتي زيداً) لوجب أن تنصب فكذلك ما قام مقامه، والذي يدل على أن الفعل المتقدم لا يجوز أن يكون عاملاً في المستثنى النصب انه فعل لازم، والفعل اللازم لا يجوز أن يعمل في هذا النوع من الاسماء، فدلَّ على أنَّ العامل هو (الآ)....^(٢)

أما البصريون والمبرد فيرون أنَّ ناصب المستثنى هو فعل مضمر تقديره (استثنيتي) أو معنى الفعل بواسطة (الآ) وحجتهم في ذلك: ((أنَّ العامل هو الفعل وذلك لانَّ هذا الفعل وان كان فعلاً لازماً في الاصل إِلا إنه قوي ب(الآ) فتعدى الى المستثنى كما تعدى الفعل بحرف الجر..... ونظير مانحن فيه نصبهم الاسم في باب المفعول معه نحو(استوى الماء والخشبة) و(جاء البرد والطيلسة) فانَّ الاسم نصب بالفعل المتقدم بتقوية (الواو) فإنها قوّت الفعل فأوصلته الى الاسم فنصبه كذلك ها هنا^(٣).

(١) المقتضب: ٣٩٠/٤، وينظر الكامل في اللغة والأدب: ٦١٣/٢ .

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف: م(٣٤) ٢٦١/١ .

(٣) المصدر نفسه: م(٣٤) ٢٦٢/١ .

وقد ردَّ ابن الانباري ما احتجَّ به الكوفيون لإثبات مذهبهم بقوله:
 (وأما الجواب عن كلمات الكوفيين: أما قولهم انَّ (إلّا) قامت مقام
 (أستثني) فينبغي أن تعمل عمله) قلنا: الجواب عن هذا من خمسة أوجه:
 الوجه الاول:- أن هذا يؤدي الى اعمال معاني الحروف، واعمال
 معاني الحروف لا يجوزلان الحروف انما وضعت نائبة عن
 الافعال طلباً للإيجاز والاختصار فاذا عملت معاني الحروف فقد
 رجعت الى الافعال، فأبطلت ذلك المعنى من الايجاز والاختصار .

الوجه الثاني:- أنه لو كان العامل (الّا) بمعنى (أستثني) لوجب أن
 لا يجوز في المستثنى الّا النصب، ولا خلاف في جواز الرفع والجر في
 النفي نحو (ما جاني أحد إلّا زيدٌ، وما مررت بأحدٍ إلّا زيدٍ) فدل على
 انها ليست هي العاملة بمعنى (أستثني) .

الوجه الثالث:- أنه يبطل لقولك (قام القوم غيرَ زيدٍ) فان (غير)
 منصوب، ولا يخلو من أن يكون منصوباً بتقدير (إلّا) أو يكون منصوباً
 بنفسه، أو يكون منصوباً بالفعل الذي قبله، فيبطل أن يقال انه منصوب
 بتقدير (إلّا) لانا لو قدرنا (إلّا) لفسد المعنى لأنه التقدير يكون (قام القوم
 إلّا غيرَ زيدٍ) وهذا فاسد وبطل ايضاً أن يقال (انه يعمل في نفسه)،
 فوجب أن يكون العامل هو الفعل المتقدم .

والوجه الرابع: أنا نقول لماذا قدرتم (استثني زيداً) فنصبتم ،وهلّا
 قدرتم (امتنع) فرفعتم .

الوجه الخامس :- أنا اذا عملنا (إلّا) بمعنى (أستثني) كان الكلام
 جملتين ،واذا عملنا الفعل كان الكلام جملة واحدة، ومتى أمكن أن يكون
 الكلام جملة واحدة كان اولى من جعله جملتين من غير فائدة^(١)

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف م(٣٤) :١/٢٦٢-٢٦٥، وينظر أسرار العربية

كما رد ابن الانباري المذهبيين الاخرين مذهب الفراء ومن تابعه من الكوفيين ومذهب الكسائي، اذ قال: ((وأما قول الفراء: انّ الاصل فيها (انّ ولا) ثم خففت (ان) وركبت مع (لا) فمجرد دعوى يفتقر الى دليل، ولا يمكن الوقوف عليه الا بوحى وتنزيل وليس الى ذلك سبيل، ثم لو كان كما زعم لوجب أن لا تعمل، لانّ (انّ) الثقيلة إذا خففت بطل عملها، خصوصاً على مذهبكم، وأما تشبيهه لها ب(لولا) فحجة عليه؛ لانّ (لو) لما ركبت مع (لا) بطل حكم كل واحد منهما عما كان عليه في حالة الافراد وحدث لهما بالتركيب حكم اخر.....، وأما قول الكسائي (إننا نصبنا المستثنى، لانّ تأويله (الا أن زيدا لم يقم) قلنا: لا يخلو اما أن يكون الموجب للنصب هو أنه لم يفعل أو (أنّ) فان اراد (أنّ) الموجب للنصب أنه لم يفعل فيبطل بقولهم: (قام زيداً لا عمر) وان اراد أن (أنّ) هي الموجبة للنصب كان اسمها وخبرها في تقدير اسم فلا بد أن يقدر له عامل يعمل فيه، وفيه وقع الخلاف .

وزعم بعض النحويين أنّ قول الكسائي تقديرٌ لمعنى كلام لا عامله، وإلّا فقوله يرجع الى قول البصريين، وأما ما حكي عنه من أنّ المستثنى ينتصب لأنه مشبه بالمفعول، فهو أيضاً قريب من قول البصريين لأنه لا عامل ها هنا يوجب النصب إلّا الفعل المنقدم^(١)

وبعد أن رد ابن الانباري مذهب الكوفيين والفراء والكسائي صرح بأن مذهب البصريين هو الصحيح اذ قال ((والصحيح قول البصريين))^(٢)

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف :م(٣٤) / ٢٦٤-٢٦٥، وينظر أسرار العربية ١٩٠-١٩١.

(٢) أسرار العربية: ١٨٨.

وهو اختيار ابن الحاجب بقوله ((وقال قوم العامل فيه ما قبله بواسطة (الّا) اذا قال فضلة ،وهو المذهب الصحيح))^(١) كما اختار هذا الرأي والمذهب ابن عمر الجندي في كتابه الاقليد شرح المفصل اذ ردّ ما ذهب اليه الكوفيون والزجاج والفراء^(٢) وبعد عرض الآراء والاقوال والمذاهب في هذه المسألة فإنّ الباحث يميل الى أنّ العامل في المستثنى النصب هو الفعل المضمر (أستثني) أو معنى الفعل بواسطة (إلّا) وهو ما ذهب اليه البصريون والمبرد، للحجج والادلة التي ذكرها ابن الانباري ،غير أنّ هذا لا يقدر بما ذهب اليه الكوفيون من أنّ (إلّا) هي العاملة فهذا سيخرجنا من جميع المحاذير، فلا تكلف في التوجيه، ولا حاجة الى التقدير هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالاستثناء أسلوب من أساليب الكلام يعبر عنه بمفردات توصل المقصود بإيجاز ووضوح والعرب وضعت (إلّا) لهذا لذا كانت هي المؤثرة في تحديد معناه والاحكام المتعلقة به .

القول في تقديم التمييز على عاملة المتصرف

اختلف النحاة في مسألة تقديم التمييز على عامله اذا كان فعلاً متصرفاً فكان لهم في ذلك مذهبان :
أحدهما:- المنع وهو مذهب سيبويه^(٣) وحجته في منع ذلك أنّ التمييز فاعل في الاصل، والفاعل لا يتقدم، فكذلك ما في قوته .

(١) الايضاح في شرح المفصل: ٣٢٥/١ .

(٢) ينظر: الاقليد شرح المفصل: ٥٦٣-٥٦٨ .

(٣) مذهب سيبويه قال به أكثر البصريين ، وبعض الكوفيين ،ينظر: الكتاب:

٢٠٤/١-٢٠٥، والاصول في النحو: ٢/٢٩٩ والخصائص: ٢/٣٨٦، والإنصاف

في مسائل الخلاف المسألة (١٢٠) : ٢/٨٢٨- ٨٣٢، والايضاح في شرح

المفصل: ١/٣٢٠، وشرح المفصل: ٢/٤٢ والدر المصون: ٢/٣٠٧، واللباب

في علوم الكتاب: ٦/١٧٥

الآخر: جواز ذلك وهو مذهب المبرد وجماعة من النحويين، ومنهم الكسائي والمازني.^(١)

وأكدَ ابن الانباري الخلاف في هذه المسألة بقوله: ((اختلف الكوفيون في جواز تقديم العامل اذا كان العامل فيه فعلاً متصرفاً نحو (تصبَّبَ زيدٌ عرقاً) و(تفقاً الكبش شحماً) فذهب بعضهم الى جوازه و وافقهم على ذلك أبو عثمان المازني، وأبو العباس المبرد من البصريين، وذهب أكثر البصريين الى أنه لا يجوز))^(٢)

و رأي المبرد في هذه المسألة واضح جلي يذهب فيه مذهب الكوفيين المجوزين تقديم التمييز عن عامله المتصرف، اذ قال: ((واعلم أن التبيين (التمييز) اذا كان العامل فيه فعلاً جاز تقديمه، لتصرف الفعل، نحو (تصببت عرقاً، وعرقاً تصببت) ويقول ان سيبويه لا يجيز هذا، لأنه يراه بمنزلة قولك: (عشرون درهماً) و(هذا آخرهم عبداً) فلا يجوز: (درهماً عشرون و) (عبداً هذا آخرهم) .

وردَ المبرد عن سيبويه بالقول: وليس هذا بمنزلة ذاك، لان (عشرين درهماً) انما عمل في الدرهم مالم يؤخذ من الفعل، أترى أنه يقول: (هذا زيدٌ قائماً) ولا يجيز (قائماً هذا زيدٌ) لانَّ العامل غير فعل) وتقول: (راكباً جاء زيدٌ) لان العامل فعل، فلذلك أجزنا تقديم التمييز اذا كان العامل فعلاً))^(٣)

(١) ينظر مذهب المبرد في: المقتضب: ٣/٣٦، والجمل في النحو: ٢٤٢-:٢٤٣، والإنصاف في مسائل: ٢/٨٢٨-٨٣٢، والإيضاح في شرح المفصل: ١/٣٢٠، والدر المصون: ٢/٣٨٦، واللباب في علوم الكتاب: ٦/١٧٥ .

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٢/٢٨٢، وينظر انتلاف النصره: م(١٥): ٣٨-٣٩ .

(٣) المقتضب: ٣/٣٦

وممن تابع المبرّد في القول بجواز تقديم التمييز عن عامله اذا كان فعلاً متصرفاً الكسائي وأبو عثمان المازني، قال ابن يعيش: ((وقد ذهب أبو عثمان المازني، وأبو العباس المبرّد وجماعة من الكوفيين الى جوازه))^(١)

و وافقه الجرمي كذلك^(٢) واختاره ابن مالك^(٣).

و اصبحت المبرّد ومن وافقه من النحويين لإثبات مذهبهم بالسماع^(٤) والقياس أمّا السماع فقول الشاعر^(٥):

أتهجر ليلى بالفراق حبيبها
وما كان نفساً بالفراق تطيبُ
وقول الآخر^(٦):

رددت بمثل السيد نهد مقلص
وكميش اذا عطفاه ماءً تحلباً
وقول الآخر^(٧):

ضيعت حزمي في ابعادي الأملأ وما ارعويت وشيباً رأسي اشتعل

وأمّا القياس فلان ((هذا العامل فعل متصرف، فجاز تقديم معموله عليه كسائر الافعال المتصرفة، ألا ترى أنّ الفعل لما كان متصرفاً- نجو قولك (ضرب زيداً عمراً) جاز تقدّم معموله عليه نحو (عمراً ضرب زيداً) ولهذا ذهبته الى أنه يجوز تقديم الحال على العامل فيها اذا

(١) شرح المفصل: ٤٢/٢ .

(٢) ينظر: الاصول في النحو: ٢٢٩/٢، والخصائص: ٣٨٦/٢ .

(٣) ينظر: شرح التسهيل: ٣٨٩/٢ .

(٤) ينظر: الدر المصون: ٣٠٧/٢، واللباب في علوم الكتاب: ١٧٥/٦ .

(٥) البيت للمخيل السعدي: ديوانه، ٢٨٠، والمقاصد النحوية: ٤٢١/٢، وقيل هو

لأعشى همدان أو القيس بن معاذ الملوح العامري .

(٦) البيت لربيعة بن مقروم، ينظر: المقاصد النحوية: ٤١٧/٢ .

(٧) البيت بلا نسبة في المقاصد النحوية: ٤٢٤/٢ .

كان فعلاً متصرفاً نحو (راكباً جاء زيدٌ) ^(١) وبذا يجوز تقديم التمييز عن عامله المتصرف قياساً على الحال .

أما البصريون وسيبويه الذين لا يجوزون تقديم التمييز عن عامله فاحتجوا بأن قالوا: ((انما قلنا لا يجوز تقديمه على العامل فيه، وذلك لأنه هو الفاعل في المعنى، ألا ترى أنك إذا قلت (تصبَّبَ زيدٌ عرفاً) و(تفقأ الكبش شحماً) أنَّ المتصَّب هو العرق و المتفقئ هو الشحم، وكذلك لو قلت (حَسَنَ زيدٌ غلاماً ودابة) لم يكن له حظ في الفعل من جهة المعنى، بل الفاعل في المعنى هو الغلام والدابة، فلما كان هو الفاعل في المعنى لم يجز تقديمه كما لو كان فاعلاً لفظاً .

قالوا ولا يلزم على كلامنا الحال حيث يجوز تقديمها على العامل فيها نحو (راكباً جاء زيد) فان (راكباً) فاعل في المعنى ومع هذا يجوز تقديمه، لانا نقول: الفرق بينهما ظاهر^(٢)

وقد ردَّ ابن الأنباري ما احتجَّ به الكوفيون من قول الشاعر ذاكراً روايته الصحيحة، كما ردَّ قياسهم تقديم التمييز عن عامله المتصرف وأنه كالحال اذ يجوز فيه التقديم، وردَّ أيضاً قولهم انه فعل متصرف فجاز تقديم معموله عليه كسائر الافعال المتصرفة .^(٣)

وممن تابع ابن الأنباري في موافقته لما ذهب اليه سيبويه والبصريون في هذه المسألة وردَّ ما ذكره المبرد والكوفيون ابن عمر الجندي في كتابه الاقليد في شرح المفصل، فبعد أن أورد الجندي حجج المبرد ومن نحا نحوه من النحويين قام بالرد عليها فنذكر ((أن الجواب عن الاستدلال الاول أنَّ المميز فاعل فلا يجوز تقديمه بخلاف الحال،

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف: ٨٣٠/٢ .

(٢) المصدر نفسه، الموضع نفسه .

(٣) المصدر نفسه: ٨٣١/٢-٨٣٢

فقولك (جاء زيداً) فعل وفاعل و(راكباً) بعد ذلك فضلة في حكم المفعول (فيجوز تقديمه جواز تقديم المفعول نحو(ضرب زيداً عمرو))، والجواب عن الثاني أن الرواية هي (وما كان نفسي) ف(نفسى) اسم كان و(تطيب) خبرها، وكأنه قال (وما كان نفسي طيبة) والجواب الثاني: أن ذلك خلاف القياس واستعمال الفصحاء، ومثل ذلك مردود ساقط عن الاحتجاج به...^(١)

وكذلك الحال بالنسبة لابن عادل اذ وافق سيبويه وأيده في حجته من أن التمييز في الاصل فاعل، ففي اعراب قوله تعالى ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾^(٢) ذكر أن المشهور في نصب (شيباً) أنه تمييز منقول من الفاعلية، والاصل (اشتعل شيب الرأس)^(٣) ومثله قوله تعالى ﴿وَأَتَوْا

النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾^(٤) وممن وافق سيبويه والبصريين في عدم جواز تقديم التمييز على عامله المتصرف الاشموني اذ قال ((وعامل التمييز قدم مطلقاً، أي ولو فعلاً متصرفاً وفاقاً لسيبويه والفراء وأكثر البصريين والكوفيين، لان الغالب في التمييز المنصوب بفعل متصرف كونه فاعلاً في الاصل، وقد حول الاسناد عنه الى غيره لقصد المبالغة، فلا يغير عما كان يستحقه من وجوب التأخير لما فيه من الاخلال بالاصل))^(٥) وتابع الصبان الاشموني في موافقته لما ذهب اليه سيبويه في هذه المسألة من

(١) الاقليد في شرح المفصل: ٥٦١-٥٦٢.

(٢) سورة مريم، آية ٤

(٣) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، ٧/١٣، والدر المصون: ٤٩٠/٤

(٤) سورة النساء آية (٤)

(٥) شرح الاشموني على ألفية ابن مالك: ١٥٩/٣

عدم جواز تقديم التمييز على عامله المتصرف فقال شارحا ومعلقا عن عبارة الاشموني قوله (كونه فاعلا في الأصل) أي: وأعطي غير الفاعل في الاصل حكم الفاعل اجراء للباب على وتيرة واحدة، وقوله (فلا يغير عما كان يستحقه) لا يقال قد يخرج الشيء عن أصله ككاتب الفاعل فانه كان جائز التقديم على العامل وصار بالنيابة ممتنعه، فأبي مانع من إعطاء التمييز بصيرورته فضله حكم المفعول من جواز التقديم، لانا نقول الاصل عدم الخروج عن الاصل))^(١)

فالصبان اذن يثبت قاعدة يبني عليها رأيه وهي (أنَّ الاصل هو عدم الخروج عن الاصل) فأصل التمييز عنده هو كونه فاعلاً في الاصل فالعلة عنده بعدم جواز التقديم تأتت له عن طريق النظر الى الاصل .

ثم يوجه الصبان الابيات الشعرية التي استدل بها المبرد والكوفيون على مجيء عامل التمييز الذي هو فعل متصرف مسبقاً بالتمييز انما هو من باب الضرورة الشعرية فقال معلقاً عن قول الاشموني: ((قوله (بما ذكر) أي من الابيات، وأجيب بأنه ضرورة))^(٢) وبعد عرض الاراء في هذه المسألة يرى الباحث أن ما ذهب اليه سيبويه والبصريون هو الراجح، لان حججهم أقوى وذلك في كون التمييز فاعلاً في الاصل، فكما لا يجوز تقديم الفاعل عن الفعل، فكذلك لا يجوز تقديم التمييز اذا كان هو الفاعل في الاصل، أما ما أنشده المبرد والكوفيون فيمكن أن يقابل برواية الزجاجي واسماعيل بن نصر وأبي اسحاق ايضاً: ^(٣)

(١) حاشية الصبان ٢٠٠/٢-٢٠١ .

(٢) المصدر نفسه، ٢٠١/٢

(٣) ينظر: الخصائص ٣٨٤/٢، والإنصاف في مسائل الخلاف: ٨٣١/٢ .

وما كان نفسي بالفراق تطيبُ

ويوجه العكبري قول الشاعر: وما كان نفساً بالفراق تطيبُ
بالقول ((والجواب عن البيت من ثلاثة أوجه: الاول: أن الرواية
(وما كان نفسي) فهو اسم (كان) .

والثاني: أن نصبه عن أنه خبر (كان) اي: ما كان حبيبها نفساً، أي
انساناً يطيب بالفراق .

الثالث: أنه من ضرورة الشعر، فلا يحتج به على الاعراب في
الاختيار (1)

أما الابيات الاخرى، فأجيب عنها بأنها ضرورة شعرية كما تقدم.

(1) اللباب في علل البناء والاعراب: ٣٠١/١.

الخاتمة

خلص الباحث الى النتائج الآتية: -

(١) مثل المبرّد حلقة بارزة من حلقات الخلاف النحوي داخل المدرسة الواحدة .

(٢) لم يكن ابن الأنباري دقيقا حين ذكر أن المبرّد خرج على المدرسة البصرية في عامل النصب في المستثنى ؛ إذ أن المبرّد وافق البصريين في هذه المسألة .

(٣) لم يخرق المبرّد وحده اجماع البصرة ، فقد وافق المبرّد الجرميّ والمازنيّ في مخالفة سيبويه ومدرسة البصرة في جواز تقديم التمييز على عامله المتصرف .

(٤) لم يكن المبرّد مطلقا للأحكام جزافا، وإنما اعتمد أصليين مهمين هما السماع والقياس .

(٥) كشف لنا البحث رقيّ العقلية النحوية العربية، إذ لم يصبها التقليد الأعمى للمدرسة والعصبية المقيّنة في الاتباع ، بل سعوا خلف الدليل والحجة .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- (١) اثتلاف النصره في اختلاف نحاة الكوفة والبصرة، تأليف عبد اللطيف بن أبي بكر الزبيدي (ت ٨٠٢هـ) تحقيق الدكتور طارق عبد عون الجنابي، ط١، عالم الكتب بيروت، مكتبة النهضة العربية، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.
- (٢) اتحاف فضلاء البشر في القراءات الاربع عشر، تأليف أحمد البنا، ط١ عالم الكتب، بيروت - لبنان، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٤٠٧ / ١٩٨٧م.
- (٣) ارتشاف الضرب من لسان العرب، تأليف أبي حيان محمد بن يوسف الاندلسي ت(٧٤٥هـ) تحقيق وتعليق الدكتور مصطفى أحمد النحاس، ط١، مطبعة المدني، القاهرة المؤسسة السعودية بمصر، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م .
- (٤) اسرار العربية :تأليف الامام ابي البركات عبد الرحمن بن محمد ابي سعيد الانباري ت(٥٧٧هـ)عني بتحقيقه: محمد بهجة البيطار، وعاصم بهجة البيطار، ط٢ دار الشروق، دمشق- سوريا، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م .
- (٥) اصلاح الخلل الواقع في الجمل، تأليف عبد الله بن السيد البجليوسي، تحقيق، حمزة النشرتي، ط١، دار المريخ الرياض، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.
- (٦) الاصول في النحو :تأليف ابي بكر محمد بن سهل بن السراج ت(٣١٦هـ) تحقيق الدكتور: عبد الحسين الفتلي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م.

- (٧) الاقليد شرح المفصل: تأليف تاج الدين أحمد بن عمرو الجندي ت(٧٠٠هـ) تحقيق: الدكتور محمد احمد علي ابو كته الدراويش ،ط١ الادارة العامة للثقافة والنشر - جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية، السعودية ٢٠٠٢م/،١٤٢٣هـ .
- (٨) أمالي ابن الحاجب :تأليف أبي عمرو عثمان بن الحاجب ت(٦٤٦هـ) دار الجيل بيروت - لبنان، ودار عمار- عمان الاردن ، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
- (٩) الامالي الشجرية تأليف: هبة الله بن علي بن حمزة الحسني المعروف بابن الشجري ت(٥٤٢هـ) دار المعرفة، بيروت ،د.ت.
- (١٠) الامالي الشجرية تأليف أبي السعادات هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة بن الشجري ت(٥٤٢هـ) د.ط،دار المعرفة، بيروت، لبنان، د.ت.
- (١١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ،تأليف الامام كمال الدين أبي البركات الانباري ت(٥٧٧هـ) دار احياء التراث العربي ،د.ت.
- (١٢) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ،تأليف أبي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الانصاري ت(٧٦١هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٥، مطبعة السعادة ،مصر ،١٣٨٦هـ/١٩٦٧م.
- (١٣) الايضاح العضدي ،لابي علي الفارس ،تحقيق حسن فرهود ،ط٢، دار العلوم، الرياض، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- (١٤) الايضاح في شرح المفصل، تأليف ابن الحاجب أبي عمرو عثمان بن أبي بكر بن يونس الدويني ت (٦٤٦هـ) تحقيق الدكتور، ابراهيم

محمد عبد الله، ط ١، دار سعد الدين، دمشق، سوريا، ١٤٢٥هـ /
٢٠٠٥م.

(١٥) البحر المحيط لابي حيان الاندلسي (محمد بن يوسف) تحقيق الشيخ
عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، والدكتور
زكريا عبد المجيد النوتي، والدكتور أحمد النجولي الجمل، ط ١، دار
الكتب العلمية بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

(١٦) البدر الزاهرة في القراءات العشر المتواترة: تأليف، عبد الفتاح
القاضي، ط ٤، مكتبة أدار المدينة المنورة، ١٤٠٤هـ.

(١٧) التبصرة، لابي محمد بن أبي طالب /، تحقيق محمد الندوي، ط ٢،
الدار السلفية، الهند، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(١٨) التبصرة والتذكرة لابي محمد عبد الله الصميري، تحقيق فتحي أحمد
مصطفى علي الدين، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

(١٩) التبيان في اعراب القرآن: لابي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري
، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، د.ت.

(٢٠) التبيين عن مذاهب النحويين البصريين والكوفيين: تأليف: أبي البقاء
العكبري ت (٦١٦هـ) ، تحقيق، الدكتور عبد الرحمن بن سليمان
العثيمين، ط ١، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ١٤٢١هـ
/ ٢٠٠٠م.

(٢١) تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الادب في علم مجازات العرب
، تأليف يوسف بن سليمان بن عيسى الشنتمري ت (٤٧٦هـ) طبع
بهامش الكتاب، طبعة بولاق، ١٣١٦.

(٢٢) تحقيق: عبد الحميد عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، د.ت .

(٢٣) التطور النحوري للغة العربية: تأليف برجستراسر مطبعة السفاح
طبعها حمد حمدي البكري، ١٩٢٩م.

- ٢٤) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك ،لابن أم قاسم المرادي ،تحقيق :عبد الرحمن سليمان ،ط٢ ،مكتبة الكليات الازهرية ،القاهرة .
- ٢٥) الجمل في النحو :تأليف ابي القاسم عبد الرحمن بن اسحاق الزجاجي ت(٣٤٠هـ)تحقيق :الدكتور علي توفيق الحمد ،ط٤ ،مؤسسة الرسالة بيروت - دار الامل - الاردن ،١٤٠٨هـ ،١٩٨٨م .
- ٢٦) الخصائص: تأليف أبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتاب العربي ،بيروت، لبنان، د.ت
- ٢٧) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي (شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد ت(٧٥٦هـ) تحقيق الشيخ علي محمد معوض و اخرين، ط١ دار الكتب العلمية ،بيروت /١٤١٤هـ/١٩٩٤م
- ٢٨) ديوان المخبل السعدي، جمع وشرح وتحقيق الدكتور ،محمد نبيل طريفي دار صادر ،بيروت - لبنان، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م .
- ٢٩) ديوان النابغة الذبياني :تحقيق ،محمد أبو الفضل ابراهيم، د.ط ،دار المعارف القاهرة، ١٩٧٧م .
- ٣٠) ديوان امرئ القيس ت (٨٠.ق.هـ) تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم ،ط٤، نشر دار المعارف ،مصر، ١٩٦٤م .
- ٣١) ديوان جران العود النميري ،رواية ابي سعيد السكري ،ط١، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥٠هـ ، ١٩٣١م .
- ٣٢) ديوان جميل بثينة ،نشره :بطرس البستاني دار صادر ،بيروت ،١٩٦٦م .
- ٣٣) شرح ابن الناظم لالفية ابن مالك ،لابي عبد الله بدر الدين بن مالك

٣٤) شرح ابن عقيل عن الفية ابن مالك: تأليف قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (ت ٧٦٩هـ) ومعه كتاب (منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيلي) تأليف محمد محيي الدين عبد الحميد، د ط، دار احياء التراث العربي، د.ت

٣٥) شرح اشعار الهولنديين، صنعه، ابي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار احمد فراج، دار العروبة، القاهرة، ١٣٨٤هـ.

٣٦) شرح الاشموني عن الفية ابن مالك المسمى (منهج السالك الى الفية ابن مالك) تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، مطبعة مصطفى الباب الحلبي، مصر ١٩٣٩م. د.ت.

٣٧) شرح التسهيل (المساعد على تسهيل الفوائد): تأليف: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي (ت ٧٦٩ هـ) ، تحقيق الدكتور: محمد كامل بركات، ط١، دار الفكر، دمشق ، ١٩٨٠م.

٣٨) شرح التسهيل (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) تأليف: جمال الدين محمد بن عبد الله بن مالك ت (٦٧٢هـ) تحقيق محمد باسل عيون السود، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٦م.

٣٩) شرح الدماميني عن مغني اللبيب: تأليف الامام محمد بن ابي بكر الدماميني ت (٨٢٨هـ) صححه وعلق عليه أحمد عزو عناية، ط١، مؤسسة التاريخ العربي - بيروت، لبنان، ١٤٢٨هـ.

٤٠) شرح الكافية الشافية: لجمال الدين عبد الله بن مالك، تحقيق: عبد المنعم هريدي، ط١، دار المأمون دمشق - بيروت، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢م.

- (٤١) شرح المفصل: تأليف موفق الدين أبي البقاء بن علي بن بعيش الموصلي ت(٦٤٣هـ) وضع حواشيه وهوامشه الدكتور: أميل بديع يعقوب، ط١، دار الكتب العلمية ن بيروت، لبنان، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
- (٤٢) شرح المقدمة المحسبة: تأليف طاهر بن أحمد بن بابشاذ، تحقيق خالد عبد الكريم، ط١، المطبعة العصرية، الكويت، ١٩٧٦م.
- (٤٣) شرح جمل الزجاجي: تأليف: ابن عصفور أبي الحسن علي بن مؤمن الاشبيلي ت(٦٩٩هـ) تحقيق الدكتور صاحب أبو جناح، مطابع دار الكتب للطباعة والنشر جامعة الموصل، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- (٤٤) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ، تأليف جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الجياني الاندلسي ت(٦٧٢هـ) تحقيق: عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
- (٤٥) شرح كافية ابن الحاجب: تأليف رضي الدين محمد بن الحسن الاستريادي ت(٦٨٦هـ) قدم له ووضع حواشيه الدكتور أميل بديع يعقوب، ط١ دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ن ١٤١٩ - ١٩٩٨م.
- (٤٦) الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) تأليف اسماعيل بن حماد الجوهري ت(٣٩٥هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دزط، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٥م.
- (٤٧) الغرة المخفية في شرح الدرر الالافية: تأليف ابن الخباز ت(٦٣٩هـ) تحقيق: حامد محمد العبدلي، ط١، مطبعة العاني، بغداد، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- (٤٨) الفرائد الجديدة: تأليف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت(٩١١هـ) تحقيق الشيخ عبد الكريم المدرس، مطبعة الارشاد، بغداد ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

- (٤٩) الفصول الخمسون :تأليف زين الدين بن معطي المغربي، تحقيق: محمود الطناضي مكتبة الايمان عن عيسى البابي الحلبي وشركاه ،مصر ،د.ت .
- (٥٠) الفوائد الضيائية شرح كافية ابن الحاجب ،تأليف نور الدين عبد الرحمن بن أحمد الجامي الدينية، مطبعة الوزارة ،١٤٠٣هـ /١٩٨٣م.
- (٥١) القرآن الكريم
- (٥٢) الكافية في النحو، تأليف أبو عمرو عثمان بن عمر بن الحاجب، تحقيق طارق نجم عبد الله ،ط١ دار الوفاء جدة، ١٤٠٧ هـ /١٩٨٦م .
- (٥٣) الكامل في اللغة والأدب :
- (٥٤) الكتاب (كتاب سيبويه) تأليف ابي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ،ط٣، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ١٤٠٨ هـ /١٩٨٨م.
- (٥٥) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، تأليف جار الله محمد بن عمر ت(٥٣٨هـ) د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت ،د.ت .
- (٥٦) اللباب في علوم الكتاب .لابن عادل الحنبلي (أبو حفص عمر بن علي الدمشقي ت بعد (٨٨٠هـ) تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض والدكتور محمد سعيد رمضان حسن ،والدكتور محمد المتولي الدسوقي حرب ،ط١ ،دار الكتب العلمية ،بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٨٨م .
- (٥٧) لسان العرب :تأليف ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت(٧١١هـ) د.ط، دار المعارف، مصر، ١٩٨١ م .

- ٥٨) اللمع في العربية: تأليف أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق حامد المؤمن، ط٢، مكتبة النهضة العربية، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.
- ٥٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية (أبي محمد عبد الحقت(٥٤٦هـ) تحقيق، عبد الله بن ابراهيم الانصاري، والسيد عبد العال السيد ابراهيم، ومحمد الشافعي صادق العناني، ط١، الدوحة، قطر، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.
- ٦٠) مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع، لابن خالويه (الحسين بن أحمد ت(٣٧٠هـ) عني بنشره: برجستراسر، د.ط، دار الهجرة، د.ت.
- ٦١) المسائل الحلييات: لابي علي الفارسي، تحقيق، حسن هنداوي، ط١، دار القلم، دمشق دار المنارة - بيروت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م .
- ٦٢) معاني القرآن: تأليف أبي الحسن سعيد بن مسعدة الاخش الاوسط ت(٢١٥هـ)تحقيق الدكتور، عبد الفتاح اسماعيل جلي، ط٣، دار الشروق، جدة -السعودية ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- ٦٣) معاني النحو: تأليف الدكتور فاضل صالح السامرائي مطبعة التعليم العالي الموصل، ١٩٨٦م/١٩٨٧م .
- ٦٤) مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، تأليف الامام ابي محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد ن عبد الله بن هشام الانصاري ت(٧٦١هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط١، مؤسسة الصادق للنشر والتوزيع، طهران -ايران، ١٣٨٢هـ.
- ٦٥) المفصل في علم العربية، لابي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، ط٢، دار الجيل - بيروت، د.ت .

- ٦٦) المفضليات: للمفضل بن محمد بن يعلي الضبي، تحقيق: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، د.ط دار المعارف، مصر ١٩٥٢ م.
- ٦٧) المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الالفية المشهور ب(شرح الشواهد الكبرى)، تأليف بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني ت(٨٥٥هـ) تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ٦٨) المقتصد في شرح الايضاح: تأليف: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق الدكتور كاظم بحر المرجان، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢م.
- ٦٩) المقتضب: تأليف أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ت(٢٨٥هـ) تحقيق، محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م
- ٧٠) النشر في القراءات العشر، تأليف أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي المعروف بأبن الجزري، تحقيق: علي الضياع، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت .
- ٧١) النكت في تفسير كتاب سيوييه، لابي الحجاج يوسف بن سليمان الشنتمري تحقيق: زهير سلطان، ط١ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، الكويت، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م .
- ٧٢) همع الهوامع في شرح الجوامع: تأليف الامام جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي ت(٩١١هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- ٧٣) الكامل للمبرد: عارضه وعلق عليه محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة، دار النهضة، مصر.
- ٧٤) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي الاندلسي: تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعرفة، ط١، ١٩٧٩.

(٧٥) أنباه الرواة على إنباه النحاة لجمال الدين ابي الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ٩٧٦.

(٧٦) معجم الادباء المصروف بارشاد الاريب الى معرفة الاديب لشهاب الدين الدين ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، ط١، د.ت: ١٣٧.

(٧٧) وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان لابن خلكان، المكتبة العصرية، صيدا، ط١، د.ت: ٢٦٩١١.

(٧٨) بغية الوعاء وطبقات النحويين والنحاة للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم.

(٧٩) الفهرس لمحمد بن اسحق النديم: حققه وقدم له مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، ط١، ١٩٨٥.

***What broke the radiator visual
In the book (fairness in matters of dispute)
to the son Anbari***

M.M.Ahmed Jassim Mohammed

Abstract

What Al-Mubarad Disagrees with the Basras in his book *al-Ensaaf fi masael Al-Khalaf*

The researcher tackles the issues in which Al-Mubarad violates the group of Basri people in his book *al-Ensaaf fi masael Al-Khalaf*. The study contains six issues: three of which about articles and the other three nouns.

The study was introduced by a biography of Imam Al-Mubarad in which we tackle his name, date of birth and the reason he called so in addition to the sheikhs, disciples and his most important writings.

I dpened on the two books of Al-Mubarad (*Al-Kamil* and *al-Muqtadhab*) in addition to the book *al-Ensaaf fi masael Al-Khalaf* by Al-Anbari. Also, I depended on other Arab books the most notable of which is *Al-Kitab*.

The study was concluded with the most important findings.



دموع الحب في الشعر الأندلسي
(عصر الطوائف)

د. بشرى عبد عطية
جامعة بغداد - كلية الزراعة

مُتَكَلِّمَةٌ

لم يمر بالأدب العربي عصر من العصور لم يكن الحب فيه ينبوعاً من ينابيعه بدءاً من الشعر الجاهلي بصوره التقليدية، ولغته المنقنة، وتشبيهاته فقد كانت كل قصيدة من قصائده تقريباً تفتتح باسم حبيبة يتغنى باسمها أو وصف ديارها أو الوقوف لوداعها أو بكاء لفراقها.^(١)

وقد امتاز المجتمع الأندلسي بطبيعته الاجتماعية المنفتحة على ثقافات، وأعراق وأجناس عدة، وبجمال بيئته ماوفرّ جواً من رغد العيش للمحبين حين أسبغ عليهم نعمة التمتع بلحظات الأنس مع أحبّتهم، واللذة بقربهم فقد عرف الأندلسيون الحب وعاشوه بوجوه اختلفت باختلاف الظروف والمناسبات؛ فتارة نجد اللهو والعبث، وتارة نجد العفة في الحب^(٢)، إلا أن واقع الحال لا يضم بين طياته شوق المحبين ولذة اللقاء فحسب، إنما يحمل في جانبه الآخر حقيقة الحياة باستحالة الوصل، واستبدال الأحوال برحيل الأحبة، وتفرق شمل العشاق وسطوة التجافي فشح الفراق لا بد أن يحل بينهم لأسباب معروفة لهم حيناً، ومجهولة أحياناً أخرى؛ من هنا فإن الشاعر الذي عُرِفَ برقة الإحساس وعدم التخرج في التعبير عن مشاعره عند فراق أحبّته عمد إلى البكاء وإراقة دمع العين وسيلة لإظهار تأثره، والكشف عن خبايا روحه؛ فكما أن العين لا تكذب فإن الدموع لا تتافق فالبكاء تعبير إنساني صادق يلجأ إليه الشاعر لتأثيره وقوته في التعبير عن المعاناة الإنسانية التي تختلج في نفسه وحيداً بعيداً عن أحبّ، عندها يثبت البكاء وجوده كظاهرة إنسانية مثقلة بشحنات القلق والتوتر والإحباط ليعكس الواقع

(١) ينظر: المرأة في الشعر الجاهلي/ ١١٦.

(٢) ينظر: الحب في الأندلس/ ٢٩٣.

النفسي الحزين، ويمنح لغته ملامح التعبير الإنساني محولا إياها إلى أقسى اللغات وقعاً وتأثيراً. (١)

من هنا فإننا سنتناول الحديث عن دموع الشاعر المحب، ونرصد توجهه نحو توظيفها توظيفاً فنياً وموضوعياً فضلاً عن دورها في الكشف عن مشاعر الحب وعدّها وسيلة يصل من خلالها إلى استثارة العواطف، وتحفيزها ومن ثم الفوز باستعطاف المحبوب، وذلك من خلال البواعث الآتية:

أولاً: وداع الأحبة:

من أولى أسباب البكاء، وأشد موجبات المدامع وداع الأحبة فموقف الوداع من ((المواقف الصعبة التي تقتضح فيها عزيمة كل ماضي العزائم، وتذهب قوة كل ذي بصيرة، وتسكب عين كل جمود))^(٢)، ومن العشاق من يبكي لتلمس الأخبار أو عند ظهور المعالم ومطالعة الرسوم؛ إلا أن أكثرهم حرقة ولوعة من تفيض دموعه عند موقف الفراق^(٣)، فهذا الشاعر ابن حمديس يصور موقف وداع أحبته من بدايته بكل ما احتوى هذا الموقف المؤلم من تفاصيل وأحداث كان حضور الدمع فيه ضرورة موضوعية، ولازمة فنية حتى لم يتبقي له من ذكرى أحبته إلا الدموع، ونيران الأضلع، فيقول:

ولما رأيت طير الفراق نواعباً وقد همّ بالتوديع كلّ مودع
شكت ما شكا المحزون من عزمة النوى فأبكت لها عيني غزال مُرّوع
ولم أر في خدّ يُزررُ قبلها من الغيدِ شهباً في غمامةٍ برقع
وقد سمرت عن صفرة عبر الأسي لعيني بها عن وجد قلب مفجع
واقبل درُّ النحرِ فوق تربيها يُصافحه من خدها درُّ أدمع

(١) ينظر: بواعث البكاء/١٣.

(٢) طوق الحمامة في الألفه والآلاف/٨٧.

(٣) ينظر: مدامع العشاق/١٤.

فيارب أن البين أضحت صروفه عليّ وما لي من معين فكن معي
على قُربِ عذالي وبُعدِ حبائبي وأمواه أجفاني ونيرانِ أضلعي.^(١)

صور الشاعر موقف فراق الأحبة مشخصاً الدمع فيه بدور بارز فهو لم يكتفِ بذلك التشبيه المبتكر للدموع بالشهب في لمعانها، ووهجها وسرعتها وقد تجاوز لمعانها غمامة برقع المحبوبة، لكنه برع حين أضفى على الدمع سمة التشخيص فهو درُّ أقبيل من عينيها ليصافح درَّ نحرها، ويقابل دموعه المتدفقة كال مياه وهو وصف مؤثر ومعبر في رسم صورة الموقف على الرغم من إيجازه، فأثبت بذلك أن اللفظ موضوع بإزاء المعنى فالشاعر تعامل مع مفردة الدمع ليس بوصفها لفظة معجمية تعبر عن مشاعر إنسانية فحسب، لكنه تعامل مع تراكيب وصور وظفت فيها هذه اللفظة فأكسبتها معاني جديدة، وخرجت بصور مبتكرة لطيفة لم تكن متوافرة لها من قبل وذلك ما يُخرج التجربة الشعورية إلى دائرة الوجود إذ ((لا وجود لمضمون عاطفي أو فكري إلا من خلال لغة تعبر عنه..))^(٢)، وبلغت مفعمة بالحركة والتوتر وبحزن يحتوي مفرداتها صور المعتمد بن عباد موقف وداع أحبته بقوله:

ولما التقينا للوداع غديّةً وقد خفقت في ساحة القصر راياتُ
وقربت الجرد العناق، وصفقت طُبولٌ، ولاحت للفراق علاماتُ
بكيّنا دماً؛ حتى كأن عيوننا لجرى الدموع الحمر منها جراحاتُ
وكنا نرجى الأوب بعد ثلاثة فكيفَ وقد طالت عليها زياداتُ.^(٣)

(١) ديوان ابن حمديس/٢٨٥.

(٢) مدخل إلى بنية اللغة الشعرية/٤٣.

(٣) ديوان المعتمد بن عباد/٤، وينظر: ديوان ابن خفاجة/٣٨٦.

نلاحظ أن الشاعر أدرك ضرورة حضور البكاء ومصاحبة الدمع له في هذا الموقف كون الدمع هو مصاحبة وجدانية، واستجابة انفعالية للتوتر والحزن، فاللقاء تحقق للفراق، وقرب الجرد حُفَّ بعلامات الوداع ما جعل القلوب تخفق كخفق الرايات يزيد من اضطرابها وتوترها صدى الطبول عندئذ أثبت البكاء فاعليته ولزوميته في الصورة؛ ومنسجماً معها تحول الدمع إلى اللون الأحمر كأنه يسيل من جراح لا من عيون، فالأبيات بما ترسمه من صورة بصرية وسمعية جاءت واقعية صادقة في التعبير عن خوالج النفس والآمها عند الوداع.

ومن الشعراء من جعل احمرار خد محبوبته نتيجة لحرارة الدموع المنهمرة عند الوداع كما أن اسوداد شعر صدغيها من آثاره، وهو بعنايته بتوظيف اللون في تصويره، ودقة تشبيهه يبرز دور اللون في إثراء الصورة الشعرية من جهة وقيمه لدى الشاعر الأندلسي من جهة أخرى، كما انه في الوقت نفسه يجعل من صورة دمع محبوبته عند الوداع انعكاساً وتجسيداً لعبثرته التي أضرمتها نار النوى، ويصمت عن وصف دموعه تاركاً لنا ميدان الخيال والإحساس ليبقى تسأولنا؛ إن كانت تلك دموع محبوبته فكيف حال دموعه هو، يقول ابن خفاجة:

وربُّ غرّة عبّرى قد شرقتُ بها في موقفٍ للنوى أضرمته حُرْقاً
تخال ما احمرّ من خديهِ ملتهباً بها، وما اسودّ من صدغيهِ مُحترقاً^(١)

ويطالعنا الرحيل الذي يضع الشاعر وجهاً لوجه أمام الحقيقة المرة والتي يقف عاجزاً ليس فقط عن تغييرها بل حتى عن استيعابها فيجد ظلم الفراق ومرارته طريقه إلى قلبه مع يأس وحزن دائمين مبعثه الفراق؛ وبهذا لا يجد أمامه إلا الدموع المنهمرة وسيلة للتعبير عن ذلك الهم والحزن، ويتجلى ذلك في قول ابن زيدون:

(١) ديوان ابن خفاجة/٣٧٥، وينظر: ديوان ابن حمديس/١٩٠.

بُنْتُمْ وبنّا فما ابتَلتْ جوانِحُنّا شَوْقاً إِلَيْكُمْ ولا جَفْتْ مآقِينّا
نَكَادُ حينَ تُناجِيكُمْ ضَمائِرنا يَقْضِي عَلِينا الأَسى لَوَلا تَأْسِينا^(١)

ويحول حزن الشاعر لفراق الحبيبة، واليأس من اللقاء الحياة إلى ألم دائم وإحساس بنار الحب والشوق تتأجج في قلبه لتحرق فؤاده؛ وتتعاظم معاناته حدّ التبرم من الحياة، ومن حالة الحزن المتجدد في كل حين ولكون الشاعر العربي نمطاً انفعالياً تهزه المواقف وتؤثر فيه الأحداث والأقوال^(٢) فقد كان الشعر ولا زال النبض الموحى لحياة الإنسان العربي والمعبر عن الحالة النفسية، يكشف عن مكونات نفسه مستعيناً بكل ما يوصل إحساسه إلى المتلقي من هنا كانت دموع ابن السيد البطليوسي تشكو الفراق تارة، وتعلن عن مكنون نفسه من الضعف لتستعطف تارة أخرى كما عمد الشاعر إلى دفع المتلقي لمشاركته إحساس الفراق ولوعته من خلال توظيف الحوار الذي أضفى على النص بعداً تأثيرياً أشد لدى المتلقي، فيقول:

مَرَّتْ مُزَنَ عَيْنِيهِ غَدَاةٌ تَحْمَلُوا عَوَاصِفُ رِيحِ الشَّوْقِ حَتى تَصَبِّبَا
دَمُوعٌ هَتَكَنَ السَّتْرَ عَن مَضْمَرِ الجوى وَأَبْدِينَ مَن سَرَّ الهوى ما تَغْيِبَا
خَلِيلِيَّ ما لِي كَلِما لَاحَ بَارِقٌ تَذَكَّرْتُ بِرِقا بِالعَفِيقِ وَزِينِبا
أُوْنَسُ بِالنَّائِنِ نَوماً مُشَرِّداً وَأَطْمِعُ بِالنَّائِنِ قَلْباً مُعَذِّبا
وَمَنْ لِي بِرَدِّ الخَلِّ إِذْ جَدَّتْ النوى بِهِ وَبِوَصْلِ الحَبْلِ أَنْ يَتَقَضِّبا
أَفِي كُلِّ حينٍ أَمْتري غَرَبَ مُقْلَةٍ أَبى الوَخْدُ إِلا أَنْ تَجُودَ فَتَغْرِبا*

ولولا التهاب الشوق بين جوانحي لأمرع خدي بالدموع وأعشبا.^(٣)

(١) ديوان ابن زيدون/٩.

(٢) ينظر: التحليل النفسي للذات العربية، أنماطها السلوكية والأسطورية/٨٨.

(٣) شعر ابن السيد البطليوسي/٤٩-٥٠، *أمّ تري: أستنزل، غرب مقلة: دمع مؤخرة

العين، الوخد: السير السريع، فتغربا: أي تتورم من كثرة البكاء

يُظهر النص الدور الذي أداه الدمع في رسم صورة الحزن التي مثلت إحساس الشاعر بالضعف لرحيل أحبته عنه فلجأ إلى دموعه التي هنتت سرهواه، وأفشت مضمراً جواه ليحملها مشاعره ويكشف بمقدرته قيمتها التعبيرية والجمالية من دون أن يغفل إسباغ الصبغة الأندلسية على تعبيره بتوظيف الطبيعة في سائر الأغراض الشعرية فتعابير (مزن عينيه، وعواصف ريح الشوق، وأمرع خدي بالدموع واعشب) أظهرت أن بعض الألفاظ تقود إلى معاني تحرك الوجدان ومنها الدموع هنا التي منحت النص وأسلوب الشاعر في القص تأثيراً أقوى في نفس المتلقي وأبرزت مقدرة الشاعر في اتكائه على مفردة الدمع والإبداع من خلالها في تصوير معاناته.

وغالباً ما يكون الدمع ممزوجاً بتلك المرارة الناتجة عن إحساس الشاعر بعجزه عن الصبر، ونشعر بزفريات العشق وحرارة الوجد نابعة من أعماق قلب مقسم بين قسوة وداع الحبيب، ومرارة العجز عن تحمل فراقه فيعلن الدمع حالة ضعف حاضرة لحبيبة غائبة، يقول ابن الحداد:

يا غائباً، خَطَرَاتُ الْقَلْبِ مَحْضُرُهُ	الصَّبْرُ بَعْدَكَ شَيْءٌ لَسْتُ أَقْدِرُهُ
تَرَكْتُ قَلْبِي وَأَشْوَاقِي تُفْطِرُهُ	وَدَمْعَ عَيْنِي وَأَحْدَاقِي تُحْدِرُهُ
لَوْ كُنْتُ تَبْصُرُ فِي تَدْمِيرِ حَالَتِنَا	أَدْنَى لِأَشْفَقْتِ مِمَّا كُنْتَ تَبْصُرُهُ
فَالْعَيْنُ دُونَكَ لَا تَحْلِي بِلَذَّتِهَا	وَالدَّهْرُ بَعْدَكَ لَا يَصْفُو تَكَدُّرُهُ
أَخْفَى أَشْتِيَاقِي وَمَا اطْوَيْهِ مِنْ أَسْف	عَلَى الْمَرِيَّةِ وَالْأَنْفَاسِ تُظْهِرُهُ (١)

نلاحظ أن الشاعر أتخذ من أسلوب النداء لمحبوته منفذاً للتعبير عن تلك المشاعر المؤلمة التي يمر بها، ويجسد بمنابرتة لها صراعه النفسي بين الاستسلام للفراق والرغبة الملحة في اللقاء

(١) ديوان ابن الحداد/ ٢٠٩.

والوصل بإطار من الشكوى الممزوجة باستعطاف المحبوبة من خلال عرض حاله، وما آل إليه عيشه وقد حقق ذلك من خلال تناوب استعماله للأفعال الماضية والمضارعة في تصويره لمعاناته مما كشف عن احتواء حالة الحزن له فتجاوزت أفعاله الدلالة النحوية إلى دلالة شعرية تمنح النص روح الاستمرارية على الرغم من الدلالة الماضية للأفعال التي تعني زوال الحدث مع مضي الزمن؛ إذ ((ليس الزمان هو الصورة الوحيدة المرادة من الفعل، فإن الفعل قد يدل على محض تمام الحدث))^(١).

ومن الشعراء من وجد في ذرف الدموع راحتها النفسية، وتسكيناً لألمه فهي استجابة نوعية أو رد فعل أو أثراً من آثار صعوبة يواجهها الإنسان أو يتوقعها ولاسيما إذا كانت ذاتية^(٢). من هنا كان لجوء الشاعر ابن الحداد لذرف الدموع أملاً منه في تسكين الألم هيجتها الذكرى، فيقول:

أما إنها الأعلام من هضباتها فكيف تكف العيون عن عبراتها؟
ذرائي وانزاع الدموع لعله يسكن ما قد هاج من ذكراتها^(٣)

ثانياً الشكوى:

فتحت الشكوى الباب للشاعر للبكاء وسكب الدموع، فالألم من وصل المحبوبة والخشية من استحالة الاجتماع دفعته إلى العيش بين أمل راحل وألم مقيم فغدا دمعه لسان شكواه، ومعينه في وصف ما يقاسيه بعد الجفوة والصدود عله يجد الأذن الصاغية، والقلب الرؤوف

(١) الدلالة الزمنية في الجملة العربية/٤٦.

(٢) ينظر: أسس علم النفس العام/١٤٥.

(٣) ديوان ابن الحداد/١٦٢، وينظر: ديوان ابن حمديس/٢٩٣-٢٩٥.

بعدهما عانى من ((توجع الكآبة، وقلق الأشواق ولوعة الفراق))^(١)،
 فيغدو دمه شاهداً على شدة وجده ودليلاً لوفائه، يقول ابن زيدون:
 ألا ليت شعري هل أصادفُ خلوةً لديك فأشكو بعض ما أنا واجدُ؟
 رعى الله يوماً فيه أشكو صبابتي وأجفانُ عيني بالدموع شواهدُ^(٢)
 نلاحظ أن الشاعر عمد إلى أسلوب سهل وألفاظ رقيقة وتكرار
 واضح للفظه الشكوى ليحقق شدة التأثير وسرعته فبدأ بـ (ألا)
 الاستفتاحية مخرجاً إياها من دائرة الاستعمال اليومي المألوف إلى نطاق
 التعبير الشعري لتكون مع الدمع سبيلاً لإثراء تعبيره، وتسم نصه
 بالعفوية والمصادقية؛ كما أن توجع القلب يدفع الشاعر إلى الشكوى إلى
 المحبوب من دموعه جاعلاً من تبادل أطراف الصورة سبيلاً إلى شدة
 التأثير ودليلاً على معاناته إذ عوضاً عن تميز الدمع لدى الشاعر كونه
 وسيلة لأبراز لوعته إلى محبوبه والتقرب إليه بها تحول إلى الشكوى
 من دموعه إليه على ينال بذلك رضاه ويجد صدى لشكواه، يقول ابن
 الحداد:

مَنْ لِي بَأَنْ أَشْكُو إِلَيْكَ مَدَامِعاً تهمني عليك وأضلعاً بك تحترق؟
 فَتَرَقَّ لِي يَا مَنْ عَدَا قَلْبَ اسْمِهِ مُتَّصِحِّفاً مَاضِيَهُ مَاضِي يَرِقُ^(٣)
 ويلجأ الإنسان إلى الشكوى عندما يشعر بالظلم والحرمان، وقد سلطت
 عاطفة الحزن أسهماً في أجساد بعض الشعراء فأصابتهن أكبادهم
 ، ووجهتهم نحو اعتماد نغم حزين ويأس من الحياة والصحة ليكون
 الدمع الرفيق الأقرب، يقول ابن مارتين*:

كيف لي بعدكم بطبيب الهجوع وجفوني مملوءة بدموعي
 كلُّ شيءٍ يئسُّ منه إذا ما بنتم غير عبرتي وولوعي

(١) زهر الآداب وثمر الألباب/ ج ١ / ص ١٠١.

(٢) ديوان ابن زيدون/ ٤٦.

(٣) ديوان ابن الحداد/ ٢٣٩، وينظر: ديوان ديوان المعتمد بن عباد/ ٨

ولكم قد شكوتُ ممّا الاقي غير أني أشكو لغير سميع^(١)

نلاحظ أنه على الرغم من غلبة الأسلوب الإنشائي إلا أن الشاعر كسر طوق جموده بتكراره وكسره للقفائية؛ فتكرار ألفاظ الحزن والشكوى لم يكن مجرد كشف عن الجانب النفسي الحزين للشاعر بل غدا ذا قيمة فنية في النص عندما وظف لتقوية المعنى، وتأكيد الشكوى وليكون أثره ابلغ في المتلقي وادعى إلى تحقيق الاستجابة فضلا عن حرف العين المكسور الذي أضفى على النص طابعاً مأساوياً.

والشكوى من ثم حاجة نفسية ملحة ارتبطت بالدموع يخفف الشاعر من خلالها من حزنه ، ويتقرب بدلالاتها إلى محبه عله يرفع الحيف عنه لذا كان لابد من استحضاره لعلامات الهوى، فقد قيل: ((إن أول علامات الهوى على ذي الأدب نحول الجسم، وطول السقم، واصفرار اللون...))^(٢)، وقد أضاف المعتمد بن عباد دليلاً أشد تأثيراً تمثل في دموعه التي شبهها بالمطر الشديد حين وصفها بالهطول، والهطل هو دوام السيلان في سكون^(٣)، وبهذا التعبير تستكمل صورة الشكوى، وتظهر براعة الشاعر في توظيف دلالة اللفظ بقوله:

من شكّ أني هائمٌ بك مغرمٌ فعلى هواكٍ لهُ على دلائلُ
لونٌ كسسته صفرةٌ، ومدامع هطلت سحائبها، وجسمٌ ناحلٌ^(٤)

أما ابن حمديس فقد ألع بإضفاء الطابع الإنساني على الدمع فجعله الناطق بشكواه بعد أن صمت اللسان، وبذلك حمله دور الإعلان متجاوزاً

(١) المغرب في حلى المغرب: ج ١/ص ٢٤٨* هو أبو بكر محمد بن مرتين احد

قواد المعتمد بن عباد وقد استوزره الظاهر بن المعتمد أثناء ولايته على قرطبة.

(٢) الطرف والظرفاء/٣٨، وينظر: الحب عند العرب/٢٤.

(٣) ينظر: الفروق في اللغة/٣٠٨.

(٤) ديوان المعتمد بن عباد/٢٣، وينظر: ديوان ابن الحداد/٢٢٢.

الدلالة العاطفية التي اقترن بها فاضطلع في نصه بمهمة إيصالية ،
بقوله :

الدمعُ ينطقُ واللسانُ صَمُوتُ فانظر إلى الحركات كيفَ تموتُ
مازالَ يظهرُ كلَّ يومٍ بي ضنًى فلذاكَ عن عَينِ الحِمامِ خفيتُ
صَبُّ يَطالِبُ في صِبابَةِ نَفْسِهِ جَسَدًا بِمِدْيَةِ سَقْمِهِ مَنحوتُ. (١)

نجد الشاعر يصف حاله بصورة غاية في الايضاح ،فهو عاجز عن الحراك بل حتى ابسط الحركات تصعب عليه فهذا اللسان الذي عادة لا ينفك يتكلم نجده في حالة العاشق صموت لذا أخذ الدمع مكانه للتعبير عن حالته ليس هذا فحسب بل نجده يببالغ في وصف حالته ، فعين الموت لا تراه لأنه في نحول مستمر وهو يبحث عن نفسه المفقودة في عالم العشق، وعن جسده الذي نحتته مدية السقم والمرض كل ذلك يشكوه دمع له ليرقق قلب محبوبه.

ثالثاً: الاستعطاف:

مثل الفراق تحدياً لم يقوَ الشاعر الأندلسي على مواجهته لرقرة إحساسه، ورهافة حسه لذا كان الاستعطاف ملاذه من ألمه، وحاضراً في تعبيره عن تجارب حب جلبت له الشقاء كما جعل الدمع شفيفاً لدى محبوبه، ودليلاً على صدق مشاعر حب، وعلاقة وفاء لم يحد عنها قلب الشاعر العاشق، ومن تلك النصوص التي وظف الشاعر فيها الدموع لترقيق فؤاد حبيب جفاه وروعه بتقلب حاله قول ابن حمديس:

بك يا صبورَ القلبِ هامَ جِزْوَعُهُ أوكلُ شيءٍ من هَواكِ يروعهُ
فإذا وصلتَ خشيتُ منكِ قَطِيعَةً فالعيشُ أنتَ وصُولةُ وقُطوعُهُ
لا تتهمني في الوفاءِ فإنني كتمتُ سِرْكَ والدموعُ تذيعةُ
نقل الهوى قلبي إلى عيني التي منها تفجَّرَ بالبكا يَنْبوعُهُ
أبكيته فأنعتُ سِرْكَ مكرهاً فعلامَ تعذلتني وأنتَ تذيعةُ. (١)

(١) ديوان ابن حمديس/ ٩٣.

نلاحظ أن البعد الجمالي للنص تحقق في لفظة (أنت) وحالة العشق التي مثلها دمع الشاعر وبكائه الذي جعله معادلاً موضوعياً عنه فإذا كانت عيونه ينبوعاً تفجر بالبكاء فلم يكن ذلك إلا ليستعطف بها محبوبه بعتاب ولوعة مستعيناً بالتكرار وما يؤديه من وظيفة إيصاله للمعنى واستثارته للمتلقي.

كما أن حاجة الشاعر للاستعطف إنما تغدو حاجة ملحة تزداد بازدياد اضطرابه النفسي الناجم من شعوره بالضعف فانبرى في تصوير مشاعره، ووصف حاله مستعظفاً بالبكاء مستثيراً متلقيه بصيغة الاستفهام المجازي وما يضيفه على النص من روح التواصل ، يقول ابن الحداد:

فكم أبكي عليك دماً ولا تـرثين للبيـاكي!
فهل تـدرين ما تقضي على عيني عيناك؟^(٢)

والشاعر المبدع هو من يشركنا في مشاعره وأفكاره بعد صياغتها فنياً ومن ثم يجعلنا نشاطره إحساسه ومدركاته، ونمنحه تعاطفاً وهو يحاور ليعرض معاناته لجفاء المحبوب ، يقول ابن زيدون:

أجفى بلا جرم، وأقصى بلا ذنب سوى أنني محض الهوى صادق الحب؟
أغاديك بالشكوى، فأضحى على القلى وأرجوك للعتبى فأظفر بالعتب
فديتك، ما للماء عذباً على الصدى وإن سمتني خسفاً، محكاً من قلبي
ولولاك ما ضاقت حشاي صبايةً جعلت قرأها الدمع سكباً على سكب.^(٣)

نلاحظ في النص أن الشاعر أفاد من صيغة الاستفهام لإقرار حقيقة مشاعره، وإيصالها إلى الآخر فتسأله هنا سواء أكان موجهاً إلى

(١) ديوان ابن حمديس/٢٩٢.

(٢) ديوان ابن الحداد/٢٤١.

(٣) ديوان ابن زيدون/٥٨.

الغير أم إلى الذات فهو لم يكن إلا مفتاحاً لكوامن نفسه التي ترجو
وتستعطف وقد بدأ الشاعر بالافصاح عنها شيئاً فشيئاً حتى وصل ذروته
حين جعل من دمه قرى لصبابته، وبذلك يبلغ الاستعطاف ذروته في
تشبيهه لم نجده عند غيره.

وتفرض حالة الاستعطاف ولا سيما استعطاف المحب لمحجوبه
ترقيق القول، وإعلان الذل وبذل الحجة، وهذا ما وظفه ابن اللبانة في
قوله:

سنانُ وردِ جماله في خده غضّ و نرجسُ مقلتيه ذابلُ
كرمت عليه لواحظي بدموعها ذلاً وهو العزيزُ الباخلُ
وكأنما هي في السماحة طيء وكأنما هو في السماحة وابلُ.^(١)

نجد أن الصورة التشبيهية هنا وظفت لإبراز القيمة التأثيرية
للمدح، فالتشبيه يجمع بين ((صفات ثلاثة: هي المبالغة، والبيان،
والإيجاز))^(٢) وذلك من خلال تقريبه بين البعيدين حتى تصير بينهما
مناسبة مشتركة، وهي هنا تمثلت بغزارة دموعه وبيانها عن حالته،
وإيجازه لمراده .

ومن سبل الاستعطاف التي أتخذها الشاعر فضلاً عن ترقيق
القول وإظهار التوجع كان تأكيده ترخيص دمه الغالي الذي قدم
وصفه باللؤلؤ والعلق، وتلك بلا شك ألتفاتة لطيفة إذ أن رقة الشاعر
الأندلسي، وولعه بمن أحب لا يعني ابتذال دمه، ولكن الدموع الغالية
هي خير ما تستعطف بها الحبيبة، يقول ابن خفاجة:

هُنَيْدٌ أَوْجَعَتْ قَلْباً قَدْ أَقَمْتَ بِهِ مَا بِالْطَّرْفِي، وَمَا يَدْرِيكَ، يَبِيكِيكَ*

(١) ديوان ابن اللبانة/١١٣.

(٢) المثل السائر/ج ٢/ص ١٢٣.

فَرُبُّ لُؤْلُؤِ دَمْعٍ كُنْتَ أُنْخَرُهُ عِلْقًا أُغَالِي بِهِ، أَرْخَصْتُهُ فَيْكَ (١)
كما وقد تدفع هيمنت روح الحزن بالشاعر إلى مناداة باعث
ألمه ليكشف عن قلب مثقل بشوق جعل من غزارة الدمع وحرارته
وصدق انبعائه سبيلا إلى تمني الرضى والفوز بالمراد إذ وجد الشاعر
في هذا الحوار تنفيساً وتعبيراً عن حالته النفسية وسبيلاً لإيصال
إحساسه إلى المتلقي عليه يفوز باستعطافه، يقول المعتمد ابن عباد:

أَغَابِيَةَ الشَّخْصِ عَنِ نَاطِرِي وَحَاضِرَةَ فَيِّ صَمِيمِ القُوَادِ
عَلَيْكَ سَلامٌ بِقَدْرِ الشُّجُونِ وَدَمْعِ الشُّؤُونِ وَقَدْرِ السُّهَادِ
تَمَلَّكَتْ مَنِّي صَعَبَ المَرَامِ وَصَادَقَتْ وَدَى سَهْلَ القِيَادِ
مُرَادِي لُقْيَاكَ فِي كُلِّ حِينٍ فَيَا لَيْتَ أَنِّي أُعْطِيَ مُرَادِي. (٢)

(١) ديوان ابن خفاجة/٣٧٥. * هنيذ: تصغير هند، والعلق: النفيس من كل شيء.

(٢) ديوان المعتمد بن عباد/٨.

وختاماً لما تقدم نستطيع القول :

- ❖ إن الشاعر تمكن من إخراج التجربة العاطفية الضيقة بهذا المستوى الفني والعلاقات الجمالية بين الصور على الرغم من الطابع الحزين لها، يعينه على ذلك سيطرة الأحداث على وجدانه، وثرأء عالمه الداخلي، وسعة خياله، ورقة مشاعره.
- ❖ لأن الدموع أصدق وسيلة للتعبير عن مشاعر الحب فقد اتسقت مع الألفاظ العذبة الرقيقة المناسبة للبواعث التي جسدتها.
- ❖ اظهر البحث بوضوح شيوع الكسر للقافية دلالة على انكسار روح الشاعر، وإظهاراً لحالة الضعف التي تعتريه قبل، وفي أثناء، وبعد فراق أحبته.
- ❖ برز توظيف اللون، وعدم إغفال اثر الطبيعة الاندلسية التي استحضرها الشاعر في تصوير دموعه، فكانت الأمطار والريح والبرق فضلا عن الخضرة والورد حاضرة بحسب ما يتناسب ومقتضى الحال للتعبير عن هواجس الشاعر وآلامه.
- ❖ من الشعراء من تميز بتشخيصه للدمع ليكون حاضراً وشفيعاً له لدى المحبوب.
- ❖ ولا يخفى على القارئ أمر سهولة وعذوبة الألفاظ التي استعملها الشاعر الأندلسي فهو فضلا عن تأثره بالطبيعة الأندلسية والاجتماعية المتميزة بالرقة والعاطفة الجياشة كان يعبر عن أرق موضوع ممكن أن يدغدغ مشاعر الإنسان في أي مكان وزمان ألا وهو الحب والعشق، وما ينتج عنه من ترقيق مشاعر أقوى الأقوياء فكيف إذا كان ذلك الإنسان هو أندلسي أولاً وشاعر ثانياً؛ لا بد أن تكون النتيجة رقة وسلاسة تدخل قلب المتلقي من دون ابتذال أو إسراف في إيصال مشاعره إلى الطرف الآخر عبر السنين الطوال

سواء أكان ذلك الطرف الحبيبة المعنية بتلك الأشعار أم المتلقي القارئ المنتدوق للإشعار الجميلة المشاعر الصادقة الإحساس.

❖ إن الشاعر الأندلسي وان كانت دموعه واحدة عند بعد حبيبته عنه إلا أنها اتخذت اشكالاً وصوراً فتارة تأخذ هذه الدموع مسار الشكوى وتارة أخرى للاستعطاف هذا فضلاً عن تدفقها لحظة وداع الحبيبة دلالة على انهيار كل القوى التي يمتلكها الرجل عادة أمام إحساسه بفقدان العاطفة والحنان التي تمتلكها المرأة (الحبيبة) تحديداً.

المصادر والمراجع

١. أسس علم النفس العام، د.أنور الشرقاوي، د.طلعت منصور، د.فاروق أبو عوف، د.عادل عز الدين، مكتبة الانجلو- القاهرة- الطبعة الأولى ١٩٧٨م.
٢. بواعث البكاء ودلالاته الفنية والموضوعية في الشعر العربي قبل الإسلام، سمير جعفر الدوري- رسالة ماجستير- كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٩٨م.
٣. التحليل النفسي للذات العربية أنماطها السلوكية والأسطورية، د.علي زيغور، دار الطليعة- بيروت- الطبعة الأولى ١٩٧٧م.
٤. الحب عند العرب دراسة أدبية تاريخية، إعداد المكتب العلمي للبحوث - منشورات مكتبة الحياة- بيروت(د.ت).
٥. الحب في الأندلس ظاهرة اجتماعية بجزور مشرقية، جودت مدلج، دار لسان العرب- بيروت- الطبعة الأولى ١٩٨٥م.
٦. الدلالة الزمنية في الجملة العربية، د.علي جابر المنصوري، مطبعة الجامعة - بغداد- الطبعة الأولى ١٩٨٤م.
٧. ديوان ابن الحداد الأندلسي(ت ٤٨٠هـ-)، جمعه، وحققه وشرحه وقدم له، الدكتور يوسف الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت- (د.ت).
٨. ديوان ابن حمديس، تعليق، د.يوسف عيد، دار الفكر العربي- بيروت- الطبعة الأولى ٢٠٠٥م.
٩. ديوان ابن خفاجة، شرح، دكتور يوسف شكري فرحات، دار الجيل - بيروت- (د.ت).
١٠. ديوان ابن زيدون، شرح وتحقيق، كرم البستاني- دار صادر- بيروت - الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.

١١. ديوان ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق، د. محمد مجيد السعيد، دار
الرأية للنشر والتوزيع عمان - الطبعة الثانية ٢٠٠٨م.
١٢. ديوان المعتمد بن عباد، جمعه وحققه، د. حامد عبدالمجيد، د. احمد
بدوي، راجعه، د. طه حسين، الطبعة الرابعة، مطبعة دار الكتب
والوثائق - القاهرة - ٢٠٠٢م.
١٣. زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق الحصري، تحقيق، علي
محمد الباوي - مطبعة عيسى البابي الحلبي - القاهرة ١٩٥٣م.
١٤. شعر ابن السيد البطليوسي، جمع وتوثيق ودراسة، د. رجب عبد
الجواد إبراهيم، مكتبة الآداب - القاهرة - الطبعة الأولى ٢٠٠٧م.
١٥. طوق الحمامة في الألفة والآلاف، الإمام أبي محمد علي بن احمد
بن سعيد ابن حزم (ت ٤٥٦هـ)، ضبطه ووضع حواشيه وقدم
له، احمد شمس الدين دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة
الخامسة ٢٠٠٨م.
١٦. الظرف والظرفاء، أبو الطيب محمد إسحاق بن يحيى الوشاء (ت
٣٢٥هـ) عالم الكتب - بيروت - الطبعة الأولى - ١٩٧٧م.
١٧. الفروق في اللغة، أبي هلال العسكري، منشورات دار الآفاق
الجديدة - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٧٣م.
١٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، قدمه
وحققه وعلق عليه، د. احمد الحوفي، ود. بدوي طبانة، مكتبة نهضة
مصر - ومطبعتها - القاهرة (د.ت)
١٩. مدامع العشاق، زكي مبارك، منشورات المكتبة المصرية، الطبعة
الثانية ١٣٥٣هـ.
٢٠. المرأة في الشعر الجاهلي، د. علي هاشم، مطبعة المعارف - بغداد
١٩٦٠م.

٢١. المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد الأندلسي، حققه وعلق عليه،
د. شوقي ضيف - دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٩٣ م.
٢٢. مدخل إلى بنية اللغة الشعرية، د. علوي الهاشمي، مجلة البيان
الكويتية، ع (٨٤) سنة ١٩٨٩.

TEARS in the poetry of love in Andalusia

DR.BUShra A.tiya

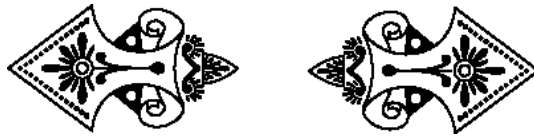
Instructor

BAGHDAD UNIVERSITY

College of Agriculture

• **Abstract**

- The research study concerns the tears in the poetry of love in Andalusia has been prying analysis of poetic texts which employed the poet of the word tears and on its behalf of crying and sadness.
- Been searching employing these words in the pictures of poetry that depended on tears to express their sense of the poet lover and his emotional and stand on styles of expression that emerged in this subject and the research found the most important of the results of several
- Creativity of the poet in employing these words in the love poetry to express his sincere and sense delicate rather than parting loved and complaint abandoned and than beg the beloved
- .Emerged as styles expression adopted by the poet to express his psychological state the most important is question and repetition and dialogue and diagnosis of tears
- .appearance rhyme broken in that notice which expressed the loving tears of the poet



أَسْمَاءُ مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ وَالْمَدِينَةِ
الْمُنَوَّرَةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
- دراسةً دَلَالِيَّةً -

د. حيدر حسين عبيد
كلية الإمام الأعظم - قسم اللغة العربية

مُقَدِّمَةٌ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي شَرَّفَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِأَسْمَاءِ عِظَامٍ، وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ الْأَنَامِ، وَعَلَى آلِهِ الْأَطْهَارِ الْكَرَامِ،
وَأَصْحَابِهِ الْبَرَّةِ الْأَعْلَامِ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فليس بِدَعَاً مِنَ الْقَوْلِ أَنْ نَقُولَ إِنَّ دِقَّةَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
فِي اخْتِيَارِ كُلِّ لَفْظَةٍ مَعَ مَا يَتَنَاسَبُ وَالسِّيَاقِ هِيَ دِقَّةٌ لَيْسَ لَهَا مِثِيلٌ، وَلَنْ
يَكُونَ لَهَا مِثِيلٌ أَبَدًا مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَذَلِكَ مَا أَثْبَتَهُ - مِنْ حَيْثُ
النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِ - شَيْخُ الْبَلَاغِيَيْنِ عَبْدِ الْقَاهِرِ الْجِرْجَانِيِّ (ت: ٤٧١ هـ -
١٠٧٨ م) حِينَ وَضَعَ نَظْرِيَّةَ النِّظْمِ الْمَشْهُورَةِ، الَّتِي قَامَتْ عَلَى أُسَاسِ
أَنَّ الْقُرْآنَ قَدْ أُعْجِزَ فُصْحَاءَ الْعَرَبِ وَبَلْغَائِهِمْ بِنِظْمِهِ، وَمِمَّا قَالَهُ:
(وَبَهْرَهُمْ أَنَّهُمْ تَأَمَّلُوهُ سُورَةَ سُورَةٍ، وَعَشْرًا عَشْرًا، وَآيَةً آيَةً، فَلَمْ يَجِدُوا
فِي الْجَمِيعِ كَلِمَةً يَنْبُو بِهَا مَكَانَهَا، وَلَفْظَةً يُنْكَرُ شَأْنُهَا، أَوْ يُرَى أَنَّ غَيْرَهَا
أَصْلَحَ هُنَاكَ أَوْ أَشْبَهَ، أَوْ أُحْرِيَ وَأَخْلَقَ، بَلْ وَجِدُوا اتِّسَاقًا بَهْرَ الْعُقُولِ،
وَأَعْجَزَ الْجُمْهُورِ، وَنِظَامًا وَالتَّامًّا، وَاتِّقَانًا وَإِحْكَامًا، لَمْ يَدْعُ فِي نَفْسِ بَلِيغٍ
مِنْهُمْ - وَلَوْ حَكَّ بِيَا فَوْخِهِ السَّمَاءَ - مَوْضِعَ طَمَعٍ، حَتَّى خَرَسَتْ الْأَلْسُنُ
عَنْ أَنْ تَدَّعِيَ وَتَقُولَ، وَخَلَدَتْ الْقُرُومُ* فَلَمْ تَمْلِكْ أَنْ تَصُولَ^(١) .

* القروم: الفحول من أهل الأدب . العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ = ٧٨٦م)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: مادة (قرم): ١٥٨/٥ .
(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، ط ٣، مطبعة المدني، القاهرة - دار المدني، جدة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م: ٣٩/١ .

وقد تكاثرت الدراساتُ القرآنيَّةُ الدلاليَّةُ منذ تدوين العلوم حتى يومنا هذا، ولم تحطْ على كثرتها وتنوعها بأسرار ذلك الكتابِ العظيم، ولم تكَدَّ ..

وقد تعددت أسماءُ الأماكنِ والمُسَمَّى واحدٌ في القرآن الكريم، وقد يبعد من الأذهان تصوُّرُ أنَّ لأسماء الأماكن علاقةً بالسياق، فالمركوز في الأذهان إنَّ الأسماء لا تدل إلا على مسمياتها دون أيِّ معانٍ إضافية، وأنها مُجرَّدُ أعلامٍ تواضعها الناس لتمييز تلك الأماكن، وقد يكون هذا الأمر صحيحاً في ما سوى كتاب الله تعالى، أمَّا الكتابُ المجيد فليس فيه لفظٌ يجيء عفواً، قطعاً .

ولذلك جاء هذا البحثُ ليحاول الكشف عن بعض أسرار علاقة أسماء مكة المكرمة، وأسماء المدينة المنورة في القرآن الكريم بالسياق الواردة فيه، وقد عثرت على بعض الدراسات حول الأسماء في القرآن الكريم تناولت باختصارٍ بعض أسماء مكة والمدينة وهي:

١- معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن

والأخبار وتأويل ألفاظ مستعملة: لأبي بكر محمد بن عزيز السجستاني (ت: ٣٣٠ هـ - ٩٤٢ م): درس فيه أسماء كثيرة كأسماء الله تعالى وغيرها، وتناول بالدراسة من أسماء مكة اسمين: مَكَّة، وبَكَّة، كما ذكر اسم المدينة ويثرب، وكانت طريقتة في تلك الدراسة أنَّه يدرس اشتقاق الاسم ومعناه ووروده في القرآن الكريم كُلُّ ذلك باختصارٍ، وهو أقرب إلى الدراسة المعجمية .

٢- من أسرار الأسماء في القرآن الكريم لبسام جرار: ذكر

فيه من أسماء مكة " أمَّ القرى "، ومن أسماء المدينة " المدينة ويثرب "، وشرح معاني كلِّ منها باختصارٍ معتمداً على المعجمات، وشيء يسير من التفسير .

ولكنني لم أعتز على دراسة دلالية للأسماء المتعددة للمسمى الواحد تحاول ربط كل اسم بالسياق الوارد فيه، ومنها أسماء مكة والمدينة ..

إنَّ هذا البحث يدرس دلالة كل اسم من أسماء مكة والمدينة وعلاقة كل اسم منها بالسياق الواردة فيه، ويحاول الكشف عن دقة القرآن الكريم في استعمال الاسم موافقاً للسياق والمقام والعلاقة بين اختيار كل اسم والجو العام للآيات .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن ينقسم على مقدمة ومبحثين وخاتمة :

- المبحث الأول: أسماء مكة المكرمة .

- المبحث الثاني: أسماء المدينة المنورة .

إنَّ هذا البحث محاولة لكشف جانب يسير من الجوانب العظيمة للإعجاز القرآني، ودقّة نظمه، وجودة رصفه وسبكه وتكامل الصورة الفنية فيه من خلال اختيار أسماء الأماكن بدقة كاملة موافقة للسياق، وستتبعه -إن شاء الله تعالى- دراسة حول أسماء الأنبياء في القرآن الكريم .

وصلّى الله على سيدنا مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم

الباحث

المبحث الأول أسماء مكة المكرمة

ذَكَرَ الْعُلَمَاءُ وَالْمُؤَرِّخُونَ لِمَكَّةَ الْمَكْرَمَةَ أَسْمَاءً كَثِيرَةً، فَقَدْ ذَكَرَ الْأَزْرَقِيُّ مِنْهَا سَبْعَةَ أَسْمَاءَ هِيَ: مَكَّةُ، وَبَكَّةُ، وَأُمُّ رَحْمٍ، وَأُمُّ الْقُرَى، وَصَلَاحٌ، وَكُوْتَى، وَالْبَاسَّةُ (١).

فِي حِينِ ذِكْرِ الْفَاكِهِيِّ لَهَا عَشْرَةَ أَسْمَاءَ: مَكَّةُ، وَبَكَّةُ، وَبِرَّةٌ، وَبَسَّاسَةٌ، وَأُمُّ الْقُرَى، وَالْحَرَمُ، وَالْمَسْجِدُ الْحَرَامُ، وَالْبَلَدُ الْأَمِينُ، وَصَلَاحٌ، وَكُوْتَى (٢).

وَقَدْ جَمَعَ الدُّكْتُورُ مَحْيِي الدِّينِ إِمَامٌ لِمَكَّةَ خَمْسِينَ اسْمًا (٣).

الاسم الأول: مكة

قَالَ ابْنُ فَارِسٍ: (الْمِيمُ وَالْكَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى انْتِقَاءِ الْعَظْمِ، ثُمَّ يُقَاسُ عَلَى ذَلِكَ. يَقُولُونَ: تَمَكَّكَتِ الْعَظْمُ: أَخْرَجَتْ مَخَهُ. وَأَمْتَكُ الْفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمِّهِ: شَرِبَهُ. وَالتَّمَكُّكُ: الِاسْتِقْصَاءُ. وَيُقَالُ: سُمِّيَتْ مَكَّةَ لِقَلَّةِ الْمَاءِ بِهَا، كَأَنَّ مَاءَهَا قَدِ امْتَكَّ. وَقِيلَ سُمِّيَتْ لِأَنَّهَا تَمَكُّ

(١) ينظر: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى (ت: نحو ٢٥٠ هـ - نحو ٨٦٥ م)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م: ٢٨١ / ١.

(٢) ينظر: أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهني (ت: ٣٥٣ هـ - ٩٧٤ م)، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ٢، دار خضر، بيروت، ١٤١٤ هـ: ٢٨ / ٢ - ٢٨١.

(٣) ينظر: في رحاب البيت العتيق: د. محيي الدين إمام، دار قرطبة، الهرم، مصر، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م: ٦ - ٨.

مَنْ ظَلَمَ فِيهَا، أَيْ تَهْلِكُهُ وَتَقْصِمُهُ كَمَا يُمَكُّ الْعَظْمُ. وَيُنْشِدُونَ: يَا مَكَّةُ
الْفَاجِرِ مُكِّي مَكَا (١)

وقد أورد النووي تلك الأقوال ثم قال: (وقيل: لأنها تمكُّ ذنوب
المؤمنين؛ أي: تذهبُ بها) (٢).

وقال أبو بكر الأنباري: (ويقال: سُمِّيَتْ مَكَّةُ لاجْتِنَابِهَا النَّاسَ مِنَ
الْأَبَاعِدِ، مِنْ قَوْلِهِمْ قَدْ تَمَكَّكَتُ الْعَظْمُ إِذَا أُجْدِيَتْ مَا عَلَيْهِ مِنَ اللَّحْمِ) (٣).

ومهما يكن من أمر فإنَّ هذا الاسم صار علماً على مكة، وقد
ورد في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (٤)،
عن أنس بن مالك رضي الله عنه ((أَنَّ ثَمَانِينَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ هَبَطُوا عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مِنْ جَبَلِ التَّنْعِيمِ مُتَسَلِحِينَ؛ يَرِيدُونَ غِرَّةَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم

(١) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥ هـ = ١٠٠٤ م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط ١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م: ٢٧٤/٥ - ٢٧٥؛ معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن والأخبار وتأويل ألفاظ مستعملة: أبو بكر محمد بن عزير السجستاني (ت: ٣٣٠ هـ = ٩٤١ م)، تحقيق: د. جميل عبد الله عويضة ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م: ١١٨-١١٩.

(٢) تحرير ألفاظ التنبيه: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت: ٦٧٦ هـ - ١٢٧٧ م)، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨ هـ - ١٣٤.

(٣) الزاهر في معاني كلمات الناس: محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنباري (ت: ٣٢٨ هـ = ٩٤٠ م)، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط ١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م: ٨٦/٢.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٤.

وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل هذه الآية^(١).

قال النَّحَّاسُ: (قال قتادة: بطن مكة، يعني: الحديبية)^(٢).
ويبدو لي إنه قال مكة هنا؛ لأنَّ الكلام ليس عن كل مكة وإنما هو عن موضع محدد منها، فالكلام عن حادثة حصلت في الحديبية التي سمَّاهَا: بطن مكة وهو تعريف بالإضافة؛ ولذلك كان لابد أن تكون الإضافة إلى أشهر أسمائها لتتحقق الفائدة من الإضافة، دون أن ينصرف الذهن إلى غيرها، ومكة أشهر أسمائها قديماً وحديثاً.
وأما وَصْفُ الحديبية بأنها بطن مكة فلأنَّ السياق في ذكر امتنان الله على المؤمنين بنعمه، ومنها: التمكين، والعزة، والنصر، فكأنَّه سبحانه يقول للمؤمنين: أنا الذي أنجيتكم وأنتم ببطن مكة؛ أي: وسطها وعمقها، أو: وأنتم في أسفل موضع فيها والكفار فوقكم وهم محيطون بكم من كلِّ جانب، وليس ذلك فحسب بل جعلت لكم الظفر بهم والنصر عليهم؛ وذلك أبلغ في وصف الامتنان عليهم.

(١) صحيح البخاري: (الجامع الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه): محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م: ٢/٩٣٤، رقم الحديث: ٢٥٨١؛ صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: ٢٦٤ هـ - ٨٧٥ م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٣/١٤٤٢، رقم الحديث ١٨٠٨، واللفظ لمسلم.

(٢) معاني القرآن الكريم: أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي النحاس (ت: ٥٣٨ هـ - ١١٤٤ م)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط ١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ: ٦/٥٠٩.

الاسم الثاني: بَكَّة

قال الخليل: (البكُّ دَقُّ العُنُقِ ؛ وَسُمِّيَتْ بَكَّةَ لِأَنَّ النَّاسَ يَبْكُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً فِي الطَّوَافِ ؛ أَي: يَدْفَعُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً بِالْأَزْدِحَامِ، وَيُقَالُ: بَلَ سَمِيَتْ؛ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَبْكُ أَعْنَاقَ الْجَبَابِرَةِ إِذَا أَلْحَدُوا فِيهَا بِظُلْمٍ)^(١)، وَقَالَ ابْنُ فَارِسٍ: (الباء والكاف في المضاعف أصل يجمع التزاماً والمغالبة)^(٢)، فِي حِينٍ قَالَ السَّجِسْتَانِيُّ: (وَبَكَّةٌ مَأْخُوذٌ مِنْ شَيْئَيْنِ: مِنْ قَوْلِكَ بِكَكْتُ الرَّحْلَ أَبَكَّهُ إِذَا وَضَعْتَ مِنْهُ وَرَدَدْتَ نَخْوَتَهُ، كَأَنَّمَا سَمِيَتْ بِكَّةَ؛ لِأَنَّ كُلَّ ذِي نَخْوَةٍ يَتَوَاضَعُ فِيهَا، وَيَتَضَعُ، وَقَالَ الْحَسَنُ: هُوَ مَنْ يَتَبَاكُونَ فِيهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَهُوَ التَّدَافِعُ)^(٣).

وقد بيَّن ابن جنِّي الفرقَ بين مكة وبكة فقال: (فَأَمَّا مَا حَكَاهُ الْأَصْمَعِيُّ مِنْ قَوْلِهِمْ: امْتَكَّ الْفَصِيلُ مَا فِي ضَرْعِ أُمِّهِ، وَامْتَقَّ، وَتَمَقَّقَ، وَتَمَكَّكَ، إِذَا شَرِبَهُ كُلَّهُ، فَالْأَطْهَرُ فِيهِ أَنْ تَكُونَ الْقَافُ بَدَلًا مِنَ الْكَافِ لِمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو عَلِيٍّ ؛ لِأَنَّهُ قَالَ: مِنْ هَذَا أُخِذَ اسْمُ مَكَّةَ؛ لِأَنَّهَا كَالْمَجْرَى لِلْمَاءِ فَهُوَ يَنْجَذِبُ إِلَيْهَا . قَالَ فَأَمَّا مَوْضِعُ الطَّوَافِ فَهُوَ بِكَّةَ بِالْبَاءِ لِأَنَّهُ مِنْ الْإَزْدِحَامِ)^(٤) .

(١) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ = ٧٨٦م)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: مادة (بك): ٢٨٥/٥ .

(٢) مقاييس اللغة: ١٨٦/١ .

(٣) - معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن والأخبار: ١١٩ .

(٤) سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جنِّي الموصلي (ت: ٣٩٢ هـ - ١٠٠٢ م) ، تحقيق: د . حسن هندواوي، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥ م: ١/ ٢٧٨ - ٢٧٩ .

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى:

﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ (١).

قال الطبري: (وإما قوله للذي ببكة مباركاً فإنه يعني: للبيت

الذي بمزدحم الناس لطوافهم في حجهم وعمرهم)^(٢)، وذهب إلى أن

بكة: موضع ازدحام الناس حول البيت^(٣).

ويبدو لي إنه سماها بكة هنا لما يأتي:

(١) لأنَّ السياق في ذكر الحج، والحجُّ فيه تَرَاخُمٌ حول البيت

وتَدَافُعٌ - وهو التَّبَاكُّ -، "وبكة" تحمل الإشارة إلى ذلك المدلول.

(٢) في السياق ذكر مشاهد من البيت الحرام، قال تعالى: ﴿فِيهِ

ءَايَاتٌ مُّبَيَّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنْ

أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (٤)، فقد ذكر

الآيات البيّنات، وذكرَ مقام إبراهيم عليه السلام والأمان لمن دخله،

وكان من أهمِّ تلك المشاهد التَّبَاكُّ حولها - التدافع - ولذلك بدأ

به فقال ببكة .

(٣) ورد في سبب نزول تلك الآية عن مجاهد قال: (تفاخر

المسلمون واليهود، فقالت اليهود: بيت المقدس أفضل وأعظم

(١) سورة آل عمران: آية ٩٦ .

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي،

أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ = ٩٢٣م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م: ٢٣/٦ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ٢٣/٦ .

(٤) - سورة آل عمران: آية ٩٧ .

من الكعبة؛ لأنه مُهَاجِرُ الأنبياء وفي الأرض المقدسة، وقال المسلمون: بل الكعبة أفضل؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).
وعليه فيبدو لي إنَّ القرآن الكريم أراد أن يردَّ عليهم مؤكداً فضيلة الكعبة على بيت المقدس، فذكر أن من أعظم فضائلها أن الناس يقصدونها ويتباكون عندها، وذلك القصد والتراحم منذ القدم إلى أن تقوم الساعة لا ينقطع أبداً، وإن خلت من البشر فإنَّ الملائكة يطوفون في أرجائها .

الاسم الثالث: الْقَرْيَةُ

قال ابن فارس: (قري: القاف والراء والحرف المعتل أصلٌ صحيحٌ يدل على جَمْعٍ واجتماع، من ذلك القرية ؛ سُمِّيت قرية لاجتماع الناس فيها)^(٢) .

والقَرْيَةُ والقَرْيَةُ: المَصْرُ الجامع، والجمع قرى، والقَرْيَةُ من المساكن والأبنية والضياع، وقد تطلق على المدن^(٣) .
وقد أُطلق لفظُ القرية وأُريدَ بها مَكَّةُ في القرآن الكريم أربع مرات :

- أولها: على لسان المُسْتَضْعِفِينَ في مكة قبل الهجرة، قال تعالى:
﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ

(١) - أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م)، تحقيق: كمال بسيوني زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ: ١١٩ .

(٢) مقاييس اللغة: ٦٥/٥ .

(٣) ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الإفريقي المصري (ت: ٧١١ هـ - ١٣١١م)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، ط١، دار المعارف، القاهرة: مادة (قرأ): ١٥ / ١٧٤ .

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا وَالْمُسْتَضْعَفِينَ ﴿١﴾، قال القرطبي: (القرية هنا مكة بإجماع المتأولين)^(٢)، فنلاحظ ارتباط ذكر القرية بالظلم .

- وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^(٣)، قال النحاس: (روى معمر عن قتادة قال: القرية: مكة)^(٤)، فارتبط ذكر القرية هنا بالكفر بأنعم الله، والعقاب الواقع عليها بسبب ذلك الكفر، وقد وصف ذلك العقاب بأبلغ صورة، قال الفيروزابادي: (فاستعمال الذوق مع اللباس من أجل إنه أريد به التجربة والاختبار؛ أي: بحيث جعلها تمارس الجوع... فتأمل كيف جمع الذوق واللباس حتى يدل على مباشرة الذوق وإحاطته وشموله، فأفاد الإخبار عن أذاقته أنه واقع مباشر غير منتظر؛ فإنَّ

(١) سورة النساء: آية ٧٥ .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ = ١٢٧٣م)، تحقيق: هشام سمير البخاري، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م: ٢٧٩/٥ .

(٣) سورة النحل: آية ١١٢ .

(٤) معاني القرآن للنحاس: ١٠٩/٤ .

الخوف قد يتوقع ولا يباشر، وأفاد الإخبار عن لباسه أنه محيط شامل كاللباس للبدن^(١).

- وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيِكَ الَّتِي أَخْرَجْنَاكَ أَهْلَكْتَهُمْ فَأَنَا صِرْتُمْ جَنَّتٍ﴾^(٢)، عن قتادة قال: (قريته: مكة)^(٣)، فنلاحظ هنا أيضاً ارتباط ذكر القرية بالهلاك والتوبيخ والتهديد.

- ورابعها: على لسان الكفار المعترضين على جعل النبوة في شخص سيدنا مُحَمَّدٍ ﷺ، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٤)، قال الزمخشري: (والقريتان: مكة والطائف)^(٥)، والملاحظ هنا أيضاً أن السياق ليس في المدح وإنما في ذم أقوال كفار القريتين، فضلاً عن أن اللفظ مثني وسبب التثنية عادة ما يكون للاختصار.

إن المتأمل آيات القرآن الكريم يجد ظاهرة واضحة للعيان، وهي إن ذكر القرى - غالباً - يأتي في سياق التكذيب والهلاك والذم والعقوبة، ومنها:

^(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ = ١٤١٥ م)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م: ٢٣/٣.

^(٢)سورة محمد، آية: ١٣.

^(٣)تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ - ٨٢٧ م)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط ١، مكتبة الرشد الرياض، ١٤١٠ هـ: ٢٢٢/٣.

^(٤)سورة الزخرف، آية: ٣١.

^(٥)الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨ هـ = ١١٤٣ م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٢٥١/٤.

(١) قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمَّا كُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (١).

(٢) وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾ (٢).

(٣) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ (٣).

(٤) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ (٤).

(٥) وقوله تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ (٥).

(٦) وقوله تعالى: ﴿وَكُلَّيْن مِّن قَرْيَةٍ عَنَّتْ عَن أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسِبْنَاهَا حِسَابًا سَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا تُنْكِرًا﴾ (٦). وغيرها كثير .

إذن فالقرآن الكريم يسمي " مكة " قرية " في غير سياق المدح، وإنما في سياق الذم - ذم أهلها طبعاً - والظلم والاعتداء، وإنزال العقوبة وحلول العذاب، ومما هو معلوم أنّ القرى تشتهر بصفتي الجهل والظلم، اللتين تؤدّيان إلى الكفر ومحاربة المصلحين والاعتداء عليهم .

(١) سورة الأنعام، آية: ١٢٣ .

(٢) سورة الأعراف، آية: ٤ .

(٣) سورة الأعراف، آية: ٩٤ .

(٤) سورة الحجر، آية: ٤ .

(٥) سورة الحج، من الآية: ٤٥ .

(٦) سورة الطلاق: آية ٨ .

الاسم الرابع: أم القرى

قال الخليل: (إعلم أنّ كلَّ شيءٍ يُضَمُّ إليه سائرُ ما يليه فإنَّ العرب تسمي ذلك الشيءُ أمًّا، فمن ذلك أمُّ الرأس: وهو الدِّماغ ... وأمُّ القرى مكة، وكلُّ مدينة هي أمُّ ما حولها من القرى)^(١)، وقال الأصفهاني: (ويقال لكلِّ ما كان أصلاً لوجود شيء، أو تربيته أو إصلاحه أو مبدئه أمُّ)^(٢).

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع :

- أولها: قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَّارِكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾^(٣)، قال الطبري: (يقول تعالى: أنزلنا إليك يا مُحَمَّد هذا الكتاب مصدقاً لما قبله من الكتب، ولتنذر به عذاب الله وبأسه من في أمِّ القرى وهي مكة، و من حولها شرقاً وغرباً، من العادلين بربهم إلى غيره من الأنداد والجاحدين برسله، وغيرهم من أصناف الكفار)^(٤)، وهناك أقوال في سبب تسميتها أمِّ القرى، أشهرها :
- ١- لأنَّ الأرض دُحِيَّتٌ من تحتها، قاله قتادة^(٥).
 - ٢- لأنها أول بيت وُضِعَ للناس، قاله السدي^(٦).

(١) العين: مادة أم: ٢/٢١١ .

(٢) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ = ١١٠٨ م):، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ: ٨٥/١.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٩٢ .

(٤) تفسير الطبري: ١١/٥٣١ .

(٥) تفسير القرآن للصنعاني: ٢/٢١٣ .

(٦) تفسير الطبري: ١١/٥٣١ .

٣- قال الحموي: (وقيل سميت مكة أمّ القرى؛ لأنها أقدم القرى التي في جزيرة العرب وأعظمها خطراً، أمّا لإجماع أهل تلك القرى فيها كل سنة، أو انكفائهم إليها وتعويلهم على الاعتصام لما يرجونه من رحمة الله تعالى)^(١).

- وثانيها: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْبُلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾^(٢)، قال القرطبي: (يعني: مكة)^(٣).

- وثالثها: قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٤).

ومن خلال تأمل تلك الآيات ظهر لي أن اسم " أمّ القرى " يأتي دائماً في سياق الإنذار والتحذير من الإعراض عن الدعوة والتهديد بالعذاب.

وفي رأيي - لكي نفهم الغاية من اختيار هذا الاسم في هذا السياق - أنه لابد لنا أن نستحضر في أذهاننا أن مكة المكرمة كانت لها هبة عظيمة لا تكاد تدانيها هبة قبل الإسلام، وكانت لها مكانة في قلوب الموحدين والمشركين على حد سواء، فقد كانت محجاً للجميع فالحنفاء يقصدونها للعبادة، والمشركون يقصدونها للعبادة، ولما فيها من أصنامهم، وكلا الفريقين يعلم حقاً إن من أساء لمكة أصابه العذاب الأليم عاجلاً وأجلاً.

(١) معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ = ١٢٢٩م)، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م: ٤٥٤/١.

(٢) سورة القصص، آية: ٥٩.

(٣) تفسير القرطبي: ٢٦٨/٣.

(٤) سورة الشورى، آية: ٧.

والقرآن الكريم أقرَّ تلك المكانة لمكة، ولكنه حين ينذر الكفار بالعذاب يذكر إنذاره " لأُمِّ الْقُرَى " ؛ لأنه إذا كان الإنذار لتلك القرية العظيمة المنزلة بالهلاك والعذاب فهو من باب أولى يكون لغيرها، فإذا سمع أهل تلك القرى ذلك التحذير أوقع في نفوسهم ما لم يوقعه الإنذار المباشر، وهو يشبه مخاطبة الرئيس وإرادة المرؤوس .

الاسم الخامس: الْبَلَدُ " تَنْكِيْرًا وَتَعْرِيفًا "

قال الخليل: (البلد: كلُّ موضعٍ مُسْتَحْيِزٍ مِنَ الْأَرْضِ، عَامِرٍ أَوْ غَيْرِ عَامِرٍ، خَالٍ أَوْ مَسْكُونٍ، وَالطَّائِفَةُ مِنْهُ بِلَدَةٍ، وَالْجَمِيعُ الْبِلَادُ)^(١) .
وقد أطلق اسم " بلد " بالتتكير على مكة المكرمة في موضعين :
- أحدهما: في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾^(٢) .

وقد قابل ذلك بالتعريف في سورة أخرى، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾^(٣) .
وقد بيّن المناويُّ الفرقَ بين الاستعمالين، فقال: (والفرق بين هذا - أي: بالتعريف - وما هناك - أي: بالتتكير - أنَّ المطلوب هنا مجرد الأمن للبلد، والمطلوب هنالك: البلدية والأمن)^(٤) .

(١) العين: مادة بلد: ٤٢/٨ .

(٢) سورة البقرة، آية: ١٢٦ .

(٣) سورة إبراهيم، آية: ٣٥ .

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير :محمد بن علي بن محمد الشوكاني(ت: ١٢٥٠هـ= ١٨٣٤م)، ط١، دار الفكر، بيروت: ١٥٣/٤ .

وأنا أميل إلى توجيه المناوي، فالسياق يشير إلى ذلك، فقد ذكرت سورة البقرة بناء سيدنا إبراهيم عليه السلام البيت، قال تعالى: ﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١).
وقد بُنيت الكعبة المشرفة بوادٍ غير ذي زرع ولم تكن بلدًا مسكونًا، وليس في ذلك الوادي داع ولا أنيس ولا مجيب ولا دار؛ ولذلك دعا لها أولاً أن يكون ما حولها بلدًا مسكونًا، ثمَّ أن يكون ذلك البلد آمنًا .

إما الموضع الثاني من مواضع التتكير ففي قوله تعالى: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِلَاغِيهِ إِلَّا سِيقَ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٢)، عن عكرمة قال: (البلد: مكة) (٣).
ويبدو لي إنه نكَّرَ " بلد " هنا موافقة للسياق، فالسياق في ذكر فوائد الأنعام قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ (٤)، وأرى أنَّ من تلك الفوائد كونها وسيلة نقل أساسية تنقل الإنسان إلى بلدٍ بالنسبة له نكرة لا يعرف عنه شيئاً، ولهذا فإنَّه نكَّرَ لفظة البلد؛ للإشارة إلى كونه بلدًا بعيداً لا يوصل إليه إلاَّ بمشقة .

(١) سورة البقرة، آية: ١٢٧ .

(٢) سورة النحل، آية: ٧ .

(٣) تفسير الطبري: ١٧٠/١٧ .

(٤) سورة النحل: الآيتان ٥ - ٦ .

ومن مواقع التعريف الأخرى في القرآن الكريم للبلد غير ما ذكرناه قبل قليل قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۗ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۗ﴾ (١)، قال مجاهد: (يعني: مكة) (٢) .

ويبدو إنه سمي مكة البلد هنا؛ لأنه ذكر الحول، والإنسان لا يحلّ إلا ببلد مسكون مأنوس، وأمّا التعريف فلغرض التعظيم، والتعظيم موافق للقسم المذكور في الآية الأولى، وقد ذكر الدكتور فاضل السامرائي فائدة تكرير البلد بقوله: (إنّ هذا أجمل تكرير وأحسنه، ولا يقع الضمير موقعه في الحسن إذ من المعلوم أنّ العرب إذا عُييت بلفظٍ كَرَّرْتَهُ وذلك كأن يكون في موطن التشويق، أو التحسر أو التعظيم أو التهويل وهو هنا لتعظيم البلد الحرام) (٣) .

ونجده في سورة التين لا يكتفي بتعريف البلد وإنما يصفه بالأمين، قال تعالى: ﴿وَاللَّيْنِ وَالرَّيْتُونَ ۗ (١) وَطُورِ سِينِينَ ۗ (٢) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۗ﴾ (٤)، قال أبو حيان: (البلد الأمين: هو مكة، وأمين للمبالغة؛ أي: آمن من فيه ومن دخله وما فيه من طير وحيوان، أو من أمن الرجل بضم الميم أمانة فهو أمين، وأمانته حفظه من دخله، كما يحفظ الرجل ما يؤتمن عليه، ويجوز أن يكون فعيل بمعنى مفعول من أمنه؛ لأنه مأمون

(١) سورة البلد: الآيتان ١ - ٢ .

(٢) تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ = ٧٢٢م)، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م: ٧٢٩ .

(٣) لمسات بيانية في نصوص التنزيل: د . فاضل صالح السامرائي، بدون ذكر الطبعة ولا مكانها ولا سنتها، ٢٢٨ .

(٤) سورة التين، الآيات: ١ - ٣ .

الغوائل، كما وصفه بالأمن في قوله: ﴿حَرَمَاءَ مَنًا ۝٥١﴾^(١)، بمعنى ذي أمن، ومعنى القسم بهذه الأشياء إبانة شرفها وما ظهر فيها من الخير بسكنى الأنبياء والصالحين، فَمَنْبَتُ التين والزيتون مهاجر إبراهيم عليه السلام ومولد عيسى ومنشأه، والطور هو المكان الذي نودي عليه موسى عليه السلام، ومكة مكان مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومبعثه، ومكان البيت الذي هو هدى للعالمين^(٢).

وقد بيّن الدكتور فاضل السامرائي الفائدة من عدم وصف البلد بالأمن في سورة البلد ووصفه بالأمن هنا فقال: (إنه لما جرى ذكر المكابدة في هذا البلد وما استحل به من الحرمات وما أصاب الرسول صلى الله عليه وسلم من المشقة والعنت والتعذيب لم يناسب ذلك ذكر الأمن... كما أن جو السورة يناسب ذكر الأمن، فإنَّ جَوَّ السورة في المكابدة والمشقة حتى إنه لم يذكر جزاء المؤمنين في الآخرة بل ذكر جزاء الكافرين، وهذا الجزاء لا يأمن معه الكافر أبد الأبد، فلم يناسب ذكر الأمن)^(٣).
وعليه فيلوح لي إنه وصف مكة هنا بالبلد الأمين لأمرين :

- أحدهما: إنه لما ذكر أبرز سمة لبيت المقدس وهي التين والزيتون أو جعل التين والزيتون إشارة إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام، فإنه ذكر أبرز سمة لمكة المكرمة وهي كونه البلد الذي يستحق أن يُسمى بلداً، وأنه آمنٌ مَنْ دَخَلَهُ من إنسانٍ أو حيوانٍ .

(١) سورة القصص، آية: ٥٧ .

(٢) البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ = ١٣٤٤م)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م: ٤٨٦/٨ .

(٣) لمسات بيانية: ٢٢٨ .

- وَالْآخِرُ: إِنَّهُ ذَكَرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ جِزَاءَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(١)، فَنَاسِبٌ أَنْ يَذْكَرَ مَعَهَا الْأَمْنُ .

وَأَمَّا ذِكْرُ الْبَلَدِ تَأْنِيثًا فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢)، الْمُرَادُ بِالْبَلَدَةِ هُنَا: مَكَّةُ^(٣) .

قَالَ أَبُو السَّعُودِ: (وَتَخْصِيصُهَا بِالْإِضَافَةِ لِنَقْضِ شَأْنِهَا وَإِجْلَالِ مَكَانِهَا، وَالتَّعَرُّضُ لِتَحْرِيمِهَا تَعَالَى إِيَّاهَا تَشْرِيفٌ لَهَا بَعْدَ تَشْرِيفِهَا، وَتَعْظِيمٌ لِأَثَرِ تَعْظِيمِهَا، مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْإِشْعَارِ بِعِلَّةِ الْأَمْرِ وَمَوْجِبِ الْإِمْتِثَالِ بِهَا)^(٤) .

قَالَ التُّورِبَشْتِيُّ: (وَوَجْهٌ تَسْمِيَّتُهَا بِالْبَلَدَةِ - وَهِيَ تَقَعُ عَلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ - أَنَّهَا الْبَلَدَةُ الْجَامِعَةُ لِلْخَيْرِ، الْمُسْتَحَقَّةُ أَنْ تُسَمَّى بِهَذَا الْاسْمِ لِتَفُوقِهَا سَائِرَ مَسْمِيَّاتِ أَجْنَاسِهَا، حَتَّى كَأَنَّهَا هِيَ الْمَحَلُّ الْمُسْتَحَقَّةُ لِلْإِقَامَةِ بِهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: بَلَدًا بِالْمَكَانِ ؛ أَي: أَقَامَ)^(٥) .

(١) سورة التين: من الآية ٦ .

(٢) سورة النمل، آية: ٩١ .

(٣) تفسير الطبري: ٥١٠/١٩ .

(٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ١٥٧٤هـ=١١٥٧م)، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٣٠٦/٦ .

(٥) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن أحمد العينتابي (ت: ٨٥٥هـ - ١٤٥١هـ)، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت: ٨/١٠ (باب الخطبة أيام منى) .

والذي أميلُ إليه إنه أطلق على مكة " البلدة " هنا؛ لأنه لا يريد كل مكة، وإنما أراد الجزء المخصوص منها بالتحريم " الحَرَم " *، يدلنا على ذلك إنه قال بعدها: " الذي حرّمها " فذكر التحريم لذلك الجزء من مكة، وقد مرَّ بنا قول الخليل أن البلدة طائفة من أجزاء البلد، وليس البلد كله .

ومن جانب آخر فإنَّ في لغة العرب ألفاظاً يذكرونها مرة ويؤنثونها أخرى، فإذا أرادوا نسبتها إلى القوة ذكروها وإن أرادوا نسبتها إلى الضعف والحاجة أنثوها، وبما أنَّ المقام ليس في تعظيم مكة وإنما لتعظيم الله والدعوة إلى عبادته فإنَّه تعالى كأنه أراد أن يخاطب أهل مكة قائلاً: إنَّ هذه البلدة مفتقرةٌ إلى الله، ضعيفةٌ أمامه فهو تعالى بِقُدْرَتِهِ مَنْ حَرَمَهَا فجعل لها تلك الحرمة والمهابة، وتؤكد ذلك عدة أمور، منها: إنه قال بعدها: " الذي حرّمها " وكان من الطبيعي أن يعود الموصول على البلدة بوصفٍ أو خبرٍ، كأن يقال: البلدة التي تسكنون ، ومنها أن اسم البلدة ارتبطت في القرآن بذكر حاجتها إلى الله وامتنانه تعالى بإحيائها، كقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ (٤٨) لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿ (١)، ومنها: ﴿ رَزَقْنَا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ﴾ (٢) .

* مكة المكرمة من الناحية الإدارية تتسع خارج الحرم بمسافات .ينظر في ذلك: مكة المكرمة في الفكر الإسلامي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: د.حمد عبد الكريم البرزنجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م . ١٧٧-١٨٤ .

(١) سورة الفرقان، الآيتان: ٤٨ - ٤٩ .

(٢) سورة ق، آية: ١١ .

الاسم السادس: الحَرَمُ الْأَمِنُ

قال ابن فارس: (الحاء والراء والميم أصلٌ واحدٌ، وهو المنع والتشديد ... والحَرَمَانُ: مكة والمدينة؛ سُمِّيَا بذلك لحرمتهما، وأنه حرم أن يحدث فيهما، أو يؤوى مُحَدِّثٌ) (١).

وقال أيضاً: (أمن: الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضدُّ الخيانة، ومعناها سكونُ القلب . والآخر: التصديق . وبيتٌ آمنٌ: ذو أمن) (٢).

إذن فالمعنى العام للحرم الآمن: هو المكان ذو الحرمة، المانح الأمان لمن يلتجئ إليه*، وليس الأمين في نفسه فحسب .

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في موضعين :

- أحدهما: في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا إِن نَّبِيعَ الْأُمْدَى مَعَكَ نَنخَطِفُ مِنْ أَرْضِنَا أَوْلَمْ نُمَكِّنْ لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا يُجِئُ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥١) (٣)، روي أنها نزلت في الحرث بن عثمان بن عبد مناف، ((وذلك أنه قال للنبي ﷺ: إنا لنعلم أن الذي تقول حقٌّ، ولكن يمنعنا من اتباعك أن العرب تخطفنا من أرضنا لإجماعهم على خلافنا، ولا طاقة لنا بهم)) (٤).

(١) مقاييس اللغة: ٤٥/٢ .

(٢) المصدر نفسه: ١٣٤/١ .

* لأنه عدل إلى صيغة اسم الفاعل (أمن) فلو قلنا: فلان نافع، فإنه أبلغ من منفع ؛

لأنَّ النافع هو من يمنح غيره النفع .

(٣) سورة القصص، آية: ٥٧ .

(٤) أسباب النزول: ٢٢٨ .

ومعنى حرماً آمناً: (ذا أمن، وذلك أن العرب كانت في الجاهلية يُغَيِّرُ بعضُهُم على بعض، ويقتل بعضهم بعضاً، وأهل مكة آمنون حيث كانوا، بحرمة البيت)^(١).

يقول حسن رفاعي: (وقوله تعالى: " نتخطف من أرضنا " مُشْعِرٌ في جوهره ومضمونه أنهم ؛ أي: الكفار من قريش مزجوا رفضهم الإنكاري بمحاولة إبرازها في دواخل أنفسهم من خوف من أنهم إذا ما اسلموا أخرجتهم العرب من الحرم، هكذا تصوروا، وهكذا زعموا)^(٢).

مماً مر يظهر لي إنه اختار هنا " حرماً آمناً " ؛ لما يأتي :

(١) إنَّ المقام في الرد على زعم الكفار أن الناس تتكالب عليهم وتأخذهم في سرعة واستلاب^(٣) إنَّهم آمنوا، فكان لا بد من ردٍّ قوي يتناسب وقوة تصويرهم للعرب المتداخل في نفوسهم ؛ ولذلك ذكرهم القرآن أنهم في " حرم آمن " والحرم وحده يعيذ الملتجئ إليه ويصونه ويحميه، فكيف به وقد وصفه القرآن بأنه آمن؟! :

وَوَصَفُ الحَرَمِ بِأَنَّهُ آمِنٌ أَبْلَغُ مِنْ وَصْفِ أَهْلِهِ بِذَلِكَ - كما يبدو لي - لِأَنَّ الحَرَمَ جَمَادٌ - أَحْجَارٌ وَجِبَالٌ وَشَعَابٌ وَوُدْيَانٌ - فَإِذَا امْتَدَّ الأَمَانُ لِيَشْمَلَ الجَمَادَاتِ، أَوْ لِنَقْلِ: لِنَشْعُرِ بِهِ حَتَّى الجَمَادَاتِ، فَكَيْفَ بِالأَحْيَاءِ ؟ ! لا شك أنهم يشعرون بأعلى درجات الأمان والطمأنينة والسكون .

(٢) لا يمكن أن ينصرف الذهن إلى غير مكة، فالخطاب جواباً لأهلها القائلين نتخطف من أرضنا .

(١) تفسير القرطبي: ٢٦٦/١٣ .

(٢) تفسير آيات الجدل في القرآن الكريم: حسن رفاعي، ط ١، القاهرة ، ١٩٩٤ م : ٤٩٧ .

(٣) ينظر: تفسير الطبري: ٦٠١/١٩ .

٣) في الآية إشارة إلى شدة اعتزاز أهل مكة ببلدتهم لقولهم: أرضنا، فكان جواب القرآن لهم بأن لا يرتكز في ذنهم بأنها أرض للسكن فحسب، بل هي حرم آمن .

ومن عادة الإنسان إذا سكن أرضاً فمن شدة اعتياده على حرمتها فإنه ينسى ذلك، فيبقى التعلق بها بكونها وطناً فحسب، ناسياً نعمتها وحرمتها .

الاسم السابع: وادٍ غير ذي زرع

وقد ورد في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي

زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿١﴾، قال أبو حيان: ("ومن للتبعيض ؛ لأنَّ إسحاق كان في الشام، والوادي بين الجبلين، وليس من شرطه أن يكون فيه ماء، وإنما قال غير ذي زرع؛ لأنه كان علم أن الله لا يضيع هاجر وابنها في ذلك الوادي، وأنه يرزقهما الماء، وإنما نظر النظر البعيد فقال: غير ذي زرع، ولو لم يعلم ذلك من الله تعالى لقال: غير ذي ماء، على ما كانت عليه حال الوادي عند ذلك) (٢) .

ويبدو لي: إنه ذكر مكة بهذا الاسم أو هذا الوصف لما يأتي :

(١) إن سيدنا إبراهيم كان في مقام الدعاء، ومقام الدعاء يقتضي إظهار الضعف والتذلل لله سبحانه وتعالى، لكي يكون الدعاء أقرب إلى الإجابة، وعليه فإن سيدنا إبراهيم عليه السلام أراد استدرار رحمة الله واستئصال بركاته بالإجابة، فكأنه خاطبه قائلاً :

أ- يا إلهي هؤلاء بعض ذريتي - لأنه قال: من ذريتي - ، وفي ذلك إشارة لانفرادهم بالسكن في ذلك الوادي الذي لا أنيس فيه، وهم قلة "

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٧ .

(٢) البحر المحيط: ٤٢٠/٥ .

إسماعيل وهاجر " فهم منفردون ؛ أي: في وحشة، والوحشة مؤلمة، فارحمهم .

ب- في قوله " بوادٍ " نوعٌ آخر من التذلل، فعادةً ما يكون الوادي مخيفاً ولاسيما إذا أحاطت به الجبال العظيمة كجبال مكة، وكذلك استعمال الباء بدل " في " فيه إشارة أخرى إلى كونهم أسفل الوادي، فكأنهم منتصقين بأسفله، وذلك أدعى للوحشة والخوف .

ج- في قوله " غير ذي زرع " إشارة أخرى إلى التذلل فهو خبرٌ خرج لمعنى الدعاء باستعمال أسلوب التذلل، فكأن إبراهيم يقول: يا رب رحمتك بهؤلاء، فلا زرع يأكلون منه، ولا نبت يتقوتون به، وقد تكون في لفظه الزرع إشارة إلى البشر أيضاً . ذلك كله من جانب سيدنا إبراهيم عليه السلام... أما من جانب الله تعالى ..

٢) فإنَّ الله تعالى قال قبل ذكر آيات سيدنا إبراهيم عليه السلام، وبعد أن عدَّ نعمه على عباده: ﴿وَمَا آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ تَعَدُّوا^(١)﴾، إذن فهو تعالى يريد أن يذكر امتنانه باستجابة دعاء عباده ؛ فلذلك ذكر على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام أصعب وصف لمكة آنذاك، وهو كونها لا تنبتُ زرعاً .

الاسم الثامن: مخرج الصدق

قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا^(٢)﴾، قال الصنعاني: (عن قتادة قال: مُدْخَلَ صِدْقٍ: المدينة، ومُخْرَجَ صِدْقٍ: مكة)^(٣)، وقد نقل الطبري هذا القول

(١) سورة إبراهيم، آية: ٣٤ .

(٢) سورة الإسراء، آية: ٨٠ .

(٣) تفسير القرآن: ٣٨٩/٢ .

عن ابن عباس رضي الله عنهما، والحسن، وابن زيد، ثم ذكر الطبري أن ذلك الرأي هو أولى الأقوال بالصواب^(١).

وقال ابن منظور: (أما المخرج فقد يكون مصدر قولك أخرجته، والمفعول به واسم المكان والوقت، تقول: أخرجني مخرج صدق، وهذا مخرج^(٢)).

وقال الواحدي: (ومعناها أدخلني المدينة إدخال صدق؛ أي: إدخالاً حسناً لا أرى فيه ما أكره، وأخرجني من مكة إخراج صدق لا التفت إليها بقلبي)^(٣).

وقال الشوكاني: (وهما مصدران بمعنى الإدخال والإخراج، والإضافة إلى الصدق لأجل المبالغة، نحو: حاتم الجود؛ أي: إدخالاً يستأهل أن يسمى إدخالاً ولا يرى فيه ما يكره)^(٤).

قال الواحدي: (وإضافتهما إلى الصدق مدح لهما، وكل شيء أضفته إلى الصدق فهو مدح)^(٥).

وقال سيد قطب: (وهو دعاء يعلمه الله لنبيه ليدعوه به، ولتعلم أمته كيف تدعو الله وفيه تتجه إليه، دعاءً بصدق المدخل وصدق المخرج، كنايةً عن صدق الرحلة كلها، بدئها وختامها، أولها وآخرها، وما بين الأول والآخر، وللصدق هنا قيمته بمناسبة ما حاوله المشركون

(١) تفسير الطبري: ٥٣٣/١٧ - ٥٣٥.

(٢) لسان العرب: مادة (خرج): ٢٤٩/٢.

(٣) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٦٤٥/٢.

(٤) - فتح القدير: ٢٩٩/٣.

(٥) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٦٤٥/٢.

من فتنته عما أنزلَ اللهُ عليه ليفتري على الله غيره، وللصدق كذلك
ظلالُهُ: ظلالُ الثَّبات، والاطمئنان، والنظافة، والإخلاص^(١).

ولكي نعرف الظروف المحيطة بالآية لابد لنا أن نعرِّج على
سبب نزولها، فعن الحسن أن كفار قريش لما أرادوا أن يوتقوا النبي ﷺ
ويخرجوه من مكة أراد الله تعالى بقاء أهل مكة، وأمر نبيه أن يخرج
مهاجراً إلى المدينة، ونزل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ادْخُلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ
وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾^(٢) (٣) الآية .

وبناء على ذلك يبدو لي أن الله تعالى علّم نبيه ﷺ ذلك الدعاء
ليستجيب له فتكون النتيجة أنه لا يؤذَى عند خروجه من مكة، وقد
ذكرت السورة محاولة إخراج المشركين رسول الله ﷺ إخراجاً فيه
إساءة وأذى، قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ
مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٤)، فسمى الله مكة " مخرج
الصدق " ليكون الخروج ليس فيه أيّ أذى .

ويلوح لي أيضاً أن الله تعالى سمّى مكة مخرج صدق مدحاً لها
وتعظيماً لمكانتها وإشارة إلى فضلها، فقد يتبادر إلى الأذهان أن للمدينة
المنورة مكانة عظيمة، وليست لمكة أيُّ مكانة بعد خروج رسول الله ﷺ
منها، ولكن هنا أشار القرآن إلى أفضلية المدينة المنورة عند ذكرها أولاً
بذكر مدخل الصدق قبل مخرج صدق، فمن المعروف عقلاً أن الخروج
يكون أولاً ثم يأتي الدخول، ولكن ذكر المدينة أولاً " مدخل الصدق "

^(١) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ = ١٩٦٦م)

ط١٧، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤١٢ هـ: ٤/ ٢٢٤٧ .

^(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٠ .

^(٣) أسباب النزول للواحي: ١٩٧ .

^(٤) سورة الإسراء، آية: ٧٦ .

لأنَّها هي المقصود من تلك الرحلة العظيمة، وإليها انتهاء الغاية، ثم ذكر مكة بالوصف نفسه وبالإضافة نفسها إلى الصدق تعظيماً لمكانتها، ولكي لا يُنسى فضلها بعد ارتفاع منزلة المدينة وسُمُوها على ما سواها بحلول رسول الله ﷺ فيها .

المبحث الثاني أَسْمَاءُ الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ

ذَكَرَ العلماءُ والمؤرِّخونَ للمدينة المنورة أسماءً كثيرة، فمنهم من ذكر لها أربعة أسماء^(١)، ومنهم من ذكر لها عشرة أسماء^(٢)، ومنهم من ذكر لها أحد عشر اسماً^(٣)، ومنهم من ذكر لها تسعة وعشرين اسماً^(٤)، وقد جمع الدكتور محمد إلياس عبد الغني لها أربعة وستين اسماً^(٥) .

(١) ينظر: تاريخ المدينة المنورة: أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت: ٢٦٢ هـ — ١١٩١ م)، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، لم تذكر الطبعة ولا سنتها ولا مكانها: ١٦٣ / ١ .

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ١٦٢ / ١ .

(٣) ينظر: الدررة الثمينة في أخبار المدينة: أبو عبد الله محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار (ت: ٦٤٣ هـ — ١٤٦٦ م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط ١، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣ م : ٥١ .

(٤) ينظر: تاريخ المدينة المنورة المختصر: إعداد جماعة من العلماء بإشراف صفي الرحمن المباركفوري، ط ١، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢ م : ١٢ .

(٥) ينظر: تاريخ المدينة المنورة المصور: د . محمد إلياس عبد الغني، ط ١، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ — ٢٠٠٣ م : ٧ .

ومن الأسماء التي ذكرها هؤلاء العلماء: يثرب، والمدينة، وطيبة، وطابة، والشافية، والجابرة، وغيرها^(١)، ولكن ما ورد منها في القرآن ثلاثة أسماء: اثنان متفقٌ عليهما على أنَّهما من أسمائها، وهما: يثرب والمدينة، والثالث مختلف فيه، وهو مدخل الصدق .

الاسم الأول: المدينة

قال الجوهري: (مَدَنَ بِالْمَكَانِ: أَقَامَ بِهِ، وَمِنْهُ سُمِّيَتِ الْمَدِينَةُ، وَهِيَ فَعِيلَةٌ وَتُجْمَعُ عَلَى مَدَائِنَ - بِالْهَمْزِ - وَتَجْمَعُ أَيْضًا عَلَى مَدُنٍ وَمَدُنٍ)^(٢) .

وقال ابن منظور: (كُلُّ أَرْضٍ يُبْنَى بِهَا حَصْنٌ فِي أَصْطَمْتِهَا* فَهِيَ مَدِينَةٌ)^(٣) .

وقال الزبيدي: (والمدينةُ اسمُ مدينةِ النبي ﷺ خاصة، غلبت عليها تَفْخِيمًا لها، شَرَّفَهَا اللهُ تَعَالَى وَصَانَهَا، وَلَهَا أَسْمَاءُ جَمَعْتُهَا فِي كِرَاسَةٍ)^(٤) .

إذن المدينة تعني الاستقرار، كما ترمز إلى التحصن .

(١) ينظر: للاستزادة: المدينة المنورة في الفكر الإسلامي: د . حمد عبد الكريم البرزنجي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، (١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م): ١٦ - ١٧ .

(٢) الصحاح في اللغة (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري(ت: ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣ م) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م: مادة (مدن): ٢٢٠/١/٦ .

* اصطمته الشيء: مجتمعه ووسطه، العين: مادة (سطم): ٢٢١/٧ .

(٣) لسان العرب: مادة (مدن): ٤٠٢/٣ .

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي(ت: ١٢٠٥ هـ = ١٧٩٠ م)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية: مادة (مدن): ١٥٧/٣٦ .

وقد ورد لفظ " المدينة " وأُرِيدَ به المدينة المنورة في القرآن الكريم أربع مرات، اثنتان منهما في سورة التوبة :

- الأولى: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَيْنَا عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾ (١) .

ويبدو لي إِنَّهُ سَمَّى المدينة باسمها المعروف لأمر :

- أولها: إِنَّ الآية في سياق عدة آيات تحذر بشدة من المنافقين، وخطر المنافقين كما هو معلومٌ أشد من خطر المشركين والكفار، فكان لابد من فضحهم وبيان مكائدهم ومحال وجودهم، ولابد أن يكون كل ذلك بصراحة ووضوح، غير قابل للتأويل ولذلك سُمي المدينة باسمها ؛ ولئلا ينصرف الذهن إلى غيرها، أو يكون الأمر قابلاً للتأويل والتحريف .

وهناك أمر آخر أرى الإشارة إليه وهو: لماذا قال "من أهل المدينة" ولم يقل "من المدينة" ؟

يبدو لي أَنَّ السبب في ذلك هو أَنَّ القرآن الكريم أراد من المؤمنين أن يحتاطوا ويحذروا الخونة - من المنافقين - من أهل الدار، فكأنه يقول لهم: إحذروا فالخونة من سكنة المدينة القدامى الذين هم أهلها، فلا تأمنوهم .. وذلك أبلغ في إيقاع الحذر في النفوس .

- وثانيها: إِنَّ الكلام ليس عن المدينة أصلاً، وإنما الكلام

مُنْصَبٌ على المنافقين، فتسمية المدينة بغير اسمها لا فائدة منه في مثل هذا الموضع، بل قد يُشْتَتُّ الأذهان فيما لا طائل تحته .

- وثالثها: إِنَّ تسمية الأشياء بمسمياتها لهُوَ أوقع في نفوس المنافقين من ذكرها بوصفها أو التلميح إليها؛ وذلك لأنَّ إيمان المنافقين أصله

(١) سورة التوبة، آية: ١٠١ .

المراوغة والخداع والتدليس، فالخطاب الواضح الذي لا لبس فيه يوقع في نفوسهم الرعب، حتى كأننا حين نقرأ تلك الآيات نشعر كأن القرآن الكريم قد صرح - أو كاد أن يُصرِّحَ - حتى بأسمائهم بعد التصريح المباشر بأوصافهم وأماكن سكناهم .

- والآية الثانية: وهي بعد الآية السابقة بآيات قلائل، قال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْغُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾^(١)، غير أن في هذه الآية عتاباً شديداً للمتخلفين من المؤمنين، قال أبو حيان: (نزلت فيمن تخلف عن غزوة تبوك، وفيمن تخلف ممن حولهم من الإعراب من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم و غفار)^(٢) .

وقال البيضاوي: (ما كان لأهل المدينة: نهى عبّر به بصيغة النفي؛ للمبالغة)^(٣)، وقال سيد قطب: (إنَّ أهل المدينة هم الذين تبنا هذه الدعوة وهذه الحركة، فهم أهلها الأقربون، وهُمُ بِهَا وَلَهَا، وهم الذين آووا رسول الله ﷺ وبايعوه، وهم الذين باتوا يُمَثِّلُونَ القاعدة الصلبة لهذا الدين في مجتمع الجزيرة كله، وكذلك القبائل الضاربة من حول المدينة وقد أسلمت، وبانت تَوْلَف الحزام الخارجي للقاعدة، فهؤلاء وهؤلاء ليس لهم أن يتخلفوا عن رسول الله ﷺ، وليس لهم أن يُؤثِّروا أنفسهم على

(١) سورة التوبة: آية ١٢٠ .

(٢) البحر المحيط: ١١٤/٥ .

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: ٦٩١هـ = ١٢٩٢م)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ: ١٠١/٣ .

نفسه ... وحين يخرج رسول الله ﷺ في الحر أو البارد، في الشدة أو الرخاء، في اليسر أو العسر، ليواجه تكاليف هذه الدعوة وأعبائها، فإنه لا يحق لأهل المدينة - أصحاب الدعوة - ومن حولهم من الأعراب، وهم قريبيون من شخص رسول الله ﷺ، ولا عذر لهم في أن لا يكونوا قد علموا أن يشفقوا على أنفسهم مما يحتمله رسول الله ﷺ، من أجل هذه الاعتبارات يهتف بهم أن يتقوا الله، وأن يكونوا مع الصادقين الذين لم يتخلفوا، ولم تحدثهم نفوسهم بتخلف، ولم يتزلزل إيمانهم في العسرة ولم يتزعزع... وهم الصفة المختارة من السابقين والذين اتبعوهم بإحسان^(١).

إذن السياق هنا مختلف، والمقام مقام عتاب؛ ولذلك يبدو لي إنه ذكر المدينة باسمها لما يأتي:

(١) تذكير المؤمنين المتخلفين بأنهم من "المدينة" تلك المدينة العظيمة التي استقبلت رسول الله ﷺ ودعوته بالأحضان المشتاقة المتلهفة إلى أنواره، وإلى دعوته إلى سعادة الدنيا والآخرة، بخلاف كل مدن الأرض التي ناصبته العداة آنذاك، ومنها مكة بلده الأم، فكان القرآن الكريم يخاطبهم قائلاً: إِنَّ التَّخْلُفَ أَمْرٌ لَا يَصِحُّ وَقُوعُهُ أَصْلًا مِنْكُمْ؛ لَأَنْكُمْ أَهْلُ الْمَدِينَةِ الَّتِي أَدْخَلْتُ السَّرُورَ عَلَى قَلْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَاحْتَضَنْتُهُ وَدَعْوَتَهُ .

(٢) في الآية تلميح إلى أن التخلف عن رسول الله ﷺ يشبهه عمل المنافقين، ويظهر ذلك واضحاً عند تأمل أسلوب الآيتين الأولى والثانية فهما تكادان تتطابقان من حيث الألفاظ: ﴿وَمَنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾^(٢)

(١) في ظلال القرآن: ٣/ ١٧٣٣ .

(٢) سورة التوبة، من الآية: ١٠١ .

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﴾^(١)

فبين الآيتين تسع آيات فقط .

(٣) وليست هذه الآية في سياق مدح المدينة أو ذكر مزاياها، إنما

هي في سياق عتاب أهلها كما مر .

* الآية الثالثة: وهي أيضاً في سياق ذم المنافقين وتحذيرهم تحذيراً

شديداً، قال تعالى: ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ

وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢)،

قال ابن عطية: (اللام في قوله تعالى " لئن " هي المؤذنة بمجيء القسم

واللام في " لنغربنك " هي لام القسم وتوعد الله تعالى هذه الأصناف في

هذه الآية وقرن توعدده بقريضة متابعتهم وتركهم الانتهاء)^(٣)، وقال ابن

كثير: (يقول الله تعالى متوعداً للمنافقين وهم الذين يظهرن الإيمان

ويبتغون الكفر، والذين في قلوبهم مرض ؛ أي: الزناة، والمرجفون؛

أي: الذين يقولون جاءت الأعداء، وجاءت الحروب وهو كذبٌ

وافتراءٌ، لئن لم ينتهوا عن ذلك ويرجعوا إلى الحق، لنسلطنك عليهم ثم

لا يجاورونك في المدينة إلا قليلاً)^(٤)، وقال أبو السعود: (لنغربنك بهم ؛

أي: لنامرنك بقتالهم وإجلائهم، أو بما يضطرهم إلى الجلاء ولنحرضنك

(١) سورة التوبة، من الآية: ١٢٠ .

(٢) سورة الأحزاب، آية: ٦٠ .

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية

الأندلسي(ت: ٥٤٢ هـ = ١١٤٨م)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد،

ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م: ٣٩٩/٤ .

(٤) تفسير القرآن العظيم: (تفسير ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير

القرشي البصري ثم الدمشقي(ت: ٧٧٤هـ = ١٣٧٣م)، تحقيق: سامي بن محمد

سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م: ٦ / ٤٨٢ - ٤٨٣

على ذلك " ثم لا يجاورونك " عطف على جواب القسم و" ثم " للدلالة على أن الجلاء ومفارقة جوار الرسول ﷺ أعظم ما يصيبهم فيها^(١) . ولعله ذكر المدينة باسمها هنا فضلاً عما سبق؛ لأنّ في الآية تحذيراً شديداً للمنافقين من عواقب إساءاتهم المتكررة في المدينة ؛ للإشارة إلى نهي النبي ﷺ وتحذيره كثيراً من الإساءة فيها بقوله: ((الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيْرٍ إِلَى ثَوْرٍ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدِيثًا أَوْ آوَى مُحْدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفٌ وَلَا عَدْلٌ))^(٢)، إذن المقام هنا مقام التحذير من الإساءة إلى المدينة وأهلها بالإرجاف ؛ ويؤكد ذلك إنه أشار إليهم أنهم إذا استمروا في إساءاتهم لتلك المدينة فسيكون الجزاء من جنس العمل، وذلك بإخراجهم من المدينة التي عاشوا فيها حياتهم .

* الآية الرابعة: وهي وإن كانت في سياق الكلام عن النفاق وأهله، لكن هنا الناطق باسم المدينة مختلف، فهو المنافقون أنفسهم، لا الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرُضُ مِنْهَا الْأَذْلَ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ لِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ اللَّهُ^(٣)، قال قتادة: (ذكر لنا أن رجلين اقتتلا: رجل من جهينة ورجل من غفار، فظهر الغفاري على الجهيني، فنادى عبد الله بن أبيّ: يا بني الأوس أنصروا أخاكم، فوالله ما مثلنا ومثل مُحَمَّدٍ إِلَّا كَمَا قَالَ الْقَائِلُ: سَمَنْ كَلْبِكَ يَا كَلْبُكَ، فوالله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذل، فسمع بها رجل

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ١١٥/٧ .

(٢) صحيح البخاري: ١١٥٧/٣ رقم الحديث: ٣٠٠١ ؛ صحيح مسلم: ٩٩٤/٢، رقم الحديث: ١٣٧٠ .

(٣) سورة المنافقون، آية: ٨ .

من المسلمين فجاء إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فأرسل إليه فجعل يحلف بالله ما قال، وأنزل الله تعالى هذه الآية^(١).

وبناءً على ذلك فإنه يظهر لي أن القرآن الكريم إنما ذكر المدينة باسمها لأنه أراد فضح ذلك المنافق الذي أقسم كاذباً، فكان لابد من ذكر قوله نصاً فلم يك من المقنع أن تحذف أي لفظة مما قاله ومنها " المدينة " ؛ ليكون ذلك أشد تبكيتاً له وفضحاً لقومه، فلو ذكر " المدينة " مثلاً بغير اسمها لكان ذلك المنافق اشد إنكاراً، وليس هو فحسب بل سامعوه ؛ لأنه قال ذلك الكلام في مجمع من الناس منهم المنافق ومنهم المؤمن .

الاسم الثاني: يثرب

قال الخليل: (التَّربُ شحمٌ رقيقٌ يغشي الكرش والأمعاء والجمع ثروبٌ، وقوله ﷺ: ﴿لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ أَيُّومَ﴾^(٢)، أي: لا لومَ عليكم، والتثريب: الإفساد، والتثريب بالذنب، لا أثرب عليك^(٣) .

وذكر ابن منظور عدة معانٍ للتَّرب وما يشتق منه، ومنها^(٤):

- أ- التثريبُ كالتأنيب .
 - ب- التعبيرُ بالذنب .
 - ج- الاستقصاءُ في اللوم .
 - د- الثارب: الموبِّخ .
 - هـ- المُثْرَبُ: قليلُ العطاء، الذي يَمَنُّ بما أُعطي .
 - و- ثرَّبت عليهم فعلهم: قَبَّحتُ عليهم فعلهم .
- هذا ما كان من أقوال أهل اللغة في الاشتقاق اللغوي ليثرب .

(١) أسباب النزول للواحي: ١٧٠ .

(٢) سورة يوسف، من الآية: ٩٢ .

(٣) العين: مادة (ثرب): ٢٢٢/٨ .

(٤) لسان العرب: مادة (ثرب) ٢٣٤/١ .

أما علماء البلدان فقد مال الحموي إلى أن يثرب مدينة رسول الله ﷺ (سميت بذلك؛ لأن أول من سكنها عند التفريق يثرب بن قانية بن مهلائيل بن إرم بن عبيل بن عوض بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، فلما نزلها رسول الله ﷺ سمّاها طيبة، وطابة كراهية للتثريب؛ وسميت مدينة الرسول ﷺ لنزوله بها) ^(١)، ولم يُسَلَّم الحموي إلى كون " يثرب " مشتقاً من التثريب .

ثم قال الحموي: (ثم اختلفوا، فقليل: إن يثرب للناحية التي منها مدينة الرسول ﷺ، وقال آخرون: بل يثرب ناحية من مدينة النبي ﷺ) ^(٢).

وأياً كان الأصل فقد ظهر لي إنه كان ليثرب نصيب من اسمها - قبل حلول رسول الله ﷺ فيها - فقد كانت أرض مشقة وشدة وجهد؛ ولذلك غير رسول الله ﷺ اسمها ليكون طيبة .

ويدلنا على أنها كانت أرض مشقة وشدة ما يأتي :

- **أولاً:** إنها كانت أرضاً مُحَمَّةً ؛ أي: تصيب من يسكنها الحمى الشديدة، وقد ورد في الصحيح أن سيدنا بلالاً وسيدنا أبا بكر الصديق رضي الله عنهما قد أصابتهما حمى المدينة بعد نزولهم فيها بعد الهجرة ^(٣) .

(١) معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي (ت: ٦٢٦هـ - ١٢٢٩م)، دار الفكر، بيروت: ٤٣٠/٥ .

(٢) معجم البلدان : ٣٣٧/٤ .

(٣) ينظر: صحيح البخاري: ٦٦٧/٢، رقم الحديث: ١٧٩٠ ؛ وينظر: صحيح مسلم: ١٠٠٣/٢، رقم الحديث: ١٣٧٦ .

- **ثانياً:** إِنَّ الرَسُولَ ﷺ دَعَا اللَّهَ أَنْ يَنْقَلَ حُمَاهَا إِلَى خَارِجِهَا^(١)، وَلَكِنْ بَعْدَ دُخُولِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَغَيَّرَ كُلُّ ذَلِكَ حَتَّى قَالَ ﷺ: ((مَنْ قَالَ لِلْمَدِينَةِ يَثْرِبُ فَلَيْسَتْغْفِرَ اللَّهُ، هِيَ طَيْبَةٌ "ثَلَاثَ مَرَّاتٍ"))^(٢).

وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم مرة واحدة، قال تعالى:

﴿وإِذْ قَالَتِ طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا نُوحٍ^(٣).

وهذه الآية تحكي لنا مشهداً من مشاهد معركة الخندق .

قال الطبري: (وإذ قال بعض المنافقين: يا أهل يثرب، ويثرب اسم أرض فيقال: إِنَّ مَدِينَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَاحِيَةِ مَنْ يَثْرِبُ، وَقَوْلُهُ "لَا مَقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا" بفتح الميم من مقام، يقول: لا مكان لكم، تقومون فيه، فارجعوا إلى منازلكم فأمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ والفرار منه وترك رسول الله ﷺ، وقيل: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ قَيْلِ أَوْسِ بْنِ فَيْضِي، وَمَنْ وَاظَفَهُ عَلَى رَأْيِهِ)^(٤).

قال الإمام البقاعي مبيناً سبب الإتيان بهذا الاسم هنا: (عدلوا عن الاسم الذي وَسَمَهَا بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تسليماً كثيراً من المدينة وطيبة لحسنه إلى الاسم الذي كانت تدعى به قديماً مع احتمال قبحه باشتقاقه من الثرب الذي هو اللوم والتعنيف ؛

(١) ينظر: صحيح البخاري: ٦٦٧/٢، رقم الحديث: ١٧٩٠ ؛ وينظر: صحيح مسلم: ١٠٠٣/٢، رقم الحديث: ١٣٧٦ .

(٢) مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ - ٨٢٧ م)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، المكتب الإعلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ: ٢٦٧/٩، رقم الحديث ١٧١٦٧ .

(٣) سورة الأحزاب: آية ١٣ .

(٤) تفسير الطبري: ٢٠/٢٢٤ .

إظهاراً للعدول عن الإسلام^(١)، وقال الأستاذ بسام جرار: (أمّا يثرب فقد ماتت، ولم تعد تعني أحدًا من الناس، إلا ما كان من بعض المنتفضين في مرحلة الجاهلية، من أمثال عبد الله بن أبي بن سلول، الذي توقع وتمنى زوال المدينة، وذلك عندما رأى الأحزاب تُطبق بجيوشها على أطرافها، فكانت منه الصيحة التي تكشف عن أسرار القلوب، وتعلن عن رغائب الموتورين من أعداء الحقيقة، وأعداء المدينة الفاضلة: " وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا... ". وإذا كانت يثرب أمنية بعض المنافقين فإنّ المدينة ستبقى أمنية الإنسانية جمعاء^(٢)).

وأنا أميل إلى توجيه البقاعي، فقد قال تعالى قبل تلك الآية:

﴿وَلِذَٰلِكَ يَقُولُ الْمَنَّافُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(٣)،

فقد كفروا بالله ورسوله ثم تخلوا عن رسوله، وحثوا الناس على ذلك، ولكن فضلاً عما ذكر البقاعي فإنه يبدو لي أنهم ذكروا يثرب لأمر لعل منها :

(١) إنهم حاولوا التأثير على المؤمنين ولومهم لوماً شديداً وتعنيفهم، فناسب هذا الأسلوب أن يذكروا اسم "يثرب" بما تنثيره في النفوس من دلالات اللوم والعتب والتقريع، لعل ذلك يؤثر في نفوسهم فيتخلوا عن رسول الله .

(٢) ولعلمهم حاولوا أن يعيدوا إلى أذهانهم بذكر الاسم القديم للمدينة أنهم كانوا قبل مجيء الرسول ﷺ، وقبل تغيير اسم المدينة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي(ت: ٨٨٥ هـ —

١٤٨٠م) ، ط ٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣ هـ: ٣٠٦ / ٥ .

(٢) — من أسرار الأسماء في القرآن الكريم: بسام نهاد جرار، مركز نون للدراسات

والأبحاث القرآنية، ط١، البيرة، فلسطين، ١٤٢٤هـ=٢٠٠٣م: ٨١ .

(٣) سورة الأحزاب، آية: ١٢ .

بحلوله فيها أهل منعة لا تجتمع الناس على قتالهم، وكل ذلك لعله يكون مدخلاً إلى التأثير في نفوسهم .

(٣) إنهم كانوا - أي: المنافقون - يشعرون بالشدّة والضيق فلم يجدوا لفظة تعبر عمّا تجيش به صدورهم من ذلك الحق والضيق من " يثرب " فاتخذوها متنفساً، ولاسيما أنّهم كانوا يخاطبون قوماً فيهم المؤمن القوي والمؤمن الضعيف والمتردد بسبب اجتماع الأحزاب لقتالهم وتخلل الخوف إلى نفوسهم، فكانوا لا يستطيعون التصريح بكفرهم، وإنما يحاولون التنفيس عنه بأيّ شيء كان .

الاسم الثالث: مَدْخَلُ الصَّدَقِ

وهو الاسم المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مَدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴾^(١)، وقد مر بنا تفصيل الآية في أسماء مكة، قال أبو شامة: (ومَدْخَلًا بالضمِّ إمَّا مصدرٌ، أو اسمُ مكانٍ)^(٢) .

وقال الفيروز آبادي: (والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد)^(٣)، وقال أيضاً: (فمدخل الصدق ومخرج الصدق أن يكون دخوله وخروجه حقاً ثابتاً لله تعالى ومرضاته، متصلاً بالظفر ببغيته وحصول المطلوب، ضد مخرج الكذب ومدخله الذي لا غاية له يوصل إليها، ولا له ساق ثابتة يقوم عليها

(١) سورة الإسراء، آية: ٨٠ .

(٢) إبراز المعاني من حرز الأمانى: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت: ٦٦٥ هـ = ١٢٦٧م)، ١٤، دار الكتب العلمية، بيروت: ٤١٦ .

(٣) بصائر ذوي التمييز: ٣/٣٩٩ .

كمخرج أعدائه يوم بدر، ومخرج صدق كمرجه هو وأصحابه في ذلك الغزو، وكذلك مدخله المدينة كان مدخل صدق بالله، والله، وابتغاء مرضات الله، فاتَّصل به التأييدُ والظفر والنصر وإدراك ما طلبه في الدنيا والآخرة، بخلاف مدخل الكذب الذي رام أعداؤه أن يدخلوا به المدينة يوم الأحزاب، فإنه لم يكن بالله ولا الله، بل محادة لله ورسوله فلم يتصل به إلا الخذلان والبورار، وكذلك مدخل من دخل من اليهود والمحاربين لرسول الله ﷺ حصن بني قريظة فإنه لما كان مدخل كذب أصابهم ما أصابهم، وكلُّ مدخلٍ ومخرجٍ كان بالله والله وصاحبه ضامن على الله فهو مدخل صدق ومخرج صدق ؛ ولذلك فسر مدخل الصدق ومخرجه بخروجه من مكة ودخوله المدينة ولا ريب أن هذا على سبيل التمثيل كان هذا المدخل بالمخرج من أجل مداخلة ومخارجه ﷺ وإلا فمدخله ومخارجه كلها مداخل صدق ومخارج صدق^(١) .

ويلوح لي إنَّ تسمية المدينة بذلك الاسم " مدخل الصدق " كان مراعاة لحال رسول الله ﷺ، وبيان ذلك أن رسول الله ﷺ حين كان بمكة لقي من صنوف الأذى ما لا يحصى، وحين أمر بالهجرة كان مترقباً للوضع الجديد الذي سيدخل فيه، فهو سيدخل بلداً غير بلده، وأرضاً غير أرضه، وسيدخل في قبائل غير قبيلته وغير القبائل التي عاش بينها في مكة ؛ ولذلك لما أراد الله طمأننته علّمه هذا الدعاء - وقطعاً هو مستجيب له - إنَّ هي إشارة وبشارة من الله لحبيبه بأنَّ المدينة ستكون مدخل صدق ؛ أي: كأن الله يقول لحبيبه ﷺ: إنَّك ستدخل دخولاً لا ترى فيه إلا ما تحبُّ، وستدخل مدينة الصدق، وستتعامل مع أهل الصدق في القول والعمل والعهد، وسيكون كل من يدخل المدينة داخلاً في الصدق، فهي أرض الصدق حقاً .

^(١) بصائر ذوي التمييز: ٣ / ٤٠١ .

الخاتمة وأهم النتائج

- ظهر أنّ اسم مكة ورد في القرآن الكريم مرة واحدة " بطن مكة " - مضافاً إليه-، وكان لأبْد من التصريح به؛ لأنّه ليس في سياق مدح مكة أو تعظيمها وإنما لذكر محلّ مخصوص " بطن مكة " وهو الحديبية، والإضافة لكي تفيد تعريفاً لا بد أن تضاف إلى معلوم لا إلى مبهم، في حين ذكر " بكة " في سياق ذكر قصد الناس للبيت وتزاحمهم عليه وهو " البكُّ "، أما اسم القرية فقد ورد غالباً في ذكر العذاب أو التحذير منه، وذكر القرى الكافرة، وورد اسم أمّ القرى في سياق الإنذار للقرى الخارجة عن أمر الله ليكون أبلغ في النفوس، وورد اسم البلد بالتعريف والتتكير في دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام لمكة حين ترك فيها هاجر وإسماعيل عليهما السلام لتكون مكة بلداً تقيم فيه الناس لتؤنس وحشتهما، وحين دعا له بالتعريف " البلد " كانت الدعوة لتحقيق الأمن؛ لأنها صارت بلداً، وهكذا سائر أسماء مكة .

- وتبين لي أن القرآن ذكر اسم " يثرب " حين حكى قول المنافقين الذين ساءهم ما رأوه فيها من حصار المشركين وجمعهم الجموع لقتالهم، في حين ورد اسم المدينة أمّا لحكاية نصّ قول المنافقين لفضح أقوالهم ونواياهم، أو التحذير من الإساءة لها وبها، إشارة وتذكيراً بقوله ﷺ ((المدينة حرم)) .

- وخلاصة البحث أنّ أسماء مكة والمدينة في القرآن الكريم لم ترد فقط للدلالة على مسمياتها، وإنما كانت مقصودة، يُتفنن فيها بما يناسب السياق والمقام الواردة فيه .

المصادر والمراجع

بعد القرآن الكريم

أولاً: المصادر

- (١) إبراز المعاني من حرز الأمانى: أبو القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة(ت: ٦٦٥ هـ = ١٢٦٧م)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت .
- (٢) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي(ت: ٢٧٥ هـ = بعد ٨٨٨ م)، تحقيق: د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ط ٢، دار خضر، بيروت، ١٤١٤ هـ .
- (٣) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار: أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرقى(ت: نحو ٢٥٠ هـ = نحو ٨٦٥ م)، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- (٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى(ت: ٩٨٢ هـ = ١٥٧٤م) دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- (٥) أسباب نزول القرآن: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدى، النيسابورى، الشافعى (ت: ٤٦٨ هـ = ١٠٧٦ م)، تحقيق: كمال بسيونى زغلول، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١ هـ .
- (٦) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازى(ت: ٦٩١ هـ = ١٢٩٢م)،

- تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط ١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨ هـ .
- (٧) البحر المحيط: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت: ٧٤٥ هـ - ١٣٤٤ م)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م .
- (٨) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧ هـ = ١٤١٥ م)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م .
- (٩) تاج العروس من جواهر القاموس: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني (ت: ١٢٠٥ هـ = ١٧٩٠ م)، أبو الفيض الملقّب بمرتضى الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية .
- (١٠) تاريخ المدينة المنورة: أبو زيد عمر بن شبة النميري (ت: ٢٦٢ هـ - ١١٩١ م)، تحقيق: فهد محمد شلتوت، لم تذكر الطبعة ولا سنتها ولا مكانها .
- (١١) تحرير ألفاظ التنبيه: أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي (ت: ٦٧٦ هـ = ١٢٧٨ م)، تحقيق: عبد الغني الدقر، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨ هـ .
- (١٢) تفسير القرآن العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤ هـ = ١٣٧٣ م)،

- تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
- (١٣) تفسير القرآن: عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١ هـ - ٨٢٧ م)، تحقيق: د. مصطفى مسلم محمد، ط ١، مكتبة الرشد الرياض، ١٤١٠هـ .
- (١٤) تفسير مجاهد: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي المخزومي (ت: ١٠٤هـ = ٧٢٢م)، تحقيق: د. محمد عبد السلام أبو النيل، ط١، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م .
- (١٥) جامع البيان في تأويل القرآن: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ = ٩٢٣م)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م .
- (١٦) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ = ١٢٧٣م)، تحقيق: هشام سمير البخاري، ط١، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٣ م .
- (١٧) الدرة الثمينة في أخبار المدينة: أبو عبد الله محمد بن محمود البغدادي المعروف بابن النجار (ت: ٦٤٣هـ - ١٤٦٦ م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .
- (١٨) دلائل الإعجاز: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت: ٤٧١ هـ = ١٠٧٨ م)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر،

ط٣، مطبعة المدني، القاهرة - دار المدني، جدة، ١٤١٣هـ -
١٩٩٢م .

(١٩) الزاهر في معاني كلمات الناس :محمد بن القاسم بن محمد بن
بشار، أبو بكر الأنباري(ت: ٣٢٨ هـ = ٩٤٠م)، تحقيق: د.
حاتم صالح الضامن، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢
هـ -١٩٩٢م .

(٢٠) سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني
الموصللي(ت: ٣٩٢ هـ = ١٠٠٢م)، تحقيق: د . حسن
هنداوي، ط ١، دار القلم، دمشق، ١٩٩٥ م .

(٢١) الصحاح في اللغة (تاج اللغة وصحاح العربية): أبو نصر
إسماعيل بن حماد الجوهري(ت: ٣٩٣ هـ = ١٠٠٣م)،
تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين،
بيروت، ١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م .

(٢٢) صحيح البخاري: (الجامع الصحيح المختصر من أمور
رسول الله ﷺ وسننه وأيامه):محمد بن إسماعيل
البخاري(ت: ٢٥٦هـ -٨٧٠م)، تحقيق: د. مصطفى ديب
البغا، ط٣، دار ابن كثير، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .

(٢٣) صحيح مسلم(المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل
إلى رسول الله ﷺ)، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري
(ت: ٢٦٤ هـ - ٨٧٥ م)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،
دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(٢٤) عمدة القاري شرح صحيح البخاري: أبو محمد محمود بن
أحمد العينتابي (ت: ٨٥٥هـ - ١٤٥١هـ)، ط١، دار إحياء
التراث العربي، بيروت .

- (٢٥) العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ = ٧٨٦م)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .
- (٢٦) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ = ١٨٣٤م)، ط١، دار الفكر، بيروت .
- (٢٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ = ١١٤٣م)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- (٢٨) لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ = ١٣١١م)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤ هـ .
- (٢٩) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ = ١١٤٨م)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ = ١٩٩٣م .
- (٣٠) مصنف عبد الرزاق: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ - ٨٢٧م)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط٢، المكتب الإعلامي، بيروت، ١٤٠٣ هـ .
- (٣١) معاني القرآن الكريم: أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي النحاس (ت: ٣٣٨هـ = ٩٥٠م)، تحقيق: محمد علي الصابوني، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩ هـ .

- (٣٢) معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله الرومي الحموي(ت: ٦٢٦ هـ = ١٢٢٩م)، ط٢، دار صادر، بيروت، ١٩٩٥م .
- (٣٣) معرفة اشتقاق أسماء نطق بها القرآن وجاءت بها السنن والأخبار وتأويل ألفاظ مستعملة: أبو بكر محمد بن عزير السجستاني(ت: ٣٣٠ هـ = ٩٤١م)، تحقيق: د. جميل عبد الله عويضة، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م .
- (٣٤) المفردات في غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني(ت: ٥٠٢ هـ = ١١٠٨م)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ .
- (٣٥) مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت: ٣٩٥ هـ = ١٠٠٤م)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
- (٣٦) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: إبراهيم بن عمر البقاعي(ت: ٨٨٥ هـ = ١٤٨٠م)، ط٢، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ١٤١٣ هـ .

ثانياً: المراجع

- (٣٧) تاريخ المدينة المنورة المختصر: إعداد جماعة من العلماء بإشراف صفي الرحمن المباركفوري، ط١، دار السلام للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٠٠٢م .
- (٣٨) تاريخ المدينة المنورة المصور: د. محمد الياس عبد الغني، ط١، مطابع الرشيد، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .
- (٣٩) تفسير آيات الجدل في القرآن الكريم: حسن رفاعي، ط١، القاهرة، ١٩٩٤م .

- (٤٠) في رحاب البيت العتيق: د. محيي الدين إمام، دار قرطبة، الهرم، مصر، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م .
- (٤١) في ظلال القرآن: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي(ت: ١٣٨٧هـ = ١٩٦٧م)، ط١٧، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤١٢هـ .
- (٤٢) لمسات بيانية في نصوص التنزيل: د . فاضل صالح السامرائي، بدون ذكر الطبعة ولا مكانها ولا سنتها .
- (٤٣) المدينة المنورة في الفكر الإسلامي: د . حمد عبد الكريم البرزنجي، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
- (٤٤) مكة المكرمة في الفكر الإسلامي في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين: د.حمد عبد الكريم البرزنجي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م .
- (٤٥) من أسرار الأسماء في القرآن الكريم: بسّام نهاد جرّار، مركز نون للدراسات والأبحاث القرآنية، ط١، البيرة، فلسطين، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م .

Some of the names of the prophets "semantic study "

Dr.Haidar Hussein Obaid

Abstract

Praise be to Allah , the lord of the worlds, and may his peace and blessings be upon our prophet Muhammad , his family and all his companions .

It is beyond dispute that the glorious Qura'n is inimitable in its composition . thus , each single words in it chosen in a high-accurate to be appropriate for the context and place in which it is mentioned and revealed

The multi-names for one thing or one person, specially will bring to light the aesthetic touch of the multi-names for one thing or one person specially for the names of the prophets (peace be upon them) is among those expressions that are repeated in the glorious Qura'n .

The research will bring to light the aesthetic touch of the multi-names for the so called , specially for the names of the prophets .

The research is divided in to four chapters :

Chapter one: the names of our prophet Muhammad (peace be upon them) .

Chapter tow : : the names of Jesus (peace be upon them) .

Chapter three : the names of Jonah (peace be upon them) .

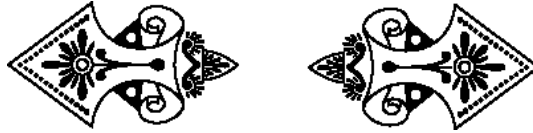
Chapter four : thol-kifil and allyas (peace be upon them) .

This research deals with the sense of name and its relation within the context it is in .moreover , it tries to

show the accuracy of the glorious Qura'nin using the name in appropriate way to its context and place it also shows the relation between choosing the name and the general atmosphere for the Qura'nic verses and its atmosphere.

The glorious Qura'n has used the name (Ahmed) in the context of preferring our prophet (peace and blessings be upon him) at our prophet "Jesus" and other prophets , and the same usage for giving the good news which requires to mention the best qualities of that person "from whom the good news came to show that (Ahmed) is linguistically preferred .moreover , it may be used in the personal status which requires to name things clearly .

From another hand the glorious Qura'n has mentioned the name of Muhammad in the context of his esteem and showing his honor , his great characteristics or showing the greatness of his companions . the praise of the follower is a praise to that be followed .



**الثنائيات المتضادة في النواحي الأخلاقية
في شعر زهير بن أبي سلمى**

مدرس. نرجس حسين زاير
الجامعة المستنصرية – كلية العلوم السياسية

مُقَدِّمَةٌ

إن الحديث عن التثنائيات المتضادة في الكون عموماً وفي الشعر خصوصاً حديث يطول و يتسع ، ولكننا سنحاول أن نلم ببعض أطرافه ، من خلال إلقاء الضوء بصورة سريعة على ما سبق من كتابات في هذا الموضوع ، فقد عرف الإنسان منذ نشوئه جسدياً وفكرياً التثنائيات وقامت حياته على أساسها فالتثنائيات فكرة قديمة ترجع إلى بداية الخلق الأولى ، عندما خلق الله سبحانه وتعالى آدم (عليه السلام) وخلق له من جنسه حواء تؤنس وحشته ، وتبدد وحدته ، وادخلهما الله سبحانه وتعالى الجنة ليبدأ رحلة الحياة معا ، فالطبيعة البشرية بصورة عامة ثنائية التكوين تتألف من عنصرين هما عنصر المادة وعنصر الروح^(١) والتثنائية مؤنث ثنائي مشتق من: ثني: يثنى وهو تكرير الشيء مرتين، أو جعله شيئين متواليين أو متباينين وذلك قولك ثنيتُ الشيء ثنياً^(٢) ، والذوق العربي ميل إلى فكرة التثنائيات المتضادة بشكل جلي، ولقد زخر القرآن الكريم بشواهد كثيرة رائعة لهاتين الفكرتين، منه قوله تعالى ﴿ وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) ﴾ وغيرها من الآيات الكريمة التي جاءت فيها التثنائيات بشكل تناسق فني بديع .

وفي الأدب واللغة نتلمس ملامح التثنائية عند القدماء في ظاهرة التقابل إذ إن ((أكثر كلام العرب يأتي على حدين أحدهما : أن يقع اللفظان المختلفان على المعنيين كقولك : الرجل والمرأة ، والجمل

(١) ينظر : مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان ، د.

مسارع حسن الراوي / ١٠٦ .

(٢) معجم مقاييس اللغة : ٣٩١/١ .

(٣) سورة الليل : (١-٣)

الناقاة، واليوم والليلة، وقام وقعد، وتكلم وسكت....^(١)) ، ولما كانت فعاليات الإنسان الفكرية والاجتماعية والأخلاقية وكذا نظم الحياة كلها تقوم على فكرة ثنائية الوجود والتقابل فقد كان لهذه الثنائية هيمنة وفعالية في إبداع النص الشعري^(٢).

وهناك آراء كثيرة وتعريفات أكثر في موضوع الثنائيات لسنا بصدد طرحها هنا فالبحث لا يحتمل ذكر كل هذه الآراء^(٣) ، غير أننا نقول إن التضاد كما جاء في اللغة هو ((ضد الشيء : خلافه ، وقد ضاده وهما متضادان ، والجمع أضداد ، يقال ضادني فلان إذا خالفك ، فأردت طولاً وأراد قصراً ، وأردت ظلمة وأراد نورا ، فهو ضدك وضد يُدك^(٤))، وقد ورد مفهوم التضاد عند النقاد والباحثين العرب والقدماء والمحدثين بمعان ودلالات مختلفة فمنهم من ((عد التضاد نوعاً من الاشتراك اللفظي^(٥)) ومنهم من عد التضاد بمعنى المقابلة وهي ((أن يؤتي بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل^(٦))، أو ((أن يجمع بين المتضادين مع مراعاة التقابل^(٧))، ومن هنا فقد اعتمدنا في دراستنا على التقابلات المضادة التي تتفق مع مادة البحث، وهدفه في أبرز اثر الثنائيات في توليد طاقة شعرية تثري النص بما تثيره من أحاسيس

(١) الأضداد / محمد بن القاسم الانباري / ٦ .

(٢) ينظر : بناء الأسلوب في شعر الحداثة / د. محمد عبد المطلب / ٦٩ .

(٣) ينظر : مشكلة البنية / د. زكريا إبراهيم / ٤٨ ، وعلم اللغة مقدمة للقارئ

العربي ، د. محمد سمران / ٤٩ .

(٤) لسان العرب : مادة (ضد) .

(٥) المزهري في علوم اللغة وأنواعها : للسيوطي / ١ / ٣٧٨ .

(٦) الإيضاح في علوم البلاغة / للقرظيني / ٢ / ٤٨٥ .

(٧) التعريفات : للجرجاني / ٦٩ .

وصور وصولاً إلى المعنى والحالة التي يريد إيصالها إلى المتلقي ،
وعليه سنقسم البحث على : -

(١) الثنائية المتضادة (الخير ضد الشر) :

إن الله سبحانه وتعالى عندما خلق الإنسان أوجد بداخله الخير والشر
يصطرعان قال تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ ﴾ (١)
فقدم الفجور على التقوى أي كان هناك تقديم للشر على الخير ومن هنا
كان بعض العلماء يرى أن الإنسان شرير بطبيعة غرائزه المتأصلة فيه
، كما أن رغباته شريرة أكثر منها خيرة (٢) . في حين هناك من يرى
العكس من أن الإنسان خير بطبيعته لأنه جاء عن طريق خالق الكون ،
فإذا ما مسته يد الشر أحالته إلى شرير (٣) ، وبما أن الأدب غير
منفصل عن الفلسفة والأخلاق فإن الشاعر الحقيقي هو الذي يتغلغل في
القيم الروحية ، يمجدها وينشدها ، ليرفع النفس البشرية إلى المثل العليا
وهذا ما وجدناه عند زهير إذ قال :

لا تُكْثِرْ عَلَى ذِي الضَّعْنِ عِتْبًا ولا ذِكرَ التَّجْرُمِ للذُّنُوبِ
ولا تسأله عما سوف يُبدي ولا عن عيبه لك بالمغيبِ
متى تكُ في صديقٍ أو عُدُوٍّ تُخبركُ الوجوه عن القُلُوبِ (٤)

(١) سورة الشمس / آية (٧-٨) .

(٢) ينظر منهج التربية الإسلامية ، أصوله وتطبيقاته ، د. علي أحمد مذكور ٩٥

(٣) المصدر نفسه / ٩٧ .

(٤) - شرح ديوان زهير / ٣٣٢ - ٣٣٣ .

إنّ الأبيات وان لم تذكر لفظة الخير والشر صراحة إلا أنها تمثل جانبي الخير والشر فالشاعر هنا أعطى مقياساً للصدق والعدو فلا داعي للتعجب الكثير والسؤال و فوجوه القوم تتبئ بالمحبة أو الكره لان الوجوه مرآة القلوب ومنها يعرف زهير الصديق (الخير) ويعرف العدو (الشر) من وجوه الناس .

والواقع إن الأدب العربي القديم غني بالأدب الذي يهتم بإنسانيات الإنسان وان جاء ذلك أبياتا متفرقة هنا وهناك ففي الكرم نجد زهيراً يعبر عن وجهة نظره بالسيد الكريم المعطاء والشجاع ، مما يعني أن (الفضيلة) تلتبس عند شعراء العرب ومنهم شاعرنا بلفظة الخير يقول في ذلك :

أَنْ نَعِمَ مُعْتَرِكُ الْجِياعِ إِذَا خَبَّ السَّفِيرُ وَسَابِيءُ الْخَمْرِ
وَلنَعِمَ مَأوَى الْقَوْمِ قَدْ عِلْمُوا إِن عَضَّهْمَ جَلُّ مِنَ الْأَمْرِ
وَلنَعِمَ حَشْوُ الدَّرْعِ أَنْتَ إِذَا دُعِيَتْ: نَزَالٍ وَلُجَّ فِي الذَّعْرِ^(١)

لقد أقام الشاعر علاقة ثنائية متضادة بين (الجياع - الكريم) فهو المأوى والحامي إذا ما عظمهم جلُّ من الأمر أو وقعت الحرب كما هو واضح فإن المتضادين (الخير والشر) هنا كانا ضمناً لان الجوع ضده الكرم وهكذا ، نستنتج من ذلك أن ثنائية الخير ضد الشر أظهرت هنا النظرة الإنسانية ولاسيما الكرم والعطاء للمدوح ، فالشاعر وظف الثنائية المتضادة ليبين مدى كرم المدوح وسخائه وقد نجح في هذا التوظيف فقد وردت لفظة الخير عند الشاعر مرتدية ثوب العطاء والكرم بل ودالة عليه في أبيات كثيرة .

(١) شرح ديوان زهير / ٨٨ - ٨٩ ، سابيء الخمر : المشتري ، خب السفير : ورق الشجر تحته الريح .

فشاعرنا يرى أن فعل الخير يصنع المعجزات عند العاقل لأن من أهم دواعي الشر هو إلغاء العقل وتغييبه وهذا التغييب سبب كثيرا من المآسي في ذلك العصر وفي كل عصر وزمان وينتج عنه الحروب والكوارث البشرية والطبيعة على حد سواء لذلك وجدنا شاعرنا يؤرخ ما فعله الكرام من حقن دماء الفريقين المتحارين :

سَعَى سَاعِيَا غِيظَ بِن مَّرَّةٍ بَعْدَمَا	تَبَزَّلَ مَا بَيْنَ الْعَشِيرَةِ بِالْدَمِّ
فَأَقْسَمْتَ بِالْبَيْتِ الَّذِي طَافَ حَوْلَهُ	رَجَالَ بَنُوهُ مِنْ قَرِيْشٍ وَجُرْهُمِ
يَمِينًا لِنَعَمِ السَّيِّدَانِ وَوَجِدْتُمَا	عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمِ
تَدْرَاكْتُمَا عَبَسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَمَا	تَفَانَاوَا دَقُّوْا بَيْنَهُمْ عَطْرَ مَنْشَمِ
وَقَدْ قُلْتُمَا إِنَّ نُدْرِكَ السَّلْمِ وَأَسْعَا	بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الْأَمْرِ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ	بَعِيدِينَ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْتَمِ ^(١)

وهكذا كان فعل الجميل هو الحل للخلاص من الشرور وبذل الأموال في سبيل إيقاف نهر الدم الجاري بين الفريقين المتحارين ، وعليه نقول إن الخير هنا لا يقتصر على القول فقط بل اقتران القول بالفعل دون انتظار جزاء على هذا الفعل ، ولكن فعل الخير ولا سيما في مثل هذه المواقف يُخلد فاعله بغض النظر عن طريقة التخليد سواء كانت بالشعر كما كانت في ذلك العصر ولاسيما أن الشعر الوسيلة الأولى في تخليد مآثر العرب أو بالوسائل الأخرى في العصور اللاحقة لذلك العصر كالرسم والنحت وغيرها من الوسائل ، كما أرى أن إيقاف القتال هو أمر عظيم لاسيما بين القبائل العربية التي تتقاتل فيما بينها ، ولكن أريد إن أشير إلى نقطة ربما لم تثر اهتمام من سلط الضوء على هذه الأبيات تحديا إذ إن التركيز كان منصبا على من دفع الأموال

(١) شرح ديوان زهير / ١٤ - ١٦ ، يتنزل : ينشقق ، العقوق : قطيعة الرحم .

وأوقف القتال وهو أمر بلا شك عظيم ، لكن أريد القول إن اقتناع (عبس وذبيان) بإيقاف القتال هو أمر عظيم آخر يبين انتصار نزعة الخير على نزعة الشر داخل نفوس المتحاربين .

١- الثنائية المتضادة : (الصدق والكذب) :

إن العرب في الجاهلية لم تكن تحفل بالصدق فيما يقول شاعرهم ، فقد كان الشعر يسير فيهم لما فيه من قوة بيان ودقة معنى وإذا صحت الرواية القائلة إن حجر بن عدي الكندي قد قال يوماً لابنه أمرىء القيس ((يا بني أحسن الشعر أكذبه ، ولا يحسن الكذب بالملوك))^(١)، فهذا يدل على قدم النظرة القائلة (أحسن الشعر أكذبه) فلا أهمية بعد ذلك إذا كان ما انشده الشاعر مطابقاً للحقيقة أم غير مطابق ، ولا يحتاج هنا للقول إن الصدق نقيض الكذب^(٢) ، لأن هذه المعلومة جلية واضحة لكننا نذكرها هنا من باب التذكير ليس إلا ، ولكن هذا لا يلغي صدق الشعور ، وقوة العاطفة وبخاصة أن الشاعر كان ولا يزال - لا يقول أبياته أو قصيدته إلا أنه مدفوع بقوة داخلية للتعبير، والتصوير ، وذلك هو صدق الشعور لأنه صادق وأصيل غير دخيل ولا مفتعل ، لأنه يمثل حقيقة ما يشعر به الشاعر من تلقاء نفسه بدليل إن السامع - بمجرد إن يسمعه - سرعان ما ينفعل به ، ويسري تأثيره في نفسه مسرى الدم في شرايين جسمه ويبدو عليه أثره في الحال وعند تسليط الضوء على أبيات زهير بشكل عام وعن أبيات (الصدق والكذب) بشكل خاص ، فإننا سنجد أنه كان معتدلاً في تناول الأمور متزناً في تقديرها ، فلا بد من الأمانة في تناول الأمور ومعالجتها ، ولا بد من الاعتدال ، وعدم الخروج عنه إلى الإحالة والإفراط ، وإلا

(١) الإعجاز والإيجاز : الثعالبي / ٦٢ .

(٢) ينظر لسان العرب / مادة (صدق) .

فسوف لا يتجاوز الشعر وأثره - إن كان له اثرٌ - أفواه قائله ، وإن تجاوزها فإلى الهواء والفراغ ، فالموت إلى الأبد . وفي ذلك يشدو :
 وفي الحلم إدهانٌ وفي العفو دربةٌ وفي الصدق منجاةٌ من الشرِّ فاصدق
 ومن يلتمس حُسنَ الثناء بماله يصنُّ عرضه من كلِّ شنعاءٍ موبق^(١)

إنَّ شاعرنا يؤكد في هذه الأبيات حقيقة أن الصدق ينجي من الشرور ويأمر كل من يسمعه بالصدق والابتعاد عن الكذب ، وشاعرنا هنا لا يقدم ذلك بوصفها فكرة عابرة بقدر ما يعبر عن شخصيته هو فقد ذكر أن زهير لا يعاظم بين القول ، ولا يتتبع حوشي الكلام ، ولا يمدح الرجل إلا بما هو فيه^(٢) .

وذلك كثيرا ما نجده يقول :

أبيتُ فلا اهجوُ الصديقَ ومن يبيع بعرض أبيه في المعاشر يُنْفِق
 ومن لا يُقدِّمُ رجله مُطمئنةً فيُثبها في مستوى الارض تزلق
 أكفُّ لساني عن صديقي وإن أجأ إليه فإنِّي عارقٌ كل معرق^(٣)

فكما نلاحظ هذا الاعتدال في تناول الأشياء ، والدقة في تصوير خلجات النفس ، كان خلة من خلال النفس العربية قبل أن تخالطها الغربية من آثار الأمم الأخرى ، لذلك فإن الشاعر الجاهلي إذا نظر في الخلق أو الخلق لم يباعد تعليقه بالحقيقة وواقع الحياة بينه وبين اختيار الأجل والأكمل ، لذلك كنا نجد في أشعار زهير التركيز وتأكيد الصدق سواء أكان ذلك بذكر اللفظة نفسها أم بها معناها ، ولابد من الإشارة هنا إلى أن زهيراً كان يذكر الصدق ضد الكذب بوصفه صفة

(١) شرح ديوان زهير / ٢٥٢ ، أدهان : مدهانة ومصانعه ، دربة : عادة ولجاجة ،

شنعاء : قبيحة ، موبق : مهلك .

(٢) ينظر الشعر والشعراء ، لابن قتيبة / ٤٤ .

(٣) شرح ديوان زهير / ٢٥٠ أجا إليه : أجا إليه .

ضمن عنوان الأخلاق فضلا عن ذكر الصدق الفني في التعبير عن التجربة الذاتية أو الأصالة في التعبير وصدق التجربة الإنسانية العامة . وهذا يتمثل في قبول فهم الحكمة لصدق القول فيها وما أتت به التجارب منها فعلى سبيل المثال قول زهير : -

إلا ليت شعري هل يرى الناس ما أرى من الأمر أو يبدو لهم ما بدا ليا؟
بدا لي أن الناس تفنى نفوسهم وأموالهم ولا أرى الدهر فانيا
واني متى أهبط من الأرض تلعةً أجد اثرا قبلي جديدا و عافيا
أراني إذا مابت بت على هوى فثم إذا أصبحت غاديا
إلى حفرة أهدى إليها مقيمةً يحث إليها سائق من ورائيا (١)

هذه الأبيات وان كانت لا تبدو فيها الثنائيات المتضادة صراحة إلا إن من يدقق النظر فيها يجد ذلك جليا واضحا ذلك إن الصدق بضروبه المتعددة هو الذي يهيئ الفهم الثاقب لقبول المحتوى والتجربة الشعرية التي يعبر عنها الشاعر ، فالأبيات تعبر عن تضاد نفسي إيحائي - إن صح التعبير - فالناس تفنى نفوسهم وأموالهم أما الدهر فلا ، ويبيت الشاعر على هوى ويصبح غاديا في حفرة فكأنه يقول إن الموت هو الصدق والآمال والأموال هي الكذب فجمع بين الصدق والكذب في هذه الأبيات ولكنه أطر ذلك التضاد بهذه الحكمة الجميلة .

٢- الثنائية المتضادة (الوفاء ضد الغدر)

إن الوفاء مأخوذ من : وفى يفنى وفاء فهو واف ، يقال وفى فلان بعهده إذا أتمه ، والوفى الذي يعطي الحق ويأخذ الحق (٢) ، أما

(١) شرح ديوان زهير / ٢٨٤ - ٢٨٦ ، الثلعة : مجرى الماء من الجبل إلى

الأرض ، عاف : دارس ، سائق : يعني الأجل .

(٢) ينظر : لسان العرب : مادة (وفى) .

الغدر فهو الصفة المناقضة للوفاء ، وقيل هي ترك الوفاء بالعهد ^(١) ، وكما أن الوفاء صفة ترادف الأمانة ، فالغدر صفة ترادف الخيانة وهي صفة مستقبحة غير مرغوب فيها وقد رفضها بعض رجال العرب في الجاهلية ، إذ كانوا ((إذا غدر الرجل أو جنى جناية عظيمة انطلق احدهم حتى يرفع له راية غدر بعكاز فيقوم رجل فيخطب بذلك الغدر فيقول ألا أن فلاناً بن فلان غدر ، فاعرفوا وجهه ولا تصاهروه و لا تجالسوه ولا تسمعوا منه))^(٢) . ونجد زهيراً يذكر الوفاء والغدر في شعره إذ يقول : -

ومن يوفٍ لا يُذمُّ ومن يفض قلبه إلى مطمئن البرِّ لا يتجمجم^(٣)

يبين الشاعر من خلال (ومن يوفٍ لا يُذمُّ) ثنائية الوفاء ضد الغدر إذ يقول إن من كان في قلبه بر قد اطمأن وسكن ليس يرجف وأمضى كل أمر على جهته ، وليس كمن يريد غدرا فهو يتردد في أمره ، وهو بذلك يجعل الوفاء نتيجة للصلاح ومن ثم هو باب من أبواب الخير ضد باب الشر .

ونجده في مدحه هرم بن سنان يقول : -

هناك ربك ما أعطاك من حسنٍ وحيثما يك أمرٌ صالحٍ فكُن
أن تؤته النصح يوجب لا يضيِّعه وبالأمانة لم يغدر ولم يخن^(٤)

فالأمانة هنا ضد الغدر بثنائية متضادة جاءت مفردة الأمانة مرادفة لمفردة الوفاء على انه مهما عرف في الجاهلية من فضائل ومكارم أخلاق ، فلم يكونوا يفعلونها لذاتها فحسب ، بل انتقاء للذم واجتلابا للثناء

(١) ينظر: لسان العرب: مادة (غدر) .

(٢) أسواق العرب في الجاهلية : سعيد الأفغاني ، ٣٢٤ .

(٣) شرح ديوان زهير / ٣١ .

(٤) المصدر نفسه / ١٢٣ .

ومحافظة على الحسب والمجد وطلباً لحسن الاحدوثة ، ولهذا كان فيهم عفة واعتدال والابتعاد عن كل ما يخلُّ بالمروءة والشرف والأمثلة على

ذلك كثيرة جدا ومن ذلك قول زهير : -

وصبري حين جد الأمر نفسي إذا ما أرعدت رئة الجبان
وحفظي للأمانة واصطباري على ما كان من ريب الزمان
وذبي عن مآثر صالحات بما لي والعوّارم من لساني
وكفى عن اذى الجيران نفسي وإعلاني لمن يبغى علاني
ومولى قد رعيت الغيب منه ولو كنت المغيب ما قلاني⁽¹⁾

تكشف هذه الأبيات وغيرها في شعر زهير عن قدر هائل من الأخلاق الفاضلة التي حاول الشعراء أن يتلبسوها ويظهروا من خلالها بمظهر الرجال الحافظين للأمانة والعهد والكارهين للخيانة والغدر ، والكاتمين الأسرار . فالشاعر يعبر عن مشاعره من خلال ما تلقنه إياه تجاربه والطبيعة ، وهو مبتدع لا متبع ، لأنه يشعر بعاطفة خاصة يتأثر بها ويفكر في شيء محسوس يفهمه ، ويرى مشهدا شائقا يقع من نفسه موقعا لطيفا ، فيصور كل ذلك بما لديه من ألفاظ تصويرا دقيقا صادقا ، متوخيا الأمانة في أقواله .

نستطيع القول :

- إن الثنائيات المتضادة ظاهرة شائعة في الكون والطبيعة تدخل في تنظيم فعاليات الإنسان الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية وهي وليدة ظاهرة التضاد ، إذ إن الشاعر في إيراد الثنائيات المتضادة

(1) شرح ديوان زهير / ٣٤٨ - ٣٤٩ : المآثر : ما يؤثر عن ابائه من مكارم ، المولى : في ثمانية مواضع : المولى ابن العم ، والمولى المالك ، والمولى المُعتق ، والمولى المُعتق ، والمولى الولي ، والمولى الحليف ، والمولى مولى النعمة ، والمولى الزوج ، قلاني : ابغضني وكرهني ولم يحفظ مغيبني .

يسعى إلى بناء هيكل صوري يزداد تأثيره وتبرز جماليته بالانكفاء على التضاد .

- إن التضاد هو مفهوم يدل على الخلاف والتمايز بين طرفين ،
يثير اهتمام المبدع ويستحوذ على جانب أساسي من تفكيره وملكته
الإبداعية حينما يوظفه في بنية نصه ويخرجه بصيغة فنية تمنح النص
خلقا وإبداعا وحياء وتضفي جمالية خاصة وتغمر الأسلوب بإبداعية
تحتويها وتعمق المعنى والبنية التركيبية للنص ، بحيث تخلق في نفس
المتلقي نظرة رؤيوية عميقة المعنى والدلالة .

- إن الثنائيات المتضادة في شعر زهير ولاسيما في النواحي
الأخلاقية موضوع البحث كانت بالدرجة الأساس تعبر عن رؤية
الشاعر وأفكاره لأنه كان يؤكد الجوانب الأخلاقية ، ونستطيع القول إن
الثنائيات المتضادة وان قسمت على الخير ضد الشر والصدق ضد
الكذب والوفاء ضد الغدر ، إنما هي كانت تعني الأخلاق في (الخير
والصدق والوفاء) وعدم الأخلاق في (الشر والكذب والغدر) بمعنى
الجمال الإنساني بإزاء القبح في الإنسان ولكن برؤية الشاعر وبإطار
شعري جميل .

- وبما أن الشعر تصوير للنفس الشاعرة بما انفعلت به فان
شاعرنا أقام توازنا بين مثيرات التجربة الشعرية وما يحدثه هذا المثير
من تعبيرات بمعنى أن الشاعر لم يطلق العنان للأوهام بقدر ما كان
الصدق حاضرا أي صدق العاطفة وصدق التعبير عنها لذلك وجدنا
الصدق الأخلاقي حاضرا في أشعار زهير فقد عمد الشاعر إلى نقل
الحقيقة الأخلاقية على حالها ولهذا قيل على زهير بأنه كان يمدح الرجل
بما فيه .

- الشاعر وظف الثنائيات المتضادة لإبراز جانب الحكمة لديه في ماهية الحياة والكون والطبيعة البشرية وغيرها من الأمور المختلفة.
- إن الألفاظ بشكل عام كانت واضحة جلية لا تحتاج إلى شرح كثير لان الصور التي اعتمدها الشاعر هي الصور الواقعية الذهنية التي ترسم لنا موقف الشاعر النفسي على نحو مباشر فهي تقع مباشرة على الدلالة الشعورية التي تحملها دون تكلف للتأويل والتفسير .

المصادر

- القرآن الكريم .
- ١. أسواق العرب في الجاهلية / سعيد الأفغاني / الطبعة الثانية ، مطابع دار الفكر بدمشق / ١٩٦٠ م .
- ٢. الأضداد / محمد بن القاسم الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، الكويت ١٩٦٠ م .
- ٣. الإعجاز والإيجاز : أبو منصور الثعالبي ، تحقيق اسكندر أصاف ، الطبعة الأولى مصر ، المطبعة العمومية .
- ٤. الإيضاح في علوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع - تأليف الخطيب القزويني جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين بن أبي محمد بن عبد الرحمن القزويني ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٦ م .
- ٥. بناء الأسلوب في شعر الحداثة - التكوين البديعي - د. محمد عبد المطلب ، دار المعارف - مصر - الطبعة الأولى ١٩٩٥ م .
- ٦. تحليل الخطاب الشعري (إستراتيجية التناصب) د. محمد مفتاح ، الدار البيضاء ، المركز الثقافي العربي ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٥ م
- ٧. التعريفات / أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني ، مطبعة الاتحاد المصري بمصر (د.ت) .
- ٨. شرح ديوان زهير بن سلمى صنعة الإمام أبي العباس احمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب ، الناشر الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- ٩. الشعر والشعراء لابن قتيبة (٢١٣ هـ - ٢٧٦ هـ) تحقيق وشرح احمد شاکر ، دار المعارف ، مصر الطبعة الثانية ١٩٦٦ م .

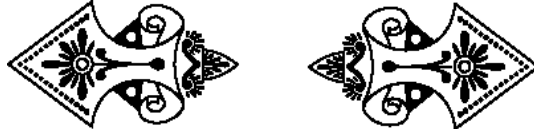
١٠. علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمد سمران ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت (د.ت) .
١١. لسان العرب / لابن منظور ، دار صادر - بيروت - الطبعة الأولى .
١٢. المزهري في علوم اللغة وأنواعها / للسيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ) ضبطه وصححه ووضع حواشيه فؤاد علي منصور ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م .
١٣. مشكلة البنية (مشكلات فلسفية) ، د. زكريا إبراهيم مكتبة مصر ، دار مصر للطباعة ، ١٩٧١ م .
١٤. مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان ، د. مسارع حسن الراوي ، دار الياقوت للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثانية ٢٠٠٦ م .
١٥. معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن بن فارس بن زكريا ، تحقيق وضبط عبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر مصر ١٩٧٩ م .
١٦. منهج التربية الإسلامية ، أصوله وتطبيقاته ، د. علي احمد مذكور ، مكتب الفلاح الكويت ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ م .

AL mustansiriyya university
College of political sciences

Narjs Hassan zayer Leeturer

Abstract

The research is an important aspect of life in general and poetry in particular, so that the contrast is a common phenomenon in the universe and nature are involved in organizing events of all human Hence the diodes opposite in hair Zuhair particularly in ethical express the vision and ideas poet because he was confirmed ethical aspects In his poems Since hair is depiction of the same, the poet lived our equilibrium between stimuli experiment noodles and what caused this dramatic expressions, and it has divided the antithesis as follows: (good versus evil), (and honesty against lying), (and meet against treachery) has The language poet is clear, you do not need to explain a lot.



كتابا جامع التصانيف ومكتبة

الأدب الجاهلي

دراسة مقارنة في منهجي تصنيفهما

أ. مرد. عنراء محمد راغب

معهد تطوير تدريس اللغة العربية

مُقَدِّمَةٌ

لابد لنا من التعريف بالمصطلحات المكتبية الآتية قبل الولوج في دراسة مقارنة بين منهجي الأستاذين اليان سر كيس ود.عفيف عبد الرحمن، للوقوف على مقاربة كل منهما لاصول الفهرسة العلمية على الرغم من تقدم زمن الأول في التصنيف وبعده عن الاطلاع على مناهج التصنيف الحديثة. وعليه نقدم المصطلحات الآتية:—

التصنيف "خطة منهجية أو نسقية لترتيب الكتب وغيرها من المواد حسب الموضوع أو حسب الشكل." (١)

الكشاف الموضوعي الهجائي "الكشاف الذي يرتب هجائيا تحت موضوعات مخصصة، ككشاف الدورية الواحدة، والكشاف الخاص بانتاج أحد المؤلفين، أو الخاص باحدى قوائم الكتب أو المقالات المصنفة، أو كشاف احدى خطط التصنيف، أو كشاف الفهرس المصنّف." (٢)

الفهرس الموضوعي الهجائي "الفهرس الذي يقتصر على المداخل الموضوعية والاحالات اللازمة لها، في ترتيب هجائي موحد" (٣)

(١) الفهرسة أسسها النظرية وتطبيقاتها العامة .س. ج. فسواناثان ترجمة حشمت محمد علي قاسم ومحمد فتحي عبد الهادي. جمعية المكتبات المدرسية القاهرة ٣٢٦.

(٢) م. ن. ٣٢٣.

(٣) م. ن. ٣٢٣

أما الفهرس الهجائي المصنّف فهو الذي "يشتمل على مداخل تحت موضوعات عريضة مرتبة هجائياً، يتمّ تقسيمها الى موضوعات مخصصة ترتب هجائياً أيضاً".^(١)

التوريق "ذلك الجزء من بطاقة الفهرس الذي يصف العمل كشكل مادي؛ فيذكر عدد مجلداته، وصفحاته، وحجمه... الخ ونوع وسائل الايضاح الموجودة به وطبيعتها".^(٢) وهو متوافر في عمل سركيس أكثر منه في عمل د. عفيف.

الجامع" الشخص الذي يقوم باعداد عمل جديد، عن طريق تجميع أجزاء ومختارات من أعمال مؤلفين آخرين. وهو أيضاً الشخص الذي يقوم باختيار وتجميع وربط مختارات أو اقتباسات من انتاج مؤلف واحد، واخراجها في عمل واحد، واخراجها في عمل واحد متكامل".^(٣) وإذا كان المصنّف على درجة عالية من الدقة يستطيع أن يذكر في تصنيفه للكتاب ما يسمى بالعمل المركب أي "كتاب يتناول موضوعاً واحداً، قام باعداده مؤلفان اثنان أو أكثر، ويشكل جهد كل مؤلف على حدة جزءاً أو قسماً متميزاً من العمل الكامل".^(٤) وقد تناول كل من الرجلين هذا المنهج في التصنيف ولكنه كان أكثر وضوحاً عند سركيس.

العنوان الاصطلاحي" الذي يشتهر به الكتاب ، وهو يختلف عن العنوان الذي نُشر تحته، ويستعمل هذا العنوان كوسيلة لتجميع مختلف طبعات الكتاب الواحد معاً في الفهرس".^(٥) ويبقى أن نُشير الى مفهوم

(١) م. ن. ٣٢٣

(٢) م. ن. ٣٢٦

(٣) م. ن. ٣٢٦ - ٣٢٧

(٤) م. ن. ٣٢٧

(٥) م. ن. ٣٢٧

قد يبدو هامشيا للقارئ ولكنه مهم في عملية التوثيق البحثي وهو الهيئة " مجموعة من الأفراد تجمعهم معا وحدة تنظيمية ، كالحكومة ، والوزارة والجمعية، والمؤسسة، واللجنة." (١) لأن الهيئة قد تعمد الى اصدار مجموعة مقالات أو بحوث على شكل كتاب ، أو قد تصدر بحوث مؤتمرا كتابا. وبعد فان العمل الفهرسي لايفرق بين مصنف ومفهرس ، في سبيل المثال يُحد المفهرس على النحو الآتي: "المكتبي الذي يقوم بتحديد أشكال المداخل، واعداد الوصف البلوجرافي للفهرس ، ويقوم — في كثير من المكتبات — بتصنيف الكتب واختيار الموضوعات." (٢)

وهناك مايسمى المدخل المكرر أو المتعدد وهو " ادخال الموضوع نفسه، تحت عدة رؤوس ، تمثل كل منها مدخلا مختلفا،" (٣) ومما يجب اضافته للفهرسة (فهرس الأسماء) وهو " فهرس مرتب هجائيا حسب أسماء الأشخاص والأماكن، سواء كانت مستعملة كمؤلفين، أو كموضوعات." (٤) ويمكن للمفهرس — ان كان ثاقب البصر — أن يحيل القارئ الى " مصطلح أكثر تخصيصا، أو تربطه علاقة بالمصطلح المحال منه، أو الى النص في احدى قوائم رؤوس الموضوعات على مثل هذه الحالة." (٥) واذا اختار المفهرس موضوعا واحدا لفهرسته فعليه أن يضع (رأس الموضوع) وهو " كلمة أو مجموعة من الكلمات التي تشير الى الموضوع، الذي تدخل تحته جميع المواد

(١) م. ن. ٣٢٧

(٢) م. ن. ٣٢٥ — ٣٢٦

(٣) م. ن. ٣٣٢

(٤) م. ن. ٣٣٢

(٥) م. ن. ٣٣٣

التي تتناول الفكرة نفسها، في أحد الفهارس أو الببلوجرافيات." (١) وإذا اختار المفهرس ذلك فعليه أن يتبع أسلوب الربط بوساطة الاحالات . على وفق المصطلحات المتقدمة يمكننا القول أن الفهرسة الموضوعية" أهم عملية فكرية في الفهرسة ذلك لأن المفهرس يكشف فيها عن مختلف الموضوعات التي تعالجها الكتب بطريقة تتيح للمستفيد من الفهرس فرصة الاحاطة بكل جزء له أهميته من المواد المفهرسة. ويفوق عدد القراء الذين يستعملون الكتب على وفق مدخلها الموضوعي، عدد القراء الذين يطلبون كتابا محددًا،" (٢) والفهرسة الموضوعية عملية ليست يسيرة لاسباب منها:—

(١) ان المصطلحات المستعملة في التعبير عن موضوع ما يمكن أن يكون لها أكثر من معنى واحد، ويمكن فهمها بطرائق مختلفة من أناس مختلفين .

(٢) كثرة العلوم الجديدة والأفكار المبتكرة ضاعفت صعوبة الوصول الى رؤوس موضوعات دقيقة وملائمة يُشار إليها بطريقة مخصصة .

(٣) لازالت الفهرسة الموضوعية في حاجة الى تقنين. (٣)

(٤) الفهرسة الموضوعية تقدم لمن يريد الحصول على الكتب في أقصر وقت وبأقل جهد. لأنها تضع الكتب تحت رؤوس موضوعات ملائمة ، ومرتببة هجائيا. (٤)

(١) م. ن. ٣٣٣

(٢) م. ن. ١١١

(٣) م. ن. ١١١

(٤) م. ن. ١١١ — ١١٣

٥) " يتفوق الفهرس الموضوعي الهجائي - في بنائه - على أي نوع آخر من الفهارس النسقية أو المصنفة التي ظهرت حتى الآن." (١)

ان استعمال الباحثين للفهارس الموحدة أسباب منها: — انها تساعد في بناء وتدعيم وتنظيم المصادر المكتبية في الدولة ، والاقليم، ويمكن تدبير اسلوب واقعي لضمان سجل كامل أو على الأقل ملائم للكتب التي تفتنيها مكنتات الدولة ، وذلك باعداد الفهرس الموحد. وعندما يتخذ الفهرس الموحد شكله النهائي، حينئذ يمكن مراجعة مداخله على جميع مصادر المعلومات البيبلوجرافية ، وذلك لتحديد عناوين الكتب التي لا توجد مطلقا في مكنتات الدولة. وعلى الفور يمكن اتخاذ التدابير اللازمة للحصول على نسخ من هذه الكتب ، اذا كانت لاتزال في سوق النشر (٢) ولا يخفى على متخصص ما في هذا العمل من جهد جبار واختصار لوقت الباحث في اي ميدان من ميادين المعرفة .

— "تعمل الفهارس الموحدة على تنشيط البحث ونمو المعرفة البشرية ؛ فاذا قُدر لجميع أمم العالم أن تُعد فهارس موحدة يوثق بها، واذا أمكن ضم نسخة من كل مدخل في الفهارس الموحدة القومية؛ وترتيبها في نسق هجائي واحد على وفق أسماء المؤلفين، مع الاشارة الى مكان وجود كل مدخل بطريقة ملائمة، فلا بد وأن يصبح ذلك فهرسا موحدًا أساسيا، لمصادر مكنتات العالم، وبذلك نقترّب من البيبلوجرافية العالمية." (٣) واذا كان المفهرس على دراية بادوات عمله فيجب أن يحدد

(١) م. ن. ١١٤

(٢) م. ن. ١٤٣

(٣) م. ن. ١٤٤

مجال الفهارس الموحدة بـ (المكان، الموضوعات، شكل المواد القرائية).

— أكثر الفهارس الموحدة شيوعاً، هي تلك الفهارس الخاصة بالمناطق الجغرافية المتقاربة، والفهارس الموحدة الخاصة بالدولة كلها.^(١) من هنا نرى أن أول نظرة في عمل الرجلين تخبرنا أن اليان سر كيس مفهرس بفطرته وخبرته المكتبية، في حين كان د. عفيف على الرغم من وجود مصادر الفهرسة المتطورة في زمنه اختار عنواناً متخصصاً موضوعياً ولكنه انتقص من قيمة الفهرسة الموضوعية بنثره المعلومات المفهرسة تحت أكثر من مدخل وفي أماكن مختلفة كما سنرى في مضان البحث.

ملاحظة: يجب الاطلاع على القواعد العامة في التصنيف مثل:—

(١) " يصنف الكتاب حسب موضوعه أولاً ثم حسب الشكل، فمثلاً

كتاب في تاريخ التربية فإن موضوعه التربية ولكن المؤلف تناول الجانب التاريخي للموضوع. وعلى ذلك يصنف الكتاب مع كتب التربية ورقمها... ثم يُضاف إليه الرقم الذي يدل على الشكل.

(٢) يصنف الكتاب الذي يتناول أكثر من موضوع، والذي لا يمكن

تغليب أحد الموضوعات تحت الأصل العام الذي يتناول جميع هذه الموضوعات قدر الامكان.^(٢)

(١) م. ب. ١٤٥

(٢) التصنيف نظام ديوي العشري ت مدحة كاظم ١٩٦٨ مكتبة الانجلو المصرية ٢٦

التمهيد

كتب اليان سركيس معجم المطبوعات العربية والمعرّبة في أسماء الكتب المطبوعة شرقا وغربا منذ ظهور الطباعة لغاية ١٩١٩م — ١٣٣٩^(١) هـ وهو معجم ضخم بلغت صفحاته الفين واربع وعشرينرتبه على الترتيب الالفبائي لأسماء المؤلفين مع فهرس في مقدمة المعجم باسماء الكتب و أرقام الصفحات التي وردت فيها، وقائمة بالاطء اللغوية الواردة في صفحات المعجم . ولأنه مكتبي ضليع فقد أفرد قسما للمجاميع في مختلف ابواب التأليف وهو عمل دقيق ضخم يستحق الاعجاب لانه اشتمل على سني طباعتها وأماكن الطباعة ان وجدت ، وأضاف تذييلا للكتاب في المطبوع مجهول المؤلف ، ومما لاشك فيه أن شروط الفهرسة التي وردت في المقدمة تنطبق عليه .اختار مؤلفه الوقوف عند بداية سنة ١٩٢٠م.^(٢)سواء كان سركيس مطالعا على نظام ديوي العشري في الفهرسة أم غير مطلع فقد وضع لمعجمه فهارس دقيقة منظمة.^(٣) ولضخامة المعجم وتضمّنه اعمالا صنفت تحت أسماء مؤلفيها ، ومجاميع لمؤلفين متعددين فضلا عن تذييل في الكتب المطبوعة والمجهولة المؤلف فقد استبعدناه من الدراسة المقارنة لأنه معجم تصح مقارنته بالفهرست لابن النديم أو بمعجم الأدباء للحموي ، واكتفينا بكتابه جامع التصانيف الحديثة الذي جمع المؤلفات فيه المؤلفات المطبوعة من عام ١٩٢٠ لغاية ١٩٢٧م

(١) م .ن ٢٦

(٢) يُنظر معجم المطبوعات العربية والمعرّبة اليان سركيس بجزئيه طبعة غير مؤرخة في المجمع العلمي العراقي .

(٣) يُذكر أن أول طبعة لنظام ديوي العشري كانت سنة ١٨٧٦م والعاشرة ١٩١٩ يُنظر التصنيف نظام ديوي ١٤

الموافقة لسني الهجرة ١٣٣٨ - ١٣٤٦ ومما لا يخفى على مطلع أن المنهج سلسلة عمليات مبرمجة، وتهدف الحصول على نتيجة، مطابقة لمقتضيات النظرية. ويقابل المنهج الطريقة ويكاد يكون كتاب مكتبة الأدب الجاهلي لدكتور عفيف طريقة خاصة في الفهرسة لأنه وضع الأطر العامة للفهرسة ولكنه يخالف شروط ذلك الاطار وهو يفهرس المؤلفات، في سبيل المثال وضع لخطة تصنيفه منهج الفهرسة الموضوعية المتخصصة (مكتبة الأدب الجاهلي) ولكنه صنف المؤلفات في ذلك الأدب على وفق الترتيب الالفبائي لاسماء المؤلفين. في حين نجد سركريس احتفظ بالاطار العام لجامعه والهرسة الموضوعية للمؤلفات داخل جامعه على وفق موضوعاتها. خدم الزمن د.عفيف في توفيره كم هائل من المؤلفات القديمة والحديثة التي جمعها خدمة لطلاب العلم في سبعة عشر عاما وهي من أمهات الكتب، والرسائل، والأطاريح الجامعية، وكتب، وبحوث، ومقالات لباحثين عرب وباحثي الاستشراق في الأدب الجاهلي، وهو جهد ليس يسيرا في جوهره، ولكنه عمل يستحق الوقوف على منهجيتها لأهميته في عمل باحثينا وطبيعة تطور تفكيرهم ونظرتهم للأدب الجاهلي، فضلا على القيمة العلمية والعملية التي وفرها كلا المؤلفين في عملهما. وهذا البحث في منهجيهما ذو بحث في طبيعة الفهرسة العربية الحديثة في القرن الماضي بين مدتين زمنيتين تمثل الأولى منهما (١٩٢٠-١٩٢٧) بواكير نهضة الثقافة العربية وطبيعة الكتاب المطبوع في ذلك القرن، في حين تمثل الثانية خلاصة الجهد الأكاديمي العلمي المواكب للمناهج العلمية والاتجاهات الادبية والنقدية في دراساتنا العربية الاصيلة منها والمستعارة من الغرب، فالاستاذ سركريس أخضع المطبوعات التي صدرت في سبعة أعوام - في البلاد الشرقية والغربية والامريكية-

لمنهج واحد (الفهرسة الوصفية) معتمدا أسماء المطبوعات وعنوانات المقالات والخطب التي طُبعت في هذه السنوات، جمعها بجهود فردية أو من طريق مؤسسات ودور نشر . وكذلك فعل د. عفيف مع فارق زمني طويل هو سبعة عشر عاما، وجعل الادب الجاهلي وكل ما تعلق به موضوعا لتصنيفه وقد ذكر في مقدمة مكتبته أنها خلاصة عمله منذ أكثر من ربع قرن في تدريس أدب ما قبل الاسلام ، مدعيا أن البحوث والدراسات فيه تتكرر لعدم تنسيق الجهود ، وأن الاطلاع على جهود السابقين يجعلنا نبدأ من حيث انتهوا ، وان عملا مثل فهرسته يوفر جهدا مضنيا على طلاب الدراسات العليا للاطلاع على ما لم يُدرس فيه قبلا . ولأنه اختار الفهرسة الموضوعية لمكتبته قال: "وأرجو أن أتمكن قبل نهاية هذا القرن من انجاز عمل آخر مكمل لهذا العمل وهو وضع ببلوغرافيا وصفية ناقدة لما كُتب في الأدب الجاهلي حتى حينه"^(١)

اما سر كريس فقد جعل كتابه ذيلًا " للمعجم المشار اليه آنفا وسأسفحها ان وفقني العلي بمجموع ما يُنشر فيما بعد سنة فسنة." ^(٢) أي أن التصنيف المتتابع للمنشور من الكتب منهجه، واختار بعض المختصرات لجامعه أشار إليها في مقدمته ، هذا جزء من مصطلحات الفهرسة^(٣) وعد مطابع القاهرة علامة دالة على المدينة فاستغنى بها عن ذكرها، في حين أشار الى المدن والدول الأخرى لعدم شهرة مطابعها بين القراء في حينه. أهمل كثيرا من الروايات التي عدّها غير ذات

^(١) مكتبة الأدب الجاهلي ٩

^(٢) جامع التصانيف ج ١/٦ وطلب الى المؤلفين أن يصوبوا له الغلط فيما يُورد من مؤلفاتهم أو السهو عن بعضها.

^(٣) الفهرسة أسسها النظرية فسواناثان ٣٢٧ " ان الأفواس والعلامات المقوسة التي تضم مصطلحات أو عبارات توضيحية أو وصفية، كما تضم أيضا بعض عناصر المدخل مثل بيان السلسلة .. الخ".

أهمية أدبية تاريخية^(١) وهذا اختيار شخصي . نقول ذلك لأن زمن تأليف الكتاب عشرينيات القرن المنصرم مرحلة مهمة في توثيق تطور فن القصة والرواية العربية . كلا المصنفين اتخذ اطارا زمنيا لتصنيفه مع اختلاف المدّة الزمنية في عمل سر كيس لأن جامعه ذيل على معجم — صنّفه باسماء الكتب المطبوعة في الاقطار الشرقية والغربية منذ ظهور الطباعة— لست عشرة سنة ولم يقصره على التأليف في اختصاص معين ، في حين جمع د. عفيف المصنّفات في الأدب الجاهلي لسبعة عشر عاما من عمر جمعه المؤلفات لا من زمن نشرها ، وفي عمل الأول ميزة على الثاني في الفهرسة؛ اذ لم يسبقه اليه أحد في عصره ، في حين كانت المصادر متوافرة بين يدي الثاني فيما جمع من مصادر الادب الجاهلي اسلاميا وتاريخيا فضلا على فهارس باعمال المستشرقين وفهارس الجامعات لأطاريها ورسائلها.

المبحث الأول

منهج يوسف سر كيس في جامع التصانيف

(١) استغنى عن المقدمات مسهبة في أي حقل من حقول المعرفة التي صنّف مؤلفاتها (أدب، طب، فلسفة، تربية، دين، سياسة الخ...).

(٢) قسم كتابه على أحد عشر قسما في الجزء الأول معتمدا مضمون موضوعات الكتب التي صنّفها وشفعها بعنوانات روايات أغفل تاريخ نشرها ، ثم ذيل عموم الاقسام بما غفل عنه. وشفع ذلك التصنيف بفهرس أبجدي لاسماء المؤلفين بغية تسهيل مهمة البحث في الكتاب — وهو ما يعرف ب(كشاف الفهرس المصنّف) ^(٢)— فضلا عن بعض الكتب النادرة بعد فهرس الموضوعات ، وهي

^(١) جامع التصانيف ج ١/٦ — ٧

^(٢) الفهرسة ٣٢٣ يُنظر أنواع الكشاف التي أوردها.

مما يُباع في مكتبته وبائمانها .وقسم الجزء الثاني من كتابه على سبعة أقسام بحسب موضوعات المؤلفات التي صنّفها مع فهرس باسماء المؤلفين.

(٣) اختار لفهرسته السمة النقدية للمؤلفات في بعض المواضع مثل قوله في كتاب دحض النقد "وهو النقض الذي أجاد تليفه القس يوسف حبيقة وأداعه في هذه الايام على رفع الأوهام بقلم فؤاد صوان - مط الجهاد ١٩٢٥ ص ١١٨"^(١) وشفعه بكتاب الرد عليه (رفع الأوهام) الذي قال فيه " وهو نقض ما ادّعه القس يوسف حبيقة في رسالة السلام - بقلم موسى بولاد - مط الصبر ١٩٢٤ ص ٤٢"^(٢) وهو منهج عنده لأنه اتبع هذا الأسلوب في أكثر من موضع. ويُقال مثل هذا في اشارته الحاذقة لمعارضة اساتذة الجامعة المصرية بعضهم بعضا في رؤيتهم لتاريخ الادب العربي ولغته، لاسيما وان الاشارة الى تاريخ طبعة الكتاب لاتحقق انتشار صاحبه المتداولة بين طلاب الجامعة المصرية. وقصد التوثيق التاريخي لكتاب أثار ضجة كبرى في الأوساط الأدبية والدينية قال" في مقدمته هذا كتاب السنة الماضية حُذف منه فصل وأضيفت اليه فصول ... وهو خلاصة ما يُلقى على طلاب الجامعة في السنتين الأولى والثانية من كلية الآداب طُبع بعناية لجنة التأليف والترجمة والنشر - مط الاعتماد ١٩٢٧ م - ١٣٤٥ هـ ص ٣٧٥"^(٣) وكذلك فعل في كتاب كلية ودمنة وطبعته المتتاليتين ١٩٢٦ و ١٩٢٧ وطبيعة شرحهما

(١) جامع التصانيف ج ٢ / ٢٠٣

(٢) م. ن. ج ٢ / ٢٠٣

(٣) م. ن. ج ٢ / ١٨١ وانظر ما قاله كتاب الأدب الجاهلي ومحاضرات الشيخ محمد خضير بك في الرد عليه ج ٢ / ١٨٢. وقد نُشر الأدب الجاهلي ١٩٢٥ في حين كان رد الشيخ عليه ١٩٢٧.

وشراحهما. (١) ونجد عنده اشارات أولى في البحث عن مختصرات
 أمهات الكتب متنوعة الاتجاهات والعلوم، وغالبا ما تتخذ شكل بحث
 في فرع من فروع الأدب أو المعرفة التي تناولتها هذه المؤلفات
 الضخمة كما فعل ابن منظور في اختصار كتاب الأغاني، وكما
 فعل عبد الرزاق رزق الله ابوبكر بن أبي خلف الرسعني في
 اختصاره لكتاب (الفرق بين الفرق) لعبد القاهر البغدادي. (٢)
 واختصار تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان الذي عمله أنيس
 الخوري المقدسي" .. وقسمه حسب الموضوعات وأبواب الآداب –
 جزء ابمط الهلال ٣٠٠" (٣)

(٤) للرجل ثقافة فهرسية واسعة ، لأنه يميّز تحت كل عنوان من
 عنوانات تصانيفه النوع الدقيق لذلك التصنيف (الفرعي) ، مثال
 ذلك قال تحت عنوان في الأدب والشعر كتاب أناشيد الوادي "
 تأليف جورج مطر وهو شعر منثور في مواضيع مختلفة – مط
 الوطنية بيروت ١٩٢٧ ص ١١٠" (٤) ومع ذلك فاننا نجد عنوانات
 مبهمه تحت مسمى (في الأدب والشعر) مثل كتاب " بلاغة العرب
 في الجزائر تأليف عثمان الكعك أستاذ التاريخ بالمدرسة الخلدونية
 وعضو المجمع العلمي التونسي – مكتبة العرب تونس ص ٨٢" (٥)
 وهذا من استعمال العموميات " الاحالة العامة (الثانوية) احالة
 مفتوحة في الفهرس الى نوع الرأس الذي قد يتوقع الفرد أن يجد
 تحته مداخل لمواد تعالج موضوعات معينة، أو مداخل لأنواع معينة

(١) م . ن ج ٢ / ١٨١ .

(٢) م . ن ج ٢ / ١٨٢ و ج ١ / ٩٤ وغيرهما .

(٣) م . ن ج ١٣ / ١ وهو من مختصرات المحدثين زمن تأليف الجامع .

(٤) م . ن ج ٢ / ١٧٨ ومثله كتاب الحب والجمال لمحمد عبد المنعم ج ٢ / ١٧٩ .

(٥) م . ن ج ٢ / ١٧٨

من الأسماء أيضا بمدخل المعلومات^(١) ولانعلم ان كان الكتاب في تاريخ بلاغة مدينة الجزائر أم هي جزائر أخرى غير المغاربية المعروفة لنا، لاسيما وان الكتاب مطبوع في عشرينيات القرن الماضي ، اذ لانعلم للعرب بلاغة في الجزائر في ذلك الزمن ، وقد تكون كلمة بلاغة في عنوانه دفعته لتصنيفه تحت هذا العنوان .ويقال مثل هذا في تصنيفه السيرة الغيرية^(٢) تحت مسمى (كتب دينية مسيحية)، قال " الزنبقة اليوسفية وهو حياة الخوري يوسف طنوس يمين كنشليار بطريركية اللاتين بالقدس ومؤسس جمعية راهبات الوردية – بقلم الخوري يوسف العميشتي – مط اللاتين بالقدس ١٩٢٦"^(٣) وهذا من كتب السيرة ، حتى وان كانت حياة المترجم له تدور في فلك عمله بوصفه رجل دين . ويُقال مثل هذا فيما جمع (التربية والاجتماع وتهذيب الأخلاق والحكمة والفلسفة والدروس) تحت باب (كتب الأدب) وجمع تحت مسمى التربية والاجتماع . .كتاب (تهذيب الأخلاق للجاحظ) وكتاب (المرأة الحديثة كيف نسوسها) وكتاب (روح الماسونية لأحمد زكي أبو شادي) والأخير يؤشر ميول المؤلف الى فكرة الماسونية وطبيعة الفكر الذي تبناه الشاعر أحمد زكي أبو شادي^(٤). وتحت هذا المسمى وضع كتاب (المرأة في التمدن الحديث) في "تطور القضية النسئية

(١) الفهرسة ٣٣٠

(٢) السيرة الغيرية مصطلح نقدي يُطلق على السير التي يكتبها غير المؤلف في حياة غيره. ج٢/ ٢٠٤

(٣) جامع التصانيف ج٢/ ١٧٩ يُنظر ما فعله في تصنيف دواوين الشعراء ، ديوان الحوماني وغيره وهي من أصل معجمه.

(٤) م. ن ج٢/ ١٨٤١-١٨٦ فقد صنف الكتاب تحت عنوان في التربية والاجتماع وتهذيب الأخلاق والحكمة .

على وجه عام منذ القرون الوسطى حتى الآن لمؤلفه محمد جميل بيهم – بيروت ١٩٢٧ – ١٣٤٥ مط السلام ص ٢٨٠^(١) وهو أدخل في التاريخ والسياسة أو حتى التاريخ الاجتماعي منه في الأدب والتربية والأخلاق والفلسفة.

(٥) طبيعة منهجه في تصنيف الكتب ضمن القسم والفصل المعنون (تحت أي مسمى) على وفق ألف بائية العنوانات أضعفت فرصة جمع الكتاب والردود عليه في موضع واحد.^(٢) ولحسن الحظ أن الكتب مبدوءة بحرف الشين وكلمة شعر مما صنفها تحت قسم الشعر والشعراء والدواوين الشعرية والاغاني الخ. وهو عنوان واسع يعيد عن القاعدة الأساسية في التصنيف (التفريع الموضوعي)^(٣)

(٦) كانت فهرسته على درجة عالية من الدقة في بعض المواضع ، مثل وصفه طبعات قصص ألف ليلة وليلة .. بالصور الاصلية ومصححة على النسخة الاميرية – مط الفتوح ١٣٣٩ جزء. ألف ليلة وليلة أعتتت بنشرها مكتبة صادر بيروت سنة/١٩٢٦ باربعة أجزاء لم يذكر ناشر الكتاب المصدر الذي نقل عنه بل اعتمد في تنقيحه على أحد المصححين الذي أراد الاقتداء بنسخة المطبعة الكاثوليكية في بيروت المطبوعة سنة ١٩٠٦ بخمسة أجزاء^(٤) وكذلك فعل مع

(١) م.ن ج ١٨٦/٢ ويُنظر فضاء الأتراك والألمان في سورية ولبنان لايليا أبي ظاهر زجل باللهجة الشامية ج ٧٩/١ .

(٢) م.ن ج ٧٨/١ – ٧٩ ، ٨٢ في كتاب (الشهاب الراصد) وكتاب (نقد كتاب الشعر الجاهلي) في الرد على الشعر الجاهلي.

(٣) يُنظر الفهرسة ٣٣٥ التفريع الموضوعي والمترابط ومدخل العنوان.

(٤) جامع التصانيف ج ١/١٢٨ – ١٣٢ يُنظر تاجر البندقية تعريب أحمد العقاد وأخرى تعريب محمد السباعي ١٩٢٦ .

مسرحية شكسبير تاجر البندقية وطبعتها المعربتين؛ لأنها كانت مقررة عام ١٩٢٦ على طلبة البكالوريا، وكذلك فعل في رواية في سبيل التاج لفرانسوا كويه لأنها تُرجمت مرتان الأولى على يد المنفلوطي ثم على يدي حليم دمّوس الذي أعادها من شكل القلب القصصي للمنفلوطي الى (مأساة) كما في الأصل. فعل هذا مع القصص والمسرحيات التي حظت بشعرة واسعة. (١) وله قصب السبق في تصنيف الرواية، والقصة، والقصة التاريخية، والأوبرا، والمسرحية تصنيفا دقيقا، تحت مسمى قصص وروايات حتى ما كان منها منشورا في مجلات أو معربا (٢) حتى أنه أورد لأحمد زكي أبي شادي قصة (مها) نظما" كانت نشرتها مجلة المصور منشورة للأستاذ جاماتي - المط السلفية ١٩٢٦ ص ١٥٠" (٣) وهذا منهج متقدم في تقصي الأثر المنشور واثبات لأسبقية التأليف. ومثل هذا اشارته لمجهولية المؤلف قال: "ابراهيم باشا المصري وحرابه في سورية والأناضول لمؤلف مجهول علق حواسيها ووضع فهارسها الدكتور أسد رستم وعني بنشرها الخوري قرألي بالمط السومرية بمصر الجديدة - الجزء الأول ص ٦٧" (٤). وثقافة الرجل جلية في تصنيفه اذ عمد الى عدّ بعض كتب تاريخ الفلسفة في كتب الأعلام والطبقات مثل (كتاب فلسفة الاسلام في المشرق والمغرب) وكتاب (ارشاد الأريب الى معرفة الأديب) أو (الأعلام للزركلي) أو (أعلام العراق) أو (أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء) (٥) ووصفه

(١) م. ن ج ١/٢٨ - ١٣٢ و ج ٢/١٨٩.

(٢) م. ن ج ٢/١٨٧ - ١٩٠.

(٣) م. ن ج ٢/١٨٩.

(٤) م. ن ج ٢/١٦٥.

(٥) م. ن ج ٢/١٦٦ - ٦٧ يُنظر ما قاله في كتاب الشيخ محمد الخالصي ج ٢/٢٠١.

التفصيلي لكتاب (حوليات مصر السياسية) لأحمد شفيق باشا "الجزء الأول بدأه بخلاصة وجيزة في تاريخ مصر من أول ولاية محمد علي باشا الى اعلان الحرب الكبرى في ٣٨ صفحة ومن ثم الى آخر هذا الجزء تفصيل عن الحوادث التي حدثت من أغسطس سنة ١٩١٤ الى أن انتهت المفاوضات في تقرير لجنة ملنر سنة ١٩٢٤ وأكثر ذلك منقول عن صحف الأخبار. وفيه خرائط ورسوم مصر ١٩٢٥ ص ٩٠٠" (١)

(٧) فرض منهجه في تصنيف الكتب على أبواب وضع كتاب (الكتاب الذهبي ليوبيل المقتطف الخمسيني) في كتب التاريخ العام والتراجم والرحلات الجغرافية ومضمون الكتاب في " ذكر الحفلات التي عُقدت بمناسبة بلوغ مجلة المقتطف السنة الخمسين من عمرها - مط المقتطف ١٩٢٧". (٢) والكتاب بعيد عن مفهوم التاريخ والجغرافية ، ولكنه يحسب له قصب السبق في توثيق تاريخ الصحافة وسيرتها، اذ عدّه من التاريخ، على الرغم من عدم معرفتنا بمضمون الكتاب أو طبيعة تلك الحفلات. يُقال مثل هذا في تصنيفه كتاب (مصر والنظم الأدبية) للدكتور علي حلمي حكيمباشي مصلحة السجون وممثل مصر في مؤتمر السجون الدولي بلندن - مط مصر ١٩٢٧ ص ٢٣٥" (٣) وكان يفترض وضعه في القسم السادس من الجزء الثاني (السياسة والقوانين والشرائع وعلم الاقتصاد) مادام في النظم، لأن الفهرسة الموضوعية التي

(١) م.ن ج ٢/٦٩ ومثل هذا كتاب (الدليل العام) وكتاب (دليل قوتلي وطويل المعارف المعارف المحمدية وشركاهم) وكتاب رحلة الأندلس ج ٢/١٧٠.

(٢) م.ن ج ٢/١٧٤.

(٣) م.ن ج ٢/١٧٥.

اعتمدها على وفق ترتيب عناوات الكتب الألفبائي تستلزم "...عقد مقارنة بين التحليل الموضوعي أو رؤوس الموضوعات وبين التصنيف."^(١)

(٨) نلحظ في منهجه ترجمة عارضة لبعض المؤلفين وهو يفهرس لمؤلفاتهم مثل قوله " مجموعة تأليف الشيخ عبد الواسع الواسعي من علماء اليمن في القرنية بها (١) المختصر في ترخيص وترهيب حديث سيد البشر جمعه من كتاب المنذري والأحياء وغيرهما (٢) اللطائف البهية شرح الاربعين حديث السليقية وهي الودعانية (٣) البدر المزيل للحزن في فضل اليمن ومحاسن صنعاء ذات المنن - مط التضامن الأخوي ١٣٤٥" ^(٢) لكن هذه التراجم غير مطردة في تصنيفه . وله نظر ثاقب في الاشارة الى أماكن نسخ الكتاب المحقق، قال في أخبار الحمقى والمغفلين لابن الجوزي "...عن نسخة الخزانة الظاهرية ومقابلتها مع نسخة الأمير شكيب أرسلان - وفي مقدمته محاضرة الأستاذ عبد القادر المغربي - مط التوفيق دمشق ١٣٤٥ ص ١٧٢" ^(٣) وهذا من تصنيف المكتبات الضخمة وعمل المجامع العلمية بفرقها، اذ لا يخفى على باحث مافي ذكر نسخ المخطوط وأماكن وجودها من أهمية للمحققين وغيرهم .

^(١) م.ن من مدونة المكتبيين بالمنوفية (الفرق بين الفهرسة والتصنيف) .

^(٢) اجماع التصانيف ج ٢/٢٠٠ يُنظر الصفحة نفسها ما قاله في كتاب مختار ايقاظ العرب للإسلام وشئ من ترجمة مؤلفه الانجليزي لورد هدلي.

^(٣) م.ن ج ٢/١٧٧ يُنظر ما قاله في كتاب الأغاني في الصفحة نفسها.

٩) لقد فرض عليه كم المطبوعات أن يوسع معنى الأدب^(١) ليشمل (في الأدب والشعر ، في التربية والاجتماع وتهذيب الأخلاق والحكمة والفلسفة والدروس، قصص وروايات) في حين كان الأدب في القسم الأول (الأدب والانشاء والبلاغة. قواميس ومعاجم عربية وبلغات أجنبية..). وأفرد بابا (في الشعر والشعراء والدواوين الشعرية والأغاني والازجال وعلم العروض والقوافي،) وبابا (في قصص وروايات ، حتى التي لم يُذكر تاريخ نشرها) وعلّة ذلك أنه اتبع الفهرسة الوصفية التي تضغط عنوانات فرعية كثيرة تحت العنوان الرئيس أي عنوان مادة الكتاب موضوع تصنيفه. ومع ماتقدم فان فهرسته على درجة عالية من الاتقان ، لم يكرر فيها أي مؤلف وماذكره سابقا أشار إليه أو لمؤلفه ذكرا رقم الصفحة السابقة.

^(١) يُنظر مفهوم الأدب في مقدمة ابن خلدون/ للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون دار صادر بيروت ط ٢٠٠٠م، ١، ٤٤٧-٤٤٨ (وانما المقصود منه عند أهل اللسان ثمرته، وهي الاجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم؛ فيجمعون لذلك من كلام العرب ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عال الطبقة وسجع متساو في الاجادة ومسائل من اللغة والنحو مبنوثة أثناء ذلك متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العربية، مع ذكر بعض من أيام العرب يفهم به ما يقع في أشعارهم منها، وكذلك ذكر المهم من الأنساب الشهيرة والأخبار العامة . والمقصود بذلك كله أن لا يخفى على الناظر فيه شئ من كلام العرب وأساليبهم ومناحي بلاغتهم اذا تصفحه لأنه لا تحصل الملكة من حفظه الا بعد فهمه فيحتاج الى تقديم جميع ما يتوقف عليه فهمه). ويُلاحظ أن عدد المعاجم في جزء الجامع الأول أكبر منها في الجزء الثاني.

المبحث الثاني

منهج د. عفيف عبد الرحمن في مكتبة الأدب الجاهلي

أولاً: قسم د. عفيف عبد الرحمن مصنفه على ثلاثة أقسام هي

(١) " جهود العلماء العرب القدامى .

(٢) جهود المستشرقين .

(٣) جهود العرب المحدثين ."^(١)

ثانياً: شغل د. عفيف نفسه وفهرسته بمبحث (جهود القدماء في تدوين الشعر الجاهلي) والبيبلوغرافيا التي اتخذها منهاجاً له ليست مكاناً لمبحث مثله، بل جاء فيها من الأخطاء العلمية ما لا يغفله مبتدئ في دراسة الأدب الجاهلي لا مختص مثله ، اذ نسب بيت طرفة المشهور في خاتمة مطولته:

ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلاً ويأتيك بالأنباء من لم تزود

لزهير بن أبي سلمى معتمداً في ذلك على صاحب العقد الفريد كما زعم.^(٢) ويبدو أنه أراد من المبحث تقديم بعض آرائه النقدية آراءً سابقية ، ليسبق غيره من الباحثين في الإشارة إليها ، ظاناً جدتها في تسميته الشعر الجاهلي وبنائه وعصره^(٣) لكنه لو يأت بجديد .

في تصنيفه لجهود العلماء العرب القدماء اضطر الى اتباع سنان البحث الأكاديمي في تقديم المتقدم زمنياً على المتأخر، ولم يعمل بنظام تصنيفه لجهود المستشرقين، والعرب المحدثين، فضلاً على ايراده آراءً نقدية في أعمالهم "وكانت جهود أولئك العلماء عظيمة لا يمكن تهمينها، ولكن الأمر مختلف الآن، فحين نظر إليها الباحثون والدارسون رؤواً

^(١) مكتبة الأدب الجاهلي ١٦

^(٢) م. ن. ١٠ ويُنظر ديوان طرفة شرح الأعلام الشنمري تحقيق درية الخطيب ، لطفي الصقال مطبوعات مجمع اللغة العربية دمشق ١٣٩٥ هـ — ١٩٧٥ م ٤٨ .

^(٣) م. ن. ١٢ — ١٣ .

فيها ايجابيات وسلبيات .. ولعلَّ السبب يكمن في أن هدف كل فريق مختلف فبينما دونَ القدماء الشعر الجاهلي لاهداف وغايات محددة ذكرناها، طمح المحدثون الى أن يحصلوا على أشياء لم تكن مجال اهتمام القدامى. وثمة أمر آخر هو أن المحدثين نسوا البعد الومني فطالبوا القدامى بما يطلبونه الآن.^(١) ومع ذلك فإن عمله في جمع جهود القدماء — ممن صنّفوا في الادب الجاهلي شعرا ونثرا — لم يكن على درجة عالية من الدقة ، فقد وضع لابن حبيب أبي جعفر المتوفى ٢٤٥هـ (شرح النفاض) بين مؤلفاته والنفاض من الشعر الأموي لا الجاهلين فضلا على اغفاله اسم المحقق ورقم الطبعة وسنة طباعتها واسم المحقق لهذه الكتب الأمهات ودواوينها، فيما عدا اسم المؤلف، وسنة وفاته، وشارة لطبيعة ايراد الشعر أو الأمثال أو الحكم أو الأيام الجاهلية وأصنام العرب فيها. وكان ترتيبه كتب العلماء العرب القدماء بحسب سني وفاتهم وهو أمر متبع في دراسة التراث العربي لأن المتأخر ينقل عن المتقدم ، فمن المفترض أن خبر المتقدم أقرب للدقة لأنه أقرب لمصدر الرواية، ولكن عمله بعيد عن الفهرسة الموضوعية وهو من روح البحث الأكاديمي للفهرسة.

ثالثا: نقل د.عفيف عن فهرسة ابن خير الاشبيلي (٥٠٢هـ — ٥٧٥) ستة وثلاثين ديوان شاعر جاهلي، واحدى عشرة مجموعة شعرية نقلها مع صفحات ورودها في فهرسة ابن خير^(٢) مدعيا أنها اطلاع الأندلسيين على التراث الجاهلي. في حين كان يكفي الاشارة الى ذلك في هامشه وبهذا أصبح ناقلا للفهرسة لا مفهرسا ، وأجهد نفسه في استقصاء ما ظنّه سلبيات وايجابيات في أعمال القدماء ؛ معتمدا آراء

(١) م.ن ٢١

(٢) م.ن ١٩ — ٢١

المستشرقين وبعض باحثينا العرب المحدثين، وضمنه اشارات لبعض كتب التراث (التاريخ) مثل (فتوح الشام الشام للواقدي، وكتاب بكر وتغلب الذي ظنه لابن اسحاق) لأنه عدها من مصادر الشعر الجاهلي الموثوقة، ولأن القدماء عدوا ما فيها من شعر مصنوعا لاقترانه بالقصص والأساطير^(١) ولم يكتف بكتب الاختيارات وبعض كتب الأدب والدواوين الشعرية، وانما أضاف اليها كتب الأمثال مرتبة بحسب قدم أصحابها الى المتأخر منهم ابتداء بالمفضل الضبي ١٨٠ وللغاية أمثال الحديث لعبد المجيد محمود ٩٧٥م، والفاخر لمفضل بن سلمة ، ثم زاد عليها كتب (الأمثال المفقودة) من غير ترتيب زمني ويبدو أنه استخرجها من قراءاته على غير انتظام لأسماء مؤلفيها.^(٢) وكثير منها حَقَّق وهو موجود في المكتبات العربية مثل الأمثال لابي عبيد الهروي ت ٢١١ هـ وسوائر الأمثال للزمخشري ت ٥٣٨ هـ والأمثال السائرة لأبي عبيدة ت ٢١١ هـ .

رابعاً: قدّم في قسم المستشرقين والشعر الجاهلي تعريفاً لمعنى الاستشراق، ونبذة تاريخية في تأسيس كراسي الاستشراق شرقاً وغرباً ، فضلاً على المجالات الاستشراقية السبّاقية الى نشر التراث العربي مع اشارات لامام المستشرقين دي ساسي وأبرز مظاهر الاستشراق فضلاً على مجالات الاستشراق بحثاً ودراسة في التاريخ ؛ اذ عدّ ذلك من مصادر دراسة الأدب الجاهلي، ولكنه قدّم هذه المصادر بروح أستاذ

^(١) م. ن. هذا الرأي في الأدب الجاهلي اقتبسه أغلب المستشرقين ومن بعدهم د. طه حسين في عدّ هذا الشعر مصنوعاً .

^(٢) مكتبة الأدب الجاهلي ٢٥ وأشار لمصدر كل كتاب مفقود ذكره سواء في كتب الأدب والتاريخ أو في المكتبات ورقمه، وأغفل مصدر الكتاب المفقود مثل (الأمثال لعلي بن معد الأصفهاني، الأمثال للبرقي، الأمثال للحباني ، الأمثال للرياشي).

الأدب الجاهلي في محاضراته الأكاديمية، ويمكن عدّ أبحاثه تحقيقات المستشرقين دواوين الشعراء الجاهليين جزءاً من تاريخ تحقيق هذه الدواوين ، فكلها حقق على مدد زمنية متباعدة بعد تلك التحقيقات مع إضافات، ومنها ما تحول الى رسائل وأطاريح كما سنرى في تقديمه للمكتبة الجاهلية^(١)، وقد رتب هذه الدواوين على وفق الترتيب الألفبائي لاسماء أصحابها وعنوانات المؤلفات والمجموعات ، يلحظ فيه (فهرسة جميع الدواوين الشعرية حتى أواخر العصر بني أمية : جوزيف هورفتش)^(٢) إذ تُعدّ هذه الفهرسة كشافاً عن أولية الجمع والتأليف في الشعر العربي، وأقدمية العلماء العرب في هذا الجمع، لو توافرت في مكتبتنا الأكاديمية. ولا يخفى على متخصص كثرة الاستنتاجات والافتراضات في هذا الميدان بين الباحثين في الأدب الجاهلي وتدوينه. وقدم من بين ما قدم في مجموعة الدواوين "شعر أبي دؤاد الأيادي: حقه غرناوم الألماني ونشر ضمن دراسات في الأدب العربي ترجمة محمد يوسف نجم واحسان عباس بيروت."^(٣) وهذا يعني أن تحقيق الديوان كان على درجة عالية من الدقة العلمية حتى تُرجم كما كُتب، ولكن اشارته للترجمة من غير توثيق سنة الطبع أمر غير علمي ويجب الا يغيب عن مصنف لاهميته العلمية، لا سيما وأنه ذكر تواريخ طبع هذه الدواوين وسنوات وفاة كل مستشرق الا بعضهم متابعا في ذلك اما الطبعة و اما النقل عن مصدر موحد جمع تحقيقات المستشرقين بدليل قوله "ديوان طرفة: حقه أرمان كوسن دي برسفال الفرنسي في المجلة الآسيوية ، ١٨٤١م، فاندنيوف الألماني اطروحة دكتوراه بجامعة برلين

(١) م. ن. ٣٢ — ٣٧.

(٢) م. ن. ٣٤.

(٣) م. ن. ٣٣.

١٨٩٥م سليغسون باريس ١٩٠١م. (١) وهذا يعني أن تحقيق الديوان كان على أيدي المستشرقين، مما دفعه للعناية بتاريخ تحقيق الكتاب من دون قصد، علما أن ديوان طرفة تحقيق سلغسون هو المتداول في البحوث والمكتبات لأنه اتخذ شكل التحقيق الأكاديمي، فضلا على ذلك ذكر بعض الدواوين التي اعتقد أنها غير محققة مثل ديوان عمرو بن كلثوم، الذي حققه كرنكو الانجليزي طبعة بيروت ١٩٢٢م. (٢) وقد وثق ثلاثة تحقيقات للمفضليات :

الأول بشرح الانباري ٣ أجزاء، تحقيق السير تشارلز ليال ١٩٠٨م، والثاني شرح الانباري والمرزوقي ويبدو أنه قابل الشرحين الجزء الأول فقط، عمل توربيكه الالمانى ليبيج ١٨٨٥م، والثالث مختارات المفضليات والأصمعيات تحقيق ريشير الالمانى ١٩١١م. (٣) وقد اتبع الترتيب الزمني في ايرادها وكذلك فعل مع الأصمعيات التي حُققت مرتان الاولى بشرح ابن السكيت تحقيق كرنكو ١٩٠٧م ويلهلم آلورد ١٩٠٢م، والثاني المذكور مع المفضليات تحقيق ريشير، وتابع كذلك القصائد المفردة التي حظيت بدراسة واهتمام المستشرقين مع اشارة للتحقيقات والدراسات المتعددة على القصيدة الواحدة مثل لامية الشنفرى؛ فقد درسها أو حققها أو نقدها أو ترجمها كل من : ياكوب الالمانى ، وجيمس هاوس الانجليزي، والبارون دي ساسي الفرنسي، وفايل الالمانى، وفرنيل الفرنسي، وجابرييلي الايطالي، ونولدكه الالمانى، وجارتن الالمانى، ورويسالالمانى، وروكهارت

(١) م ن ٣٣.

(٢) م ن ٣٤.

(٣) م ن ٣٥.

الألماني^(١) وقدّم أسباباً تاريخية وظرفية لاهتمام المستشرقين بهذه القصائد، في حين كان اهتمامهم على وفق الاهتمام الذي نالته هذه القصائد على أيدي علماء اللغة والنحو العرب القدماء. ويبدو أنه استقى معلوماته من أحد الكتب الأدبية للنقاد المصريين في هذا الميدان (طه حسين، بدوي طبانة.. الخ). ويؤكد هذا الاستنتاج أن اهتمامهم بالمعلقات كان كبيراً، ومعلوم أن المعلقات أو الجاهليات الطوال قدّمت بتفصيل تاريخي لحياة كل ناظم مع ظروف نظمه في كتب شروحها ، وفي دواوين اللغويين والنحويين القدماء لاسيما وأن عنايتهم كانت بلغتها وبنائها الفني وتركيباتها النحوية، وهو ما أكدّه في تقديمه لمصادر الأدب الجاهلي في آثار العلماء العرب المتقدمين^(٢) ثم شفع هذه الفهرسة لجهود الاستشراق والمستشرقين بجرد لانجاز المؤسسة الاستشراقية في مجال الموسوعات والمعاجم^(٣) مبيّنا قيمة الجهود الاستشراقية ما لها وما عليها في خدمة تراثنا وفي توجيه النظريات التي شاعت في حقيقة الأدب الجاهلي (شعرا ونثرا) ومن الغريب أنه عدّ كل ما يصدر عن الباحثين – حتى وان كانوا عربا يكتبون بلغات أجنبية – هو نتاج استشراقي، قال " تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين . وهو مصنوع على نمط ما فعله بروكلمان ولكن المؤلف يزعم بأنه أوفى وأشمل من كتاب بروكلمان، وقد ترجم محمود فهمي بعض مجلداته ثم صدر عام ١٩٨٣م عن جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية مترجما بأكمله في

(١) م ن ٣٦.

(٢) م ن ٣٦ يُنظر ما أورده من فهرسة للقصائد المفردة التي حظت باهتمام المستشرقين في الصفحتين ٣٦ – ٣٨.

(٣) م ن ٢١ – ٢٢ يُنظر دراسات المستشرقين في تاريخ الجاهلية ٣٩ – ٤٢ والظواهر التي عنوا بدراستها ٤٢ – ٤٦.

عشرة مجلدات"^(١) وهذا يعني أن الرجل يعطي آراء نقدية في المصنّفات التي يوردها في كتابه أحيانا، في حين اكتفى بالفهرسة الوصفية كما زعم في مقدمته لمصنّفات الأدب الجاهلي.^(٢)

خامسا: لأنه أراد لكتابه أن يكون دليل الطلبة والباحثين في شؤون الأدب الجاهلي واتجاهات الدراسة فيه. فقد حمل فهرسته لتراث العرب القدماء والمستشرقين آراء نقدية. وفي جهود المحدثين فعل ذلك على نحو يسير ، وكان بإمكانه جمعها باختصار في مقدمته مثل قوله "فهرسة التراث وتحديد أماكن وجوده في مختلف أصقاع العالم، وما عمل سيزكين الذي يقع في مجلدات عديدة وعمل بروكلمان قبله الامثالن من تلك الجهود الجبارة."^(٣)

سادسا: و قدّم بمثل ما قدّم لجهود علماء المسلمين القدماء وجهود المستشرقين مقدمة تاريخية لبواكير البحث في أدبنا العربي وعدّ الاستعمار الفرنسي بداية النهضة ثم جهود الافغاني في التوجّه لدراسة التراث لمواكبة القديم حتى وصل الى ناقوس الخطر(كتاب طه حسين الأدب الجاهلي) وهي مقدمة تاريخية وصفية نقدية، وفي حقيقة الأمر هي مجموعة آراء لباحثين عرب محدثين مثل: بدوي طبانة في كتابه (دراسات المستشرقين)، و ابراهيم سعافين في مدرسة الاحياء والتراث ، ومحمد علي دقة في السفارة السياسية في العصر الجاهلي، وعفت الشرقاوي في دروس ونصوص في قضايا الأدب الجاهلي، وفتحي أبي عيسى في من قيثارة الشعر العربي، وصلاح عبد الصبور في قراءة جديدة لشعرنا القديم. ويبدو أن انشغاله بتقديم آراء موضوعية ونقدية في

(١) م. ن. ٤٦ سبق لفؤاد سزكين أن حقق الفهرست لابن النديم عام ١٩٢٠ بالعربية.

(٢) م. ن. ٦

(٣) م. ن. ٤٧

تصنيفه المؤلفات العربية الحديثة في الشعر الجاهلي دفعته للقول "ولاننس أن التوجه كان لاحياء تراث الأمة، فلم يشغلوا بنقده لأنهم كانوا بعد هذا السبات الطويل مبهورين به، فأقبلوا ينشرونه وينهلون منه، ويتداولون النصوص، ولعل الطبعات الأولى منه تُلقى ضوءاً ساطعاً على ما نذهب اليه. وقد كان نشرهم لذلك التراث انتقائياً، فنشروا منه ما خلب لبهم أولاً. وسنرى في الصفحات الآتية من البحث كيف اتسعت دائرة اهتمامهم الى أن شملت دقائق هذا التراث." (١) يشفع له في هذه التقديم الطويل أنه محض كتابه لمؤلفات في اتجاه واحد هو الأدب الجاهلي نحوه وصرفه ولغته وتاريخه وبنائوه الفني.. الخ.

سابعاً: من عيوب منهجه التكرار غير المقصود لبعض مصادر تراثنا ، وهذا مما لايجوز في الفهرسة الموضوعية غير المكتبية ، أو في أقل تقدير لايجوز في ترتيب المصدر المفهرس لاسيما في عدد طبعاته وتواريخها وتحقيقاتها ان وجدت (٢) اذ أورد كثيرا من كتب الأدب واللغة ، وعدّها من مصادر الشعر الجاهلي (الأدبية التاريخية) وبعضها من تحقيق مستشرقين ، كان يجب ايرادها ضمن تحقيقاتهم، على وفق منهجه مثل: "الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني ت ٣٥٦هـ .

طبعة الساسي ١١ جزءا ١٩٢٣م.

طبعة دار الكتب المصرية ١٦ جزءا، ١٩٢٧م وما بعدها.

طبعة الهيئة المصرية العامة، ٢٥ جزءا.

طبعة دار الثقافة بيروت ٢٥ جزءا، ١٩٦٤م.

(١) م ن ٥٢

(٢) الفهرسة ما ذكر من تكرار المصادر والطبعات ٣٢٣-٣٣٦.

طبعة دار الشعب، مصر، ١٩٦٩م. (١) وسبق له ذكر الأغاني ضمن جهود العلماء العرب القدماء في تدوين الشعر الجاهلي، فضلا على المفضليات والأصمعيات والمؤتلف والمختلف، ومجم الشعراء، والموشح، وحماسة البحتري، وشرح حماسة أبي تمام، شرح المفضليات وكان حقها أن تُجمع في مكان واحد تحت جهود القدماء فقط أو تحت ترتيبها الأبجدي.

ثامنا: طلبة الدراسات العليا جزء من منهج هذه الدراسات ونسجها، فقد صنّفها على وفق أسماء جامعيها . في حين صنّف دواوين الشعراء الجاهليين على وفق الترتيب الألفبائي لأسماء شعرائها، مع اشارة لعدد طبعاتها ومحققها أو جامعيها ولم تخل من اعادة وتكرار لهذه الطبعات وجامعيها ومحققها. (٢) في الدواوين والمجموعات الشعرية : نجده رتبها بحسب تسلسل أسماء شعرائها الألفبائي، مع ذكر عدد طبعات كل ديوان بتسلسل زمني ، وفيها تكرار كثير لأنه ذكر كثيرا منها في انجازات المستشرقين، فضلا على جهده في ايراد طبعات بعض الدواوين جمعها من مجلات المجامع العلمية وحوليات الجامعات وغيرها؛ الا أن بعض الدواوين شكلت خلا في توثيق تصنيف تحقيقها، مثل ديوان امرئ القيس، ذكره في منجزات المستشرقين بتحقيق كل من البارون سلان الفرنسي وجوزيف رينو، وطبعة أخرى لجوتفالوفازان،

(١) مكتبة الأدب الجاهلي ٥٨ وقد ورد ذكر الأغاني ص ١٨. يُنظر حماسة أبي تمام وشروحها وتحقيقاتها ص ٦٢ ثم أوردتها باسم الوحشيات بطبعتين ص ٧٠ وفي هذا مضیعة للجهد والوقت. لأن المداخل المتعددة تنفع في المكتبة الاستعارية لا الكتاب المصنّف.

(٢) م. ن. ٨٣ — ٩٨.

ثم أخرى لفريدريك روزين الألماني، وبعدها ترجمة روكهارت الى الألمانية.^(١)

ولكنه حين أعاد ذكره في (الشعر الجاهلي في دراسة العرب المحدثين) اكتفى بذكر طبعة مصححة لـ آلود غير مشفوعة بتاريخ نشرها وعدد طبعاته وتحقيقاته على يد الباحثين العرب^(٢) ويبدو أن علّة هذا النقص لاتعود الى قيمة الطبعات المحققة وغير المحققة وانما يعود لكثرة جمع المعلومات والعنوانات وتصنيفها المتفرق بين ذكر اسم المحقق وحيانا اسم المؤلف، واهمال المراجعة، وهناك خطأ في ذكر موضع نشر الديوان، مثل ديوان أوس بن حجر، ذكره أولاً بتحقيق رينيه باسيه الفرنسي في المجلة الآسيوية ١٩١٢م ورودلف غاير النمساوي فينا ١٨٩٢م، ثم عاد فذكره بجمع غاير وعناية باسيت المجلة الآشورية ١٩١٢م.^(٣) ومع ذلك فاته من صانعي دواوين الشعر الجاهلي ثعلب^(٤) وهذامن السهو أو قصور الاطلاع لأن صنعة ثعلب للديوان متقنة الشرح معتمدة في الدراسات الأكاديمية؛ أوردتها على النحو الآتي "

(١) م.ن ٣٢ — ٣٣.

(٢) م.ن ٨٤ يُنظر ديوان أمية بن أبي الصلت ٣٣ تحقيق يوبيز وشولتز ثم ذكره بعناية شوليتس ص ٨٤ وهو خطأ طباعي في رسم الاسم وكذلك ديوان تأبط شرا ٨٥/٣٣ وغيره والخساء ٨٧/٣٣ وزهير ٨٩/٣٣.

(٣) م.ن ٨٥، ٣٣.

(٤) يُنظر الفهرست ، ابن النديم ش و ت يوسف علي طويل. دار الكتب العلمية بيروت — لبنان ط ١٤٢٢/٢هـ — ٢٠٠٢م، ١٨، وشرح ديوان زهير بن أبي سلمى لثعلب أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني، نسخة مصورة عن دار الكتب ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م ونسخة عن الدار القومية ١٩٦٤م.

طبعة دار الكتب لمصرية ١٩٤٤م، ٤٣٣ص (١) وكذلك ديوان عامر بن الطفيل حققه كل من د. محمود الجادر ود. عبد الرزاق الدليمي لم يورد هذه الطبعة في فهرسته لطبعات الديوان. (٢) وشعر عمرو بن كلثوم لم يذكر طبعة دار القلم بيروت ، شرح وضبط د.عمر فاروق الطباع وهي حديثة خالية من سنة الطبع. (٣) وغيرها وهذا ليس عيبا في منهج تصنيفه، ولكن التكرار في ذكر المؤلف الواحد وضياعه تحت مداخل فهرسية متعددة فضلا على ايراد العمل أحيانا على وفق أسماء المحققين أو ضمن أعمال الباحثين يسبب ارباكا، ويستهلك جهدا ووقتا غير قصيرين من الباحث لاستخراج المعلومة التي يُفترض أنها سهلة الجمع والاستخراج من كتاب مثل (مكتبة الأدب الجاهلي) بوصفه فهرسة موضوعية لكل ما كُتب في الأدب الجاهلي.

تاسعا: تحت عنوان النصوص الشعرية التي دُرست أورد قصائد مشهورة بعينها مثل: ميمية الأسود بن يعفر بمطلعها، وبائية الأعشى، وبائية ورائية وسينية ولامية امرئ القيس. (٤)

عاشرا: في فهرسته للرسائل والأطاريح الجامعية اعتمد أسماء منجزها بوصفها جهدا علميا مسجلا باسمائهم، ومع ذلك نجده في بعض ما أورد - بحسب الترتيب الألفبائي لأسماء الباحثين - من الأطاريح بعنوانات مختلفة عن المسجلة في جامعاتها مثل "شرح القصائد التسع

(١) مكتبة الأدب الجاهلي ٨٩ وأورد أخرى عن الدار القومية ١٩٦٤ عن أحمد زكي العدوي.

(٢) م. ن. ٩٢ لأن طبعة د. الجادر بعد عام ٢٠٠٠م وقد جمع المؤلف ما استطاع جمعه مما نُشر حتى عام ١٩٩٦م.

(٣) ديوان عمرو بن كلثوم شرح وضبط د.عمر فاروق.

(٤) مكتبة الأدب الجاهلي ٩٨ - ٩٩ ويُنظر قصائد أكثر من شاعر جاهلي ١٠٠ -

لابن النحاس ماجستير، جامعة بغداد ١٩٧١م، نشرت : بغداد ١٩٧٣" (١) وهي تحقيق لشرح ابن النحاس للقوائد التسع الجاهليات، والرسالة اليوم من المصادر النادرة لشروح المطولات ومن المراجع في ميدان الأدب الجاهلي لأحمد خطاب عمر .

حادي عشر: أضع في تصنيفه الرسائل والأطاريح بحسب الترتيب الأبجائي لأسماء أصحابها السبق العلمي في دراسة الموضوع أو الظاهرة أو حتى التحقيق؛ فضلا على الخلط في اتجاهات الدراسة؛ إذ اختلط التحقيق العلمي مع دراسة الظواهر، ودراسة الشاعر، الى رصد الاتجاه الأدبي أو الفني في عصور الأدب مع الاتجاهات النقدية لدراسة الأدب الجاهلي مثال ذلك أورد لـ (احسان يعقوب خضر الاسطورة والخرافة وأثرها في الشعر الجاهلي، دكتوراه، جامعة الاسكندرية، ١٩٨٥م. ثم ذكر لأحمد اسماعيل النعيمي الاسطورة في الشعر العربي قبل الاسلام ، دكتوراه جامعة بغداد، ١٩٩١م، نشرة القاهرة، سينا للنشر، ط١٩٩٥، م١). والاطروحتان في الموضوع نفسه، فمن الواجب جمعهما تحت عنوان واحد. وأورد دراسات على شعراء، مثل دراسة أحمد الزعبي (النمر بن تولى: حياته وشعره) رسالة ماجستير، جامعة اليرموك ١٩٩٥م، ودراسة أحمد عبد الرازق أبي فضة (سحيم عبد بني الحساس) ماجستير جامعة القديس يوسف ١٩٨٢م وغيرها من دراسات الشعراء. وذكر لأحمد حسين بركات (موازنة بين شعر الأعشى وجرير) ماجستير الجامعة الاسلامية ١٤٠٦هـ ، ولأحمد خضير الجبوري (شعر قريش في الجاهلية: جمع ودراسة) ماجستير

(١) م ن ١١٤ وينظر كتاب أيام العرب في العصر الجاهلي لأبي عبيدة جمع وتحقيق عادل جاسم البياتي ١٢٨.

لجامعة اليرموك ١٩٩٥م. (١) فضلا على الخط الذي حدث في هذا التصنيف بين ماهو نقدي وما هو لغوي أو نحوي أو حتى من المناهج الحديثة لدراسة الشعر الجاهلي أو جمع أو جمع وتحقيق شعر الأفراد والقبائل ، مثل (وحدة القصيدة في الشعر العربي حتى نهاية العصر العباسي) و (الصورة البلاغية في الشعر العربي القديم) و (التيار الفني في شعر الهذليين) و(دور الشعر في شرح المفردة القرآنية) أو(الصعاليك قبل الاسلام بين الفكر والموقف) و(الخصومة بين الجديد والقديم في النقد العربي القديم) أو (التشابه والاستعارات في الشعر الجاهلي) و (الاختيار الشعري عند الأصمعي) أو(زعيم الشعراء في العصر الجاهلي) و (الصورة البلاغية في الشعر العربي القديم) و (موقف الصعاليك من المجتمع الجاهلي) . (٢) فلو كان تصنيفه لهذه المصادر على وفق موضوعاتها لكان يسرّ على الباحثين العمل كثيرا، وجمع في كل موضوع مصنّفاته، وهو أمر يحتاجه طلاب الدراسات العليا لاستقصاء ما بُحث من موضوعات في الشعر الجاهلي ؛ وهو هدف فهرسته. وهو أعلم من غيره مقدار حاجة طلاب وباحثي الدراسات لمثل ذلك التصنيف. مثال ذلك ، لوجمع الدراسات في الصعاليك التي تفرقت هنا وهناك في مصنّفه مثل:

(١) الصعاليك قبل الاسلام بين الفكر والموقف، أمينة موسى

ماجستير/جامعة حلب.

(٢) موقف الصعاليك من المجتمع الجاهلي، خير الدين محمود

قبلاوي ماجستير/جامعة دمشق ١٩٨٠م.

(١) م. ن. ١١٤-١١٥ ويُنظر ما أورده في الصفحات التي بعدها ١١٥-١٥٠.

(٢) م. ن. ١١٦-١٢٢.

- ٣) الشعر الجاهلي بين ملوكه وعبيده، زكريا عبد الرحمن صيام. دكتوراه/جامعة الأزهر ١٩٧٣م.
- ٤) الشنفرى والشعراء الصعاليك، محمد علي الشامي. ماجستير/الجامعة اللبنانية ١٩٧٣م.
- ٥) الانسان عند الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، منذر الزعبي، ماجستير جامعة اليرموك ١٩٨٨م.
- ٦) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ماجستير، جامعة القاهرة، ١٩٥٨م، نشرة: القاهرة، ١٩٥٩م. (١)
- وهكذا مثلاً شعر القبائل، ثم شعر الأفراد، التحقيق والدراسة جمعهما معاً، وغيرها من الموضوعات مثل الخطابة أو بعض الظواهر النقدية (السرود القصصي، الحوار، القصة، البناء الفني) أو بعض الموضوعات في البيئة وأثرها (جغرافية انتشار الشعر الأسواق، المدينة، اليمامة..الخ) ، الدراسات المتعلقة بالقرآن من ألفاظ ودلالات وشروح. (٢)
- ثاني عشر: بعض الأطاريح والرسائل خلت من سنة الطبع والنشر، وأخرى قُدمت باسم الجامعة، وكثير من الجامعات يندرج تحت مسمى الإسلامية. (٣)

كان بإمكانه — على وفق فهرسته للرسائل والأطاريح — أن يشير الى بعض المتخصصين في التحقيق، مثل د.علي العتوم الذي حقّق

(١) م. ن. ١١٦، ١٢٢، ١٢٤، ١٤٣، ١٤٦، ١٥٠، ويُنظر شروح التعليقات ١٢٥ وشروح الشعر الجاهلي حتى نهاية القرن الخامس منهاجها واتجاهاتها ١١٤ ومنهاج دراسة الشعر الجاهلي في مصر: عرض وتحليل وتفسير ١٢٧.

(٢) م. ن. يُنظر أسماء العرب في الجاهلية دلالاتها اللغوية وحياة امرئ القيس ولغة هذيل ١٢٦، ١٣٠.

(٣) م. ن. ١٢٩ شرح المفضليات للمرزوقي ت ود. عبد الله ناصر القرني.

ديوان حاتم الطائي، ووثق ودرس المعلقات العشر ١٩٨٠، وعبد الحميد المعيني الذي جمع وحقق دراسة شعراء عبد القيس في الجاهلية، وشعر تميم في العصر الجاهلي مادام اختار لفهرسته شكل الكتاب. فضلا على اغفاله سنة طبع الديوان. (١)

الدراسات باللغة العربية، وقسمها على:-

الكتب، البحوث، المقالات، وصنّفها على الترتيب الألفبائي لاسماء المؤلفين والباحثين، وقد أوقعه اختيار هذا التصنيف في تكرار أسماء المؤلفات التي ذكر بعضها فيقسم الرسائل والاطاريح. وحدث مثل هذا عنده في تصنيفه للكتب، ثمّ البحوث، والمقالات، أورد في الكتب (الكتابة العربية من العصر الجاهلي) وهي أدخل في التاريخ وعمل الآثاريين، مما يعني أنه لم يطلع على مضمونه. يُقال مثل هذا في اعمال ابراهيم عبد الرحمن محمد ذكر له في النصوص الشعرية التي دُرست "الأعشى البائية:

أوصلت صرم الحبل من سلمى نطول جنابها.

ابراهيم عبد الرحمن: مجلة فصول، مجلد ١، عدد ١٩٨١، ٣م،

ص ١٣٨ وما بعدها.

(١) م. ن. ١٣١، ١٣٥ في دراستيهما للماجستير والدكتوراه ويُنظر دريد بن الصمة ج وت و د. عمر فاروق ١٣٦، ١٩٧٥ وشعر النابغة الشيباني ت و ١٣٣د وشعر اليهود في الجاهلية وصدر الاسلام ت ود ١٩٨١ ص ١٢١ وديوان سلامة بن الجندل ١٩٦٤ أو نُشرت في حلب ١٩٦٨ الفخر الدين قباوة ماجستير القاهرة ١٣٨، وديوان عنتر ١٤١ وغيرها كثير، شعراء يشكر في الجاهلية والاسلام حتى نهاية العصر الأموي لمنجد مصطفى بهجت ١٤٥، تحقيق دواوين امرئ القيس والنابغة وعلقمة بشرح البطليوسي لناصيف سليمان عواد ١٤٦.

ابراهيم عبد الرحمن: من الشعر الجاهلي، ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٤٤".^(١) ولامية امرئ القيس:

..... ألا عم صباحا أيها الظل البالي

من كتاب الشعر الجاهلي، وحائية عبيد بن الأبرص:

هبت تلوم وليس ساعة اللاحي. من كتاب الشعر الجاهلي، ونونية المتقّب العبدى:

أفاطم قبل بينك متعيني ومنعك ما سألت كأن تبيني^(٢)

وكلها من تاب (الشعر الجاهلي قضاياها الفنية والموضوعية) بيروت . دار النهضة العربية ١٩٨٠م.^(٣)

لأحمد زكي رسالته (شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي) لجامعة القاهرة أوردها في الأطاريح، وعاد لذكرها كتابا مطبوعا تحت مسمى (شعر الهذليين، القاهرة، دار الكتاب العربي ١٩٦٩، وهي سنة طباعته.^(٤) وهذا غير قليل عنده، وهو اضاعة للجهد

^(١) م. ن. ٢٠٨، ١٥٥ ويُنظر رسالة أحمد خطاب عمر ١١٤ تحقيق القوائد التسع لابن النحاس والقواعد النحوية في شرح القوائد التسع لابن النحاس في البحوث والمقالات ٢٠٨. و ص ٩٨.

^(٢) م. ن. ١٠٩، ١٠٦، ٩٩.

^(٣) م. ن. ١٥٣.

^(٤) م. ن. ١١٥ وتاريخ تقديم الرسالة ١٩٥١م، ثم عاد فكررها كتابا ١٥٧، ويُنظر اطروحة أحمد محمد النجار (أساليب الصناعة في الشعر الجاهلي) ١١٥ كررها ١٥٨ دراسات بالعنوان نفسه، والاطروحة مقدمة سنة ١٩٨٦ وطُبعت كتابا ١٩٩٢ وهو فارق زمني كبير ان صحّ التاريخان عنده، ولغالب فاضل المطلبي (لهجة تميم) ماجستير جامعة بغداد ١٩٧٨ م ص ١٣٧ وكررها في الدراسات بالاسم نفسه ص ١٨٥. ومثل هذا غير قليل عنده، كرسالة بهجة عبد الغفور الحديثي (ديوان أمية بن أبي الصلت) لجامعة بغداد ١٩٧٣ =

والوقت للمؤلف، والباحثين على حد سواء، بل هو هدر للورق و العمل التصنيفي، لا سيما وأن التصنيف اختصار للجهد والوقت، وتسهيل للحصول على المعلومات وتبويبها على وفق طريقة واحدة ومنهج واحد؛ في حين اختار د.عفيف طرائق ومداخل متعددة، فكان من نتيجة منهجه أن:-

(١) كرر الرسالة أو الاطروحة في مكانين من فهرسته، في أحيان كثيرة.

(٢) كرر ذكر الكتاب على وفق التسلسل الألفبائي لأسماء المؤلفين مرّة ولعنوانات الكتب والبحوث لأنه اختار فهرسة المداخل المتعددة.

(٣) لم يكتف بالإشارة الى الكتاب أو الرسالة والاطروحة العلمية عند تصنيفها تحت مسمى موضوعاتها . انما كررها في الموضوعين.

(٤) لم يكتف بجمع اعمال بعض المستشرقين حين قسم لجهودهم فصلا من كتابه، بل كرر بعضا من أعمالهم في أسماء الكتب والمقالات والبحوث.^(١)

(٥) بعض أسماء المؤلفين أثبتها خطأ في تصنيفه مثل "غانم حدّاد رضا، لمحات من البطولة العربية في شعر الحرب. بغداد، الموسوعة الصغيرة، ١٩٨١".^(٢) وصوابه غانم جواد رضا ، حتى

=نشرت ١٩٧٥ص ١١٨كررها في الكتب بطبعته ص ١٦٠وفي الدراسات أمية بن أبي الصلت في مجلة البلاغ عدد ١٠/١٩٧٩م، ص ٢١٢.

^(١) يُنظر ما أورده في قسم الكتب ص ٦٣الجويدي (المختصر للغة الجنوب) ص ١٧٢ولصموئيل كريمير ترجمة أحمد عبد الحميد يوسف (أساطير العالم القديم) وص ١٨٦الغرنباوم غوستاف ترجمة احسان عباس (حضارة الاسلام) وص ١٨٧الكراتشكوفسكي اغناطيوس (دراسات في تاريخ الأدب العربي) .
^(٢) م ن . ١٨٥ .

وان كان الخطأ طباعياً لأنه يعسر استخراج الكتاب باسم خطأ. وهذا فيما نعلمه يقينا من أسماء المؤلفين مما يعني وجود غيرها خطأ.

(٦) المعلومات التي أوردها في تصنيفه لأسماء (الكتب) لم تكن وافية في بعض المواضع مثل "محمد التونسي، الأعشى شاعر المجون والخمرة، دراسات في الأدب الجاهلي. حلب، ١٩٨٠م" (١) فمؤلف التونسي الأول تنقصه بعض المعلومات من حيث تاريخ الطباعة ومكانها أو حتى المؤسسة الناشرة، وجلي لدى الباحثين أن تاريخ طباعة الكتاب أو الاطروحة أو البحث العلمي يؤشر سبق المؤلف في ميدان تأليفه، فضلا على حسابات علمية في اعادة البحث والاستقصاء، أو التحقيق والدراسة في الموضوعات نفسها التي تؤشر وجود نتائج جديدة، أو تؤكد نظرية قديمة أو تقنّدها، أو تحقق استنتاج ما أو تنفيه.

(٧) أوقعه النظام الذي اتبعه في تصنيف الكتب تحت أسماء مؤلفيها في وضع بعض اصدارات المنظمات على أنها مؤلف الاصدار لأنها ليست من الدوريات ، مثل "المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، مختارات من النقوش اليمينية القديمة. تونس، ١٩٨٥م." (٢)

(٨) تميّز تصنيفه لبعض الكتب بالتفصيل الدقيق لاسيما تلك التي نالت حظا من الرواج والشهرة لدى الباحثين مثل كتاب (النظم الشفوي في شعرا قبل الإسلام) لجميس مونرو، قدّمه بترجمتي ابراهيم

(١) م. ن. ١٩٠ ويُنظر مؤلفات محمد حسن المرصفي الصفحة نفسها ، وكتاب فوزي عطوي النابغة الذبياني بيروت دار صعب خال من سنة الطبع ص ١٨٧ وغيره، ومؤلفات فؤاد أفرام البستاني وقصي حسين ١٨٦، ١٨٧ ويُنظر محمد أبو موسى قراءة في الأدب القديم ١٩٥ ومصطفى حسين، رواية الشعر العربي ص ١٩٧ وغيرها.

(٢) م. ن. ١٩٩.

السنجلاوي، ويوسف الطراونة في الأردن ١٩٨٧م والثانية لفضل بن عمار في الرياض ١٩٨٧م. (١)

(٩) في تصنيفه للبحوث والمقالات قدم معلومات وافية ودقيقة لاسم الباحث، ومكان النشر، وسنة الطباعة، فضلا على عدد المجلة، وصفحات نشر البحث أوالمقال، ومع ذلك فقد حدث عنده بعض النقل عن مصادر أخرى لا من الأصل، مثل بحث ابراهيم علي طرخان "الجزيرة العربية في كتب السير والتراجم مع دراسة تحليلية لكتاب الطبقات الكبرى لابن سعد وأهميته مصدرا لتاريخ الجزيرة العربية. تاريخ الجزيرة العربية، ص ١٤٣ - ١٨١". (٢) وقد خلا التصنيف من سنة الطبع؛ ودليل آخر على نقله عن مصادر أخرى غير الأصل قوله في بحث أنيس فريحة "أصل الخط العربي، مجلة الدراسات الأدبية، الجامعة اللبنانية، السنة الثانية ١٩٦٠م، ص ٧٦ وما بعدها". (٣) اذ لو كان اطلع على البحث في مجلة الدراسات الأدبية لذكر عدد الصفحات التي استغرقها نشر البحث ولكنه نقل المعلومة من مصدر آخر أشار للبحث المذكور، وهذا

(١) م. ن. ١٩٩٠. وتاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث لنجيب البهيتي ٢٠١.

(٢) م. ن. ٢٠٦ ولاحسان عباس (نصان جديان عن الدين في الجاهلية) مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية خال من سنة الطبع ص ٢٠٧، ولابراهيم مصطفى رأي في تحديد الشعر الجاهلي مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة ص ٢٠٧، ولأحمد خطاب عمر الكتابة العربية من العصر الجاهلي لم يذكر مكان الإصدار ولا سنته ص ٢٠٨ وغيره.

(٣) م. ن. ٢١١ ويُنظر دقة المعلومات من المصدر في تحقيق بشار عواد معروف (لأهل المئة فصاعدا) لشمس الدين الذهبي ص ٢١٢. أورد المعلومة على النحو الآتي: المورد بغداد م ٢، ع ١٩٧٢، م ٤٠٤.

عمل لا يتناسب والدقة العلمية ، فضلا على سنوات الجمع الطويلة التي أهدرها المؤلف في جمع مادته.

(١٠) ذكر بعض بحوث المستشرقين في البحوث والمقالات في قسم الدراسات العربية مرة، مثل (الأدب العربية في العصر البطولي) لهاملتون جب "مجلة العلوم، السنة ١٢، العدد ١١، ١٩٧٦م، ص ٤٢- ٥٠" (١) وسبق أن أورد له في دراسات المستشرقين (المدخل الى تاريخ الأدب العربي) (٢) وهذا تبديد لجهد الباحث في أعماله ووقته، الا أنه لم يذكر ورودها باللغة العربية في الدراسات باللغة العربية ضمن تصنيفه.

(١١) خلا تصنيفه من الأهمية التاريخية لطباعة الكتب والمؤلفات، فقد اختار الترتيب الألفبائي لاسماء المصنّفات ولإسماء المؤلفين، في حين غاب عنه ترتيب نشر بحوثهم ومؤلفاتهم بحسب التسلسل الزمني لنشرها، مثل بحوث بطرس البستاني، وجورج صدقي، وحمد الجاسر، وسهير القلماوي، وسهام الفريح، وعادل البياتي، وعادل سليمان جمال، وعبد الله أحمد المهنا، وعبد الغني زيتوني، وعبد القادر الرباعي، وعفيف عبد الرحمن، وعمر محمد الطالب، وكمال أبو ديب، ولويس شيخو، ومحمود عبد الله الجادر، ومحمود محمد شاكر، ونجيب البهيتي، ونصرت عبد الرحمن، ونوري حمودي القيسي، ويحيى الجبوري، ويوسف خليل ويوسف

(١) م. ن. ٢١٣ وكذلك فعل مع أنوليتمان الألماني أورد له الشعر العربي والسامي ص ٤٠ ثم بقايا اللهجات في الأدب العربي ص ٢١١.

(٢) م. ن. ٤٠ وانظر تحليل حديث للشعر العربي لـ د.الس ليخت فستاديرت عبد الله أحمد المهنا ص ٢٢٢.

اليوسف. ^(١) وعلة ذلك أنه تابع الترتيب الأبائبي في ذكر مؤلفات كل واحد من الباحثين والمؤلفين، ولم يكن ملزما بذلك أبدا.

المبحث الثالث

النتائج

- (١) ان العمل في التصنيف والفهرسة يستلزم خبرة وثقافة خاصة لاتوافر الا لمن أوتي صبورا وحبا للكتاب والمعرفة.
- (٢) التصنيف عمل ليس سهلا كما يبدو للوهلة الأولى ويستغرق وقتا فعليا، لانجازه على أتم وجه، فضلا على المال الوافر والاطلاع الكاف، ولذا كان عمل سر كيس أكثر اتقانا من عمل د. عفيف عبد الرحمن.
- (٣) على الرغم من اختيار د. عفيف عبد الرحمن لتصنيف خاص في موضوعه (مكتبة الأدب الجاهلي) الا أنه شغل جزءا غير صغير من كتابه بآراء شخصية، وطموحات مستقبلية يجب أن يخلو التصنيف الحديث من أمثالها.
- (٤) الخبرة المهنية لسركيس — في التصنيف — تفوقت على الثقافة الأكاديمية ل د. عفيف ، فقد سبق للأول اعداد مصنف ضخم في تصنيف المطبوعات.
- (٥) لم تظهر للدكتور عفيف ثقافته الأكاديمية في تصنيف المكتبة الجاهلية، وقد اعتذر لنفسه بعزمه اصدار مصنفة نقدية لهذه المكتبة مستقبلا، ومع ذلك وجدناه ينثر آراءه الشخصية في المصنفات والأشخاص هنا وهناك في مكتبته.

^(١) م. ن. ٢١٢-٢١٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢٢٠، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٣٠، ٢٢٧، ٢٣٢، ٢٣٥-٢٤٢، ٢٣٦، ٢٤٦، ٢٤٣-٢٥١.

- (٦) على الرغم من الأهمية العالية لطول زمن التصنيف الا أنه فقد بعض أهميته لدى دكتور عفيف ، ونال عناية لطيفة عند سركريس.
- (٧) كرر د.عفيف كثيرا من مصنفات مكتبة الأدب الجاهلي، حتى ليشعر القارئ بالملل، واستطاع سركريس التخلص من التكرار بالإشارة الى صفحة سابقة في هوامش لطيفة. فلا يمكن أن نضع الطول الزمني في صالح د. عفيف لأنه اختاره طواعية في حين حدّد سركريس سقفا زمنيا لجامعه.
- (٨) كانت عنوانات سركريس مبعث عجب وخط في بعض الاحيان لأنه اختار أن يجمع تحت مسمى الأدب ما ليس منه، فضلا على المؤلفات الاقتصادية والقانونية؛ وهذا من نتيجة الفهرسة الموضوعية ذات المداخل الفرعية المتعددة.
- (٩) التصنيف عمل ضروري وجهد له أهميته العلمية في تيسير عمل الباحثين وطلبة العلم في كل زمان ومكان، فضلا على الجرد القومي الذي يسهم اليوم في طبيعة الجرود الدولية والأممية، وللعرب أن يفخروا بوجود مثل هذه الجهود الفردية والصبر لباحثيهم ومتقفيهم، لاسيما وان سركريس دخل اسمه بوصفه مصنفًا في الموسوعة العربية الحديثة في حين تنهض بمثل هذه المصنفات فرق بحثية ومؤسسات في دول العالم المتقدم.

قائمة المصادر والمراجع

- (١) جامع التصانيف الحديثة التي طُبعت في البلاد الشرقية والغربية والأمريكية جزئيين، عُنِيَ بجمعه وترتيبه يوسف اليان سركيس الدمشقي. دار صادر بيروت ١٩٩٣م.
- (٢) التصنيف نظام ديوي العشري ترجمة مدحة كاظم مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٦٨.
- (٣) ديوان زهير بن أبي سلمى لأبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني. دار الكتب المصرية ١٣٨٤هـ — ١٩٦٤م.
- (٤) ديوان عمرو بن كلثوم شرحه وضبط نصوصه وقدم له د. عمر فاروق. دار القلم بيروت لبنان .
- (٥) الفهرست، ابن النديم شرح وتعليق يوسف علي طويل. دار الكتب العلمية بيروت — لبنان ط ١/١٤٢٢هـ — ٢٠٠٢م.
- (٦) الفهرسة أسسها النظرية وتطبيقاتها العلمية. س. ج. فسواناثان ترجمة حشمة محمد غلي قاسم، محمد فتحي عبد الهادي. جمعية المكتبات المدرسية / القاهرة ١٩٧٠.
- (٧) مجلة المجمع العلمي في دمشق ج ٤/١٩٩٨م.
- (٨) مدونة المكتبيين بالمنوفية (الفرق بين الفهرسة والتصنيف والتحليل الموضوعي) فبراير مارس ٢٠٠٨م.
- (٩) مكتبة الأدب الجاهلي ببلوغرافيا رسائل جامعية . كتب. بحوث. مقالات د. عفيف عبد الرحمن دار صادر بيروت ط ١/١٩٩٨م.
- (١٠) معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة د. سعيد علوش دار الكتاب اللبناني بيروت — سُوْشِيريس الدار البيضاء ط ١/١٤٠٥هـ — ١٩٨٥.

(١١) مقدمة ابن خلدون تأليف العلامة عبد الرحمن بن محمد بن

خلدون. دار صادر بيروت ط١/٢٠٠٠م.

(١٢) الموسوعة العربية الميسرة دار نهضة لبنان للطبع والنشر.

بيروت لبنان م٢/١٤٠٧هـ — ١٩٨٧م.

**Tow Book collector classifications and Library Pre-
Islamic Literature**
A comparative study in systematically classified

A.P. Dr.Aadhira Mohamed Ragheb

Abstract

This is a comparative study in two bibliographers' methods of Arab bibliographers in the last century : Elian Sarkis and Dr. Afif Abdul Rahman. One of them was in 1920s and the other was in 1990s . we preferred to select their two books because the first one represented the bibliography (the general classification) of the Arabic issues (the written and the translated) at his age , while the bibliography of the second was for a specific topic , I.e. pre-Islamic literature and what as written about it in the Arabic studies and in other languages. Both bibliographers chose the general approach with multi titles as their method in classification.

For long library experience , the first Sakis Al-Dimashqi was more to the books titles and their topics as well as a brief biography of the author and the printing place and date, which is an international style followed in bibliography , where as the second one repeated the titles of the books and researches on the way of the public libraries and was far from summarizing in the bibliography as well as the readers' loss among the subtitles of the topic or the book itself. The reference will be focused on their precedence in modern classification not forgetting that Sarkis was recorded in the unified Arab encyclopedia with his work (Jami'I Al-Tasaneef).



**منهج المبرد في تفسير القرآن الكريم في ضوء آرائه
التفسيرية في كتابه المقتضب**

**أ.م.د. ياسر إحسان رشيد النعيمي
الجامعة العراقية - كلية أصول الدين**

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.
وبعد: فظالما كنتُ أتوق إلى دراسة الآراء التفسيرية لأئمة اللغة وبيان جهودهم في تفسير القرآن الكريم، وقد بحثتُ عن كتاب لأحد أئمة النحو لدراسة الآراء التفسيرية فيه، فوجدتُ أن أبا العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ) — وهو أحد أئمة اللغة البصريين الكبار — لم يتم إبراز جهوده التفسيرية وبيان منهجه في تفسير القرآن الكريم، وبعد تصفحي لكتابه ((المقتضب)) وجدتُ أنه حوى آراء تفسيرية بديعة، ونقلتُ عنه الكثير من هذه الآراء.

من هنا جاء اختياري لهذا الموضوع ((منهج المبرد في تفسير القرآن الكريم في ضوء آرائه التفسيرية في كتابه المقتضب)) ليكون عنوان بحثي هذا قاصداً منه إبراز أهم معالم المنهج التفسيري للمبرد مستضيئاً بالآراء والمباحث التفسيرية التي ذكرها في كتابه ((المقتضب)).

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه على مقدمة وتمهيد ومباحث ثلاثة وخاتمة، كما يأتي:

المقدمة بينتُ فيها أهمية الموضوع وسبب اختياري له وخطة البحث، وفي التمهيد عرّفتُ بشكل مختصر بالمبرد وكتابه ((المقتضب)) وقد أثرتُ الاختصار كون التعريف بهما مما أشبع بحثاً فلا حاجة إلى الإطالة فيه، والمبحث الأول عرضتُ فيه طريقة عرض المبرد للشواهد القرآنية في كتابه ((المقتضب)) وكلامه عليها، وفي المبحث الثاني حاولتُ بيان منهج المبرد في التفسير، وكان هذا المبحث عرضاً للمنهج اللغوي من خلال آراء المبرد التفسيرية في الكتاب، أما المبحث الثالث

فخصصتهُ لبيان قواعد عامة عند المبرد في تفسير القرآن، وقسمتهُ على أربعة مطالب:

المطلب الأول: القول بزيادة الحروف في القرآن عند المبرد.
والمطلب الثاني: القراءات عند المبرد. والمطلب الثالث: القول بالترادف ونيابة الحروف بعضها عن بعض في القرآن الكريم عند المبرد.
والمطلب الرابع: الفروق بين الكلمات المتقاربة في المعنى.
وفي الخاتمة بينتُ أهم ما توصلتُ إليه من النتائج في بحثي المتواضع هذا.

وأسأل الله تعالى أن يجعلني موفقاً في عملي هذا، وأن يتقبله مني، وأن يغفر لي زلتي إنه غفور رحيم..

تمهيد

التعريف بالمبرد وكتابه ((المقتضب))

أولاً: التعريف بالمبرد

١. اسمه ونسبه

هو أبو العباس محمد^(١) بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري المعروف بالمبرد. يعرف بالمبرّد — بكسر الراء —؛ قال السيوطي: "ولما صنف المازني كتاب الألف واللام سأل المبرد عن دقيقة فأجابه بأحسن جواب فقال له: قم فأنت المبرّد — بكسر الراء — أي: المثبت للحق، فغيره الكوفيون وفتحوا الراء"^(٢). ورويت روايات أخرى حول سبب تلقيبه بهذا اللقب^(٣).

٢. ولادته ووفاته

وُلد المبرد سنة عشر ومئتين، وكانت وفاته سنة خمس وثمانين ومئتين في بغداد، ودفن بمقابر الكوفة^(٤).

٣. علمه ومكانته:

اشتهر المبرد رحمه الله تعالى بعلمه في اللغة، واحتل مكانة بارزة، وأثنى عليه العلماء، فقال السيرافي فيه: "كان الناس بالبصرة يقولون: ما رأى المبرد مثل نفسه"^(٥). ونقل السيوطي عن نبطويه

(١) تنظر ترجمته في: أخبار النحويين البصريين للسيرافي: ٩٦، وإنباه الرواة على أنباء النحاة للقفطي ٢٤١/٣، وإشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين لعبد الباقي بن عبد المجيد اليماني: ٣٤٢، وبغية الوعاة للسيوطي ٢٦٩/١.

(٢) بغية الوعاة ٢٦٩/١.

(٣) ينظر: إنباه الرواة ٢٤٦/٣.

(٤) ينظر: بغية الوعاة ٢٧١/١.

(٥) أخبار النحويين البصريين: ٩٦.

قوله: "ما رأيتُ أحفظ لأخبار بغير أسانيد منه"^(١). وقال عبد الباقي اليماني: "وكان إماماً في العربية، غزير الحفظ والمادة"^(٢).
 وقال القفطي: "وكان له شعر جيد كثير لا يدعيه ولا يفخر به"^(٣).
 وقال السيوطي: "إمام العربية ببغداد ... وكان فصيحاً بليغاً مفوهاً، ثقة أخبارياً علامة، صاحب نوادر"^(٤).
 ولهذه المكانة والشهرة كان مقدماً في الدول عند الوزراء والأكابر^(٥).

٤. مؤلفاته

ترك المبرد ثروة علمية كبيرة ومتنوعة، وهي مشهورة معروفة حتى قال عبد الباقي اليماني: "وللمبرد تصانيف كثيرة، شهرتها تغني عن ذكرها"^(٦). ذكر السيوطي منها:
 معاني القرآن — الكامل — المقتضب — الروضة — ما اتفق لفظه واختلف معناه — ضرورة الشعر — المقصور والممدود — الاشتقاق — القوافي — إعراب القرآن — نسب عدنان وقحطان — الرد على سيبويه — شرح شواهد الكتاب — العروض — طبقات النحاة البصريين^(٧).

(١) بغية الوعاة ١/٢٧٠.

(٢) إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين: ٣٤٢.

(٣) إنباه الرواة ٣/٢٤٧.

(٤) بغية الوعاة ١/٢٧٠.

(٥) ينظر: إنباه الرواة ٣/٢٤٧.

(٦) إشارة التعيين: ٣٤٢ — ٣٤٣.

(٧) ينظر: بغية الوعاة ١/٢٧٠.

ثانياً: التعريف بكتاب ((المقتضب)) للمبرد (١):

كتاب ((المقتضب)) للمبرد كتاب في النحو تناول فيه مؤلفه مسائل النحو، وهو من أوائل الكتب التي عالجت مسائل النحو والصرف بالأسلوب الواضح والعبارة المبسطة^(٢)، ألفه المبرد في زمن شيخوخته بعد أن اكتمل نضجه العقلي وعمق تفكيره واستوت ثقافته، لذلك كان أنفس مؤلفاته وأنضج ثمراته^(٣).

وقد نال ((المقتضب)) عناية بالغة من قبل العلماء، فالكثير منهم كان ينقل منه آراء المبرد المختلفة^(٤) ومنهم من شرحه وأوضح مسأله وبين مشكلاته^(٥).

والذي لفت نظري في الكتاب أن المبرد أكثر فيه من الاستشهاد بالآيات القرآنية، وفي أحيان كثيرة كان يفصل القول في الآيات، وهذا ما نبه عليه محقق الكتاب الأستاذ محمد عبدالخالق عزيمة إذ قال في مقدمة تحقيقه للكتاب: "وشواهد ((المقتضب)) القرآنية تجاوزت خمس مئة آية، وكان يبسط القول في بعض الآيات ويذكر بعض القراءات وتوجيهها أحياناً"^(٦).

من هنا جاءت الرغبة في دراسة أقوال المبرد في التفسير، وهذا هو موضوع المباحث الآتية بعون الله تعالى.

(١) لخصتُ الكلام على هذه النقطة مما كتبه الأستاذ محمد عبدالخالق عزيمة في مقدمة تحقيقه لكتاب المقتضب للمبرد ٧٠/١ وما بعدها.

(٢) ينظر: مقدمة الأستاذ محمد عبدالخالق عزيمة لتحقيقه كتاب المقتضب ٧٠/١.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ٧٠/١ و ٧٥ - ٧٦.

(٤) ينظر: المصدر نفسه ٨١/١.

(٥) ينظر: المصدر نفسه ٨٨/١.

(٦) المصدر نفسه ٩٥/١.

المبحث الأول

طريقة المبرد في عرض الشاهد القرآني

عند تتبع الشواهد القرآنية التي جاء المبرد بها نلاحظ أن طريقته في التعامل معها تختلف من شاهد لآخر، وبيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: الإتيان بالشاهد القرآني لمجرد التمثيل به لقاعدة نحوية دون

الكلام على الشاهد ودون أن يكون له في الآية رأي تفسيري، من ذلك:

١. قال المبرد في سياق الكلام على إعمال المصدر وبيان أن من

مواضع إعماله مجيأه منوناً: "فما جاء في القرآن منوناً قوله: ﴿أَوْ

إِطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْجَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾﴾ نرى في هذا النص

أن المبرد جاء بالآية الكريمة لمجرد التمثيل بها على القاعدة

النحوية وليس له فيها رأي تفسيري أو إشارة إلى رأي.

٢. قال في سياق الكلام على جواز بدل المعرفة من النكرة

وبالعكس: "ونظير بدل المعرفة من المعرفة نحو قول الله عز وجل:

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴿٣﴾﴾ ... وبدل

المعرفة من النكرة .. ونظير هذا قول الله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ ﴿٤﴾﴾ (٥).

ثانياً: الإتيان بالشاهد القرآني للتمثيل به على قاعدة نحوية ذكرها

دون الكلام على الشاهد ودون تحليل له، لكنه مع ذلك جاء به للإشارة

(١) البзд: ١٤ - ١٥.

(٢) المقتضب للمبرد ١/١٥٢.

(٣) الفاتحة: ٦ - ٧.

(٤) الشورى: ٥٢ - ٥٣.

(٥) المقتضب ١/١٦٤.

إلى دفع احتمال الخطأ في تفسيرها، من ذلك قول المبرد في سياق الحديث عن معاني العطف بـ (أو): 'فإن نهيت عن هذا قلت: لا تجالس زيدا أو عمراً، أي: لا تجالس هذا الضرب من الناس، وعلى هذا قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْعَمْنَهُمْ أِثْمًا أَوْ كُفُورًا﴾ (١) (٢)، فنحن نلاحظ في هذا النص أنه ذكر قاعدة نحوية تتعلق بالعطف بحرف العطف (أو)، ثم استشهد بآية كريمة.

وأرى أن المبرد جاء بهذه الآية ليبين معناها الذي قد يشكل على بعض الناس فقد يحتمل أن يكون العطف بـ (أو) في الآية للشك، فأراد المبرد أن يدفع هذا الاحتمال بالإتيان بالآية في هذا السياق للدلالة على أن حرف العطف هنا جاء للدلالة على استقلالية كل من الأثم والكفور، فهما ضربان مستقلان وكل منهما أهل لأن لا يُطاع. وقد أوضح الزجاج هذا المعنى فقال: "(أو) ههنا أوكد من الواو؛ لأن الواو إذا قلت: لا تطع زيدا وعمراً فأطاع أحدهما كان غير عاص؛ لأنه أمره أن لا يطيع الاثنين. فإذا قال: ولا تطع أثمًا أو كفورًا، فـ (أو) دلت على أن كل واحد منهما أهل لأن يعصى..." (٣).

فالمبرد وإن لم يتكلم على الآية إلا أن الغاية التي من أجلها جاء المبرد بالآية قامت مقام الكلام عليها.

ثالثاً: الإتيان بشاهد قرآني استشهد به بعض النحويين على القاعدة النحوية التي يتكلم المبرد عليها؛ للإشارة إلى رفضه لهذا الاستشهاد، من ذلك:

(١) الإنسان: ٢٤.

(٢) المقتضب للمبرد ١/١٤٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٥/٢٦٣.

قول المبرد في سياق الحديث عن استعمالات الاسم الموصول (ما) الاستفهامية وقد ذكر أنها قد تستعمل لصفات العاقل: "... وكذا قيل في قوله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾^(١) أي: وبنائها، وقالوا: والذي بناها"^(٢). فنحن نلاحظ أنه صدر الاستشهاد بالآية بـ (قيل) للتمييز على أن الاستشهاد ليس له، وهو في الوقت نفسه إشارة إلى تضعيفه لهذا الاستشهاد؛ لأن (قيل) صيغة تمييز. ويؤيد رفضه لهذا الاستشهاد أنه ذكر رأيه في تفسير الآية فقال: "أي: وبنائها" ثم قال مبيناً تفسير الآية على قول من حمل (ما) على الموصولية: "وقالوا: والذي بناها".

فهو جاء بهذا الاستشهاد للدلالة على تضعيفه؛ لأن الصواب عنده أن (ما) هنا مصدرية، فالقسم وقع بالسماء وبنائها، فتأول (ما) والفعل الذي بعدها بالمصدر (بناء)^(٣).

ولعل الذي حمل المبرد على هذا القول هو أن الأصل في (ما) الموصولة أنها تستعمل لغير العاقل، ولا يجوز حملها على العاقل إلا إذا لم يمكن حملها على غير ذلك. وعلى ذلك فـ (ما) في الآية الكريمة تحتمل أن تكون موصولة وأن تكون مصدرية، وحملها على المصدرية أرجح لعدم وجود تأويل.

(١) الشمس: ٥.

(٢) المقتضب ١/١٧٩. وكرر المبرد نحو هذا القول في ٥١/٢ و ٢٩٥/٢.

(٣) أود الإشارة هنا إلى أنه ممن ذهب إلى أن (ما) موصولة الحسن البصري ومجاهد وأبو عبيدة معمر بن المثنى، وممن ذهب إلى أنها مصدرية قتادة بن دعامة السدوسي والمبرد والزجاج. (ينظر: البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ٨/٤٧٣). وجوز الطبري الوجهين. (ينظر: جامع البيان عن تأويل أي القرآن للطبري ٢٤/٤٣٨).

وقد رد الزمخشري قول المبرد فقال: "جعلت (ما) مصدرية في قوله ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ (١) ﴿وَمَا طَحَّهَا﴾ (٢) ، وليس بالوجه؛ لقوله ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ (٣) وما يؤدي إليه من فساد النظم، والوجه أن تكون موصولة وإنما أوثرت على إرادة معنى الوصفية" (٤).

واعترض الزمخشري على قول المبرد غير وارد؛ لأنه بنى اعتراضه على أنه إذا جعلت (ما) مصدرية فإنه حينئذ يكون الضمير المستتر الذي في قوله تعالى ﴿فَأَلْهَمَهَا﴾ لا يعود على مذكور، فإذا جعلت (ما) موصولة صح عود الضمير إليها. قال أبو حيان: "ولا يلزم ذلك؛ لأننا إذا جعلناها مصدرية عاد الضمير على ما يفهم من سياق الكلام، ففي (بناها) ضمير عائد على الله تعالى، أي: وبناها هو، أي: الله تعالى ... وعود الضمير على ما يفهم من سياق الكلام كثير" (٥).

المبحث الثاني

المنهج التفسيري عند المبرد

اعتمد المبرد المنهج اللغوي في تفسير القرآن الكريم، وليس هذا غريباً فالمبرد أحد أئمة اللغة، وعنه أخذ الكثير من أهل اللغة من الذين كتبوا في تفسير القرآن اعتماداً على المنهج اللغوي. والتفسير اللغوي:

(١) الشمس: ٦.

(٢) الشمس: ٧.

(٣) الشمس: ٨.

(٤) الكشف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأفاويل في وجوه التأويل للزمخشري ٦/٣٨٢.

(٥) البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ٨/٤٧٤.

هو بيان معاني القرآن الكريم بما ورد في لغة العرب^(١). ولا تخفى أهمية هذا المنهج في تفسير القرآن الكريم^(٢). وهذه محاولة لرسم معالم المنهج التفسيري عند المبرد في كتابه المقتضب، ويمكن إبراز معالم هذا المنهج بالنقاط الآتية:

أولاً: التنظير بين أسلوب الآيات القرآنية: وهو ما يسمى بتفسير القرآن بالقرآن، وكثيراً ما نجد أن المبرد ينظر أسلوب آية بأسلوب آية أخرى، كما في قوله: "وأما قوله عز وجل: ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾^(٣) فعلى الجواب. فإن قال قائل: أفأمر الله بذلك ليخوضوا ويلعبوا؟! قيل: مخرجه من الله عز وجل على الوعيد، كما قال عز وجل: ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾^(٤) و ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾^(٥). وأما قوله: ﴿ ذَرَّهُمْ فِي حَوَاضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾^(٦) فإنه ليس بجواب، ولكن المعنى: ذرهم لاعبين، أي: ذرهم في حال لعبهم^(٧).

(١) ينظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم للدكتور مساعد بن سليمان الطيار: ٣٨.
 (٢) لا بد لي من أن أذكر بأن المبرد عندما تطرق إلى تفسير بعض الآيات فإنه لم يقصد تفسير الآيات قصداً أولياً، بل كان قصدهُ الأولي تأصيل القاعدة اللغوية، أما تفسير الآيات فقد ذكره عرضاً، وذلك لكون كتابه ((المقتضب)) كتاب نحو وليس كتاب تفسير كما هو معلوم. ولذلك لم يرد عند المبرد تفسير القرآن الكريم بالسنة الشريفة ولا بأقوال الصحابة ولا التابعين.

(٣) الحجر: ٣.

(٤) فصلت: ٤٠.

(٥) الكهف: ٢٩.

(٦) الأنعام: ٩١.

(٧) المقتضب ٨٤/٢.

فيلاحظ أن المبرد بيّن أن قوله تعالى ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾ خرج مخرج الوعيد، منظراً لهذا الأسلوب بما جاء في قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ فإنه ليس أمراً بالكفر، معاذ الله أن يأمر الله بالكفر! وإنما هو وعيد من الله تعالى، وكذا قوله سبحانه: ﴿ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ ﴾ خرج مخرج الوعيد.

ونلاحظ أيضاً أن المبرد جاء بقوله تعالى: ﴿ ذَرَّهُمْ فِي خَوَاصِرِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾ ليدفع التناظر المتوهم بين هذه الآية وبين قوله ﴿ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا ﴾.

ومن ذلك أيضاً قول المبرد في سياق استعمال الواو والنون أو الياء والنون في جمع الأسماء وفي الأفعال إذا كانت لغير العاقل: "اعلم أن ما كان من ذلك لآدميين فغير ممتنع من الواو والنون ... وإن كان لغير الآدميين لم تلحقه الواو والنون ... فإن قال قائل: فقد قال الله عز وجل في غير الآدميين: ﴿ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (١) فالجواب عن ذلك: أنه لما أخبر عنها بالسجود — وليس من أفعالها وإنما هو من أفعال الآدميين — أجراهم مجراهم؛ لأن الآدميين إنما جمعوا بالواو والنون؛ لأن أفعالهم على ذلك. فإذا ذكر غيرهم بذلك الفعل صار في قياسهم ... وكذلك قوله عز وجل: ﴿ كُلِّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٢) لما أخبر عنها أنها تفعل — وإنما حقيقتها أن يفعل بها فتجري — كانت كما ذكرت لك. ومن ذلك قوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَلِّمًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ فِيْءِهِمْ لَمَّا قَسَىٰ لَيَالٍ وَنَحْيِهِمْ لَعْنَهُمْ ﴾ (٣) فالجواب عن ذلك: أنه لما أخبر عنها بالسجود — وليس من أفعالها وإنما هو من أفعال الآدميين — أجراهم مجراهم؛ لأن الآدميين إنما جمعوا بالواو والنون؛ لأن أفعالهم على ذلك. فإذا ذكر غيرهم بذلك الفعل صار في قياسهم ... وكذلك قوله عز وجل: ﴿ كُلِّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٢) لما أخبر عنها أنها تفعل — وإنما حقيقتها أن يفعل بها فتجري — كانت كما ذكرت لك. ومن ذلك قوله: ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَلِّمًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ فِيْءِهِمْ لَمَّا قَسَىٰ لَيَالٍ وَنَحْيِهِمْ لَعْنَهُمْ ﴾ (٣)

(١) يوسف: ٤.

(٢) الأنبياء: ٣٣.

كَبِيرُهُمْ هَذَا فَشَلُّوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١﴾ إنما ذلك لدعواهم أنها فعالة وأنها تُعبد باستحقاق...» (٢).

نرى هنا أن المبرد ذكر أنه استعمل جمع المذكر السالم ((ساجدين)) في الآية الأولى مع أن الموصوف غير عاقل، وذلك لأنه لما نسب إلى غير العاقل ما هو من أفعال وصفات العاقل عومل معاملته. ثم نظر لهذا بآيات أخرى استعمل فيها جمع المذكر السالم لغير العاقل وكذلك استعمل فيها الفعل المتصل بالواو والنون لغير العاقل؛ لأنه عومل فيها غير العاقل معاملة العاقل لأنه نسب لغير العاقل ما هو من خصائص العاقل، فبين بذلك أن هذا الأسلوب مستعمل في القرآن وليس شاذاً.

ثانياً: توظيف الإعراب لبيان المعنى القرآني: في أثناء قراءتي لكتاب المقتضب للمبرد وجدته يوظف الإعراب لبيان معاني الآيات القرآنية توظيفاً بديعاً؛ من ذلك قوله في سياق حديثه على كسر همزة (إِنَّ) وفتحها: "فأما قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾ (٣) فمعناه: إلا وهذا شأنهم (٤)، وهو والله أعلم جواب لقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (٥). وأما قوله عز وجل: ﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ

(١) الأنبياء: ٦٣.

(٢) المقتضب ٢/٢٢٣ - ٢٢٤.

(٣) الفرقان: ٢٠.

(٤) هذا التفسير يتماشى مع قول من وجه الآية بأنه كسرت همزة (إن) بعد (إلا) للاستئناف بإضمار واو، والتقدير: إلا وإنهم... . (ينظر: البسيط للواحي

٤٤٥/١٦).

(٥) الفرقان: ٧.

كَفَرُوا ﴿١﴾ فـ (أنهم) وصلتها في موضع الفاعل، والتقدير والله أعلم: وما منعهم إلا كفرهم" (٢).

فنرى أن المبرد وظف موضوع كسر همزة (إن) وفتحها لبيان معنى الآيتين، وأرى أنه لابد لي من وقفة على قوله: "وهو والله أعلم جواب لقولهم: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾؛ إذ يظهر لي أنه اعتمد في هذا الكلام على ما روي في سبب نزول الآية؛ فقد روى الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما "أن المشركين لما عيروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاقة وقالوا: ﴿مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام من عند ربه معزياً له، فقال: السلام عليك يا رسول الله، ربُّ العزة يقرئك السلام ويقول لك: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾" (٣)، ونرى أن المبرد لم يصرح بذكر سبب النزول؛ لأن كتابه المقتضب ليس كتاب تفسير كي يفصل فيه بقضايا تفسيرية بحتة.

ثالثاً: حمل الآية على أحسن الوجوه الإعرابية: قد تحتل الآية

أكثر من وجه إعرابي، فيذكرها المبرد ثم يستبعد بعضها ويستحسن بعضها الآخر، وعند تدقيق النظر في الوجوه التي يستحسنها نرى أنها تتلاءم مع المعنى القرآني المراد كما أنها ليست متكلفة.

(١) التوبة: ٥٤.

(٢) المقتضب ٣٤٥/٢.

(٣) رواه الواحدي في أسباب النزول: ٣٣٢ من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس.

فمن ذلك قول المبرد في سياق كلامه على حذف (أن) وإبطال عملها أو إبقائه: "... فأما قول الله عز وجل: ﴿ قُلْ أَفَعَيَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُونَ بِعِبَادِهِ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴾^(١) فتقديره والله أعلم: قل أفغير الله أعبد فيما تأمروني، ف (غير) منصوب بـ (أعبد). وقد يجوز — وهو بعيد — على قولك: ((ألا أيهذا الزاجري أحضر الوغي))^(٢)، فكأن التقدير: قل أفغير الله تأمروني أعبد^(٣)، فتتصب (غير) بـ (تأمروني)^(٤)، وقد أجازه سيبويه على هذا. وهذا قول آخر وهو حذف الباء كما قال:

أمرتكَ الخيرَ فافعل ما أمرتَ به فقد تركتكَ ذا مالٍ وذا نسبٍ

وأنا أكره هذا الوجه الثاني لبعده، ولا يجوز على هذا القول أن ينصب غيراً بـ (أعبد)؛ لأن (أعبد) على هذا صلة (أن)^(٥). ويلاحظ أن الوجه الذي ارتضاه المبرد وجه غير متكلف ويُفهم به المعنى بسهولة، وأن الوجوه التي استبعدها متكلفة تحتاج إلى تقدير، والأصل عدم التقدير طالما أمكن فهم المعنى بدونه.

(١) الزمر: ٦٤.

(٢) في هذا البيت نُصب الفعل (أحضر) على إضمار (أن). (ينظر: المقتضب ٨٢/٢ — ٨٣). فكما جاز في هذا البيت إضمار (أن) يجوز إضمار (أن) قبل الفعل (أعبد)، وقد رُفِعَ الفعل (أعبد)؛ لأنه لما حذفت (أن) بطل عملها. (ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ٤٣٩/٩ — ٤٤٠).

(٣) كذا في المطبوع من المقتضب وأرى أنه يوجد سقط، والصواب: أفغير الله تأمروني أن أعبد. (ينظر: الدر المصون ٤٤٠/٩).

(٤) وعلى هذا يكون المصدر المؤول من (أن) المضمرة والفعل (أعبد) بدل من (غير) بدل اشتمال، والمعنى: أفغير الله تأمروني عبادته. (ينظر: المصدر نفسه).

(٥) المقتضب ٨٣/٢.

ومن ذلك أيضاً قول المبرد في سياق كلامه على الاسم الموصول (ما) ومجيئه دالاً على غير العاقل: "فإن قيل: فقد قال الله عز وجل: ﴿وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا﴾^(١) ومعناه: ومن بناها، وكذلك ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾^(٢) قيل: قد قيل ذلك، والوجه الذي عليه النحويون غيره، إنما هو: والسماء وبنائها، وإلا على أزواجهم أو ملك أيمانهم. فهي مصادر وإن دلت على غيرها ممن يملك، كقولك: هذا ملك يمينك، وهذا الثوب نسج اليمين وهذا الدرهم ضرب الأمير. ولو كان على ما قالوا لكان على وضع النعت موضع المنعوت؛ لأن (ما) إنما تكون لذوات غير الآدميين ولصفات الآدميين..."^(٣).

اختار المبرد حمل (ما) على المصدرية ولم يرتض حملها على الموصولة، وصرح بالسبب الذي من أجله اختار ما اختاره فقال: "ولو كان على ما قالوا [يعني: كون (ما) موصولة] لكان على وضع النعت موضع المنعوت"، وهذا فيه نوع تأويل ونحن لسنا مضطرين إليه هنا، لذا اختار كون (ما) مصدرية، حتى يكون المعنى (أو ملك أيمانهم) وبهذا تكون الآية من استعمال المصدر الذي على وزن (فعل) بمعنى المفعول، وليس في هذا تأويل متكلف؛ لأنه مستعمل بكثرة في كلام العرب.

فالإعرابان المذكوران في الآية مؤداهما واحد، إلا أن أحد الإعرابين لما كان فيه نوع تأويل استبعده المبرد. وهذا يكاد يكون مسلماً عاماً للمبرد، ولم أجده خرج عنه بحسب استقرائي لكلامه على الآيات القرآنية في كتابه المقتضب.

(١) الشمس: ٥.

(٢) المؤمنون: ٦، والمعارج: ٣٠.

(٣) المقتضب ٥١/٢.

المبحث الثالث

قواعد عامة عند المبرد في تفسير القرآن

هذا المبحث معقود لبيان بعض الآراء التي تشكل معالم في تفسير القرآن الكريم عند المبرد، وسأحاول فيه عرض آرائه مع بيان موقف المفسرين منها، وفيما يأتي بيان هذه الآراء والقواعد:

أولاً: القول بزيادة الحروف في القرآن عند المبرد.

ثانياً: القراءات عند المبرد.

ثالثاً: القول بالترادف ونياحة الحروف بعضها عن بعض في القرآن الكريم عند المبرد.

رابعاً: الفروق بين الكلمات المتقاربة في المعنى.

وسأفرد لكل نقطة من هذه النقاط مطلباً لتفصيل القول فيها، والله الموفق.

المطلب الأول: القول بزيادة الحروف في القرآن الكريم عند المبرد

مسألة وقوع الزيادة في القرآن الكريم من المسائل التي وقع الاختلاف فيها وكثر الكلام حولها قديماً وحديثاً، وعد بعض العلماء إطلاق لفظة (الزيادة) على بعض كلمات القرآن سوء أدب مع القرآن الكريم واختاروا ألفاظاً أخرى؛ قال الزركشي: "والأكثرون ينكرون إطلاق هذه العبارة في كتاب الله ويسمونه التأكيد، ومنهم من يسميه بالصلة ومنهم من يسميه المقحم"^(١). قال: "واعلم أن الزيادة واللغو من عبارة البصريين، والصلة والحشو من عبارة الكوفيين؛ قال سيبويه عقب قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَّضِهِمْ﴾^(٢): إن (ما) لغو؛ لأنها لم تحدث شيئاً. والأولى اجتناب مثل هذه العبارة في كتاب الله تعالى؛ فإن مراد

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٧٠/٣.

(٢) النساء: ١٥٥، والمائدة: ١٣.

النحويين بالزائد من جهة الإعراب لا من جهة المعنى... وقد اختلف في وقوع الزائد في القرآن، فمنهم من أنكره... ومنهم من جوزه وجعل وجوده كالعدم، وهو من أفسد الطرق^(١).

ولست هنا بصدد عرض الأقوال في المسألة فقد أشبعت بحثاً قديماً وحديثاً، وإنما سأكتفي بعد هذه الإشارة إلى مواقف العلماء في هذه المسألة بذكر المواضع التي قال المبرد فيها بوجود الزيادة في القرآن الكريم وبيان موقف العلماء منها:

١. قال المبرد في سياق حديثه عن (ما) ومعانيها واستعمالاتها: "والموضع الآخر هي فيه زائدة مؤكدة لا يخلُ طرحها بالمعنى، كقول الله عز وجل: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ﴾^(٢) وكذلك ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مَيْتَقَهُمْ﴾^(٣)^(٤).

في هذا النص نرى أن المبرد يرى أن (ما) الزائدة لا يخلُ طرحها بالمعنى، ثم ضرب على هذه القضية مثلين من القرآن الكريم، وقد يظهر للناظر لأول وهلة أن قوله ((لا يخلُ طرحها بالمعنى)) يشمل الآيتين، بمعنى أنه لو قيل: ((فبرحمة)) و((فبنقضهم)) لتأدى لنا المعنى نفسه الذي أفاده قوله تعالى ((فبما رحمة)) و((فبما نقضهم)). ولست أرى أن هذا ما يذهب إليه المبرد، فحتى الذين ذهبوا إلى زيادة (ما)^(٥) في الآيتين رأوا عدم إمكانية الاستغناء عنها في الآيتين.

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/ ٧٢ - ٧٣.

(٢) آل عمران: ١٥٩.

(٣) النساء: ١٥٥، والمائدة: ١٣.

(٤) المقتضب ١/ ١٨٦.

(٥) اختلف في (ما) في الآيتين على أقوال تتظر في: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ٣/ ٤٦٠ - ٤٦٢.

ففي قوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ﴾ يقول البيضاوي: "و(ما) مزيدة للتأكيد والتنبيه والدلالة على أن لينه لهم ما كان إلا برحمة من الله..."^(١). وقد أوضح القونوي كلام البيضاوي فعلق عليه بالقول: "أي: لتأكيد كون الرحمة من الله تعالى فقط، والحصر مستفاد من تقديم الجار والمجرور^(٢) وزيادة (ما) لزيادة الدلالة على الحصر؛ فإن التقديم قد يخلو عن الحصر وزيادة (ما) لدفع هذا الاحتمال ولتأكيد الحصر"^(٣).

أما قوله تعالى: ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾ فقد ذكر القائلون بزيادة (ما) أنها زيدت لتأكيد السببية التي أفادها حرف الجر الباء وأنه سبب قوي يجعلهم مستحقين للوعيد^(٤).

مما تقدم يظهر أنه مع القول بزيادة (ما) في الآيتين فإنها قد أفادت معنى لا يمكن تأديته بدونها، فقول المبرد ((لا يُخْلُ طَرَحُهَا بِالْمَعْنَى، كَقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فِيمَا رَحْمَةٍ﴾ وكذلك ﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ﴾)) كلام غير سديد إن كان يعني أنه يمكن الاستغناء عن (ما) في الآيتين، وهو لا يليق بكلام الله تعالى، وإن كنت أرى أن المبرد لا يعني هذا، إنما يعني أنه يمكن الاستغناء عن (ما) الزائدة في كلام البشر بحيث لا تخل بالمعنى، أما في الكلام المعجز فكلا.

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٤٥/٢.

(٢) يعني أن تقديم الجار والمجرور (برحمة) على الفعل (لنت) أفاد حصر كون لين النبي صلى الله عليه وسلم برحمة الله تعالى.

(٣) حاشية القونوي ٣٨١/٦.

(٤) ينظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ١٩٦/٣.

٢. قال المبرد: "ومنها (لا) وموضعها من الكلام النفي ... ولوقوعها زائدة في مثل قوله: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ﴾^(١) أي: ليعلم"^(٢).

وما قاله المبرد هنا هو قول سيبويه نفسه^(٣) وهو ما ذهب إليه جمهور المفسرين^(٤)، وذهب جماعة إلى أن (لا) ليست زائدة^(٥). والذي يظهر أن (لا) هنا ليست زائدة؛ قال ابن عاشور: "وأنا أرى أن دعوى زيادة (لا) لا داعي إليها، وأن بقاءها على أصل معناها وهو النفي متعين، وتجعل اللام^(٦) للعاقبة، أي: أعطيناكم هذا الفضل وحرّم منه أهل الكتاب فبقي أهل الكتاب في جهلهم وغرورهم بأن لهم الفضل المستمر ولا يحصل لهم علم بانتفاء أن يكونوا يملكون فضل الله ولا أن الله قد أعطى الفضل قوماً آخرين وحرّمهم إياه فينسبون أن الفضل بيد الله وليس أحد يستحقه بالذات... والمعنى: لا تكثرثوا بعدم علم أهل الكتاب بأنهم لا يقدرّون على شيء من فضل الله وبأن الفضل بيد الله

(١) الحديد: ٢٩.

(٢) المقتضب ١٨٥/١ - ١٨٦. وقد كرر المبرد القول بزيادة (لا) في ٣١/٢.

(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه ٢٢٢/٤.

(٤) وقد رويت قراءات شاذة لابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما وغيرهما تؤيد هذا القول، وحمل بعضهم هذه القراءات على أنها قراءات تفسيرية. (ينظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه: ١٥٣، والتفسير الكبير للرازي ٢٤٩/٢٩، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٤٣٠/٢٧، ومعجم القراءات للدكتور عبداللطيف الخطيب ٣٥٤/٩ - ٣٥٥).

(٥) ينظر: التفسير الكبير للرازي ٢٤٨/٢٩ - ٢٤٩، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل ٥١١/١٨، والتحرير والتنوير لابن عاشور ٤٣٠/٢٧ - ٤٣١.

(٦) يعني اللام في قوله ((لئلا)).

يؤتية من يشاء، أي: لا تكثرثوا بجهلهم المركب في استمرارهم على الاغترار بأن لهم منزلة عند الله تعالى...^(١).

٣. قال المبرد في سياق الكلام على قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ۙ﴾^(١) وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحَقَّتْ ۙ^(٢): "وقال قوم آخرون: الواو في مثل هذا تكون زائدة، فقوله: (إذا السماء انشقت وأذنت لربها وحقت) يجوز أن يكون (إذا الأرض مُدَّت) والواو زائدة^(٣)، كقولك: حين يقوم زيدٌ حين يأتي عمرو. وقالوا أيضاً^(٤): إذا السماء انشقت أذنت لربها وحقت. وهو أبعد الأقاويل؛ أعني زيادة الواو. ومن قول هؤلاء: إن هذه الآية على ذلك ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ۙ﴾^(٥) قالوا: المعنى: ناديناها أن يا إبراهيم. قالوا: ومثل ذلك في قوله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا وَقَفَّتْ جِبْهَا وَقَالَ لَهَا خَرَئِنَهَا ۙ﴾^(٦) المعنى عندهم: حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها، كما كان في الآية التي قبلها. في مواضع من القرآن كثيرة من هذا الضرب قولهم واحد... وزيادة الواو غير جائزة عند البصريين، والله أعلم بالتأويل.^(٧)

(١) التحرير والتنوير ٤٣٢/٢٧.

(٢) الانشقاق: ١ - ٢.

(٣) يعني الواو في قوله تعالى: (وإذا الأرض مدت)، وعلى هذا يكون المعنى: إن انشقاق السماء يكون في وقت مد الأرض، أي: حين تنشق السماء حين تمد الأرض.

(٤) هذا القول الثاني لمن قال بزيادة الواو في هذه الآية.

(٥) الصافات: ١٠٣ - ١٠٤.

(٦) الزمر: ٧٣.

(٧) المقتضب ٧٧/٢ - ٧٨.

اختلف النحويون في جواز زيادة الواو العاطفة؛ قال ابن الأنباري: "ذهب الكوفيون إلى أن الواو العاطفة يجوز أن تقع زائدة، وإليه ذهب أبو الحسن الأخفش وأبو العباس المبرد وأبو القاسم ابن برهان من البصريين وذهب البصريون إلى أنه لا يجوز"^(١). وما قاله المبرد هنا يلاحظ أنه مشى على مذهب البصريين في عدم جواز زيادة الواو العاطفة.

وقد ذهب المبرد إلى أن القول بزيادة الواو أبعد الأقاويل عن الصواب، وكان قبل ذكر هذا القول ذكر توجيهات من ذهب إلى عدم زيادتها وهي كما يأتي:

القول الأول: ذهب البعض إلى أن الجواب هو قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْقَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾^(٢) وقد وجه المبرد هذا القول بأنه كقولنا: إذا جاء زيد فإن كلمك فكلمه، ثم قال: "فهذا قول حسن جميل"^(٣).

القول الثاني: قول من ذهب إلى أن الجواب محذوف، وحذف الجواب مشهور عند علم المخاطب به^(٤)، وقد سكت المبرد عن هذا القول فلم يعلق عليه بشيء.

والذي يهمننا في هذا الكلام هو أن هذا النص للمبرد يعطينا فكرة مهمة في قضية زيادة الحروف في القرآن الكريم عند المبرد؛ فالمبرد وإن كان يقول بالزيادة في القرآن إلا أنه يتعامل بحذر في هذا

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين لابن الأنباري ٤٥٦/٢.

(٢) الانشقاق: ٧.

(٣) المقتضب ٧٧/٢.

(٤) ينظر: المصدر نفسه.

الموضوع فطالما أمكن توجيه الآية بدون الذهاب إلى زيادة شيء فيها فإن المبرد لا يجيز القول بالزيادة.

٤. قال المبرد في سياق الحديث عن معاني حرف الجر (من): "وأما الزائدة التي دخولها في الكلام كسقوطها فقولك: ما جاءني من أحد، وما كلمت من أحد، وكقول الله عز وجل: ﴿أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(١) إنما هو (خير) ولكنها توكيد"^(٢).

يظهر جلياً من هذا أن المبرد يرى أن حرف الجر (من) زائد، وعلى هذا يكون (خير) مجرور لفظاً مرفوعاً محلاً لأنه نائب فاعل للفعل (يُنزَّل).

ومعلوم أن المبرد كغيره من البصريين يشترطون لزيادة (من) دخولها على نكرة وأن تكون مسبوقه بنفي أو شبهه^(٣)، وهنا نلاحظ أنها لم تسبق بنفي أو شبهه؛ لأن قوله تعالى (من خير) متعلق بالفعل (ينزل) وهو لم يأت منفياً بل النفي داخل على الفعل (يود)^(٤)، وقد وجه العلماء هذا القول بزيادة (من) هنا أن النفي وإن لم يدخل على الفعل (ينزل) إلا أن نفي الفعل (يود) انسحب عليه من حيث المعنى؛ "لأنه إذا نفيت الودادة انتفى متعلقها"^(٥).

(١) البقرة: ١٠٥.

(٢) المقتضب ٤/١٣٧.

(٣) ينظر: الدر المصون ٢/٥٤.

(٤) نص الآية هو ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ

عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

(٥) الدر المصون ٢/٥٣.

ولتوضيح هذا الكلام أقول: إن قوله تعالى (أن ينزل) مصدر مؤول في محل نصب مفعول به للفعل (يود) المنفي بحرف النفي (ما)^(١).

وختاماً لابد من أن أبين أن زيادة (من) هنا أفادت تأكيد العموم والاستغراق، فكلمة (خير) نكرة وقعت في سياق النفي فأفادت العموم والاستغراق، وجيء بحرف الجر (من) لتأكيد هذا العموم^(٢). وهذا ما أشار إليه المبرد بقوله "ولكنها توكيد".

قلتُ: وفي هذا إشارة إلى حقد أهل الكتاب والمشركين على المسلمين وحسدهم لهم بحيث إنهم لا يحبون أن ينزل الله تعالى على المسلمين أي خير مهما كان حجمه ومهما كان نوعه، ولاسيما الخير الأخروي، وقد بلغ من حقدهم وحسدهم للمؤمنين أن أعلنوا العداء لجبريل عليه السلام؛ لأنه هو الذي نزل بالخير على المؤمنين^(٣).

فنحن نلاحظ أن زيادة حرف الجر (من) في هذا الموضع جاءت متناسقة مع جو الآية الذي يسوده العموم والاستغراق لزيادة تقييح ما عليه الكفار من الحسد للمؤمنين.

المطلب الثاني: القراءات عند المبرد

لعل من نافلة القول أن نقول: إن للقراءات قيمة مهمة في التفسير، وهذا ما جعل المفسرين يعتنون بالقراءات. وهذا أمر واضح معلوم لا يحتاج إلى التدليل عليه.

(١) ينظر: حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي ٢/٢١٥.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

(٣) ينظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ١/١٠١.

وفي أثناء قراءتي لكتاب المقتضب للمبرد وجدت أنه كثيراً ما يذكر القراءات ويفسرها أو يوجهها وقد يضعفها ويعدّها لحناً وإن كانت متواترة، وفيما يأتي نماذج تبين ذلك:

١. قال في سياق كلامه حول (إن): "وتكون مخففة من الثقيلة؛ فإن كانت كذلك لزمته اللام في خبرها لثلاث تلتبس بالنافية، وذلك قولك: (إن زيداً لمنطلق)، وقال الله عز وجل: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾^(١) (٢).

قرأ عاصم وابن عامر وحمزة من السبعة: (لَمَّا) بتشديد الميم، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ابن العلاء والكسائي من السبعة: (لَمَّا) بتخفيف الميم^(٣)، والمبرد مشى على القراءة الثانية، وكأنه اختار هذه القراءة (لَمَّا)؛ لأنها تتماشى مع توجيه نحوي سهل غير متكلف عنده، ولم يذكر القراءة الثانية (لَمَّا) وكأنه لم يمل إليها ولا يرى القراءة بها. والله أعلم.

٢. قال في سياق حديثه على (أو) الداخلة على الأفعال: "وعلى هذا القول الذي بدأت به قول الله عز وجل: ﴿نُقَلِّبُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾^(٤) أي: يقع أحد هذين. فأما الخاصة في الفعل فإن تقع على معنى (إلا أن) و(حتى)، وذلك قولك: الزمته أو يقضيك حَقَّك، واضربه أو

(١) قراءة المصحف: ﴿إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ [الطارق: ٤] بتشديد الميم من (لَمَّا).

(٢) المقتضب ١/١٨٨ - ١٨٩.

(٣) ينظر: الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي ٦/٣٩٧، والبحر المحيط ٨/٤٥٤، والنشر في القراءات العشر لابن الجزري ٢/٢٩١.

(٤) الفتح: ١٦.

يَسْتَقِيمَ. وفي قراءة أُبَيٍّ: (تقاتلونهم أو يسلموا) أي: إلا أن يسلموا وحتى يسلموا^(١).

نرى في هذا النص أن المبرد وجه القراءة المشهورة (أو يسلمون) برفع الفعل (يسلمون) بجعل (أو) للتخيير، ثم استنرد إلى ذكر القراءة الشاذة المنسوبة إلى أُبَيٍّ رضي الله عنه (تقاتلونهم أو يسلموا) بنصب الفعل (يسلموا) بـ (أن) مضمرة بعد (أو) فقال: "أي: إلا أن يسلموا وحتى يسلموا".

ونلاحظ أن المبرد اقتصر في كلامه على توجيه القراءتين المتواترة والشاذة دون أن يعلق عليهما بما يدل على القبول أو الرد، ولعله أشار إلى شذوذ إحدى القراءتين بنسبتها إلى أُبَيٍّ (رضي الله عنه) وحده.

٣. قال في سياق حديثه على تجويز بعض النحويين وضع الفعل الماضي موضع الفعل المضارع: "وتأولوا هذه الآية من القرآن على هذا القول، وهي قوله: ﴿أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ﴾^(٢)، وليس الأمر عندنا ما قالوا، ولكن مخرجها والله أعلم — إذا قرئت كذا — الدعاء؛ كما تقول: لعنوا قطعتم أيديهم، وهو من الله إيجاب عليهم. فأما القراءة الصحيحة فإنما هي (أو جاؤوكم حصرةً صدورهم)^(٣).

في هذا النص تهجم المبرد رحمه الله تعالى على قراءة متواترة اتفق عليها القراء السبعة وهي قراءة (حصرت صدورهم) إذ قال: "فأما القراءة الصحيحة فإنما هي (أو جاؤوكم حصرةً صدورهم)" فحصر

(١) المقتضب ٣/٣٠٦.

(٢) النساء: ٩٠.

(٣) المقتضب ٤/١٢٤ — ١٢٥.

القراءة الصحيحة بهذه القراءة وهذا فيه إشارة إلى أن غيرها ليس بقراءة صحيحة^(١).

ونلاحظ أن المبرد وإن كان لم يرتضِ القراءة المتواترة (حصرت) إلا أنه وجهها توجيهاً يتماشى مع مذهبه اللغوي.

والمسألة مبنية على جواز مجيء الفعل الماضي حالاً أو عدم جوازه إلا بأن يسبق الفعل الماضي الحرف^(٢)، والمبرد ممن يرى عدم جواز مجيء الفعل الماضي حالاً، لذا لم يرتضِ قول مَنْ وجه الآية بأن الفعل الماضي (حصرت) وقع حالاً، فذكر أن معنى هذه القراءة الدعاء.

وقد وجه ابن عطية كلام المبرد هذا فقال بعد أن ذكره وذكر اعتراض بعض المفسرين عليه: "وقول المبرد يخرج على أن الدعاء عليهم بأن لا يقاتلوا المسلمين تعجيز لهم، والدعاء عليهم بأن لا يقاتلوا قومهم تحقير لهم، أي: هم أقل وأحقر ويستغنى عنهم، كما تقول إذا أردت هذا المعنى: لا جعل الله فلاناً عليّ ولا معي أيضاً، بمعنى: أستغني عنه وأستقل بدونه"^(٣).

وبهذا نعم أن المبرد يُعنى بتوجيه القراءات وإن كان لا يرتضيها ولاسيما القراءات التي يحتج بها خصومه ليدفع احتجاجهم.

(١) تنظر القراءات لهذه الآية في: معجم القراءات للدكتور عبداللطيف الخطيب

١٢٤/٢ - ١٢٥.

(٢) ينظر: البحر المحيط ٣/٣٣٠.

(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية ٢/٩٠.

٤. قال المبرد في سياق كلامه على الحروف المقطعة في أوائل بعض السور وبيان أنها ساكنة الآخر: "فأما قراءة الحسن^(١) (صاد والقرآن) فإنه لم يجعلها حرفاً ولكنه فعل، وإنما أراد: صاد بالقرآن عملك. وهذا تفسير الحسن^(٢)، أي: عارض بالقرآن عملك؛ من قولك: صاددت الرجل، أي: عارضته، ومنه ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾^(٣) أي: تعرض"^(٤).

في هذا النص نرى أن المبرد وجه القراءة الشاذة مبيناً معناها واستشهد لها بآية أخرى، ونلاحظ أنه أتى بهذه القراءة الشاذة لدفع سؤال مقدر نشأ من كلامه السابق؛ حيث إنه لما ذكر أن الأحرف المقطعة ساكنة الآخر فقد يعترض معترض بقراءة مَنْ قرأ أول سورة ﴿ص﴾: ﴿صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾^(٥) ((صاد)) بكسر الدال، فأتى بهذه القراءة الشاذة ليدفع هذا الاعتراض وليبين أن من قرأ هذه القراءة لم يعد حرفاً بل فعلاً، وبهذا تسلم القاعدة عنده.

٥. قال المبرد: "قال: ﴿ثُمَّ لِيَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَتَى الْقُرْآنَ﴾^(٥) ف (يعلم) منصوبة، ولا يكون إلا ذلك؛ لأن (لا) زائدة، وإنما هو: لأن

(١) وهي قراءة أبي بن كعب أيضاً. (ينظر: المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني ٢/٢٣٠).

(٢) روي هذا التفسير عن الحسن البصري من طرق عدة. (ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٥/٢٠ - ٦).

(٣) عبس: ٦.

(٤) المقتضب ١/٣٧٣ - ٣٧٤.

(٥) الحديد: ٢٩.

يعلم. وقوله: (أن لا يقدرّون) إنما هو: أنهم لا يقدرّون. وهي في بعض المصاحف (أنهم لا يقدرّون)^(١).

يتكلم المبرد هنا على مسألة (إن) المخففة من (إنّ) إذا جاءت قبل (لا) النافية، وبين أنّ (أن) في قوله تعالى ((ألا يقدرّون))^(٢) مخففة عن الثقيلة، واسمها محذوف والتقدير ((أنهم لا يقدرّون))، ولتدعيم قوله هذا جاء بقراءة شاذة، وهي قراءة من قرأ: ((أنهم لا يقدرّون))^(٣).

من هنا نعلم أن المبرد يرى عدم التفريط بالقراءات الشاذة، فهي نافعة جداً في تفسير بعض الآيات، فالقراءات الشاذة وإن لم يصح القراءة بها فهي لا تنزل عن رتبة تفسير الصحابي، وتفسير الصحابي معتبر في مثل هذا الموضوع.

المطلب الثالث: القول بالترادف ونيابة الحروف بعضها عن بعض في

القرآن الكريم عند المبرد

قضية الترادف في القرآن الكريم قضية طال النقاش والجدل حولها، وانقسم العلماء والباحثون حولها ما بين رافض لوجود الترادف في القرآن الكريم وبين مثبت له، ويتفرع على هذه القضية مسألة نيابة الحروف بعضها عن بعض في القرآن الكريم. وقد وجدت للمبرد كلاماً في المقتضب يتعلق بهذا الموضوع سأنقله هنا محاولاً تلمس رأيه فيه، والله الموفق:

(١) المقتضب ٣١/٢.

(٢) ((ألا يقدرّون)) أصلها: (أنّ لا يقدرّون) فأدغمت النون الساكنة في اللام، فأصبحت (ألا).

(٣) رويت هذه القراءة عن أبي بن كعب. (ينظر: معجم القراءات ٣٥٥/٩).

١. قال المبرد: "فأما قول الله عز وجل: ﴿ وَأَرْسَلْتُهُ إِلَىٰ مِائَةِ آلْفٍ أَوْ زَيْدُونَ ﴾ (١) فإن قوماً من النحويين يجعلون (أو) في هذا الموضع بمنزلة (بل)، وهذا فاسد من وجهين: أحدهما أن (أو) لو وقعت في هذا الموضع موقع (بل) لجاز أن تقع في غير هذا الموضع، وكنت تقول: ضربت زيدا أو عمراً، وما ضربتُ زيدا أو عمراً، على غير الشك ولكن على معنى (بل)، فهذا مردود عند جميعهم. والوجه الآخر أن (بل) لا تأتي في الواجب في كلام واحد إلا للإضراب بعد غلط أو نسيان، وهذا منفي عن الله عز وجل ... فإن أتى بعد كلام قد سبق من غيره فالخطأ إنما لحق كلام الأول كما قال الله عز وجل: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ﴾ (٢) فعلم السامع أنهم عنوا الملائكة بما تقدم من قوله: ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِندَ الرَّحْمَنِ إِنثًا ﴾ (٣)، وقال: ﴿ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ ﴾ (٤) وقال: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ (٥) وقال: ﴿ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾ (٦) أي: بل هؤلاء الذين ذكرتم أنهم ولد عباد مكرمون. نظير ذلك أن تقول للرجل: قد جاءني زيد، فيقول: بل عمرو. ولكن مجاز الآية عندنا مجاز ما ذكرنا قبل في قولك: انت زيدا أو عمراً أو خالداً،

(١) الصافات: ١٤٧.

(٢) مريم: ٨٨.

(٣) الزخرف: ١٩.

(٤) الزخرف: ١٦.

(٥) النحل: ٦٢.

(٦) الأنبياء: ٢٦.

تريد: ائت هذا الضرب من الناس. فكأنه قال والله أعلم: إلى مئة ألف أو زيادة. وهذا قول كل من نتق بعلمه^(١).

نلاحظ من هذا الكلام أن المبرد يرى أن (أو) هنا باقية على معناها الحقيقي ولم تنب عن حرف آخر، ومعنى قول المبرد أن (أو) هنا باقية على أصل معناها الذي هو الشك، وهذا الشك ليس في حق الله تعالى؛ لأنه لا يجوز في حقه سبحانه، بل هو في حق المخلوقين، قال أبو حيان: "وقال المبرد وكثير من البصريين: المعنى: على نظر البشر وحزرهم أن من رآهم قال: هم مئة ألف أو أكثر"^(٢).

وأوضح الزجاج هذا القول فقال: "معناه: أو يزيدون في تقديركم إذا رآهم الرائي قال: هؤلاء مئة ألف أو يزيدون على المئة، وهذا هو القول؛ لأنه على أصل (أو)"^(٣).

إذن نرى في هذا النص أن المبرد يرفض الترادف المذكور بين الحرفين (أو) و(بل)، ولذلك رفض نيابة أحدهما عن الآخر، فطالما أمكن تفسير الآية بحمل الحرف على معناه الأصلي لا يجوز — عند المبرد — تفسيرها بحمل الحرف على معنى حرف آخر.

٢. قال المبرد: "كما تدخل الإضافة بعضها على بعض، فمن ذلك قوله عز وجل: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٤) أي: بأمر الله، وقال:

(١) المقتضب ٣/٣٠٤ — ٣٠٥.

(٢) البحر المحيط ٧/٣٦٠.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٤/٣١٤.

(٤) الرعد: ١١.

﴿وَأَصْلِبْتَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾^(١) أي: على. وقال: ﴿أَمْ لَهُمْ سَمٌّ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾^(٢) أي: يستمعون عليه"^(٣).

في هذا النص نرى أن المبرد ممن يقول بتتابو الحروف بعضها عن بعض لترادفها في المعنى، ولست هنا في صدد بيان قبول هذا الرأي أو رفضه، وإنما أحاول بيان معالم التفسير عند المبرد^(٤). وقد رأينا في النصين السابقين للمبرد أنه لا يقبل القول بتتابو الحروف بشكل مطلق ولا يرفضه بشكل مطلق، بل هو وسط بين الطرفين.

المطلب الرابع: الفروق بين الكلمات المتقاربة في المعنى

هذا الموضوع ينفرع عن الموضوع السابق، فقد يظن البعض أنه يوجد بين كلمتين ترادف، وذلك لأنه يصعب إدراك الفرق بينهما، ولذا عني المبرد ببيان الفرق بين الكلمات التي قد يعسر التفريق بينها، من ذلك:

١. قال المبرد: "و(إما) في الخبر بمنزلة (أو)، وبينهما فصل. وذلك أنك إذا قلت: جاءني زيد أو عمرو، وقع الخبر في (زيد) يقيناً حتى ذكرت (أو) فصار فيه وفي عمرو شكاً. و(إما) تبتدئ بها شاكاً،

(١) طه: ٧١.

(٢) الطور: ٣٨.

(٣) المقتضب ٣١٨/٢.

(٤) لسائل أن يتساءل: لماذا استعمل الحرف (من) بمعنى حرف الجر الباء، والحرف (في) بمعنى الحرف (على)؟ المبرد لم يجب على هذا التساؤل؛ لأنه ليس من تخصص كتابه، إنما يدخل هذا ضمن مباحث علم البلاغة؛ فاستعمال حرف مكان حرف آخر يدخل ضمن مباحث المجاز والاستعارة من علم البلاغة. (ينظر: التحرير والتنوير ٧٣/٢٧).

وذلك قولك: جاعني إما زيد وإما عمرو، أي: أحدهما. وكذا وقوعها للتخيير؛ تقول: اضرب إما عبدالله وإما خالدًا، فالأمر لم يشك ولكنه خير المأمور، كما كان ذلك في (أو). ونظيره قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾^(١) وكقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدَ وَإِمَّا فِدَاءً﴾^(٢)»^(٣).

لقد أبدع المبرد هنا في بيان الفرق الدقيق بين (أو) و(إما)؛ حيث تستعمل كلاهما في معنى الشك والتخيير والتفصيل^(٤)، إلا أن بينهما فرقاً دقيقاً بينه المبرد في كلامه، وهو واضح بيّن بحمد الله تعالى^(٥).

٢. قال المبرد في سياق حديثه على معنى (إذا): "فإذا قلت: (إذا أتيتني) وجب أن يكون الإتيان معلوماً؛ ألا ترى إلى قول الله عز وجل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾^(١) و﴿إِذَا السَّمَاءُ كُورَتْ﴾^(٢) و﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾^(٣) أن هذا واقع لا محالة. ولا يجوز أن يكون في موضع هذا (إن)؛ لأن الله عز وجل يعلم و(إن) إنما مخرجها الظن والتوقع فيما

(١) الإنسان: ٣.

(٢) محمد: ٤.

(٣) المقتضب ١/١٤٩.

(٤) تنظر معاني (إما) في: مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام ١/٣٧٦ — ٣٨٩.

(٥) وقد ذكر ابن هشام نحو كلام المبرد في مغني اللبيب ١/٣٩٣ — ٣٩٤.

(٦) الانفطار: ١.

(٧) التكوير: ١.

(٨) الانشقاق: ١.

يخبر به المخبر. وليس هذا مثل قوله: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾^(١)؛ لأن هذا راجع إليهم^(٢).

ذكر المبرد في هذا النص الفرق بين (إذا) وبين (إن)، فـ (إذا) تكون لما هو معلوم الوقوع، و(إن) لما هو غير معلوم الوقوع أو مستبعد الوقوع.

ولننظر كيف أبدع المبرد في استعمال هذا الفرق في بيان معنى قوله تعالى: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يُعْفَرْ لَهُمْ مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ فبين بقوله: ((لأن هذا راجع إليهم)) أن الاستبعاد المفهوم من استعمال (إن) دون (إذا) إنما راجع إليهم، أي: إن استبعاد انتهاء الكفرة عن كفرهم إنما هو صادر عنهم، فهم يستبعدون الانتهاء. والله أعلم.

(١) الأنفال: ٣٨.

(٢) المقتضب ٥٤/٢ - ٥٥.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة الماتعة في كتاب المقتضب للمبرد وتسليط الضوء على بعض ملامح المنهج التفسيري عند المبرد في هذا الكتاب، يطيب لي أن أكتب هنا أهم ما توصلتُ إليه من النتائج، فأقول، ومن الله التوفيق:

١. إن كتاب المقتضب للمبرد كتاب نحو، إلا أنه تضمن آراء ومباحث تفسيرية لا بد من الوقوف عليها ودراستها.
٢. أبرز البحث أهمية كتب أئمة النحو بالنسبة للتفسير، فهي نواة التفسير البياني، وعليها بنى العلامة عبدالقاهر الجرجاني نظريته في النظم القرآني.
٣. يُعنى اللغويون كثيراً بالتنظير بين الآيات القرآنية وحمل بعضها على بعض، ولاسيما في تفسير الأساليب الواردة في بعضها، لبيان أن هذه الأساليب مستعملة وليست غريبة أو شاذة.
٤. أكد البحث مكانة الإعراب وأهميته في توضيح المعنى القرآني وتجليته.
٥. ضرورة حمل الآيات القرآنية الكريمة على أحسن الوجوه الإعرابية غير المتكلفة.
٦. وجوب الحذر في التعامل مع قضية الحروف الزائدة عند إعراب القرآن الكريم وتفسيره، والابتعاد عن ادعاء زيادة حرف ما طالما أمكن تفسير الآية القرآنية بدونه.

٧. يلاحظ على المبرد أنه كان يردُّ القراءة — وإن كانت متواترة — إذا كانت لا تتماشى مع مذهبه اللغوي، وهذا يكاد يكون مسلكاً عاماً لأئمة النحو، لذا لا بد من النظر الناقد الفاحص في آرائهم حول القراءات القرآنية وتوجيهها. وبعد فهذا جهد المقل، وأسأل الله تعالى أن يتقبله مني إنه سميع مجيب، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

المصادر والمراجع

١. أخبار النحويين البصريين: لأبي سعيد الحسن بن عبدالله بن المرزبان السيرافي (ت ٣٦٨هـ)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٦م.
٢. أسباب النزول: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣. إشارة التعيين وتراجم النحاة واللغويين: لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني (ت ٧٤٣هـ)، تحقيق الدكتور عبدالمجيد دياب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط: ١، ١٩٨٦م.
٤. إنباه الرواة على أنباء النحاة: للوزير جمال الدين علي بن يوسف القفطي (ت ٦٢٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: ١، ١٩٨٦م.
٥. الإنباف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين: لأبي البركات عبدالرحمن بن محمد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، دمشق.
٦. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: لناصر الدين عبدالله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، إعداد وتقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
٧. البحر المحيط في التفسير: لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق عادل عبدالوجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
٨. البرهان في علوم القرآن: لبدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة.

٩. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة: لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر، ط: ٢، ١٩٧٩م.
١٠. التحرير والتنوير: للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، دار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.
١١. التفسير البسيط: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق د. محمد بن صالح الفوزان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.
١٢. التفسير الكبير: لفخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت ٦٠٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠٠م.
١٣. التفسير اللغوي للقرآن الكريم: للدكتور مساعد بن سليمان الطيار، دار ابن الجوزي، الرياض.
١٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ)، تحقيق الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، دار هجر، مصر، ط: ١، ٢٠٠١م.
١٥. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي: لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت.
١٦. حاشية القونوي على تفسير البيضاوي: لعصام الدين إسماعيل بن محمد القونوي (ت ١١٩٥هـ)، تحقيق عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.
١٧. حاشية الشيخ زاده على تفسير البيضاوي: لمحمد بن مصلح الدين مصطفى (ت ٩٥١هـ)، مكتبة الحقيقة، استانبول، ١٩٩٨م.

١٨. **الحجة للقراء السبعة: لأبي علي الحسن بن عبدالغفار الفارسي (تـ ٣٧٧هـ)**، تحقيق بدر الدين قهوجي وأحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط: ١، ١٩٨٤م.
١٩. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: لأحمد بن يوسف السمين الحلبي (تـ ٧٥٦هـ)**، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٢٠. **في ظلال القرآن: لسيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط: ٣٥، ٢٠٠٥م.**
٢١. **الكتاب: لسيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (تـ ١٨٠هـ)**، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط: ٣، ١٩٨٨م.
٢٢. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: لجار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري تـ ٥٣٨هـ**، تحقيق: عادل أحمد عبدالموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، ط: ١، ١٤١٨هـ — ١٩٩٨م.
٢٣. **اللباب في علوم الكتاب: لأبي حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي (تـ ٨٨٠هـ)**، تحقيق مجموعة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ١٩٩٨م.
٢٤. **المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها: لأبي الفتح عثمان بن جني (تـ ٣٩٢هـ)**، تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبدالفتاح إسماعيل شلبي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية — لجنة إحياء كتب السنة، القاهرة، ١٩٩٤.

٢٥. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦هـ)، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: ١، ٢٠٠١م.
٢٦. مختصر في شواذ القرآن: لأبي عبدالله الحسين بن أحمد ابن خالويه (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق براجستراسر، المطبعة الرحمانية، مصر، ١٩٣٤م.
٢٧. معاني القرآن وإعرابه: لأبي إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق د. عبدالجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط: ١، ١٩٨٨م.
٢٨. معجم القراءات: للدكتور عبداللطيف الخطيب، دار سعدالدين، دمشق، ط: ١، ٢٠٠٢م.
٢٩. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: لجمال الدين عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق عبداللطيف الخطيب، التراث العربي، الكويت، ط: ١، ٢٠٠٠.
٣٠. المقتضب: لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق محمد عبدالخالق عزيمة، وزارة الأوقاف — لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط: ٣، ١٩٩٤م.
٣١. النشر في القراءات العشر: لأبي الخير محمد بن محمد ابن الجزري الدمشقي (ت ٨٣٣هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.

Radiator approach in the interpretation of the Koran in light of his views in his brief explanatory

A.P.Dr. Yasser Ahsan Rashid Al Nuaimi

Abstract

The books are full of linguists mention Quranic verses; not so strange; The Quran is the most important sources of the Arabic language. Upon reading the citations of these imams Quranic verses we see that they gave their opinions in the interpretation of many of them, and many of these views have a high value for use in the interpretation of the Qur'an and understand its meaning.

From here we see that the language of scholars wrote dictionaries and books about and the other is the great treasury of important explanatory views the problem of the basis of interpretation of language.

The researcher selected to be the focus of his study this book of the books of the imams of language; That is the book ((brief)) to Abu Abbas, Muhammad ibn Yazid radiator (d. 285 AH), try the researcher to highlight the approach coolant in interpretation introduced the method of coolant in a speech to witness the Qur'an, then Turning to the display rules of the interpretative approach when coolant. The researcher concluded the results, including:

1. The book's brief book about cooler, but that the views of Investigation and explanatory must be found and studied.
2. Find the most prominent leaders of the importance of books as for the explanation, it is the nucleus of

- the interpretation graph, and they built a brand Abdalqahir Jorjani Quranic theory of systems.
3. Linguists often means endoscopically between Quranic verses and carry each other, especially in the interpretation of the methods contained in some of them, to show that these methods used and not strange or abnormal.
 4. He expressed the status of research and its importance in clarifying the meaning of the Quranic and Tglath.
 5. The need to carry Koranic verses on the best face cream Alaarabah is stilted.
 6. Should be cautious in dealing with the issue of excess letters expressing at the Holy Quran and its interpretation, and away from the claim to increase a character as long as possible, the interpretation of the Quranic verse without it.
 7. Notes on the radiator that was responding to reading, although frequent if not in line with the doctrine of language, and this attitude is almost as imams for years, so has to be considered critical in examining their views on the readings and channeling.



**المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار
نظامها ، أهدافها ، آثارها**

**د. محمد صالح جواد مهدي
كلية الإمام الأعظم - قسم الدعوة والخطابة والفكر**

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الرحيم بالمؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الأمين، وعلى آله الطيبين، وصحبه المباركين، ومن سار على نهجهم
إلى يوم الدين.
وبعد:

فإنّ تاريخنا العربي والإسلامي المجيد حافل بالأحداث
والوقائع في مسيرته الطويلة، وإنّ سيرة سيدنا محمد ﷺ هي معقد إزار
التاريخ الإسلامي، بل كانت المنطلق والأساس لما تلاها من أحداث
التاريخ وإلى يومنا هذا، والمهمّ هو الإفادة من السيرة والتاريخ وبناء
الحاضر والتخطيط للمستقبل على أساسهما، وتفعيل ذلك في واقعنا
المعاصر، ومن هنا جاءت فكرة هذا البحث الذي عنوانته بـ (المؤاخاة
بين المهاجرين والأنصار: نظامها، أهدافها، آثارها)، وهي جزء مهمّ
من سيرة المصطفى ﷺ، حيث كان نظام المؤاخاة أحد الأسس التي قام
بها رسول الله ﷺ في بناء دولة المدينة - بعد المعاناة المكينة الشديدة -
وكانت حلاً ناجحاً لمشكلة المهاجرين كما سنرى في هذا البحث، ولذا
فلهذا الموضوع أثر فاعل في الحياة على مستوى الأفراد والجماعات،
الأمر الذي تمسّ الحاجة إليه في مجتمعاتنا المعاصرة، لترميم جراحها،
والعودة بها إلى الوحدة المنشودة، والأخوة المحمودة، والحلقة المفقودة.

وقسمت البحث بعد هذه المقدّمة إلى مباحث ثلاثة، تحدّثت في
المبحث الأول عن الأخوة العامّة، وأسسها، ثمّ عن المؤاخاة في مكة
المكرمة، وانتظمت في مطلبين، وكان المبحث الثاني عن المؤاخاة
الخاصة في المدينة المنورة بين المهاجرين والأنصار، متناولاً نظامها
وأهدافها في مطلبين، بينما كان المبحث الثالث عن آثار المؤاخاة مرتبّة
في مطلبين تضمّننا مواقف الأنصار، ثمّ مواقف المهاجرين، أمّا الخاتمة

فقد سَطَّرْتُ فيها أهمَّ النتائج، ووشحت البحث بقائمة المصادر والمراجع، فإن وفقتُ فذلك محض فضل الله الكريم، وإن أخفقتُ فحسبي حسن القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربَّ العالمين.

المبحث الأول

الأخوة العامّة

نعرض في هذا المبحث أسس أخوة الإسلام العامّة، وآراء علماء السيرة في وقوع المؤاخاة في مكة المكرمة، وذلك في المطلبين الآتئين:

المطلب الأول: أسس الأخوة العامّة

شرع الإسلام الأخوة بين المؤمنين، على أساس الإنسانية والدين، ليرتقي بالمجتمع إلى أفق رحيب من الرعاية والحماية، وتعميق الشعور المشترك بين جميع المؤمنين، وتقوم هذه الأخوة على أسس متينة، وقواعد قويمة، وأهمّ هذه الأسس ما يأتي:

١- العقيدة:

وهي أساس العلاقة بين المؤمنين، وركن الرباط الاجتماعي، ورابطة العقيدة فوق روابط العرق والنسب، وأولى من الوجاهة والحسب، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾^(١)، ويقول الرسول ﷺ: (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه)^(٢)، ودلّ الحديث على أهميّة الأخوة وتماسك المؤمنين مع بعضهم، فكلُّ فرد منهم لبنة متماسكة في بناء هيكل المجتمع وقوّته، وشموخه وجماليته، وأنسه وأريحيته، فلا يستطيع الفرد أن ينأى بنفسه، ولا يستقلّ عن بني جنسه، والمسلم قليل ضعيف بنفسه، كثير قويّ بإخوانه.

^(١) سورة الحجرات: من الآية ١٠.

^(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي أبو عبد الله (ت ٢٥٦هـ)، بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ب ت، حديث رقم (٦٠٢٦).

والإسلام يقرُّ الأواصر الأخرى ما دامت تتضوي تحت
 أصرة العقيدة، مثل صلة الأرحام، والتكافل الاجتماعي، وتضامن
 العشيرة، وحقوق الجار، والصلات الاجتماعية الأخرى^(١)، وقد ارتبط
 المسلمون قديماً وحديثاً على أساس العقيدة، فأحبَّ بعضهم بعضاً رغم
 تباعد الديار، واختلاف الأجناس، وتباين اللغات، فبتناغم شعور
 المسلمين أفرحاً وأترحاً في كل بقاع الأرض؛ لأنَّ العقيدة جمعتهم،
 وكلمة التوحيد وحدتهم، وشرعية الإتيان للرسول ﷺ وجَّهت مشاعرهم
 وشعائرهم.

٢- الحب:

وهو أساس التآلف بين المؤمنين، فقد قال الله تعالى في مدح
 الأنصار: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾^(٢)، وقال الرسول ﷺ (مثل المؤمنين
 في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضوٌ
 تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)^(٣)، والإسلام يدعم هذا الحب
 ويجعله أساساً لكل مجتمع فاضل، حيث يقول الرسول ﷺ (لا يؤمن
 أحدكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه)^(٤)، كما يضع سياجاً حافظاً لهذا
 الحب، فيقول ﷺ (لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا، وكونوا عباد

(١) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض،
 ط٢، ١٩٩٦م، ١/ ٢٤٩.

(٢) سورة الحشر: من الآية ٩.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري
 النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، بشرح النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن
 شرف الشافعي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق وفهرسة: لجنة من العلماء بإشراف:
 الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م، حديث رقم (٢٥٨٦).

(٤) المصدر نفسه، حديث رقم (٤٥).

الله إخواناً^(١)، وبهذه المحبة ينمو المجتمع ويتقوى، ويستوي على سوقه ويتربى، وبدون الحب تجف ينابيع الحياة، وتذبل جذور التعاطف والتآلف.

وقد جعل الرسول ﷺ المحبة سبيلاً إلى الجنة فقال ضمن حديث السبعة الذين يظلمهم الله بظلمه يوم القيامة (ورجلان تحاببا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه)^(٢)، وقال: (إن رجلاً زار أخاً له في قرية أخرى، فأرصد الله له على مدرجته ملكاً، فلما أتى عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخاً لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة تربُّها؟ قال: لا، غير أنني أحببته في الله عز وجل، قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه)^(٣)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة.

٣- الولاء:

وهو أساس الوحدة للأمة المسلمة، وأساس التعاضد والتناصر، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٤)، وقال ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٥)، والمولاة هي النصرة والمعاونة^(٦)، وتعني أيضاً: المفاصلة بين الصف

(١) رواه البخاري، حديث رقم (٦٠٦٥).

(٢) رواه البخاري، حديث رقم (٦٨٠٦).

(٣) رواه مسلم، حديث رقم (٢٥٦٧).

(٤) سورة المائدة: ٥٥.

(٥) سورة التوبة: من الآية ٧١.

(٦) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي

(ت ٦٧١هـ)، دار الكتاب العربي، القاهرة، ط ٣، ١٩٦٧م، ٦/ ٢١٧.

المسلم وغيره، فلا يكون الولاء إلا لقيادة واحدة، ولا التناصر إلا للأمة المؤمنة ذات المنهج المستمد من العقيدة^(١)، ولذا يقول الله تعالى ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءِآبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يُوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٢)، وعلى هذا الأساس (الجماعة القائمة على أمر الإسلام ينبغي أن توحد صفها، وأن تنبذ بعيداً من يقسم هذا الصف أو يخرج عليه.. وما أكل المسلمون إلا من فرقة الصف، وما أمكن التسلل إلى جماعة أو أمة إلا إذا اختلف صفها أو اعوج)^(٣).

وسنرى كيف كانت المؤاخاة العقدية ذات أثر متين في بناء الإسلام والجماعة المؤمنة التي تكونت في مكة المكرمة، ثم نمت وتمتنت في المدينة المنورة (وقد كان للدعوة الإسلامية أثرها العظيم في هذا، بل كان أكبر معجزاتها ما أحدثته من أخوة بين طوائف من البشر، كانت أشدّ الأقسام تدابراً وتناكراً وشقاقاً)^(٤)، فأصبحوا بأصرة العقيدة، وحقوق المحبة، وواجب الولاء، يداً واحدة ومجتمعاً متكافلاً.

المطلب الثاني: المؤاخاة في مكة المكرمة

نورد في هذا المطلب المؤاخاة في مكة المكرمة واختلاف

(١) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٩، ١٩٨٠م، ٩٢٠/٢.

(٢) سورة التوبة: ٢٣.

(٣) التخطيط للدعوة الإسلامية، علي محمد جريشة، سلسلة دعوة الحق الشهرية، العدد (٧)، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ، ص ١٢٥-١٢٦.

(٤) الرسالة الخالدة، عبد الرحمن عزام، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٩٦٩م، ص ٥٤.

العلماء في وقوعها، وترجيح القول المعتبر عند المحققين، إذ أن إيضاح هذه المسألة مهم؛ لأن الفترة المكية سابقة في قضية المؤاخاة على المرحلة المدنية، وهي تعطينا تصوراً وأهميةً لدراسة المؤاخاة الخاصة بين المهاجرين والأنصار في المدينة، ونوجز أقوال علماء السيرة في المؤاخاة المكية فيما يأتي:

١- الإثبات:

ذهب فريق من العلماء^(١) إلى إثبات وقوع المؤاخاة بين المؤمنين في مكة المكرمة على الحق والمواساة دون توارث، فمن ذلك مؤاخاة النبي ﷺ نفسه مع عليّ ﷺ، وحمزة بن عبد المطلب مع زيد بن حارثة، وأبا بكر مع عمر، وعثمان مع عبد الرحمن بن عوف ﷺ جميعاً، وغيرهم، وأن هذه المؤاخاة المكية ثابتة وصحيحة^(٢).
وبدل سياق ابن إسحاق على وقوع مؤاخاة النبي ﷺ مع عليّ، وحمزة مع زيد ﷺ في المدينة^(٣)، وذكر ابن سعد وقوع مؤاخاة في

(١) ينظر: أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، تحقيق: محمد حميد الله، ط معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٩٥٩م، ١/ ٢٧٠، الدرر في اختصار المغازي والسير، يوسف بن عبد الله النمري بن عبد البر، (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦م، ص ١٠٠، وابن سيد الناس، أبو الفتح محمد بن محمد الأندلسي (ت ٧٣٤هـ)، عيون الأثر في فنون الشرائع والمغازي والسير، دار الآفاق، بيروت، ط ٣، ١٩٨٣م، ١/ ١٩٩.

(٢) ينظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني بن حجر، (ت ٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، ب ت، ١/ ٢٧١ - ٢٧٢.

(٣) ينظر: السيرة النبوية، أبو عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٨هـ)، مكتبة المنار، الأردن - الزرقاء، ط ١، ١٩٨٨م، ٢/ ١٧٢ - ١٧٣.

المدينة بين المهاجرين مع بعضهم^(١)، دون تفصيل ولا مستند، كما ذكر أبو زهرة وقوع مؤاخاة للأَنْصار مع بعضهم^(٢)، ولم يذكر لذلك مستنداً.

٢- النفي:

ذهب فريق آخر من العلماء^(٣) إلى نفي وقوع أية مؤاخاة في مكة، ووجهة نظرهم في ذلك: أنّ المؤمنين في مكة كانوا مستغنين عن المؤاخاة بأخوة الإسلام، وأخوة الدار، وقرابة النسب، فلا حاجة إلى عقد مؤاخاة مكية، بخلاف المؤاخاة في المدينة بين المهاجرين والأَنْصار، وهي وجهة نظر لا مستند لها ولا حجة سوى كونها اجتهاد مجرد.

٣- التوقف:

حيث توقف البعض بين الإثبات والنفي، وقالوا في إثباته نظر، ومن العلماء من منعه، فصلّ ذلك ابن كثير، وذكر للمانعين الدليل العقلي السابق^(٤)، ولم يترجح عند هؤلاء وجه واحد. وبعد تدقيق النظر في هذه الأقوال يظهر أنّ الصواب منها هو إثبات المؤاخاة المكية، وقوى هذا المذهب ابن حجر راداً على النافين

(١) ينظر: الطبقات الكبرى، محمد بن منيع الزهري البصري ابن سعد، (ت ٢٣٠هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ١/ ٢٣٨.

(٢) ينظر: خاتم النبیین، محمد الإمام أبو زهرة، المكتبة العصرية، بيروت، ب ت، ٦٦٥ / ٢.

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)، المطبعة الأميرية، مصر، ط ١، ١٣٢٢هـ، ٩٦ - ٩٧، زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد ابن أبي بكر الدمشقي بن القيم، (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الإرنائوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٨م، ٣ / ٦٤.

(٤) ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، ٣ / ٢٢٦ - ٢٢٧.

بقوله: (هذا ردُّ للنص بالقياس، وإغفالٌ عن حكمة المؤاخاة؛ لأنَّ بعض المهاجرين كانوا أقوى من بعض بالمال والعشيرة والقوى، فأخى بين الأعلى والأدنى ليرتفق الأدنى بالأعلى، ويستعين الأعلى بالأدنى، وبهذا تظهر مؤاخاته ﷺ لعليّ ﷺ؛ لأنه هو الذي كان يقوم به من عهد الصبا من قبل البعثة واستمرَّ، وكذا مؤاخاة حمزة وزيد بن حارثة؛ لأنَّ زيداً مولاهم، فقد ثبتت أخوتهما وهما من المهاجرين)^(١).

ويبدو لي أنَّ ترجيح إثبات المؤاخاة المكية أقوى لما تقدّم، ولأنَّ ذلك يتماشى مع روح الإسلام، وذكر أبو زهرة حكماً وأهدافاً أخرى في هذه المؤاخاة، منها: تثبيت العقيدة، واستمرار الدعوة، وتمكين الصحبة، وتوحيد الأمة^(٢)، (وإذا اعتبرنا المؤاخاة مستمرة إلاّ ما يتعلّق بحق التوارث الذي أبطل بعد بدر، فلا موجب لهذا الاعتراض والإنكار الذي أبداه المؤرخون تجاه هذه الروايات، سواء وقعت المؤاخاة قبل أو بعد تشريع المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار..^(٣)).

وهكذا نخلص إلى القول بأنَّ المؤاخاة العامّة - دون توارث - سارية المفعول قبل الهجرة وبعدها، وأنَّ المقصود منها هو ربط المؤمنين على عقيدة الإسلام، والتعاون والتناصر على أمر الدعوة، وبناء الأواصر الإيمانية والاجتماعية، ونبذ العصبية الجاهلية بأنواعها، وإنَّ فلا مانع أن تتكرر كلما دعت الحاجة إليها ما دامت ضمن هذا الإطار، وإنَّ (بوسع المؤمنين في كل عصر أن يتآخوا بينهم على المواساة، والارتفاق، والنصيحة، ويترتب على مؤاخاتهم حقوق

(١) فتح الباري، ٧ / ٢٧١.

(٢) ينظر: خاتم النبيين، ٢ / ٦٦٤ - ٦٦٦.

(٣) السيرة النبوية الصحيحة، العمري، ١ / ٢٤٧.

أخصُّ من المؤاخاة العامّة بين المؤمنين^(١)، وهو كلام جميل أوج ما نكون إليه في مجتمعاتنا في الوقت الراهن الذي تعصف به الفتن من كل جانب، وأخوة الإسلام قائمة باقية لا تنقطع بحال من الأحوال.

وقد برهنت بعض الشعوب على تفعيل جانب كريم من المؤاخاة وقت أزمات التهجير، وذلك بإيواء بعضهم بعضاً بالحبِّ والمواساة والمناصرة والبذل السخي، وفتحوا القلوب قبل الأبواب، وربما استمرت أواصر العلاقات الاجتماعية وقويت، وتحولت إلى علاقات متينة وأخوة خاصة، وذكريات جميلة لا تتمحي آثارها.

المبحث الثاني

المؤاخاة الخاصة

أتحدث في هذا المبحث عن المؤاخاة الخاصة بين المهاجرين والأنصار في المدينة المنورة، وبيان نظامها وأهدافها، وذلك في المطالبين الآتيين:

المطلب الأول: نظام المؤاخاة

أتناول في هذا المطلب ثبوت المؤاخاة وأهميتها ثمّ نسخ التوارث وبقاء الأخوة، وذلك في النقاط الآتية:

١- ثبوتها:

اتفقت المصادر^(٢) على ثبوت المؤاخاة في المدينة بين المهاجرين والأنصار بقول النبي ﷺ (تآخوا في الله أخوين أخوين)^(٣)،

(١) السيرة النبوية الصحيحة، العمري، ١/ ٢٤٨.

(٢) ينظر: الطبقات الكبرى، ابن سعد، ١/ ٢٣٨ - ٢٣٩، وأنساب الأشراف

البلاذري، ١/ ٢٧٠، والدرر، ابن عبد البر، ص ٩٦، وعيون الأثر، ابن

سيد الناس، ١/ ٢٤٢، وزاد المعاد، ابن القيم، ٣/ ٦٣.

(٣) البداية والنهاية، بن كثير، ٣/ ٢٢٥.

وأن ذلك كان في السنة الأولى من الهجرة الشريفة، على اختلاف في تحديد تأريخها، وأنها وقعت في دار أنس بن مالك رضي الله عنه، حيث آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كل مهاجري وأنصاري اثنين اثنين، بحيث لم يبق أحد من المهاجرين إلا وله أخ من الأنصار، وكانت المؤاخاة على الحق والمواساة، والتوارث دون القرابات، وأنها استمرت إلى غزوة بدر حين نزول قوله تعالى ﴿ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾^(١)، فردّ التوارث إلى ذوي الأرحام، وبقيت أخوة الإسلام^(٢)، وكان عدد المتآخين تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار^(٣).

لقد كان تشريع التوارث في نظام المؤاخاة أمراً زاد من قوتها، حيث يرقى بالعلاقات الاجتماعية إلى مستوى أعمق وأعلى من أخوة الدم^(٤).

وقد لوحظ أنّ الجانب الرابع في حكم التوارث هم المهاجرون فقط، ومع أنّ التطبيق العملي كان محدود الأثر، ولكنه يثبت المبدأ، ويؤكد الصلة بين المتآخين^(٥).

ولقد كانت هذه المؤاخاة أساساً لمجتمع إسلامي فريد، يقوم على عقيدة صحيحة، وعلاقات متينة على الإيمان والعمل المشترك،

(١) سورة الأنفال: من الآية ٧٥.

(٢) ينظر: البداية والنهاية، بن كثير، ٣/ ٢٢٦.

(٣) لمعرفة أسماء المتآخين ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ٢/ ١٧٣-١٧٤، والدرر،

ابن عبد البر، ص ٩٦، عيون الأثر، ابن سيد الناس، ١/ ٢٤٣-٢٤٤.

(٤) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، العمري، ١/ ٢٤٤.

(٥) ينظر: الدولة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، صالح أحمد العلي، ط المجمع العلمي

العراقي، ١٩٨٨م، ص ٨٧.

وظليعة حياة جديدة للعالم والإنسانية جميعاً^(١)، (وقد جعل الرسول ﷺ هذه الأخوة عقداً نافذاً، لا لفظاً فارغاً، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال، لا تحية تثرثر بها الألسنة، ولا يقوم لها أثر)^(٢).

وإنّ عقد الأخوة رابطة بين شخصين، وهي لا تختلف عن العقد بين زوجين، فكلاهما عقد يجب الوفاء بحقوقه المترتبة عليه في النفس والمال والإخلاص والدعاء والوفاء وترك التكلف وغير ذلك^(٣). وبهذا يتضح لنا جلياً الصورة الفريدة التي امتاز بها نظام المؤاخاة في الإسلام ممّا لا وجود له في دين أو نظام آخر.

٢- أهميتها:

لا يمكننا أن نفهم أهمية تشريع المؤاخاة الخاصة إلا إذا اطلعنا على سير أحداث الدعوة الإسلامية قبلها، ففي المرحلة المكية اشتدّ الإيذاء على المسلمين، ولم تعد مكة أرضاً صالحة لقيام الدولة الإسلامية، الأمر الذي دعا النبي ﷺ للتفكير بأرض أخرى يؤسس فيها دولة تحمي المسلمين من أي اعتداء، ويمارسون حريتهم بكلّ أمان، ووقع تفكيره أولاً على الطائف لحصانتها وموقعها، لكنّ مجريات الأحداث خيّبت الأمل، فقد واجهه أهل الطائف بكلّ تعنّت وإيذاء^(٤). واستمرّ ﷺ في دعوته بمكة، حتى ترشحت أرض يثرب وصلاحيتها لقيام الدولة، وكان ذلك بعد لقاءاته ﷺ بأهلها في مواسم

(١) ينظر: السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسني الندوي، دار الشروق، جدة، ط١١، ١٩٩٦م، ص ٢٠١.

(٢) فقه السيرة، محمد الغزالي، عالم المعرفة، بيروت، ب ت، ص ١٩٢.

(٣) ينظر: المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى، دار السلام، القاهرة، ط١٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، ص ٤٨٣.

(٤) ينظر: الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٢٢.

الحج، حيث بايعوه البيعة الأولى ثم الثانية والتي أسفرت عن تباشير فجر جديد، وكانت الخطوة التالية إرسال مصعب بن عمير رضي الله عنه مع المبايعين في بيعة العقبة الثانية؛ وذلك لنشر الإسلام وفحص الأرض الجديدة، وما أن تأكد صلى الله عليه وسلم من صلاحيتها إلاّ وسارع بأمر من الله تعالى للهجرة إليها^(١).

وبدأ المسلمون بالهجرة في ظروف صعبة مختلفة، وكانوا متقلين بمشاكل عديدة، منها التعذيب والإكراه، وترك الديار والأموال إلى بلد لم يألفوه، ووضع جديد استوحشوه، ولذا كان الحلّ النبوي بالمؤاخاة حكيماً وبلغياً؛ لتخفيف وطأة الشدة والغربة، وإيناسهم بإخوانهم في الدين، ومسح جراحهم، وتعويضهم عما فقدوه من الحنين إلى الوطن، وغير ذلك.

٣- نسخ التوارث:

تقدّم أنّ التوارث بين المتأخين كان من أساسيات نظام المؤاخاة، وكان لظروف استثنائية مرّت بها دولة المدينة في السنة الأولى من الهجرة، فلمّا عرف المهاجرون مسالك العمل، وغنموا من غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة رجع التوارث إلى وضعه الطبيعي على أساس القرابة والأرحام، وذلك بنص قوله تعالى ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٢)، فقد نسخت هذه الآية حكم التوارث بالمؤاخاة، وهذا هو الراجح^(٣)، ويرى ابن عباس رضي الله عنه أنّ الناسخ لحكم التوارث بالمؤاخاة هو قوله تعالى ﴿وَلِكُلِّ جَعَلْنَا

(١) ينظر: السيرة النبوية، بن هشام، ٢/ ٨٦ وما بعدها.

(٢) سورة الأنفال: من الآية ٧٥.

(٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار الجيل، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ -

١٩٨٨م، ٢/ ٣١٦، وابن حجر، فتح الباري، ٨/ ٢٤٩.

مَوْلَى مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ^(١) وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ فَأَتَوْهُم نَصِيهِمْ^(٢)، وعلى هذا فالموالي هم الورثة بالرحم، ﴿وَالَّذِينَ عَقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ﴾ هم المهاجرون الوارثون بالمؤاخاة، وقوله: ﴿فَأَتَوْهُم نَصِيهِمْ﴾ أي من النصره والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث، ويوصى له^(٣).

وقد استمرت أحكام التوارث بالمؤاخاة مدّة تقدر بأربعة عشر شهراً حتى نزلت آية الأنفال في أعقاب غزوة بدر^(٣). وهكذا رأينا كيف كانت الحكمة في تشريع المؤاخاة، وكيف كانت الحل المناسب لشريحة المهاجرين ريثما تيسرت الأمور، ثم رجوع التوارث إلى وضعه الطبيعي؛ لانتفاء الحاجة إليه.

المطلب الثاني: أهداف المؤاخاة

نسلط الضوء في هذا المطلب على أهم الأهداف التي ترمي إليها المؤاخاة التي عقدها المصطفى ﷺ بين المهاجرين والأنصار في المدينة، ونوجزها فيما يأتي:

١- الموساة:

أحدثت المؤاخاة موساة عظيمة في نفوس المهاجرين، والموساة تعني كلّ أوجه العون على مواجهة أعباء الحياة، سواء أكان عوناً مادياً أو معنوياً كالنصيحة والمحبة والتزاور^(٤)، وكذلك الموساة

(١) سورة النساء: من الآية ٣٣.

(٢) ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١/٤٦٣، وكذا في: البخاري، حديث رقم (٤٥٨٠).

(٣) ينظر: الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، هاشم يحيى الملاح، ط جامعة الموصل، ١٩٩١م، ص ١٩٩.

(٤) ينظر: السيرة النبوية الصحيحة، العمري، ١/٢٤٤.

عن وحشة الغزبية، ومفارقة الأهل والعشيرة، ولكي يشدَّ بعضهم أزر بعض^(١)، وبذلك توجد الصلة والترابط الاجتماعي، وتتوثق أواصر المودة التي هي أساس الألفة الاجتماعية^(٢).

إنَّ أحوج ما يكون إليه الإنسان في حال أزمته وكربته أن يجد من يقف إلى جانبه، ويخفف عنه آلامه، ويمسح جراحه، ويطيّب خاطره، والإسلام دين الرحمة، والمصطفى ﷺ نبي الرحمة، والله تعالى هو أرحم الراحمين، ولذا كانت المؤاخاة أروع ما عرفته البشرية رحمة وعطفاً وحكمة وحناناً.

٢- المساواة:

تعدُّ المؤاخاة إشعاراً متيناً بالمساواة والوحدة بين الجماعة المؤمنة عملياً، فقد قضت على الثغرات السابقة، وذلك بجمع القلوب^(٣)، فالفرد يتحرك بروح الجماعة، وبذلك تذوب عصبية الجاهلية، وتسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدّم أحد إلاّ بتقواه ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى﴾^(٤)، وبذلك تكون المؤاخاة مؤشراً لوحدة المسلمين بشكل دائم^(٥).

ولا يخفى ما في المساواة في الإسلام من آثار اجتماعية بالغة، فهو دين الناس جميعاً عربياً كان أم غير عربي، ورسول الله ﷺ ينادي (يا أيها الناس: ألا إن ربكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود،

(١) ينظر: فتح الباري، ابن حجر، ٧/ ٢٧٠.

(٢) ينظر: خاتم النبيين، أبو زهرة، ٢/ ٦٦٨.

(٣) المصدر نفسه، ٢/ ٦٦٣.

(٤) سورة الحجرات: من الآية ١٣.

(٥) ينظر: فقه السيرة، الغزالي، ص ١٩٢.

ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى^(١)، وبهذه العظمة انتشر الإسلام في ربوع الأرض كلها، وانضوى تحت رايته جميع الأجناس من جميع الأقطار.

٣- حلُّ مشكلة السكن:

قدِم المهاجرون من مكة تاركين دورهم وأماكنهم، والتي عدى عليها المشركون فباعوا قسماً منها^(٢)، ونزل المهاجرون نزلاء على إخوانهم الأنصار، الذين فتحوا قلوبهم قبل أبوابهم، وساهموا في حل مشكلة السكن مساهمة فعلية، فلم يكتفوا بمجرد إيوائهم، بل وهبوا كلَّ فضلٍ في خِططهم^(٣)، من أجل إسكان إخوانهم المهاجرين وإسعادهم، وإشعارهم بالامتلاك والاستقلال، وإشراكهم بسكنى المدينة، وأنهم من أهلها، وليسوا نازحين إليها، وشعر المهاجرون بالراحة والاطمئنان.

وبهذا توجّهوا لأمر الدعوة، وواجبات الدولة بكل نشاط وسرور، وهكذا كانت حكمة المصطفى ﷺ في معالجة المشكلة المهاجرية مادياً ومعنوياً، وعاطفياً ونفسياً، ومن كل أنحائها وجوانبها المختلفة؛ لتتحقق أهداف المؤاخاة التي لم يشهد التاريخ لها مثيلاً.

(١) جزء من حديث رواه الإمام أحمد، المسند، الإمام أحمد ابن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ)، تحقيق: شعيب الإرنأؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، حديث رقم (٢٣٤٨٩).

(٢) ينظر: السيرة النبوية، ابن هشام، ١٦٥ / ٢.

(٣) ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي، (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م، ٥ / ٨٦، وأنساب الأشراف، ١ / ٢٧٠، والخطط: بكسر الخاء جمع خُطَّة، وهي الأرض التي لم تمطر، وبضم الخاء: الأمر والقصة، يقال: جاء وفي رأسه خُطَّة (ينظر: القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٩٨٣م، فصل الخاء، باب الطاء، ٢ / ٣٥٨).

المبحث الثالث

آثار المؤاخاة

في هذا المبحث نُلقِي بعض الأضواء على المواقف الأخوية المشرقة لمواقف كلِّ من الأنصار والمهاجرين إزاء المؤاخاة، فإنَّ معرفة ذلك مهمٌّ في الدلالة على الآثار الجميلة المترتبة على نظام المؤاخاة، وذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: موقف الأنصار

لقد تفاعل الأنصار مع المؤاخاة تفاعلاً فريداً من نوعه، حيث أنزلوا إخوانهم المهاجرين منزل القلب من الجسد، وفيما يأتي بعض هذه المواقف الرائعة:

١- التنافس:

حين قدم النبي ﷺ المدينة نزل في قباء أولاً^(١)، وكان قد نزل فيها معظم المهاجرين^(٢)، ولما أراد النبي ﷺ أن يتحوّل إلى داخل المدينة تحوّل معه المهاجرون، فتنافس فيهم الأنصار تنافساً عظيماً، فأقرع النبي ﷺ بينهم بالمؤاخاة، فما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة^(٣)، وهذه القرعة لحل التنافس دلت على صورة فريدة من صور الحبِّ والإيثار، كما دلت على النقلة العظيمة التي أوجدها الإسلام بين أتباعه، بعد صور التمزق والأنانية والحروب الطاحنة.

(ولم يعرف تاريخ البشرية كله حادثاً جماعياً كحادث استقبال الأنصار للمهاجرين، بهذا الحبِّ الكريم، وبهذا البذل السخي، وبهذه

(١) ينظر: البخاري، حديث رقم (٣٩٠٦).

(٢) ينظر: فتح الباري، ٧/ ٢٦١.

(٣) ينظر: البخاري، حديث رقم (٣٩٢٩) و (٣٩٣٢).

المشاركة الرضية، وبهذا التسابق إلى الإيواء، واحتمال الأعباء..^(١)، وقد دل الاقتراع على روعة هذا التنافس؛ لأنّ عدد المتنافسين من الأنصار كان أكثر من عدد المهاجرين، وكان لهذا التنافس - بلا شك - أثر كبير على نفوس المهاجرين، حيث راودهم الشعور أنّهم أصحاب الفضل على الأنصار وليس العكس، وبهذا تنقشع عن قلوبهم سحُب الوحشة.

٢- البذل:

لقد وهب الأنصار - كما تقدّم - كلّ فضلٍ في خطّهم لرسول الله ﷺ لإسكان إخوانهم المهاجرين، بل ذهبوا إلى أبعد من ذلك حين طلبوا من الرسول ﷺ أن يتصرف في منازلهم الخاصة! فقال لهم النبي ﷺ خيراً ودعا لهم، وقد قام النبي ﷺ بتوزيع الأراضي غير المملوكة لأحد، إضافة لأراضي الأنصار الموهوبة^(٢)، وأشرف ﷺ على هذا التوزيع خِطّة خِطّة بشكل مرتّب يدل على حسن تخطيطه ﷺ الهندسي؛ لإعطاء المدينة عاصمة دولة الإسلام شكلها الحضاري، كما خطّ لهم سوقاً جنوب المدينة ليستغنوا عن أسواق اليهود^(٣)، وبهذا البذل والعطاء من تصرف المصطفى ﷺ وطيب نفوس الأنصار تلملم شمل المهاجرين في صورة رائعة من صور البذل الكريم.

٣- السّاحة:

تجلّى موقف الأنصار كذلك في ساحة متاهية وكرم عال، حينما عرضوا بساتينهم على النبي ﷺ، وقالوا: اقسم بيننا وبين إخواننا

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، ٦/ ٣٥٢٦.

(٢) ينظر: أنساب الأشراف البلاذري، ١/ ٢٧٠.

(٣) ينظر: المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، شاکر مصطفى، مطبعة ذات

السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٨م، ١/ ٣٠٥.

النخيل، فقال: لا، فقال المهاجرون: تكفونا المؤونة ونشركم في الثمرة، فقال الأنصار: سمعنا وأطعنا^(١)، فالنبي ﷺ أراد أن تبقى بساتين الأنصار لهم، وأن يقوموا هم بإدارتها؛ لأنّ المهاجرين لا يحسنون العمل الزراعي، لذا طلبوا المشاركة في عمل السقي وغيره مقابل إشراكهم في الثمر، فوافق الأنصار على ذلك مراعاة لنفوس المهاجرين الأبية، ولمثل هذه السماحة الأنصارية يقف شعر الرأس إعجاباً وانبهاراً، ويخشع القلم في محراب التاريخ!

٤- التفاني:

ضرب الأنصار أروع الأمثلة في التفاعل مع المؤاخاة، وشدة الالتزام بها، وعميق التفاني في تحقيقها، وذلك في قصة عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من المهاجرين، مع سعد بن الربيع رضي الله عنه من الأنصار، وهي أنهم (لما قدموا المدينة آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع، فقال سعد: إنّي أكثر الأنصار مالاً، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فسمّها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها! فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟...)^(٢)، وموقف سعد هذا كان مثلاً نادراً للمؤاخاة من بين العديد من الأمثلة على هذا التقابل الأخوي الصادق؛ ذلك (لأنّ الأرضية التي أُقيمت عليها، والقيادة التي خطّطتها ونفّذتها استكملتا كل شروط النجاح في مجتمع شابّ يحكمه مبدأ العطاء قبل الأخذ، وتشدّه أوامر العقيدة وحدها...)^(٣).

إنّ هذه المواقف الأنصارية الرائعة تقدّم لنا الأنموذج المثالي

(١) ينظر: البخاري، حديث رقم (٢٣٢٥).

(٢) المصدر نفسه، حديث رقم (٣٧٨٠).

(٣) دراسة في السيرة، عماد الدين خليل، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٤م، ص ١٥٦.

للمجتمع الإسلامي، والتطبيق الراقى للمبادئ العظيمة التي غرسها رسول الله ﷺ بين أتباعه.

المطلب الثاني: موقف المهاجرين

قابل المهاجرون مواقف إخوانهم الأنصار بالتقدير والثناء، مع التعف والإباء؛ لما تتطوي عليه نفوسهم الكريمة من عزة الإسلام التي تربوا عليها، وفيما يأتي بعض هذه المواقف المتقابلة والمماثلة:

١- الإباء:

مرّ معنا قريباً كيف واجه المهاجرون عروض إخوانهم الأنصار بقسمة النخيل فيما بينهم، فلم يرض المهاجرون إلا بالمشاركة بالعمل من السقي وغيره، مقابل إشراكهم في الثمر، وهذا يدل بوضوح على إياهم وكرامة نفوسهم، وعدم استغلال عروض إخوانهم، فالمهاجرون (غير طامعين في غير الإيواء والكفاف.. وأن النبي ﷺ أبى إلا أن يعمل المهاجرون مع الأنصار، ويكون الثمر بينهم قسمة عادلة، للأرض حصتها وللعمل حصته)^(١)، وارتاحت نفوس المهاجرين بهذا الحل، وهكذا (قابل المهاجرون إيثار إخوانهم وسماحتهم بتقدير كامل وسماحة مماثلة)^(٢).

٢- النبيل:

يقف المسلم منبهاً لما حدث في قصة عبد الرحمن مع سعد فإنّ (إعجاب المرء بسماحة سعد لا يعدله إلا إعجابه بنبل عبد الرحمن! هذا الذي زاحم اليهود في أسواقهم، وبزّهم في ميدانهم، واستطاع - بعد أيام - أن يكسب ما يعفُّ به نفسه..)^(٣)، وقد بورك له في عمله،

(١) أبو زهرة، خاتم النبیین، ٢ / ٦٦٧.

(٢) خليل، عماد الدين، دراسة في السيرة، ص ١٥٦.

(٣) الغزالي، فقه السيرة، ص ١٩٣.

وأصبح من كبار الأغنياء في المدينة؛ لأنه يعرف قيمة اليد العليا^(١)، وإنَّ عبد الرحمن بنبله وشهامته، وقدرته على التفكير والعمل ليقدّم مثلاً صادقاً للتاجر المسلم لاسيماً في الظروف الصعبة.

وإنَّ حاجة الدعوة إلى المال لا تقلُّ أهميّة عن حاجتها إلى الرجال، ولكلِّ موقعه وأثره، و(إنَّ علوَّ الهمة من خلائق الإيمان، وقبَّح الله وجوه أقوام انتسبوا للإسلام فأكلوه وأكلوا به، حتى أضاعوا كرامة الحق في هذا العالم)^(٢).

٣- الوفاء:

احتفظ المهاجرون بمعروف إخوانهم الأنصار، فراحت ألسنتهم تلهج بذكر فضلهم والثناء عليهم، والدعاء لهم، ولم يغب عن بالهم حسن الوفاء وتذكر الأيام الجميلة والمواقف النبيلة، وقد جاؤوا إلى النبي ﷺ قائلين: (ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن بذلاً من كثير، ولا أحسن مواساة في قليل، قد كفونا المؤونة وأشركونا في المهنة، فقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله! فقال رسول الله ﷺ: لا، ما أنتيتم عليهم ودعوتم الله لهم)^(٣).

وإذا كان هذا ثناء المهاجرين على الأنصار، فإنَّ رسول الله ﷺ أثنى عليهم بكلماته الجامعة المعبرة (لو أن الأنصار سلكوا وادياً أو شِعْباً لسلكت في وادي الأنصار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من

(١) ينظر: العمري، السيرة النبوية الصحيحة، ١/ ٢٤٥.

(٢) الغزالي، فقه السيرة، ص ١٩٣.

(٣) رواه الإمام أحمد، المسند، وسنده صحيح (ينظر: الساعاتي، أحمد عبد الرحمن البناء، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني، دار الحديث، القاهرة، ب ت ، ١٠/٢١).

الأنصار)^(١)، وإنّ المدح ليبليغ منتهاه بكلمات الله الخالدة ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا
الدَّارَ وَالْأَيْمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا
أُوتُوا وَيُؤْتِرُونَكَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُقَلَّبُونَ﴾^(٢).

وهكذا عاش المجتمع الإسلامي في المدينة أعظم لحظات
التاريخ البشري أخوة وترابطاً وسعادة، لا زالت الأجيال تتطلع لمثلها،
وتتغنّى على أوتارها.

^(١) رواه البخاري، حديث رقم (٣٩٧٩).

^(٢) سورة الحشر: ٩.

خاتمة

- أفرز البحث على صغر حجمه، وما عسى أن يكون فيه من قصور أو خلل بعض النتائج المهمة، أسطرها فيما يأتي:
- ليس من السهل أن يترك الإنسان وطنه وعشيرته وكل علاقته التي درج عليها إلى مكان لم يألفه، ووضع لم يعتده، دون أهل ولا عشيرة لولا أن يكون ذلك في سبيل الله، والهدف الذي يستحق أن يُضحى من أجله، وليس غريباً أن يواجه المهاجرون هذا الكم الهائل من الإشكالات المادية والمعنوية، لكن الله تعالى عوضهم خيراً من عشيرتهم وأهلهم ودارهم، بالمؤاخاة الرائعة التي فاقت حدّ التصور، وأتت على جميع الإشكالات حتى جعلتها كالريم وتلاشت تماماً.
 - جسدت المؤاخاة حركة المجتمع الإسلامي، وتجلت ذلك أولاً في مكة المكرمة عند تكوّن النواة الأولى لدعوة الإسلام، وكانت المؤاخاة المكية جامعة لقلوب المؤمنين، لاسيما وأنهم كانوا في مواجهة شراسة المشركين، وتحت مطارق ضراوتهم، فتقوّوا بالمؤاخاة وزادت صلابتهم، ممّا أدّى إلى اجتياز أزماتهم في بدايات الدعوة المكية، وكان ترجيحنا لهذه المؤاخاة في مكة متماشية مع روح المرحلة ومتطلباتها.
 - حرص النبي ﷺ على سلامة البنية الداخلية للمجتمع المدني، فكانت المؤاخاة المدنية حلاً ناجعاً للأزمة التي اجتاحت المهاجرين ريثما يستعيدوا مقدرتهم المادية، ويلملوا شعثهم المعنوي، وقد دلت المؤاخاة على ما امتاز به المصطفى ﷺ من حنكة في الإدارة، وسياسة في التدبير، ودقة في التشخيص، ومراعاة للأحوال، واجتياز ناجح للأزمات.
 - يستفيد المسلم عموماً والداعية خصوصاً من تجربة المؤاخاة الرائدة،

حيث نجحت في إقامة العدل الاجتماعي، ودلت على مرونة الإسلام العظيم، وانفتاحه في الظروف الصعبة على أشدّ إشكالات العلاقات الاجتماعية مساواة وعدلاً، وتدبيراً ونبلاً، بتلك التربية النبوية الفريدة على مختلف الأصعدة، وإنّ بإمكان المؤمنين في كل زمان ومكان أن ينقلوا تجربة المؤاخاة إلى واقع ملموس لاسيّما في الأزمات.

• إنّنا في الوقت الراهن الجريح أحوج ما نكون إلى تجربة المؤاخاة؛ لما تعانيه المجتمعات من الأزمات المادية والمعنوية، وقد وقع الناس في إشكالات شتى هدّدت حياتهم وأموالهم وبيئتهم مما تسبّب في الحرمان من أبسط حقوق الإنسان، لكنّ بذل المعروف والنخوة وحبّ الخير في الشعوب المنكوبة لقادرة على الانطلاق من جديد، متزودة من تجربة المؤاخاة في لمّ الشمل ومداواة الجراح، والحفاظ على الوحدة ونبذ الفرقة، والأخذ على يد المفسدين؛ لتعود الشعوب معافاة وأحسن ممّا كانت، وما ذلك على الله بعزيز، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر

١. أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ) تحقيق: محمد حميد الله، ط معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية، ١٩٥٩م.
٢. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٣. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤هـ) ، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٤. الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي أبو عبد الله البخاري، (ت ٢٥٦هـ) بترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة، بيروت، ب ت.
٥. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي الأنصاري (ت ٦٧١هـ) دار الكتاب العربي، القاهرة، ط٣، ١٩٦٧م.
٦. الدرر في اختصار المغازي والسير، يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري (ت ٤٦٣هـ) تحقيق: شوقي ضيف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٩٦٦م.
٧. زاد المعاد في هدي خير العباد، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم الدمشقي (ت ٧٥١هـ) تحقيق: شعيب الإرنأؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٩٨٨م.
٨. السيرة النبوية، أبو عبد الملك بن هشام بن أيوب (ت ٢١٨هـ) مكتبة المنار، الأردن - الزرقاء، ط١، ١٩٨٨م.

٩. صحيح مسلم بشرح النووي، أبو الحسين بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري (ت ٢٦١هـ) محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الشافعي (ت ٦٧٦هـ)، تحقيق وفهرسة: لجنة من العلماء بإشراف: الشيخ خليل الميس، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٧م.
١٠. الطبقات الكبرى، محمد بن منيع الزهري بن سعد البصري (ت ٢٣٠هـ) ، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م.
١١. عيون الأثر في فنون الشمائل والمغازي والسير، أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس الأندلسي (ت ٧٣٤هـ) دار الآفاق، بيروت، ط٣، ١٩٨٣م.
١٢. فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) دار المعرفة، بيروت، ب ت.
١٣. المسند أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الإمام (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق: شعيب الإرنأوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
١٤. معجم البلدان، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت، ١٩٥٧م.
١٥. منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام الحراني الدمشقي بن تيمية (ت ٧٢٨هـ)المطبعة الأميرية، مصر، ط١، ١٣٢٢هـ.

ثانياً: المراجع

١٦. التخطيط للدعوة الإسلامية، عليّ محمد جريشة ، سلسلة دعوة الحق الشهرية، العدد (٧)، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ.
١٧. خاتم النبيين، محمد الإمام أبو زهرة، المكتبة العصرية، بيروت، ب ت.

١٨. دراسة في السيرة، عماد الدين خليل دار النفائس، بيروت، ١٩٧٤م.
١٩. الدولة في عهد الرسول ﷺ، صالح أحمد العلي، ط المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨م.
٢٠. الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، دار القلم، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢١. الرسالة الخالدة، عبد الرحمن عزام، دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٩٦٩م.
٢٢. السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العبيكان، الرياض، ط٢، ١٩٩٦م.
٢٣. السيرة النبوية، أبو الحسن علي الحسن الندوي، دار الشروق، جدة، ط١١، ١٩٩٦م.
٢٤. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني: أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي دار الحديث، القاهرة، ب ت.
٢٥. فقه السيرة، محمد الغزالي، عالم المعرفة، بيروت، ب ت.
٢٦. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ط٩، ١٩٨٠م.
٢٧. المدن في الإسلام حتى العصر العثماني، شاكر مصطفى، مطبعة ذات السلاسل، الكويت، ط١، ١٩٨٨م.
٢٨. المستخلص في تزكية الأنفس، سعيد حوى دار السلام، القاهرة، ط١٤، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
٢٩. الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة، هاشم يحيى الملاح، ط جامعة الموصل، ١٩٩١م.

والله وليُّ التوفيق

Fraternity: its system, its objectives, its effects

Mohammed Saleh Jawad Mehdi

Faculty of Imam greatest

Advocacy and public speaking section and thought

Abstract

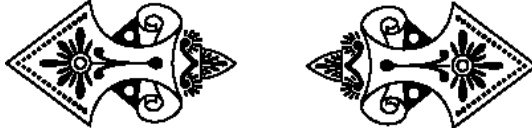
Fraternity system was one of the foundations by the Messenger of Allah to build a city, and was a viable solution to the problem of immigrants who left their homes and their money and emigrated to Medina, and included three sections:

The first topic: the general foundations of brotherhood established by Islam to be the linkage among the faithful, which exceeded the limits of time and space, has been belief, love and loyalty, and I talked about the brotherhood in Mecca, and likely subsequent leveling of the impact of installing the faith, and continued advocacy, and empowerment of companionship, and unify the nation.

The second topic: the special fraternity between immigrants and supporters in Medinah where proven by historians, and was in the first year of immigration, and the prophet fraternize between immigrant and supporter, and was on the right and sympathy, and inheritance without relatives, and continued to the Battle of Badr, and fraternity increased by legislation inheritance force. The winner in the rule of inheritance are the immigrants. The fraternity was basis for an unique islamic society, the doctrine is correct, and strong relationships, and was one of the greatest goals: Consolation generous hurts of immigrants and made them feel equality, and solved the problem of the allocation.

The third topic: the effects of fraternity, was evident in the bright positions of the Ansar to compete for the fraternity of immigrants with love and generous giving, where Ansar donated their land, and involved immigrants to work with them, and was of migrants at the generosity of supporters showed the positions of their faith and honesty, in addition to continuing pray for them.

Conclusion: the most important results: the experience of the fraternity in our Iraqi society, in its various suffering, assistance and support to achieve victory and mercy, and to maintain the desired unification.



**التنظيم الإداري للولايات في عصر الراشدين
عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنموذجا**

**م. د عبد الجبار ستار البياتي
كلية الآداب – الجامعة العراقية**

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين... وبعد:
إن موضوع التنظيمات الإدارية تعد اللبنة الأولى في بناء الدولة العربية الإسلامية التي وضع اصواها ورتب أمورها الرسول (ﷺ) بوحي من الله تعالى الذي اراد لهذه الامة ان تقوم بنفسها، ومرد ذلك جملة أمور:-

- إنها تمثل البداية الحقيقية للدولة الإسلامية التي وضع أصولها ورتب أمورها الرسول (ﷺ) بوحي من الله تعالى الذي أراد لهذه الأمة أن تقوم بنفسها.
- إنها تمثل المرحلة الميدانية التطبيقية للتشريعات الإسلامية التي وضع نظريتها الاجتماعية والاقتصادية والعسكرية والفقهية القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.
- إنها مرحلة ليس لها سابق عهد بأسباب التنظيمات الإدارية بما فيها من مسك السجلات وتدوين الدواوين وتعيين الولاة والعمال والقضاة وقادة الجيش وتنظيم الرواتب وجباية الأموال وتحديد الملكيات.. وغيرها في شبه الجزيرة العربية، وهذا يعني أن الإسلام والرسالة السماوية كانا أساس قيام الحضارة الإسلامية التي انطلقت إلى العالم قديماً وحديثاً لتفتح له برنامجاً حضارياً إنسانياً قائماً على العدل والمساواة واحترام الإنسان على أنه القيمة العليا في الوجود على الإطلاق، وقد جاءت أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على التنظيم والسياسة الإدارية للخليفة عمر (رضي الله عنه) وكيفية تعامله مع الولاة في الأمصار مما يمنح الصورة الواقعية للمجتمع والتي تفصح عن حركة التقدم والازدهار التي شهدها العالم الإسلامي.

شكّلت الولاية على البلدان في عهد الخلفاء الراشدين ميداناً بالغ الأهمية في عملية تنمية المجتمع الإسلامي؛ وذلك لان الوالي كان يمثل الدولة الإسلامية، وتصرفاته وأعماله تعكس بطبيعة الحال السياسة التي تنتهجها الدولة في التعامل مع أبناء الولاية ورعاية مصالحهم.

ومما يُميّز هذه الحقبة سعة مصادرها وكثرة مَنْ كتب فيها من القدماء والمعاصرين، وهذا يتطلب منا الوقوف على هذه المصادر والمراجع لدراستها دراسة مستفيضة حتى نتضح المعالم المميزة والخطوط العريضة للخلافة الراشدة.

وفي عهد الفاروق (رضي الله عنه) شهد النظام الإداري نقلة حضارية كبرى تمثلت في مدى اهتمامه وعنايته الفائقة بها، ففي عهده رسخت التقاليد الإدارية الإسلامية ودون الدواوين ، وأعطى العطايا على السابقة ، وهذا يؤكد مرونة العقلية الإسلامية وقبولها للتطوير ، وخاصة أن الفتوحات الإسلامية قد أدت إلى امتداد رقعة الدولة الإسلامية في عهده ، ففصل بين السلطتين التنفيذية و التشريعية وأكد استقلال القضاء ، كما اهتم بأمر الأمصار والأقاليم ووطد العلاقة بين العاصمة المركزية والولاية والعمال في أجزاء الدولة الإسلامية، وسنتطرق لذلك أثناء حيثيات البحث.

ومن أحسن ما قيل عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وخلافته، قول عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه): ((كان إسلام عمر عزاءً، وهجرته نصراً، وأمارته رحمة، والله ما استطعنا أن نصلي حول البيت ظاهرين حتى أسلم عمر))^(١)

(١) قال الحافظ في فتح الباري: رواه ابن أبي شيبة والطبراني من طريق القاسم بن عبد الرحمن: **ينظر**: المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني (ت ٣٦٠هـ/٩٦٨م) تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي، ط ٢، =

أولاً: معالم من تاريخ الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم):

تميّز عهد الخلفاء الراشدين بتطبيق الشريعة الإسلامية، واستشارة العلماء في تدبير شؤون الأمة، وكان نظام الدولة الإداري ينقسم على إدارة مركزية تحت إشراف الخليفة تهتم بجمع وتوزيع المداخل وضبط الأمن، وإدارة إقليمية تحت إشراف الولاة، تهتم بشؤون الأقاليم.

وقد شكّلت الولاية على البلدان في عهدهم ميداناً بالغ الأهمية في عملية تنمية المجتمع الإسلامي.

وأبناء الولاية، أية ولاية، كانوا في السابق خاضعين لنظام آخر، سواء النظام الساساني كما في الأقاليم الشرقية، أم النظام البيزنطي كما في بلاد الشام ومصر وغيرها، وكان على الولاة أن يُثبتوا عملياً أن النظام الإسلامي الذي يريدون الولاية باسمه إنما يمثل فتحاً لأهل البلاد، وان هذا الفتح تتعكس آثاره الإيجابية في كل ناحية من نواحي المجتمع، النواحي الاقتصادية والاجتماعية، وأيضاً الناحية الخاصة بالعلاقة بين الوالي من جهة وأهل البلاد من جهة أخرى، وفوق كل هذا يمثل فتحاً من الناحية الدينية.

=مكتبة العلوم والحكم - الموصل (١٤٠٤هـ - ١٩٨٣م) ج٩، ص ١٨١؛ فتح الباري شرح صحيح البخاري، شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٨م) دار المعرفة (بيروت)، ١٣٧٩هـ)، ج٧، ص ٤٧ في التعليق على حديث رقم (٣٤٨١)؛ وجاء في السيرة الصحيحة لأكرم ضياء العمري (ج ١ ص ١٧٨): أن اسناده حسن. وانظر: الخلفاء الراشدون بين الاستخلاف والاستشهاد، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط ٢، دار البشير، (جدة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م)، ص ٧٧.

ولنا أن نتعرّف على بعض معالم عصر الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) - ولو بشكل موجز - لتكون مثلاً يُحتذى وصدى يُهتدى بها في طريق الدعوة إلى الله.

توحيد مصدر التلقي :-

ومصدر التلقي هو الكتاب والسنة المطهرة ، وهذه قضية مهمة جداً ، فما وقع التفرق والاختلاف إلا عندما قصر المسلمون في فهم ذلك، وزاحموها بمصادر ومقررات خارجية من فلسفات الأمم وأهواء النفوس ، والبشرية لا يمكن لها أن تتقارب وتتوحد إلا إذا وحدت مصادر فهمها وتلقيها ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ (٥٢) (١).

ولقد غضب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عندما رأى في يد عمر (رضي الله عنه) صحيفة من التوراة وقال: ((لقد جئتمكم بها ببيضاء نقيّة، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حياً ما وسعه إلا أن يتبعني)) (٢) وأقوال الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) بعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) وموافقهم توضح ذلك. ومنها قول الصديق (رضي الله عنه) بعد أن بويع بالخلافة في خطبة عامة: (إنما أنا متبع ولست بمبتدع، فإن استقمتم فاتبعوني، وإن زغت فقوموني) (٣).

(١) سورة الأعراف: الآية ٥٢.

(٢) مسند الإمام احمد ، الإمام أبو عبد الله احمد بن حنبل ، (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م)

، المكتب الإسلامي، دار صادر (بيروت، ١٩٨٥)، ج٣، ص٣٨٧.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت ٣١٠هـ /

٩٢٢م)، ط١، دار الفكر (بيروت ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م)، ج٣، ص٢٢٤.

حماية جانب العقيدة

لقد جاءت الشريعة بسد باب الذرائع المؤدية إلى الشرك ومحاربة البدع والمحدثات في الدين ، ولهذا لم يكن الخلفاء الراشدون (ؓ) وظيفتهم تقف عند حفظ الأمن والحكم بين الناس ، بل أنها تتعدى ذلك لتشمل كافة مصالح الأمة الدنيوية والأخروية ، ومن ثم قاموا على نشر العقيدة الصحيحة وسد كافة المنافذ المؤدية إلى الابتداع في الدين أو النقص منه أو الانحراف في فهمه ، وقاوموا كل مبتدع أو مشكك في الدين، وطبقوا قوله (ﷺ): (من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد^(١)) .

والوقائع التاريخية والمواقف المنقولة عنهم في هذا المعنى كثيرة، نذكر منها:

مواقف عمر (ؓ): فقد كان شديداً على أهل الأهواء والبدع، فقد ضرب صبيغ بن عسل التميمي^(٢) بجريد النخل عندما اخذ يثير بعض

(١) متفق عليه: صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٨م)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٣، دار ابن كثير (بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) ج ٢، ص ٩٥٩ ح (٢٥٥٠)؛ صحيح مسلم، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ / ٨٧٥م)، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١، دار إحياء الكتاب العربي (بيروت، ١٩٥٥م) ج ٣ ، ص ١٣٤٤، حديث رقم ١٧١٨ .

(٢) هو: صبيغ بن عسل. وقيل: ابن عليم. وقيل: صبيغ بن شريك بن المنذر بن قطن بن قشع بن عسل من بني عسيل ابن عمرو بن يربوع بن حنظلة التميمي اليربوعي البصري، فمن قال: صبيغ بن عسل - فقد نسبه إلى جده الأعلى " قدم المدينة، وكان عنده كتب، فجعل يسأل عن متشابه القرآن، فبلغ ذلك عمرؓ، فبعث إليه، فجلده وكتب إلى أهل البصرة لا تجالسوه، ولم يزل بشر (يعني بعد جلد عمر) حتى قتل في بعض الفتن روى عن عمر بن الخطابؓ وسأل أبا الدرداءؓ عن شيء من المتشابه، وروى عنه ابن أخيه عسل بن =

الأسئلة المشككة ، حتى قال له: (والله لقد ذهب ما أجد يا أمير المؤمنين، ثم بعث به إلى والي البصرة أبي موسى الأشعري وأمر بمنعه من مخالطة الناس ، فحجز حتى تاب واستقام أمره وأقلع عن بدعته)^(١).

وكذلك قطعه للشجرة التي بايع تحتها رسول الله (ﷺ) أهل الحديبية بيعة الرضوان عندما بلغه أن بعض الناس يقصدها بعبادة كالصلاة عندها والدعاء والتبرك بها^(٢).

سيادة العدل والمساواة بمفهومها الإسلامي الصحيح:

ذلك أن التفاضل بين البشر قوامه الميزان الذي قدره الحق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾^(٣)

= عبد الله بن عسل التميمي. ينظر في ترجمته: الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ط١، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ج٣، ص٤٥٩؛ تاريخ دمشق، الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (ت٥٧١هـ/١٢٦٣م) تحقيق: علي شيري، دار الفكر للطباعة، ج٢٣، ص٤٠٨

- (١) سنن الدارمي، الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي الدارمي، (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م)، ط١، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٧٨م)، ج١، ص٥٤.
- (٢) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد، (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) ، باعثناء جمهرة من المستشرقين ، مطبعة بريل +(لندن، ١٩٠٥م) ، ج٢، ص١٠٠.
- (٣) سورة الحجرات: آية ١٣.

وقول الرسول (ﷺ): ((لا فضل لعربيّ على أعجميّ ولا لأبيض على اسود إلا بالتقوى))^(١).

والأدلة الواقعية والتاريخية على سيادة هذا المبدأ في عصر الخلفاء الراشدين (ﷺ) أكثر من أن تحصى، فهذا الخليفة الأول أبو بكر الصديق (ﷺ) يطلب في أول خطبة له من الرعية أن تقوم ما ترى فيه من خطأ أو اعوجاج.^(٢)

وعمر (ﷺ) يتقاضى وهو خليفة مع أبي بن كعب الأنصاري عند قاضي المدينة في عهده زيد بن ثابت ، فيأتي عمر وأبي بن كعب إلى مجلس القضاء، ويقول زيد لعمر: لو طلبتني يا أمير المؤمنين لأحضر عندك! فيرد عليه عمر: مقررًا قاعدة مهمة من قواعد التقاضي وهي قاعدة المساواة: في بيته يُؤتى الحكم، ثم يحاول زيد - من باب الإكرام للخليفة - أن، يدني مجلس عمر (ﷺ) ، فيأتي عمر (ﷺ) إلا أن يجلس مع خصمه على قدم المساواة ويقول لزيد: هذا أول الجور منك! وبعد أن يدلي كل من الخصمين بحجته، يحكم زيد باليمين على عمر (ﷺ) ثم يطلب من أبي بن كعب أن يعفي أمير المؤمنين من اليمين.. لكنه أصرّ على تنفيذ ذلك ، فيحلف كما حكم القاضي ، وبعد أن استحق الأرض المتنازع عليها قضاءً وهبها عمر (ﷺ) لأبي بن كعب^(٣).

(١) ابن حنبل، مسند أحمد رقم الحديث (٢٢٣٩١) ؛ والمعجم الأوسط، الطبراني، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني،

ط١، دار الحرمين، (القاهرة، ١٤١٥هـ) ج١٠، ص٤٦٢

(٢) ينظر: تاريخ الرسل والملوك ، الطبري، ج٢، ص١٢٠.

(٣) تاريخ المدينة المنورة ، أبو زيد عمر النميري ابن شبة ، (ت ٢٦٢هـ/

٨٧٥م) ، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ، دار الأصفهاني ، (جدة ، ١٩٧٣م) ،

ج٢، ص٧٥٦.

سيادة مبدأ الشورى (قاعدة للتعامل بين الحاكم والمحكوم):

مبدأ الشورى من المبادئ الإسلامية المهمة التي توفر الأمن والطمأنينة للأفراد والاستقرار السياسي ، ويؤدي إلى إشاعة المحبة وبث روح التعاون والتناصح بين الحاكم والرعية. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١) قال القرطبي عند تفسيره للآية: كان الأنصار قبل قدوم النبي (ﷺ) اليهم إذا أرادوا أمراً تشاوروا فيه ثم عملوا عليه فمدحهم الله به. ونقل عن الحسن البصري انه قال: إنهم لانقيادهم إلى الرأي في أمورهم متفقون لا يختلفون فمدحوا باتفاق كلمتهم^(٢).

وقال تعالى مخاطباً رسول الله (ﷺ): ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ

وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(٣)

فالشورى هي مشاركة في المسؤولية وضمانة من الانحراف ولهذا بوّب البخاري (رحمه الله) في صحيحه بهاتين الآيتين باباً في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة^(٤)

وهذا فقه عميق ونظر دقيق من البخاري لأهمية الشورى وكون العمل بها اعتصام بالكتاب والسنة وبعُدَّ عن الانحراف والبدعة، فما

(١) سورة الشورى: الآية ٣٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (المعروف بتفسير القرطبي) ، الإمام محمد بن احمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي ، (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م) ط٢، دار الشعب (القاهرة، ١٣٧٢هـ) ، ج١٦، ص٣٦.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٤) صحيح البخاري، كتاب ٩٩: الاعتصام بالكتاب والسنة/باب ٢٨ قول الله تعالى {وأمرهم شورى بينهم} /الشورى ٣٨. {وشاورهم في الأمر}/آل عمران ١٥٩

أحوج الدعاة اليوم إلى تدبره وتفهمه لتسلم دعوتهم من القرارات العشوائية، والاتجاهات الفردية.

الحماس في نشر الاسلام:

لقد بذل الخلفاء الراشدون (رضي الله عنهم) ما استطاعوا، في سبيل إحداث التوازن بين حركة التوسع الأفقي في فتح البلدان وبين التوسع الرأسي في تعليم الناس حيث أن وظيفة الدولة الإسلامية هي نشر الدين حتى يُعبد الله وحده، ولهذا عرّف الماوردي الاحكام السلطانية، بالخلافة بقوله: هي نيابة عن صاحب الشرع في حراسة الدين وسياسة الدنيا^(١).

والدولة تنفذ هذه الوظيفة بالجهاد وفتح البلدان وبالدعوة والتعليم لأوامر الدين ونواحيه وكافة أحكامه الشرعية ، ولا بد من ملاحظة التوازن المطلوب في هذا الجانب فبقدر التوسع في الأرض يكون التوسع في الدعوة والتعليم حتى لا يختل ميزان التربية وتحدث الخلطة في الصف الإسلامي وتتوسع الفجوة بين الفاتحين وسكان الأراضي المفتوحة مما يتسبب في حدوث ظواهر سلبية تؤثر في تماسك الصف الإسلامي ووحدته السياسية والفكرية.

عمل الخلفاء الراشدون على إعطاء أهل الذمة حقوقهم ، ومن ذلك الشروط العمرية التي وضعها الفاروق (رضي الله عنه) عندما فتح بيت المقدس بأن أعطاهم الأمان على أرواحهم وأموالهم وأعراضهم مقابل دفع الجزية ، هذه المعاملة اقتضتها صفة العضوية في الدولة الإسلامية.

(١) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) / ٢٢٣.

وبعد فهذه بعض أهم المعالم البارزة في تاريخ الخلافة الراشدة أردنا التنبيه إليها لتوجيه أنظار الدعاة للاستفادة منها والسير على هداهم وتفقيهم في كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ).

ثانياً: التنظيم الإداري:

تعدّ الهجرة إلى المدينة بداية لوضع النظام الإداري للدولة، فكان الرسول (ﷺ) ينيب عنه عمالاً على القبائل والمدن وخاصة المدن الكبيرة بالحجاز واليمن وكانت وظيفة هؤلاء العمال الإمامة في الصلاة وجمع الصدقات.

يذكر شلبي: أن مجمل خصائص الحكومة الإسلامية أنها تعمل لخدمة الشعب الذي اختارها^(١)، والتي تمثلت في:

تقسيم الدولة

لما اتسعت رقعة الدولة العربية الإسلامية في خلافة عمر (رضي الله عنه) أعاد النظر في تقسيمات سلفه لتساير الظروف الجديدة ، فقد قسم الدولة أقساماً إدارية كبيرة ليسهل حكمها والإشراف على مواردها وتطويرها فجعل بلاد فارس وبعض الأراضي العربية التي كان الفرس يسيطرون عليها إلى ولايات هي:

ولاية الاحواز والبحرين ، وولاية سجستان ومكران وكرمان وولاية خراسان، أما العراق فقد قسمه على قسمين: احدهما: حضرته الكوفة، والأخر حضرته البصرة.

(١) الحكومة والدولة في الإسلام، احمد شلبي، مطبعة السعادة ، (مصر ١٩٨٥م) ، ص ٣٥.

قسم بلاد الشام على قسمين:

أحدهما: حاضرتة حمص.

والثاني: دمشق وجعل فلسطين قسماً قائماً بذاته.

أما أفريقيا فقد قسمها إلى ثلاث ولايات:

مصر العليا.

مصر السفلى.

وغربي مصر.

وقد عيّن (ﷺ) على هذه الولاية عمالاً أو ولاة كانوا يستمدون سلطتهم من الخليفة الذي كان يجمع في يده السلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية^(١).

وقد عدل حدود الولايات القديمة أيضاً، فقد كانت فلسطين مثلاً في عهد البيزنطيين مقسمة على عشرة أقسام، فلما ذهب الخليفة عمر (رضي الله عنه) إليها في السنة الخامسة عشرة للهجرة وعقد الصلح فيها قسمها على قسمين:

قاعدة القسم الأول (إيلياء)^(٢)

وقاعدة القسم الثاني (الرملة)^(٣)

(١) تاريخ الدولة العربية الإسلامية، رشيد عبد الله الجميلي، دار الكتب للطباعة

والنشر، (بغداد، ٢٠٠٠م)، ص ٢٠٦

(٢) إيلياء: اسم مدينة ببيت المقدس، وقيل معناها: بيت الله، انظر: معجم البلدان،

أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت الحموي، (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٢م)، ط ٨، دار

صادر، (بيروت، ٢٠١٠م)، ج ١، ص ٢٩٣ (مادة إيلياء).

(٣) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين وكانت قصبته قد خربت الآن، وكانت رباطاً

للمسلمين وهي في الاقليم الثالث، المصدر نفسه، ج ٣، ص ٦٩

حيث جعل علقمة بن حكيم على نصفها وأنزله الرملة ، وعلقمة بن مجزر على نصفها الآخر وأنزله إيلياء^(١).

مجلس الشورى :

وكانت إحدى قواعد النظام الإداري التي وضعها الخليفة عمر (رضي الله عنه) هي مجلس الشورى الذي يُمثل الأمة، وكان حين يُراد البت في أية قضية يُدعى مجلس الشورى للاجتماع ، ولا يبت فيه إلا بأكثرية الآراء ، وكانت الجماعة الإسلامية في ذلك الوقت تعد المهاجرين والأنصار ممثلين للأمة ، وكان مجلس الشورى يمثل هاتين الفئتين ، وقرار المجلس حاسماً في القضايا العامة، ويعطى القرار بإجماع الآراء كما كان للمهاجرين مجلس في مسجد الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وكان الخليفة يحضر المجلس ويتحدث معهم في الأمور التي ترد إليه من الولايات.

ثالثاً: نظرة الخليفة عمر (رضي الله عنه) وتصوره للدولة والامة :

لقد كانت خطة الخليفة (رضي الله عنه) في إنضاج مفهوم الدولة والأمة تقوم على النحو الآتي:-

تحسين الموقف الاجتماعي للموفدين باستخدامهم في مهام الدولة، والانتقال بهم إلى مستوى الاندماج في حركة المجتمع عن طريق ممارسة الجهاد والتفاعل مع سياسة الدولة في المجالات المختلفة ، فالجهاد في منظور الفلسفة العربية الإسلامية هو محاولة لوضع القبائل العربية في إطار حمل رسالة الأمة ولذلك استخدم الخليفة (رضي الله عنه) القبائل

(١) عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، شبلي النعماني : مخطوط مصور ، لم تطبع بعد، مكتبة المجمع العلمي العراقي، الورقة ١٠.

العربية استخداماً واسعاً في حروب التحرير في العراق^(١)، وعدم السماح بعمل الأديان الأخرى في جزيرة العرب^(٢).

وعليه يرى الخليفة (ﷺ) أن إبقاء الجزيرة، البؤرة القائدة لدولة الوحدة تحوي أناسا يدينون بغير عقيدة الأمة إخلال بمفهوم الأمة وضرورة البناء السوقي للدولة العربية الإسلامية، فاتخذ قراره بإجلاء الأديان من الجزيرة وتنقية الأجواء في المدينة، في ضوء حديث النبي (ﷺ): ((لا يجتمع في جزيرة العرب دينان))^(٣)، فأخرج أهل نجران وأسكنهم الكوفة، وأخرج كذلك أهل خيبر.

تدوين الدواوين وفرض العطاء:

دعت ظروف الدولة العربية الإسلامية الناشئة بعد أن تدفقت عليها خبرات البلاد المحررة والمفتوحة أن تبحث عن نظام ثابت يضبط المدخولات والمصروفات، وكان عمر (ﷺ) أول من دون الدواوين، ويقول ابن تيمية (رحمه الله): ولم يكن للأموال المقبوضة والمقسومة ديوان جامع على عهد الرسول (ﷺ) وكان أبو بكر (ﷺ) يقسم المال شيئاً فشيئاً فلما كان زمن عمر (ﷺ) كثر المال واتسعت البلاد فجعل العطاء للمقاتلة^(٤).

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٣، ص٢٢٦.

(٢) المصدر نفسه ج ٣، ص٢٠٣.

(٣) رواه البيهقي، السنن الكبرى، احمد بن الحسين بن علي البيهقي، (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٧م)، في ذيله الجوهر النقي، دار المعرفة، (بيروت، د.ت)، ج٦، ص١١٥، حديث (١١٤٠٩)، ورواه الطبراني بلفظ ((لا يترك في جزيرة العرب دينان)) المعجم الأوسط ج٢، ص١٢ رقم الحديث (١٠٦٦).

(٤) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحلیم ابن تيمية، (ت ٧٢٨هـ/١٠٣٣م)، المطبعة السلفية (القاهرة ١٩٦١م)، ص١٢٣.

ويذكر ابن سعد عندما فرض عمر (رضي الله عنه) العطاء للمسلمين ودون الديوان قال: لأزيدنهم ما زاد المال، وقد صنف المسلمين إلى درجات حسب القرابة من الرسول (صلى الله عليه وسلم) والقدم في الإسلام، ونشر الدعوة، ثم الحاجة، وعلى هذا فإنه عدل من نظام المساواة في العطاء^(١).
ويلاحظ أن الديوان في عهد عمر (رضي الله عنه) كان يعني السجل الذي يحوي أسماء المقاتلة وأهلهم ومقدار أعطياتهم وأرزاقهم، وحين تعددت الدواوين أصبح معناه السجل بصورة عامة.

اعتماد التاريخ الهجري أساساً للتقويم الإسلامي:

إنّ من الأعمال الجليلة التي قام بها عمر (رضي الله عنه) خدمة للعلم والمعرفة وضبط المواقيت وضمان حقوق الناس عن طريق معرفة التاريخ وضعه التاريخ الهجري الذي حفظ الله به للأمة تراثها وثقافتها. وقد رويت في ذلك عدة اثار تدل بمجموعها على ان عمر (رضي الله عنه) هو اول من وضع التاريخ الهجري؛ فقد روي انه رُفِعَ اليه صك محلة في شعبان فقال (رضي الله عنه): أي شعبان الذي هو آت، او الذي نحن فيه؟ ثم قال لأصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ضعوا للناس شيئاً يعرفونه، فقال بعضهم: اكتبوا عن تاريخ الروم، فقبل أنهم يكتبون في عهد ذي القرنين، فهذا يطول، وقال بعضهم: اكتبوا عن تاريخ الفرس، فقبل أن الفرس كلما قام ملك طرح من كان قبله، فاجتمع رأيهم على أن ينظروا كم أقام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بالمدينة فوجدوه عشر سنين، فكتب التاريخ من هجرة رسول الله (صلى الله عليه وسلم)^(٢).

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج ٣، ص ٣٠٣.

(٢) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج ٢، ص ٣، سيرة عمر بن الخطاب، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م)، مطبعة السعادة، (مصر، ١٩٢٤م) ص ٥٧.

وروي أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) جمع المهاجرين والأنصار، فقال: من أين نكتب التاريخ؟ فقال له سيدنا علي (رضي الله عنه): منذ خرج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من أرض الشرك -يعني يوم هاجر-، فكتب عمر (رضي الله عنه) ذلك^(١).
وروي أن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) كتب إلى عمر: انه تأتينا كتب ما ندري ما تاريخها، فأستشار سيدنا عمر (رضي الله عنه) أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقال بعضهم من المبعث، وقال آخرون من وفاته، فقال عمر: أرخوا من هجرته، فإن مهاجره فرق بين الحق والباطل^(٢).

والسبب وراء تفكير عمر (رضي الله عنه) باتخاذ تقويم ثابت يرجع - والله اعلم- بالدرجة الأساس إلى توسع الدولة وتعقد أمورها الإدارية وبذلك احتاج الخليفة إلى مخاطبة الولاة والقادة وذكر تواريخ كتبهم سنة (٦٢٢م: ١هـ) بداية للتقويم الإسلامي، كما اتخذ السنة القمرية أساسا له استناداً للآية الكريمة: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾^(٣)

ويمكننا القول أن الخليفة نفذ تصوره للبناء الإداري ورسم السياسة الاقتصادية للدولة على ما يأتي:
تمصير الأمصار أي تقسيم الدولة إلى وحدات إدارية كبرى، وكانت هذه الوحدات في عهده هي (المدينة - البحرين - البصرة - الكوفة) وتحديد وظائفها الإدارية (العامل - القاضي - صاحب الخراج).
تدوين الديوان.. أي تسجيل المقاتلين وتنظيم رواتبهم.

(١) تاريخ خليفة بن خياط، خليفة العصفري بن خياط، (ت ٢٤٠هـ/ ٨٥٤م) تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (بيروت، د.ت)، ص ٢٦.

(٢) المصدر نفسه ص ٥١.

(٣) سورة يونس: الآية ٥.

فرض العطاء.. وهو مقدار الراتب الذي يُدفع للمسلم.
كذلك فرض العطاء للنساء أعطيات تبلغ عُشرَ أعطية الرجل كما
فرض لكل مولود حي حين ولادته، وسأوى في الطبقات بين العرب
والموالي في العطاء، وسأوى بين المهاجرين ومواليهم وبين الأنصار
ومواليهم.^(١)

ومن هذا يستدل بأن هذا التنظيم قد تجاوز الناحية العسكرية إلى
الناحية المدنية فأصبح تنظيمًا مدنيًا عسكريًا انطلاقاً من ميدان أن الأمة
يجمع رعاياها مجندة لخدمة الدين والدولة.

رابعاً: حقوق الخليفة على رعيته.

أن من أعظم حقوق الخليفة على رعيته بعد مبايعتهم له طاعتهم
إياه، وقد كان عمر (رضي الله عنه) يبائع رعيته على السمع والطاعة فيما
استطاعوا^(٢).

وروي أن عمر (رضي الله عنه) لما ولي الخلافة خطب فقال: (يا أيها الناس؛
إني قد ولّيت عليكم، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم، وأقوامكم عليكم،
وأشدكم استضلاعاً بما ينوب من مهمّ أموركم، ما تولّيت ذلك منكم؛
ولكفيّ عمر مهماً محزناً انتظار موافقة الحساب بأخذ حقوقكم كيف
أخذها، ووضعها أين أضعها؛ وبالسير فيكم كيف أسير! فربّي المستعان؛
فإنّ عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة إن لم يتداركه الله عزّ وجلّ
برحمته وعونه وتأييده)^(٣).

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٣، ص٣٠٣

(٢) مسند الطيالسي، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري، أبو داود
الطيالسي، (ت٢٠٤هـ/٨١٩م)، دار المعرفة (بيروت، د.ت)، ص ٢٨٦؛
ابن سعد، الطبقات الكبرى ج٦، ص ١٥٦.

(٣) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج٢، ص ٥٧٢-٥٧٣.

وقد بين (ﷺ) أن صلاح الوالي أو الحاكم وامتثاله أوامر الله عز وجل سبب في صلاح رعيته وامتثالهم طاعة الله عز وجل ، ومن ثم طاعته والانقياد له .

قال عمر (ﷺ): أن الناس لم يزلوا بخير ما استقامت لهم أئمتهم وهداتهم^(١)، ثم بين لرعيته أن من بايع أميره فقد بايعه، ولا يلزم من البيعة لقاء الخليفة بشخصه، لقوله لبشر بن قحيف: إذا بايعت أميرى فقد بايعتني^(٢).

وكان (ﷺ) يحذر رعيته من شق عصا الطاعة على الخليفة، ويأمرهم بلزوم طاعته وإن كان عبداً حبشياً ، ولا شك أن تلك الطاعة مقيّدة بما ليس فيها معصية لله ورسوله (ﷺ) فإذا أمر بالمعصية فلا سمع ولا طاعة ، لقوله (ﷺ): ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحبّ وكره، ما لم يؤمر بمعصية ، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة))^(٣). ومن حقوق الخليفة على رعيته التي نبه عليها عمر (ﷺ) النصيحة له منهم.

خامساً: واجبات الخليفة نحو رعيته:

كان عمر (ﷺ) شديد الخشية والمراقبة لله (عز وجل) في جميع أحواله ، ولقد كان في تعامله مع رعيته أشدّ خشية لله وخوفاً أن يضيع ما استرعاه الله (عز وجل) وقد قام بواجباته نحو رعيته خير قيام ، وقد تمثل ذلك في عدة أمور هي:

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج٣، ص ٢٩٢

(٢) المصدر نفسه ، ج٦، ص١٥٦ .

(٣) الجامع الصحيح ، البخاري، ج٤، ص ٢٣٤ .

(١) تعرفه (ﷺ) على أحوال رعيته:

فقد كان عمر (ﷺ) دائم التعرف على أحوال رعيته بنفسه يجلس للرعية ، ويلتقي بهم ويعرضون عليه حاجاتهم ، كبيرهم وصغيرهم ، شريفهم ووضيعهم ، ولم يكن (ﷺ) يحتجب عنهم.

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): كان عمر بن الخطاب كلما صلى صلاة جلس للناس ، فمن كانت له حاجة نظر فيها^(١).

وكان (ﷺ) يجلس بعد صلاة الفجر للنظر في أمور رعيته حتى ترتفع الشمس ، ثم يقوم فيدخل بيته^(٢)، وأما من كان من الرعية بعيداً عن المدينة كأهل العراق والشام وغيرهما من أقطار المسلمين، فإنه (ﷺ) كان يسأل عن أحوالهم ويستخبر عنها ويتعرف عليها ومن ثم يقضي حاجتهم.

كتب عمر (ﷺ) إلى عامله بالعراق: ان ابعث إلي برجلين جليدين نبيلين أسألهم عن العراق وأهله، فبعث إليه بـ (البيد بن ربيعة ، وعدي بن حاتم)^(٣).

وقوله (ﷺ): لان سلمني الله لأدعنَّ أرامل العراق لا يَحْتَجْنَ إلي رجل بعدي^(٤).

(٢) عنايته (ﷺ) واهتمامه بجميع فئات المجتمع وتقريبه لأهل الفضل

والتقوى والصلاح

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج٣، ص ٢٨٨؛ وتاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص ٥٦٥-٥٦٦.

(٢) تاريخ المدينة المنورة ، ابن شبة، ج٢، ص ٢٧٠.

(٣) الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، ج٢، ص ٤٦٨ ؛ و ج٣، ص ٣٢٦.

(٤) الجامع الصحيح ، البخاري ، ج ٢، ص ٢٩٧-٢٩٨.

من الآثار المروية عن عمر (رضي الله عنه) في إكرامه لأهل الفضل والتقوى: ما روي من أن بيرح بن أسد^(١). "خرج مهاجراً إلى المدينة بعد وفاة النبي (صلى الله عليه وسلم) فرآه عمر (رضي الله عنه) يطوف في سكك المدينة فانكره فقال من أنت؟ قال: أنا رجل من أهل عُمان ، فاخذ بيده ، فذهب به إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال: يا أبا بكر ، هذا من الأرض التي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: اني لأعلم ارضا يقال لها عمان ينضح بناحيتهما البحر ، بها حي من العرب ، لو أتاهم رسولي ما رموه بسهم ولا حجر"^(٢)

وروي انه (رضي الله عنه) كتب إلى أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) وهو بالبصرة: "بلغني انك تأذن للناس جمعاً غفيراً ، فإذا جاءك كتابي هذا فاذن لأهل الشرف وأهل القوة والتقوى والدين ، فإذا اخذوا مجالسهم فاذن للعامة"^(٣).

(٣) الأخذ بمبدأ الشورى، ومشاركة الرعية في اتخاذ القرار

ان العمل بمبدأ الشورى من الأمور التي حض عليها الدين قال تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾^(٤)

- (١) بيرح بن أسد الطاحي من أهل عمان، هاجر إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فوجده قد مات. ابن حجر ، الاصابة ، ج ١، ص ١٧٥.
- (٢) ابن حنبل ، المسند ، ج ١ ص ٤٤؛ الأصفهاني ، الحافظ أبو نعيم احمد بن عبد الله ، (ت ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م) ، معرفة الصحابة ، تحقيق محمد راضي بن حاج عثمان ، ط ١ ، (الرياض ، ١٤٠٨هـ) ج ٣ ، ص ١٧٤.
- (٣) مسند الفاروق ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الشافعي، عماد الدين بن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ، وثق أصوله وخرج أحاديثه: عبد المعطي قلنجي (ط ١٤١١هـ) ج ٢ ، ص ٥٣٥.
- (٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

وعمل بذلك النبي (ﷺ) وشواهد ذلك كثيرة ، قال ابن كثير (رحمه الله): ولذلك كان رسول الله (ﷺ) يشاور أصحابه في الأمر إذا حدث، تطيباً لقلوبهم ليكون أنشط لهم فيما يفعلونه^(١).

قال ابن عباس (رضي الله عنهما): كان القراء أصحاب مجالس عمر (ﷺ) ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً^(٢).

وقال محمد بن سيرين (رحمه الله): ان عمر (ﷺ) كان يستشير في الأمر حتى انه كان يستشير المرأة ، وربما ابصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به^(٣).

وقال الزهري (رحمه الله): لا تحقروا أنفسكم لحدائث أسنانكم ، فان عمر (ﷺ) كان إذا نزل به الأمر دعا الفتيان فاستشارهم^(٤).

٤) عدم الاستعلاء على الرعية والتميز عنهم:

في خلافته (ﷺ) وقعت بالمدينة وما حولها من القرى مجاعة شديدة وكان ذلك في السنة الثامنة عشرة بعد عودة الناس من الحج ، فحبس المطر من السماء وأجدبت الأرض ، وهلكت الماشية ، واستمرت هذه المجاعة تسعة أشهر حتى صارت الأرض سوداء فشبّهت بالرماد^(٥)، وقد واسى (ﷺ) الناس بنفسه فحرمها من الطعام الذي لا يجده الناس، قال أنس بن مالك (ﷺ): (تقرقر بطن عمر وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان حرم عليه السمن ، فنقر بطنه بأصبعه

(١) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار التراث، (القاهرة د.ت) ، ج ١، ص ٤١٩-٤٢٠.

(٢) صحيح البخاري، البخاري ، ج ٣، ص ١٣١.

(٣) السنن الكبرى البيهقي ، ج ١٠، ص ١١٣

(٤) المصدر نفسه ، ج ١٠، ص ١١٣.

(٥) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج ٣، ص ٣١٠.

وقال: تفرقر تفرقر ك انه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا^(١) ومما روي عن عمر (رضي الله عنه) في مواساته لرعيته أنه قال: إذا كنت في منزلة تسعني ، وتعجز عن الناس فو الله ما تلك لي بمنزلة حتى أكون أسوة مع الناس^(٢)

٥) الاهتمام بالعلم والعلماء والعمل على نشر العلم بين الرعية

إن منزلة العلم والعلماء في الإسلام منزلة عالية ورفيعة فقد حض القرآن الكريم والسنة المطهرة على تعلم وتعليم العلم النافع ، وقد حث أمير المؤمنين عمر (رضي الله عنه) رعيته على تعلم العلوم النافعة، فكان يحثهم على استثمار الأوقات في التفقه في الدين، والمبادرة في التزود بالفقه قبل الانشغال في الإمارة قال عمر (رضي الله عنه): ((تفقهوا قبل أن تسودوا))^(٣)، وروي أنه (رضي الله عنه) قال: ((كونوا أوعية الكتاب ، وينايع العلم))^(٤)

وكان يحرص على أن يبعث للناس من يعلمهم أمر دينهم فقد بعث (رضي الله عنه) عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) معلماً لأهل الكوفة ، فكتب إليها: (أما بعد فإني بعثت إليكم عماراً أميراً ، وعبد الله معلماً ووزيراً ، وهما من النجباء ، من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فاسمعوا لهما واقتدوا بهما واني آثرتم بعبد الله على نفسي أثره)^(٥) كما بعث (رضي الله عنه) معاذ بن جبل (رضي الله عنه) لتعليم أهل فلسطين^(٦).

(١) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج٣، ص٣١٣، ص٣١٥، ج١١، ص٢٢٣.

(٢) تاريخ الرسل والملوك ، الطبري، ج٢، ص٥٦٥.

(٣) سنن الدارمي ، الدارمي، ج١ ، ص ٧٩.

(٤) الزهد ، ابن حنبل ، ط١ ، دار الريان (القاهرة، ١٤٠٨هـ) ، ص ١٤٩.

(٥) الطبقات الكبرى ، ابن سعد ، ج٢ ، ص ٣٤٤ ، المسند ، ابن حنبل ، ج١ ، ص٤٥٩.

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، ج٢، ص٢٦٩.

سادسا: مراحل العملية الإدارية للدولة:

حاول المفكرون الثلاثة؛ ابن الموصلي، وابن تيمية، وابن السبكي، صياغة رؤية إسلامية لدراسة العنصر البشري في السلطة السياسية من خلال وضع تصور لمقاصد المناصب السياسية ومؤهلات شاغليها وواجباتهم وآليات الرقابة عليهم سواء العملية منها أو الإيمانية، مرتكزين على السياسة الشرعية^(١).

ويمكننا القول على وجه التحديد لا الحصر أن العملية الإدارية

شملت المراحل الآتية:

المرحلة الأولى: سياسة عمر (رضي الله عنه) في اختيار الولاة

المرحلة الثانية: اختبار الولاة والعمال قبل التولية

المرحلة الثالثة: حقوق الولاة على الرعية وواجباتهم نحوها

المرحلة الرابعة: متابعة الولاة ومحاسبتهم

وفيما يأتي بسط مختصر لهذه المراحل

(١) دراسات في الدراسة الشرعية عن فقهاء أهل السنة، احمد البغدادي مبارك ، مكتبة الفلاح (الكويت ، ١٩٨٧م) ، ص ٢٢٢.

المرحلة الأولى: سياسة عمر (رضي الله عنه) في اختيار الولاية:

لا شك أن الإدارة الصحيحة والقوية لأي عمل مهما كان صغيراً أو كبيراً تحتاج إلى حكمة ، لان الإدارة تتعامل مع البشر وليس مع مجموعة من التروس والآلات ، فربّ كلمة صغيرة فعلت فعل السحر في نفس سامعها فدفعته إلى الأمام ، وربّ كلمة في المقابل ألقت به إلى الهاوية.

فالإدارة "فن قيادة الرجال" ،والرجال لهم مشارب شتى ، ولا يستطيع احد مهما أوتي من قوة أن يقودهم الا بالحكمة ، والحكمة أن تضع كل شيء في مكانه ، الغضب والحزن والشدة في المواضع التي تحتاج إلى ذلك ، واللين والتسامح والرحمة أيضا في المواقف التي تتطلب ذلك.

لهذا نجد أن عمر (رضي الله عنه) يضع شروط ومعايير فيمن يتولى الإمارة-رجل المرحلة-فيقول: (لا يصلح الوالي إلا بخصال أربعة ،أن نقصت واحدة لم يصلح له أمر:

- قوة على جمع المال من أبواب حله.
- ووضعه في حقه.
- وشدة لا جبروت فيها.
- ولين لا وهن فيه)^(١)

وقد طبق الفاروق (رضي الله عنه) هذه القاعدة ورجّح الأقوى من الرجال على القوي ، فقد عزل (رضي الله عنه) شرحبيل بن حسنة وعين مكانه معاوية، فقال له شرحبيل: أعنّ سخطة عزلتني يا أمير المؤمنين ؟ قال: لا،

(١) سراج الملوك ، أبو بكر محمد الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ/١١٢٦م) ، طبعة بولاق، (القاهرة، ٥١٢٨٩) ،ص٦٢-ص٦٣.

ولكن رأينا مَنْ هو أقوى منك ، فخرجنا من الله أن نترك وقد رأينا مَنْ هو أقوى منك^(١).

ومن أهم الصفات والشروط التي نلحها في اختيار سيدنا عمر (رضي الله عنه) للولاية والقادة ما يأتي:

(١) الكفاية في المجال الذي يُوجّه إليه

فَضَّلَ اللهُ تَعَالَى النَّاسَ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ؛ لِحُكْمٍ عَظِيمَةٍ ، وَمَعَانٍ جَلِيلَةٍ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ سَخِرِيًّا ﴾^(٢).

ففاضل بين الناس في المواهب والاستعدادات ، وفيما يمكن أن يؤديه كل فرد من عمل ، وفي مدى إتقانه له ، ولولا هذا التفاوت لتعطلت كثير من الأعمال لفقد أهل الكفاية فيها كما فاضل بين الناس في الأرزاق ((ليسخر بعضهم بعضاً في الاعمال والحرف والصنائع فلو تساوى الناس في الغنى ، ولم يحتج بعضهم إلى بعض لتعطلت كثير من مصالحهم ومنافعهم))^(٣).

قال ابن تيمية (رحمه الله): (ينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب ، فان الولاية لها ركنان: القوة ، والأمانة ، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(٤) ، والقوة في كل ولاية بحسبها.

(١) تاريخ الرسل والملوك ، الطبري، ج ٢، ص ٤٩٠.

(٢) سورة الزخرف: الآية ٣٢.

(٣) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر ، ابن سعدي ، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط ١، مؤسسة الرسالة (بيروت)، ١٤٢٠هـ ، ص ٧٦٥.

(٤) سورة القصص: الآية ٢٦.

فالقوة في إمارة الحرب ترجع إلى شجاعة القلب ، والخبرة بالحروب والمخادعة فيها ، والى القدرة على أنواع القتال ، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دل عليه الكتاب والسنة ، والى القدرة على تنفيذ الأحكام ، والأمانة ترجع إلى خشية الله..^(١)

وهذا الفاروق (رضي الله عنه) يُولي معاوية بن أبي سفيان على الشام ، ويعزل شرحبيل بن حسنة ، ويقوم بعزله في الناس فيقول: (إني لم أعزله عن سخطة، ولكني أريد رجلاً أقوى من رجل)^(٢).

وفي العصر الحاضر تنوعت الوظائف العامة، وتعددت المراكز القيادية، وصارت تستلزم قدرًا من المهارات ، والعمل الجماعي المنظم ، فكان لزاماً أن يتوجه ولاة الأمور إلى إيجاد ما ينمي القدرات..

(٢) أن تتوافر في المرشح بواعث الطاعة:

إنَّ من أسباب نجاح القائد (الوالي) في مهامه أن يكون فيه من الميزات والخصائص ما يجعله حقيقاً بالتقديم على غيره ، مما يهيئ النفوس للرضا به والانقياد لأمره ونهيه ، ويمكنه من أداء عمله.

ولهذا كان من أسباب التقديم للقيادة أو الولاية أن يكون المرشح سيداً في قومه، مطاع الأمر فيه، أو فيه من الصفات المناسبة ما يميزه على غيره؛ كأن يُعرف بالشجاعة والحكمة فيولى قيادة الجيوش، أو يكون في توليته مصلحة شرعية راجحة، لا لهوى أو قرابة أو صداقة

(١) السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية ، ص ١٩ ص ٢٠.

(٢) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي ابن أبي الكرم بن محمد الشيباني ابن الأثير ، (ت ٦٣٠ هـ/١٣٢٢م) ، راجعه مجموعة من العلماء ، ط٤ ، دار الكتاب

العربي، (بيروت، ١٤٠٣هـ) ، ج٢، ص٤٠٢

،فمن ذلك استعمال النبي (ﷺ) مالك بن عوف بعد إسلامه على مَنْ أسلم من قومه ، وتلك القبائل ثُمالة وسَلَمَة و فَهْمُ فكان يقاتل بهم ثقيفاً. (١)

(٣) البعد عن طلب الولاية أو الحرص عليها:

إن القيادة مع ما تتضمنه من تبعة وتكليف، فيها عز لصاحبها وشرف ورفعة، ولذا يطمع فيها مُريد العلو في الأرض، ويسعى للظفر بها الحريص على نيل الشهوات والملاذ في كثير من الأحيان، وقد بين النبي (ﷺ) أن الرغبة عن القيادة والولاية، والزهد فيها دليل على شعور يقظ بخَطَرِها ،وتقدير لتبعاتها ، وحقيق بمن كان بهذه المثابة أن يقوم بشؤونها ويحكم أمرها ، إن كُفَّ بها ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال: ((تجدون الناس معادن ، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ، وتجدون خيار الناس في هذا الشأن أشدهم له كراهية)) (٢)

كما كان من هديه (ﷺ) منع الولاية ممن سألها أو حرص عليها ، فعن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال: دخلت على النبي (ﷺ) أنا ورجلان من بني عمي فقال أحد الرجلين: يا رسول الله أمرنا على بعض ما ولاك الله عز وجل ، وقال الآخر مثل ذلك ، فقال (ﷺ): ((إنا لا نولي هذا من سأله، ولا من حرص عليه)) (٣)

(١) السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك الحميري النحوي ابن هشام، (ت ٢١٨هـ/ ٨٣٢م) ، تحقيق: د. همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعلوك، مكتبة المنارة، ط١، (بيروت، ١٤٠٩هـ) ج ٢، ص ٤٩٠.

(٢) الجامع الصحيح ، البخاري، ج٣، ص١٢٨٨، رقم الحديث (٣٣٠٤)

(٣)المصدر نفسه ج٦، ص٢٦١٤، رقم الحديث (٦٧٣٠)

وقال (ﷺ) لعبد الرحمن بن سمرة: ((يا عبد الرحمن، لا تسأل الإمارة فانك أن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها، وان أعطيتها من غير مسألة اعنت عليها))^(١)

على أنه يجوز استعمال الرجل وتوليته بعد سؤاله إذا كان في ذلك مصلحة ، كما أجاب الرسول (ﷺ) طلب زياد بن الحارث الصدائي عندما سأل الرسول (ﷺ) أن يستعمله على قومه ، فأجابه إليه لأنه كان مطاعاً فيهم.^(٢)

(٤) أن يكون الوالي من صحابة النبي (ﷺ):

إن المتتبع لإخبار ولاة عمر (ﷺ) على الأمصار والأقطار الإسلامية مثل: مكة والمدينة واليمن والشام ، ومصر والعراق ، وعمان وغيرها يتضح لديه أنهم كانوا من الصحابة ، وربما كان عدد قليل من غيرهم اسند إليه ولاية بعض المدن، لقوله (ﷺ): قد علمت والله متى تهلك العرب ، إذا ساس أمرهم من لم يصحب الرسول (ﷺ) ولم يعالج أمر الجاهلية.^(٣)

واستدل ابن حجر (رحمه الله) على كون الرجل صحابياً إذا نقل أن عمر (ﷺ) ولاة على مصر من الأمصار، فيقول: وقد تقدم أنهم كانوا لا يؤمرون إلا الصحابة.^(٤)

(١) الجامع الصحيح ، البخاري، ج٦، ص٢٦١٣، رقم الحديث (٦٧٢٨)

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٦، ص١٢٩؛ المستدرک على الصحيحين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، (ت ٤٠٥هـ/١٠٠٤م) وفي ذيله تلخيص المستدرک للأمام أبي عبد الله محمد بن احمد الذهبي ، دار الفكر ، (بيروت ، ١٣٩٨هـ) ، ج٤، ص٤٢٨؛ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الأصفهاني، ط٢، دار الكتب العلمية (بيروت ، ١٩٦٧م) ، ج٧، ص ٢٤٣.

(٤) الإصابة في تمييز الصحابة ، ج١، ص ٣٣٦، ح ٢، ص ٢٢١.

ولم يشترط (ﷺ) في الوالي قِدم الصحبة والسابقة في الإسلام ،
 ودليل ذلك انه (ﷺ) ولى بعض مَنْ أسلم عام الفتح كعواوية بن أبي
 سفيان ، وأخيه يزيد بن أبي سفيان وغيرهما، وما روي عنه (ﷺ) انه
 قال: وليس فيها لطلق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيئاً.^(١)
 ويرجع السبب في ذلك -والله اعلم- لجملة أمور منها:

- أن يعينوه في الاجتهاد ليكونوا قريبين منه.
- أن يقدموا له النصح لكونهم ابعد الناس عن زخارف الدنيا.
- وربما يخشى أن يفتتن بهم الناس في الأمصار لصحبتهم لرسول
 الله (ﷺ) وسابق جهادهم.

(٥) القدرة والخبرة السياسية:

فهي لازمة لمن يتولى رعاية شؤون المسلمين ومصالحهم، ولا
 يكفي كونه مستقيماً في نفسه وكونه صحابياً إذا كان غير قادر على
 القيام بأمور الولاية لأي سبب من الأسباب، أو كان قليل الخبرة والحكمة
 السياسية بحيث يمكن مخادعته واستغفاله واستدراجه، جاء في الحديث
 الصحيح أن أبا ذرٍّ (رضي الله عنه) قال للنبي (ﷺ): يا رسول الله ألا تستعملني؛
 قال: ((فضرب على منكبي ، ثم قال: يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة
 ، وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها ، وأدى الذي عليه
 فيها))^(٢)

(١) الطبقات الكبرى ،ابن سعد. ج ٣ ، ص ٣٤٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ، مسلم ، ج ١٢ ، ص ٢٠٩ ، ص ٢١٠.

فقد عزل عمر (رضي الله عنه) عمار بن ياسر (رضي الله عنه) بعد أن سأل عنه هل هو مجزي في ولايته؟ فقال جرير بن عبد الله (رضي الله عنه): والله لا هو بمجزي ولا عالم بالسياسة، فعزله وولى المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه)^(١).
وروي عنه (رضي الله عنه): انه أراد أن يستعمل رجلاً فقال: من يدلني على القوي الأمين.^(٢)

(٦) الفطنة والذكاء

ولا تخفى أهمية تحلي الوالي بالفطنة والذكاء والدهاء، وسرعة البديهة بحيث يستطيع التعامل مع كل حدث بما يناسبه، ويضع الأمور في نصابها. عن ابن جريج قال: أخبرني عطاء، عن عبيد بن عمير قال: ((لقي عمر بن الخطاب ركبا يريدون البيت، فقال: «من أنتم؟» فأجابهم أحدثهم سنا، فقال: عباد الله المسلمون قال: «من أين جئتم؟» قال: من الفج العميق قال: «أين تريدون؟» قال: البيت العتيق، قال عمر: «تأولها لعمر الله»، فقال عمر: «من أميركم؟» فأشار إلى شيخ منهم، فقال عمر: «بل أنت أميرهم»، لأحدثهم سنا الذي أجابه بجيد))^(٣)

- (١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج ٢، ص ٥٤٤ ص ٥٤٥؛ دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب، عبد السلام بن محسن آل عيسى، ط ١، (المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م) ص ٦٢٦.
- (٢) أنساب الأشراف، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م)، تحقيق: د. إحسان صدقي العمدة، ط ١ (مؤسسة الشراع العربي، ١٤٠٩هـ)، ص ٣٦٣ ص ٣٧١.
- (٣) المصنف، أبو بكر عبد الزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، (ت ٢١١هـ/ ٨٢٧م)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، المكتب الإسلامي (بيروت، ١٤٠٣هـ) ج ٢، ص ٣٠٩، رقم الحديث ٣٨١٣. وينظر: دراسة نقدية في المرويات، آل عيسى، ص ٦٢٩.

(٧) مراعاة الطبائع والخصائص النفسية

عُرف عن عمر انه (رضي الله عنه) كان ينهى عن استعمال رجل من أهل الوبر على المدر، وأهل الوبر هم ساكنو الخيام ، وأهل المدر ساكنو المدن ، وهذه نظرة اجتماعية سلوكية -حضارية- فقد كان (رضي الله عنه) ينظر حين تعيين احد عماله إلى بعض الخصائص والطبائع والعادات والأعراف ، فلكل من أهل الوبر والمدر طبائع وخصائص وأخلاق وعادات وأعراف مختلفة.(١)

ومن الطبيعي أن يكون الوالي عارفاً بنفسية الرعية ، وليس من العدل أن يتولى أمرها رجل جاهل بها، فقد يرى العُرفَ نُكْرًا ، وقد يرى الطبيعي غريباً ، فيؤدي ذلك إلى غير ما يتوخاه المجتمع من أهداف يسعى إلى تحقيقها.(٢)

(٨) الاستقامة والصلاح:

بيّن عمر (رضي الله عنه) أن استقامة الوالي وصلاحه سبب لصلاح رعيته ومن تحت يديه وان فساده وانحرافه سبب لفساد الرعية وانحرافهم. قال (رضي الله عنه): إن الناس لا يزالوا بخير ما استقامت لهم ولاتهم وهداتهم.(٣)

(١) نظام الحكومة النبوية ، محمد عبد الحي الإدريسي الحسني ، الكتاني ، (بيروت ، د.ت) ج ١، ص ٢٨٢؛ سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، علي محمد محمد الصلابي ، ط٧، دار المعرفة (بيروت ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) ، ص ٣١٢.

(٢) نظام الحكومة النبوية، الكتاني ، ج ١، ص ٢٨٣؛ سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، الصلابي ، ص ٣١٢ ص ٣١٣.

(٣) دراسة نقدية في المرويات ، آل عيسى، ص ٦٢٥.

فقد سُئل عمر (رضي الله عنه): انك تستعين بالرجل؟ فقال: إني استعمله لأستعين بقوته ثم أكون على قفانه. (١)

(٩) الرحمة والشفقة على الرعية

وهي خصلة مهمة وأساسية إذ بها يحسن التعامل مع الرعية ويقوم العدل فيهم ويحبهم ويحبونه ويقبلون إليه ويأمنون به ويرفعون إليه حوائجهم من غير رهبة ووجل، قال تعالى لنبيه (صلى الله عليه وسلم): ﴿فِيمَا رَحِمْتَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِكَ الْبَيِّنَاتُ فَظًا غَلِيظًا لَاقِضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٢)

استعمل عمر (رضي الله عنه) رجلاً من بني أسد على عمل ، فدخل ليسلم على عمر (رضي الله عنه) فأتى عمر ببعض ولده، فقبله، فقال الاسدي: أتقبل هذا يا أمير المؤمنين؟ فو الله ما قبلت ولداً لي قط! فقال عمر: فأنت والله بالناس اقل رحمة، لا تعمل لي عملاً أبداً، فرد عهده. (٣)

(١٠) لا يولي أحداً من أقاربه:

كان عمر (رضي الله عنه) حريصاً على ألا يولي أحداً من أقاربه على رغم كفاية بعضهم وسبقه إلى الإسلام مثل: سعيد بن زيد ابن عمه وولده عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) ، وقد سمعه رجل من أصحابه يشكو أعضاء أهل الكوفة. به في أمر ولاتهم ، وقول عمر: لو ددت إني وجدت رجلاً قوياً أميناً مسلماً استعمله عليهم، فقال الرجل: أنا والله أدلك

(١) دراسة نقدية في المرويات ، آل عيسى ، ص ٦٢٥، وقفانه: أي أكون على تتبع أمره حتى استقصي علمه واعرفه ، لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور ، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، ط ٣، دار احياء التراث العربي (بيروت ، ١٤١٣هـ) ، ج ١١، ص ٢٦٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٩ .

(٣) السنن الكبرى ، البيهقي ، ج ٣، ص ٣٦٧؛ دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، آل عيسى، ص ٦٢٩ ص ٦٣٠.

عليه ، عبد الله بن عمر ، فقال عمر : قاتلك الله ، والله ما أردت الله بهذا^(١)

وكان يقول : (مَنْ اسْتَعْمَلَ رَجُلًا لِمُودَةٍ أَوْ قَرَابَةٍ لَا يَشْغَلُهُ إِلَّا ذَلِكَ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)^(٢)

المرحلة الثانية : اختبار الولاة والعمال قبل التولية :

كان عمر (رضي الله عنه) يختبر عماله قبل أن يولهم ، وقد يطول هذا الاختبار كما يوضحه الأحنف بن قيس حين قال : قدمت على عمر (رضي الله عنه) فاحتبسني عنده حولا فقال : يا أحنف قد بلوتك فرأيت أن علانيتك حسنة ، وأنا أرجو أن تكون سريرتك مثل علانيتك ، وأنا كنا نتحدث إنما يهلك هذه الأمة كل منافق عليم ، ثم قال له عمر : أتدري لم احتبستك؟ وبين له انه أراد اختياره.. ثم ولّاه.^(٣)

وتؤكد المصادر التاريخية أن الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) تابعوا ولايتهم متابعة جدية وهم يختارون عمالهم على المدن والقصبات سالكين من أجل ذلك مختلف الطرق والوسائل للاهتداء للأسس الصحيحة لذلك الاختبار ، فتارة عن طريق التوجيه وإبداء النصح والإرشاد ، وتارة عن طريق الاختبار الشخصي المباشر لهؤلاء العمال من قبل الخليفة نفسه كما حصل للربيع بن زياد الحارثي حينما كان عاملاً لأبي موسى

(١) مناقب عمر بن الخطاب ، عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي ، (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، مطبعة السعادة (مصر ، ١٩٢٤م) ص ١٠٨ ؛ الصلابي ، سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، (رضي الله عنه) ص ٣١٣ .

(٢) الفتاوى ، ابن تيمية ، ج ٢٨ ، ص ١٣٨ .

(٣) الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين ، عبد العزيز بن إبراهيم العمري ، اطروحة دكتوراه ، جامعة الامام محمد بن سعود ، الرياض ، ج ١ ، ص ١٤٢ ؛ مناقب أمير المؤمنين ، ابن الجوزي ، ص ١١٧ ؛ سيرة أمير المؤمنين عمر ، الصلابي ، ص ٣١٥ .

الأشعري (ؓ) على البحرين مع الخليفة عمر (ؓ) وبعد المقابلة والحوارات المتبادلة أمر (ؓ) أبا موسى الأشعري أن يُقرّه وأن يستبدل أصحابه. (١)

المرحلة الثالثة: حقوق الولاية على الرعية وواجباتهم نحوها:

مما لا ريب فيه أن للولاية على البلدان حقوقاً مختلفة يتصل بعضها بالرعية وبعضها بالخليفة ، إضافة إلى حقوق أخرى متعلقة ببيت المال ، وكل هذه الحقوق الإدارية أو المالية أو الأدبية تهدف بالدرجة الأولى إلى أعانة الولاية على القيام بواجباتهم لخدمة الرعية. إنَّ من حقوق الولاية على الرعية الطاعة بالمعروف التي هي حق من حقوق الخليفة ، لان طاعة الوالي طاعة لمن ولّاه.

قال (ؓ): ((من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميرى فقد أطاعني، ومن عصى أميرى فقد عصاني)) (٢)

وروي عن عمر (ؓ) انه كان اذا استعمل الولاية كتب: أني بعثت إليكم فلاناً فأمرته بكذا وكذا ، فاسمعوا له وأطيعوا. (٣)
وأما حقوق الرعية التي أوجبها عمر (ؓ) على ولاته:
• عدم الاستئثار عليهم في مآكلهم ومشاربهم وسائر أحوالهم.

(١) العقد الفريد ، أبو عمر احمد بن محمد بن سالم الأندلسي ابن عبد ربه ، (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) ، تحقيق: مفيد محمد مقيحه ، دار صادر، (بيروت ، ١٩٥٣م) ، ج١، ص ١٠.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي، مسلم، ج١٢، ص ٢٢٦.

(٣) الزهد، ابن حنبل، ص ٢٢٦؛ دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر (ؓ)، آل عيسى، ص ٦٦٣.

• أن لا يمنعوهم ولا يحرموهم شيئاً يستمتعون به. (١)

الواجبات الإدارية للولاية:

بما أن الوالي هو رئيس الإقليم ومسؤولة الأعلى من الناحية الإدارية والدينية والسياسية والعسكرية وقائد حاميته ، (٢) فإن من أهم الواجبات الإدارية هي:

١- ضبط الأمن ونشر الاستقرار في حدود إقليمه لينصرف الناس آمنين لأعمالهم.

٢- تأكيد هبة الدولة وفرض سلطانها عن طريق تطبيقه الأنظمة والقوانين التي شرعتها الدولة لتنظيم العلاقة بين الافراد فيما بينهم وبين الدولة.

٣- ردع مثيري الفتن والخارجين على القانون والضرب على أيديهم.

٤- عمارة البلدان باعتماد مصالحها وتهذيب سبلها ومسالكها ووضع الخفراء لحراستها. (٣)

(١) دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر (رضي الله عنه)، آل عيسى، ص ٦٦٣.

(٢) تاريخ صفاقس، عبد الباقي أبو بكر، منشورات التعاضدية للطباعة، (النعمانية، ١٩٦٦م)، ج ١، ص ١٦٩.

(٣) نهاية الإرب في فنون الأدب، شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة، ١٩٧٥م) ج ٨، ص ٢٩٨

٥- حماية الإقليم من الأعداء الخارجين وتحسين حدوده بالعدة المانعة والقوة الدافعة حتى لا تظهر العداء بغرة ينتهكون فيها محرماً أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دماء.^(١)

٦- وعليه أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض متشاغلاً بلذة أو عبادة فقد يخون الأمين ويغض الناصح.^(٢)

٧- وتقع عليه مسؤولية استكفاء الأمانة وتقليد النصحاء فيما يفوضه اليهم من الأعمال ويوكل إليهم من الأموال لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمانة محفوظة.^(٣)

وكان للوالي موظفين مساعدين له في ادارة الإقليم في فرض النظام والأمن والاستقرار وهم جهاز الشرطة.

صلاحيات الولاية الإدارية

يمكن أن نضيف لصلاحيات الولاية مع ما ذكره الماوردي الصلاحيات التالية استنتاجاً في التولية للولاية:

- نشر مبدأ العدل بين الرعية وتحقيق المساواة بين الأفراد.
- تنقية الطرق والمسالك وجعلها صالحة لأداء الخدمة للرعية.^(٤)

(١) تاريخ الرسل والملوك الطبري ، ص ٥٢ ص ٥٤؛ الأحكام السلطانية ، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ، (القاهرة ، ١٩٧٨ م) ، ص ٣٠.

(٢) الأحكام السلطانية ، الماوردي ، ص ٣٠؛ نظام الحكم في الإسلام ، محمد فاروق النبهاني، (الكويت د. ت) ، ص ٥٧٦.

(٣) الأحكام السلطانية، الماوردي، ص ٣٠.

(٤) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج ٤، ص ٧١.

- اخذ البيعة للخليفة من الرعية.^(١)
- صلاحية تعيين العمال والقادة والقضاة والكتاب وأصحاب الشرطة والخراج على المناطق التابعة لهم.^(٢)
- عمارة البلد واستصلاحها ، والعمل على تطوير مواردها بما يعود بالنفع على الرعية.
- استخلاف مَنْ يروونه مناسباً عند تركهم البلاد لأي سبب من الأسباب.
- عقد الصلح مع الأعداء ، أو إعلان الحرب عليهم ، أو إعطاء الأمان لمن شاءوا. المصادقة على الصلح الذي يقرّه قادتهم عند مواجهة الأعداء.
- تخفيف مقدار الجزية والخراج عن الرعية عندما يروا ذلك ضرورياً ويحقق مبدأ العدل.^(٣)

المرحلة الرابعة : متابعة الولاية ومحاسبتهم :

إنّ القائد مهما بلغ من الكفاية، وعلو المنزلة لا يستغني عن الرأي والمشورة، وهو أيضا غير ناج من خطأ أو زلل، لذا فقد كانت الرقابة على القادة، والتسيّد لأعمالهم ركناً رئيساً في منهج رعاية القادة في صدر الإسلام.

وقد ظهرت الرقابة على الولاية والقادة جلية في عهد الخليفة الراشد عمر (رضي الله عنه) لطول مدة خلافته، واتساع دولة الإسلام في عصره،

(١) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٦، ص ١٥٦.

(٢) تاريخ خليفة ابن خياط، ابن خياط، ج١، ص ١٩٠.

(٣) كتاب الخراج، يعقوب بن إبراهيم أبو يوسف ، (ت ١٨٢هـ/٨٠٣م) ، تحقيق: احمد محمد شاكر ، ط٢ (القاهرة، ١٩٤٢م) ، ص ٢٠٥؛ فتوح البلدان ، البلاذري ، ص ٢٩٩.

حيث شملت العراق والشام ومصر مع الجزيرة العربية ، ودعت الحاجة إلى بقاء الخليفة في المدينة عاصمة الخلافة الإسلامية لتنظيم سائر شؤون الدولة.

فكان عمر (رضي الله عنه) يتابع قاداته، ويأمرهم أن يكتبوا له بكل ما له شأن من أمورهم^(١)، فيمد من احتاج منهم ، ويعاقب من قصر ، ويقوم من اعوج ، ويعزل من غير أو بدل.

يقول شيخ الإسلام (رحمه الله): (كان عمر (رضي الله عنه) في حياته رقيباً على نوابه، متعباً لأفعالهم، يأمرهم بالحج كل عام ليحكم بينهم وبين الرعية، فيأمرهم وينهاهم ويمنعهم مما يكرهه)^(٢)

ومن متابعته لعماله (رضي الله عنه) مثلاً:

كتب (رضي الله عنه) الى أبي موسى الأشعري وهو في البصرة: (بلغني انك تأذن للناس جمأً غفيراً ، فإذا جاءك كتابي هذا فأذن لأهل الشرف ، وأهل القرآن والتقوى والدين ، فإذا اخذوا مجالسهم فأذن للعامة)^(٣).

وكان عمر (رضي الله عنه) شديد المحاسبة لعماله، فكان يكتب أموالهم عندما يوليهم ثم يشاطرهم إياها إذا رآه شيء من أمرهم.^(٤)

قال ابن جرير: (وكان من سنة عمر وسيرته أن يأخذ عماله بموافاة الحج في كل سنة للسياسة ، وليحجزهم بذلك عن الرعية ، وليكون لشكاة الرعية وقتاً وغاية ينهونها فيه إليه)^(٥)

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج٢، ص ٤٩٧.

(٢) منهاج السنة النبوية، ابن تيمية، ج٦، ص ١٥٨.

(٣) مناقب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، ابن الجوزي، ص ١٣٠.

(٤) الطبقات الكبرى، ابن سعد، ج٣، ص ٣٠٧.

(٥) تاريخ الرسل والملوك، الطبري، ج٢، ص ٥٤٥.

وَعَيْنَ عمر (ﷺ) محمد بن سلمه يقتص آثار من شاكى من عماله ، وكان منهجه في ذلك كما يقول ابن جرير: (أن يطوف به في مساجد البلاد ، لا يتعرض للمسألة عنه في السر ، وليست المسألة في السر من شأنهم إذ ذلك)^(١) ، وقد تكون المصلحة مع ما يثبت من صدق القائد وبراعته مما نسب إليه في إقالته من عمله فيعزل ، كما فعل الفاروق مع سعد بن أبي وقاص (ﷺ).^(٢)

ومجمل أسباب العزل ثلاثة:-

- نقص القوة.
- ضعف الأمانة.
- -وجود مصلحة راجحة.

فنقص القوة يمهد لأصحاب الأغراض الفاسدة من المتربصين بأمن المجتمع ووحدة صفه ، ولا يزال يتعاضم خطرهم ، ويتابع مكرهم حتى تحت الفتى ويختل نظام المجتمع ، ولذا يتعين عزل الضعفاء وتولية الأقوياء حسماً لمادة الشر ، وقطعاً لأسبابه.

فالقيادة القوية هي وحدها القادرة على إقامة الحق والعدل ، ونصرة المظلوم ، وإرهاب المفسدين وقطع دابرهم.^(٣)

وأما العزل لمصلحة فكما فعل عمر بخالد بن الوليد (ﷺ) فكفاية خالد وأهليته لا تخفى على مثل عمر (ﷺ) وهو الخبير بالرجال ، ولكنه عزله لأمر آخر وكتب فيه إلى الأمصار فقال: (إني لم اعزل خالدًا عن

(١) تاريخ الرسل والملوك، الطبري ج ٢، ص ٥٢٢.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥٢٢.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٩٠.

سخرطة ولا خيانة؁ ولكن الناس فتنوا به فخرت أن يوكلوا إليه ويبتلوا به؁
فأحبيت أن يعلموا أن الله هو الصانع وألآ يكونوا بعرض فتنة^(١).

(١) التاريخ؁ الطبري؁ ج ٢؁ ص ٥٢٢

الخاتمة

- يجدر بنا في ختام البحث أن نوجز ما توصلنا اليه من نتائج:
- (١) شهد العهد الراشدي البناء الحقيقي للدولة العربية الإسلامية من حيث الاتساع والشمول وتبلور مفهوم الدولة بشكل كبير.
 - (٢) حرص الفاروق (رضي الله عنه) على بقاء الصحابة في المدينة ليتمكن من مشاورتهم والرجوع إليهم فيما يطرأ من الوقائع والحوادث والنوازل والمشاكل ، وليسهل عليه اجتماعهم لإبداء الرأي.
 - (٣) ثبت أن عمر (رضي الله عنه) بايع رعيته على السمع والطاعة فيما استطاعوا، ولم يشترط على رعيته مبايعته شخصياً، بل من بايع أميره فقد بايعه، وبين (رضي الله عنه) أن صلاح الرعية واستقامتهم سبب لصلاح واليهم وحاكمهم.
 - (٤) اعتنى الإسلام بأمر القيادة الإدارية عن طريق:
 - اعتبار القيادة أمانة.
 - إقصاء من تطاول للولاية وزكى نفسه.
 - إقصاء الرجل الضعيف لعدم قدرته على تحمل تبعات هذه الأمانة.
 - الإسلام جعل اختيار القائد الإداري واجباً شرعياً.
 - (٥) بين علماء الإسلام صفات وخصائص أولى الناس بالقيادة وأصلحهم لها عن طريق:-
 - وجوب استعمال الأصلح.
 - إذا لم يوجد الأصلح فيختار الأمتثل في كل منصب.

- (٦) ثبت أن ولاية عمر (رضي الله عنه) على الأمصار والمدن الإسلامية كانوا في الغالب الأكثر قادة عسكريين ،قادوا الفتوح في بلاد فارس والروم.
- (٧) ثبت أن عمر (رضي الله عنه) كان شديد الخشية والحذر والخوف من الله من التفريط في حقوق رعيته وواجباتها دقيقة كانت أم جليلة، وكان يحثهم على بذل النصح له وتقويمه.
- (٨) اهتم (رضي الله عنه) بجميع فئات الرعية كبيرهم وصغيرهم شريفهم ووضيعهم ، حرهم وعبيدهم ، ذكرهم وأنثاهم ، حاضرهم وباديهم ، مسلمهم وذنبيهم ، وأعطى كل ذي حق حقه.
- (٩) ثبت أن عمر (رضي الله عنه) كان يشترط في ولاته أن يكونوا ممن صحب النبي (صلى الله عليه وسلم) وعرف الجاهلية، ولم يكن في ولاته من غير الصحابة إلا ما ندر.
- (١٠) صح أن عمر (رضي الله عنه) جنب أهله وقرابته الولاية، ولم يولهم من الأمر شيئاً، بل أوصى أن لا يولي أبناءه الخلافة من بعده وأوصى ولاية الأمر من بعده أن لا يحملوا أقاربهم على أقارب الناس.
- (١١) ثبت أن عمر (رضي الله عنه) هو أول من وضع التقويم الهجري.
- (١٢) فرضت ظروف الدولة أن يكون لكل إقليم وال، يدير شؤونه ويعمل على ضبط الأمن وفرض النظام فيه ممثلاً عن الخليفة الذي يكون مقره في حاضرة الدولة ويستمد سلطانه منه.
- (١٣) اخضع الفاروق (رضي الله عنه) ولاته للمراقبة الشديدة والصارمة أحيانا وهم يمارسون واجباتهم اليومية في أقاليمهم عن طريق العيون أو البعوث التي كان يبعثها لتقصي أعمالهم واستطلاع آراء الرعية فيهم ونقلها إلى حاضرة الخلافة مباشرة، فكان عرضه للعزل أو

- السجن إذا ما ظهرت عليه إشارات النعمة أو الثراء أو القسوة مع الرعية والتعالي عليها أو الإغفال عن أداء واجباته.
- (١٤) اتخذ (ﷺ) من موسم الحج فرصة مناسبة للمكاشفة والمصارحة ويسألهم عن السيرة بين الرعية وولاتها، إذ كان يجلس (ﷺ) لاستقبال الرعية ويسألهم عن سيرة الولاية فيهم وما قدموه لهم من خدمات، واستقبال المتظلمين منهم، وسماع مشاكلهم وحلها.
- (١٥) كانت هناك أسباب عديدة تؤدي إلى عزل الولاية عن مناصبهم..أما لثبوت تقصيرهم في أمر الرعية، أو لورود شكاوى بحقهم أو لضعفهم وترددهم أو لقسوتهم مع الرعية، أو نتيجة الوشاية والحسد، وذلك خوفاً من وقوع الخلاف والشقاق بين الولاية والرعية، وربما عزل الوالي إذا اعتذر عن الولاية لعذر شرعي.
- (١٦) تحذير القائد الإداري من مستشاري سوء وبطانة الشر.
- (١٧) تميز العهد العمري بسياسة رد المظالم بسرعة من مغتصبي حقوق الناس دون مراعاة لقربى أو صداقة وهذا من كمال عدله.
- (١٨) التأكيد على أن خير من يمثل ويمرر حقيقة القيادة الإدارية وشكلها بعد صاحب الرسالة (ﷺ) هم الخلفاء الراشدون الأربعة (أبو بكر، وعمر، وعثمان وعلي (ﷺ)).
- (١٩) لقد كان المنهج المتبع في رعاية الولاية والقادة منذ عهد الرسول (ﷺ) وخلفائه الراشدين (ﷺ) متكاملًا، يعنى بالقائد قبل اختياره للقيادة، وبعد ترشيحه لها؛ إعدادا له، وتوجيها وتسديداً ومحاسبة وعزلاً إذا اقتضى الأمر ذلك.
- (٢٠) لقد أسهم هذا المنهج في إبراز قيادات فذة كان لها الأثر البالغ في صنع دولة وحضارة لم تعرف البشرية في تاريخها الطويل لها

نظيراً في رشدها، وقوتها، ونبل أهدافها، وعنايتها بالقيم والمثل والفضائل، وتحقيقها السعادة للناس.

وختاماً... إن دراسة هذه السيرة العطرة تمد أبناء الجيل بالعزائم العمرية، وتساعد الدعاة والعلماء للاقتداء بذلك العصر الراشدي، بمعرفة معالمه وسماته ومنهجه في السير بدنيا للناس، للأخذ بتلك الأسس ، وذلك المنهج ، كشرط رئيس لنهضة الأمة من كبوتها ، وعودتها إلى المنزلة اللائقة بها، رائدة للحضارة ،وقائدة للبشرية، إذ لن يُصلح أواخر هذا الأمر إلا بما صلحت به أوائله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

ثبت

المصادر والمراجع بعد القرآن الكريم

أولاً: المصادر

- (١) الكامل في التاريخ، أبو الحسن علي ابن أبي الكرم بن محمد الشيباني ابن الأثير، (ت ٦٣٠ هـ/١٣٢٢م)، راجعه مجموعة من العلماء، ط، ٤، دار الكتاب العربي (بيروت، ١٤٠٣هـ)
- (٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، الحافظ أبو نعيم احمد بن عبد الله الأصفهاني، (ت ٤٣٠ هـ/١٠٣٨م)، ط ٢، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٦٧م).
- (٣) معرفة الصحابة، ابن الأثير، تحقيق محمد راضي بن حاج عثمان، ط ١، (الرياض، ١٤٠٨هـ).
- (٤) صحيح البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، (ت ٢٥٦ هـ/٨٧٨م)، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، دار القلم، (بيروت، ١٩٨٧م)، باب (٢٨).
- (٥) انساب الأشراف، احمد بن يحيى بن جابر البلاذري، (ت ٢٧٩ هـ/٨٩٢م)، تحقيق: د. إحسان صدقي العمدة، ط ١ (مؤسسة الشراع العربي، ١٤٠٩هـ).
- (٦) السنن الكبرى، احمد بن الحسين بن علي، البيهقي، (ت ٤٥٨ هـ/١٠٦٧م)، في ذيله الجوهر النقي، دار المعرفة، (بيروت، د.ت).
- (٧) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، أبو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (ت ٧٢٨ هـ-١٠٣٣م)، ط (القاهرة، ١٩٦١).

- (٨) سيرة عمر بن الخطاب ، عبد الرحمن بن علي ، ابن الجوزي ،
(ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م) ، مطبعة السعادة ، (مصر ، ١٩٢٤م).
- (٩) مناقب عمر بن الخطاب، ابن الجوزي، مطبعة السعادة (مصر،
١٩٢٤م) ٧
- (١٠) المستدرک علی الصحیحین ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله
الحاكم النيسابوري، (ت ٤٠٥هـ/١٠٠٤م) وفي ذيله تلخيص
المستدرک للأمام أبي عبد الله محمد بن احمد الذهبي ، دار
الفکر ، (بيروت ، ١٣٩٨هـ).
- (١١) الاصابة في تمييز الصحابة ، شهاب الدين احمد بن علي بن
حجر العسقلاني ، (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ط١، دار صادر
(بيروت د.ت)
- (١٢) الزهد ، أبو عبد الله احمد بن حنبل، (ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م) ،
ط١ ، (دار الريان ، ١٤٠٨هـ).
- (١٣) مسند الإمام احمد ، أحمد بن حنبل الشيباني، المكتب الاسلامي
(بيروت، ١٩٨٥)
- (١٤) مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، (ت
٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) ، تحقيق ودراسة احمد الزعبي (دار الأرقم
، د.ت).
- (١٥) تاريخ خليفة بن خياط ، خليفة العصفري بن خياط ،
(ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة
والنشر والتوزيع (بيروت، د.ت).
- (١٦) سنن الدارمي، الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن
السمرقندي الدارمي،، (ت ٢٥٥هـ/٨٦٨م) ، ط١، دار الكتاب
العربي (بيروت ، ١٩٧٨م).

- (١٧) الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد، (ت ٢٣٠هـ/٨٤٤م) ،
 باعتماد جمهرة من المستشرقين، مطبعة بريل (لیدن، ١٩٠٥)
- (١٨) تاريخ المدينة المنورة ، أبو زيد عمر النميري ابن شبة ، (ت
 ٢٦٢هـ / ٨٧٥م) ، تحقيق: فهم محمد شلتوت ، دار
 الأصفهاني ، (جدة ، ١٩٧٣م).
- (١٩) المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني
 الطبراني، (ت ٣٦٠هـ / ٩٦٨م) تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد
 السلفي، ط٢، مكتبة العلوم والحكم - الموصل (١٤٠٤هـ -
 ١٩٨٣م)
- (٢٠) تاريخ الرسل والملوك ،أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، (ت
 ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، ط١ دار الفكر، (بيروت ، ١٤٠٧هـ/
 ١٩٨٧م).
- (٢١) سراج الملوك، أبو بكر محمد الطرطوشي، (ت ٥٢٠هـ
 /١٢٦م) ، طبعة بولاق (القاهرة، ١٢٨٩م)
- (٢٢) مسند الطيالسي ، سليمان بن داود بن الجارود الفارسي
 البصري الطيالسي ، (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) ، دار المعرفة
 (بيروت، د.ت).
- (٢٣) العقد الفريد ، أبو عمر احمد بن محمد بن سالم الأندلسي ، ابن
 عبد ربه ، (ت ٣٢٨هـ / ٩٣٩م) ، تحقيق: مفيد محمد مقيحه،
 دار صادر، (بيروت ، ١٩٥٣م).
- (٢٤) الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله
 الشافعي المعروف بابن عساكر (ت ٥٧١هـ / ١٢٦٣م)

- ٢٥) الجامع لأحكام القرآن المعروف بتفسير القرطبي ، الإمام محمد بن احمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي ، (ت ٦٧١هـ / ١٢٧٣م) ط٢، دار الشعب (القاهرة، ١٣٧٢هـ-)
- ٢٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الشافعي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) ، دار التراث، (القاهرة د.ت).
- ٢٧) مسند الفاروق ، عماد الدين بن كثير، وثق أصوله وخرج أحاديثه: عبد المعطي قلنجي ط١ (١٤١١هـ-)
- ٢٨) الأحكام السلطانية ، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، (ت ٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) ، (القاهرة ، ١٩٧٨م).
- ٢٩) صحيح مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت ٢٦١هـ / ٨٧٥م) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط١ (دار إحياء الكتاب العربي ، بيروت ، ١٩٥٥).
- ٣٠) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ / ١٣١١م) ، ط٣، دار احياء التراث العربي (بيروت، ١٤١٣هـ) .،
- ٣١) نهاية الإرب في فنون الأدب ،شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري، (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٢م) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، (القاهرة، ١٩٧٥م)
- ٣٢) السيرة النبوية ، أبو محمد عبد الملك الحميري النحوي ، ابن هشام ، (ت ٢١٨هـ / ٨٣٢م) ، تحقيق: د.همام عبد الرحيم سعيد ومحمد عبد الله أبو صعليك، ط١ ، (مكتبة المنارة ، بيروت، ١٤٠٩هـ-).
- ٣٣) معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار احياء التراث العربي، (بيروت، د.ت)

(٣٤) كتاب الخراج، يعقوب بن إبراهيم ، أبو يوسف، (ت ١٨٢هـ/٨٠٣م) ، تحقيق: احمد محمد شاكر، ط٢ (القاهرة، ١٩٤٢م).

ثانيا: المراجع

- (١) تاريخ صفاقس، عبد الباقي أبو بكر، منشورات التعاضدية للطباعة، (النعمانية، ١٩٦٦م)
- (٢) تاريخ الدولة العربية السلامية ، رشيد عبد الله الجميلي ، دار الكتب للطباعة والنشر، (بغداد، ٢٠٠٠).
- (٣) الخلفاء الراشدون ،صلاح عبد الفتاح الخالدي ، بين الاستخلاف والاستشهاد، ط٢، دار البشير (جدة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م).
- (٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر ابن سعدي ، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، ط١، مؤسسة الرسالة (بيروت، ١٤٢٠هـ).
- (٥) الحكومة والدولة في الإسلام، احمد ثلثي، مطبعة السعادة ، (مصر ١٩٨٥م).
- (٦) سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ،علي محمد محمد الصلابي ، ط٧، دار المعرفة (بيروت ، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م).
- (٧) دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب، عبد السلام بن محسن آل عيسى ، ط١ (المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م)
- (٨) الولاية على البلدان في عصر الخلفاء الراشدين اطروحة دكتوراه ، عبد العزيز بن إبراهيم العمري، جامعة الإمام محمد بن سعود ، الرياض

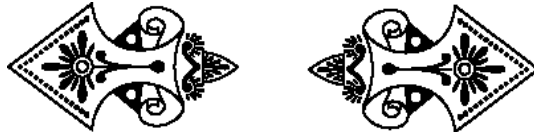
- (٩) نظام الحكومة الإسلامية ، محمد عبد الحي الإدريسي الحسني الكتاني ، (بيروت ، د.ت)
- (١٠) دراسات في الدراسة الشرعية عن فقهاء أهل السنة ، احمد البغدادي مبارك ، مكتبة الفلاح (الكويت ، ١٩٨٧م).
- (١١) نظام الحكم في الإسلام ، محمد فاروق النبهاني ، (الكويت د. ت)
- (١٢) عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مخطوط مصور ، شبلي النعماني، لم تطبع بعد، مكتبة المجمع العلمي العراقي، الورقة ١٠.

**THE ADMINISTRATION ORGANISATION, IN THE ERA
OF, (THE ORTHODOX KALIPHS), OMAR BIN
ALKHATAB (MAY GOD BE PLEASED WITH
HIM) AS AN EXEMPLARY**

**By Dr.ABDU ALJABBAR SATTAR AL BAYATIE
THE IRAQI UNIVERSITY**

THE ABSTRACT

The study aims to high light the methodology of AL FAROOK (may God be pleased with him) in administration organization and his policy in choosing leaders and governors of states, which is counted to be the first brick of state building ,whereas his era witnessed the civilized transfer in to the administration organization. The most important conclusion , is that the administration epidemic in every era is the concealment of superiors in-charged from the people that have needs ,and this way the people lose their welfares and rights ,thus he did not neglect this matter and had put an eye on them, follow up and punish them no matter how high is their ranks.



الدور السياسي والإداري لزوجات خانات المغول
خلال العصر العباسي

(٦٢٦-٦٥٠هـ) / (١٢٢٨-١٢٥٢م)

سيورقو قيتيتي بيكي ، وأوغول غايميش انموذجا

أ.م.د. سعاد هادي حسن الطائي

كلية التربية / ابن رشد - جامعة بغداد

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول الكريم محمد وعلى آله وصحبه الكرام اجمعين .

لقد تضمنت بحثي هذا دراسة موسعة للدور السياسي والإداري لاثنتين من زوجات خانات المغول، فقد كن نموذجا "حيا" لما مارسنه من دور مؤثر في الحياة السياسية والإدارية، فأثرن وتأثرن بأحداث البلاط المغولي، بل كان لبعضهن دور مهم في الإدارة والعمران فضلا عن الأهتمام بالعلم والعلماء والعمل على رعايتهم وتلبية متطلباتهم. ونظرا لكل ذلك فقد حظيت عدد منهن بأهتمام خانات المغول وأمرائهم، فكان محط ثقتهم من خلال استشارتهن في أمور عدة تهم البلاد.

ومما لاشك فيه ان اهتمامات زوجات خانات المغول في الأمور السياسية والإدارية كان نابعا من رغبتهن في تحقيق ذاتهن الى جانب كونهن كن أمهات متميزات وزوجات صالحات، لهذا صار من المهم لنا تدوين أخبارهن في هذه الدراسات .

وقد تناولت في هذا البحث إنموذجين مهمين من زوجات خانات المغول ممن مارسن دورا "واضحا" في البلاط المغولي وهن سيورقو قينيتي بيكي، وأوغول غايميش .

وقد أستعرضت في مستهل هذا البحث نبذة تاريخية عن حياة كل واحدة منهن ذاكراً أصول قبيلتهن، وأزواجهن، وأولادهن، حتى وفاتهن .

ومن الجدير بالذكر انني لم أعثر سوى على القليل من المعلومات المتعلقة بحياة أوغول غايميش، أوعن اهتماماتها الشخصية، اذ ان

المصادر التاريخية أشارت فقط الى دورها في مجال السياسة، بعكس ما وجدناه عن سيور فوقيتيني بيكي من معلومات عدة عن حياتها واهتمام الخانات المغول بها، ومكانتها في البلاط المغولي، وأهم ما انمازت به . ونظرا لكون ان كلا" من هاتين المرأتين كن معاصرات لبعضهن البعض وواكبن الأحداث نفسها، لهذا تناولت الدور السياسي والإداري لكل منهن مع بعض، متناولة" الموقف السلبي والإيجابي لهن حيال مجريات الأحداث وأثر ذلك على حياتهن، مشيرة" من خلال ذلك الى ما كانت تتمتع به كل واحدة منهن من قدرة سياسية وإدارية في اتخاذ القرارات الصائبة أو العكس من ذلك.

أولاً: السيرة الذاتية لـ "سيور قوقيتيتي بيكي":

سيور قوقيتيتي بيكي هي ابنة جاكمبوا أخي أونك خان آخر ملوك قبيلة الكراييت (١) ...

(١) قبيلة الكراييت : كانت مناطق استقرار قبيلة الكراييت (Kerait) الواحات الشرقية في صحراء جوبي في منغوليا، وجنوب بحيرة بايكال (Baikal) حتى سور الصين العظيم ، وهم شعب شبه بدوي ينتمي الى اصول تركية ، وهناك اراء تذكر انهم من القبائل المغولية، غير ان معظم رؤوسائهم كانوا من الاترك، فقد اضفى جنكيزخان الصفة المغولية على قبائل تركية عدة في مقدمتها قبيلة الكراييت ، وهذا يعني ان الرأي الراجح هو ان اصولهم تركية وقد غلب عليهم الطابع المغولي ، عرفت قبائل الكراييت بالبطش والجبروت بين بدو صحراء جوبي في منغوليا، خضعت هذه القبيلة لسلطة جنكيزخان سنة ٦٠٠هـ / ١٢٠٣م. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد، تاريخ جهانگشاي، نقلها عن الفارسية وقارنه بالنسخة الانكليزية د. محمد التونجي ، دار الملاح للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، ج ١، ص ٢٧؛ الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله ، جامع التواريخ ، ترجمة : محمد صادق نشأت ، محمد موسى هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد ، راجعه وقدم له : يحيى الخشاب ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة ، بلات ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ٢١٩ - ص ٢٢١ ؛ ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر ، البداية والنهاية في التاريخ ، تحقيق : علي شيري ، طبعه ونشره ، دار احياء التراث العربي ، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، ج ١٣ ، ص ١٣٨ او ص ٤٠٥ ؛ ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : الأستاذ : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار الفكر، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م ، ج ٥ ، ص ٢٢٦ و ص ٥٢٦ ؛ القلقشندي ، أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطابع كوستانتسوماس وشركاه ، القاهرة ، بلات ، ج ٤ ، ص ٣٠٦ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة =

وآشهرهم^(١)، تزوجت من تولوي خان بن جنكيز خان (ت ٦٢٧هـ/

=القاجارية ٢٠٥هـ/ ٨٢٠م - ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه، د. محمد علاء الدين منصور، راجعه: أ.د. السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩م، ص ٣٤٦؛ بارتولد، فاسيلي فلاديميروفتش، تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة: د.أحمد سعيد سليمان، راجعه: إبراهيم صبري، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، بلا.ت، ص ١٥٥ و١٥٤ و٢٦٣؛ فامبري، ارمينوس، تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر، ترجمة وعلق عليه. د.أحمد محمود الساداتي، راجعه وقدم له: د.يحيى الخشاب، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، القاهرة، بلا.ت، ص ١٦٢- ص ١٦٣؛ الصياد، د. فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، دار النهضة العربية، بيروت، بلا.ت، ص ١٨ و٢١ و٢٧ و٢٨ و٤٧ و٨٤- ص ٨٧؛ العريني، د. السيد الباز، المغول، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص ١١ و٣٤ و٥٠ و٥٢ و٥٥؛ فهمي، د. عبد السلام عبد العزيز، تاريخ الدولة المغولية في إيران، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص ٤ و٣٢ و٣٥ و٣٦؛ عكاشة، د. ثروت، اعصار من الشرق - جنكيزخان -، دار الشروق، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٢، ص ٨٠- ص ٩٢؛ القرز، د. محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية، مطبعة القضاء، النجف، ساعدت جامعة بغداد على طبعه، بغداد، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م، ص ٢١
Howorth, Henry. H, History of the Mongols – from the 9th to the 19th century, London, Longmans, Green, and Co, 1876, part 1, pp. 22, 48, 61;
Franke, Herbert, Twitchett, Denis, The Cambridge History of China, University press, Cambridge, 2008, pp. 155, 339, 341, 346.

^(١)الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٣، ص ١٨٦؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان من اوكتاي خان الى تيمور قآن، نقله الى العربية: د. فؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه وقدم له: د. يحيى الخشاب، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٣م، هامش ص ٣٧، و ص ١٦٠، و م ٢، ج ١، ص ٢١٩؛ الشيرازي، اديب شرف الدين عبد الله =

١٢٢٩م^(١)، وقد عقد هذا الزواج نظراً للصدقة التي كانت تجمع بين جنكيز خان وأونك خان، وللروابط الروحية والأبوية التي كانت تجمعهما كمنزلة الوالد وابنه، لهذا فقد طلب جنكيز خان منه أن يزوج ابنتي أخي أونك خان جاكمو من ولديه، فتزوجت بيكسوتمش من جوجي خان^(٢) (ت ٦٢٤هـ / ١٢٢٦ م)، وسيور قوقيتيتي بيكي من

بن فضل الله، تاريخ وصاف الحضرة، تحرير؛ عبد المحمد أيدي، انتشارات بنياد فرسك ايران، ١٣٤٦ هـ، م٤، ص٣٢٩؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية، ترجمة د. عبد الوهاب علوب، اصدارات المجمع الثقافي، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠ م، ص ١٧٥.

^(١) الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، هامش ص ٣٧، ص ٩٧؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، م٤، ص ٣٢٩.

^(٢) جوجي خان: هو الابن الأكبر لجنكيز خان، والدته بورته توجين ابنة دي نويان من قبيلة فنقرات، كان عادلاً كثير المرحمة غير متكلف في ملبسه ومسكنه، وعندما كبر كان مصاحباً وملازماً لآبيه ومعانواً له في السراء والضراء غير انه كان دائم النزاع والخلاف مع اخويه جغتاي خان واوكتاي خان، بينما كان على وفاق دائم مع اخيه تولوي خان واسرته، فوض اليه جنكيز خان الاشراف على امور الصيد وتنظيم القصور وحكم معظم الولايات والمناطق الواقعة ما بين حدود ارتش وجبال التاي وجميع المصايف والمشاتي في تلك المناطق، فضلا عن دشت القفجاق، واستولى جوجي خان على مدينة اترار واستولى على قلعتها ثم قام بتخريبها، فضلا عن سيطرته على مدن اخرى، غير ان العلاقات مع والده جنكيز خان سرعان ما توترت لاسيما بعد امتناعه عن تنفيذ اوامره في السيطرة على بلاد الباشغرد والجرس، والبلغار وغيرها متعللاً بسوء حالته الصحية، وسرعان ما اكتشف جنكيز خان عدم صحة ذلك فقرر النيل منه، غير ان وفاته سنة ٦٢٤هـ / ١٢٢٦ م قد حالت دون قيامه بذلك. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، م١، ج١، ص٧٢ - ص٧٣ و ص ٩٠ و ص ٩١ و ص ٩٦ و ص ٩٧ و ص ١٣٢ و ص ١٤٤ و ص ١٤٩ و ص ١٧٥ و ص ٢٤٤؛

تولوي خان .^(١) وتزوج جنكيز خان ابنة جاكمبو التي كانت تدعى أبغة بيكي .^(٢)

لقد كانت سيورقويتيتي بيكي أكبر زوجات تولوي خان^(٣)، وكانت أحبهن إليه وأعظمهن وأقربهن^(٤). وتعد أكبر خواتين المغول .^(٥)، وهي أم أولاده الأربعة منكو خان (٦٤٩ - ٦٥٨ هـ) / (١٢٥١ - ١٢٥٩ م) ، وقوبيلاي خان (٦٥٨ - ٦٩٣ هـ) / (١٢٥٩ - ١٢٩٣ م) ، وهولاكو خان (٦٥٤ - ٦٦٣ هـ) / (١٢٥٦ -

=الهمذاني، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٩٦ - ص ٩٧ و ص ١١٩ - ص ١٢١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٥٩٥ و ص ٦٠٢ و ص ٦٠٣ ؛ الرمزي ، م. م ، تلفيق الاخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار ، المطبعة الكريمة والحسينية ، اورنبوغ ، ط ١ ، ١٩٠٨ م ، ج ١ ، ص ٣٥٨ و ص ٣٦٢ و ص ٣٦٣ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ٦١ و ص ٦٦ و ص ٧٢ و ص ٨١ - ص ٨٢ و ص ١٠٣ - ص ١٠٤ ؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ١٦٣ - ص ١٦٤ ؛ رنسيان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية - مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة - ، نقله الى العربية : د. السيد الباز العريني ، القاهرة ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ج ٣ ، ص ٤٢٩ .

^(١)الهمذاني ، جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

^(٢)الهمذاني ، جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

^(٣)الهمذاني، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٢٢ و ص ١٦٢ و ص ١٩٥ .

^(٤)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، هامش ص ٣٧ ، ص ١٦٠ .

^(٥) اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٥ ؛ العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق بين الاحتلالين - حكومة المغول - ٦٥٦ - ٧٣٨ هـ / ١٢٥٨ - ١٣٣٨ م ، مطبعة بغداد ، بغداد ، ط ١ ، ١٣٥٣ هـ / ١٩٣٥ ، ج ١ ، ص ١٤٢ .

١٢٦٤م)، وأريق بوقا، أو- أريغ بوغا - (ت ٦٦٤هـ/١٢٦٥م).^(١) وقد أشار الهمذاني الى ان تولوي خان قد أعقب منها خمسة أولاد وبناتاً واحدة. ^(٢) ولم يشر الى اسم الأبن الخامس أو اسم الفتاة . وقد ورد اسم الأبن الخامس لهما في أحد المصادر التاريخية وكان يدعى موكا^(٣)

كانت سيورقويتيتي بيكي تدين بالديانة المسيحية النسطورية.^(٤) قال عنها ابن العبري : (كانت لبيبة مؤمنة تدين بدين النصرانية تعظم محل المطارنة والرهبان وتقتبس صلواتهم وبركاتهم).^(٥) لهذا كانت في مقدمة سيدات العالم ، لما امتازت به من العفة، والستر، والعصمة، والثبات وعلى أحسن وجه ^(٦) . لهذا حظيت بمكانة كبيرة لدى أوكتاي خان (٦٢٦ - ٦٣٩ هـ) / (١٢٢٦ - ١٢٤١ م) لاسيما بعد وفاة زوجها تولوي خان سنة ٦٢٧هـ / ١٢٢٧م، فقد بقي أبنائه ملازمين له مع

(١) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، هامش ص ٣٧ ، ص ١٦٠ ؛ الشيرازي ، تاريخ و صاف ، م ٤ ، ص ٣٢٩ .

(٢) جامع التواريخ ، م ٢ ، ج ١ ، ص ٢١٩ .

(٣) الشيرازي ، تاريخ و صاف ، م ٤ ، ص ٣٢٩ .

(٤) ابن العبري ، غريغوريوس الملطي ، تاريخ مختصر الدول ، وقف على طبعه و وضع حواشيه الاب انطوان صالحاتي اليسوعي ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٥٨ م ، ص ٢٤٨ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٦ ؛ العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ١٩٤ ؛ العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق ، ج ١ ، ص ١٣٧ .

(٥) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٨ .

(٦) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٠

والدتهم ، فكان كثيرا" ما يعزهم ويكرمهم ، وكثيرا" ما كان يستجيب لكل ما يطلبوه منه (١).

وقد أشار الهمذاني الى ان سيور فوقيتيتي بيكي قد طلبت يوما" من أوكتاي خان أستدعاء أحد التجار لغرض شراء سلعة ما منه، غير انه تلكأ في تنفيذ طلبها وأظهر عدم الأهتمام بهذا الموضوع ، فحزنت كثيرا" وبكت بسبب ذلك (٢)، وعلقت على موقفه هذا قائلة: (ذلك الشخص - أي زوجها تولوي خان- الذي كان مرادي وأمني تي تُرى لمن ضحى بنفسه ، ومن أجل من أزهق روحه؟!....) (٣). فوصل تعليقها هذا الى مسامع أوكتاي خان وقال: (ان الحق في جانب سيور فوقيتيتي بيكي) (٤).

فتوجه اليها معتذرا" عن تقصيره حيالها ، ولبى طلبها (٥). ومن المؤكد لدينا ان أوكتاي خان لم يكن يقصد اهمال طلبها والتقصير بواجباته حيالها ، وانما قد يكون السبب هو انشغاله بأمر البلاد وادارتها ، لهذا أسرع بالأعتذار منها مؤكدا" حسن نيته حيالها ، ومعبرا" لها عن مكانتها الكبيرة لديه تقديرا" وحباً" واحتراما" لزوجها الراحل.

ونظرا" لعظمة المسؤولية التي تحملتها هذه المرأة ، وللتضحيات العظيمة التي قدمتها لزوجها وأبنائها ، فلم تفكر في الزواج من أي رجل آخر بعد وفاته (٦). فقد أشار عليها أوكتاي خان بالزواج من ابنه كيوك

(١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٠

(٢) جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٠ .

(٣) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص

١٧٠ .

(٤) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٠

(٥) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٠

(٦) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧١ .

خان (٦٤٤ - ٦٤٧هـ) / (١٢٤٦-١٢٤٩ م) ، وبعث إليها برسالة لهذا الغرض^(١). فكان جوابها لرسول أوكتاي خان : (كيف يمكن مخالفة ما يقضي به مرسوم القآن بيد انني أفكر في أن أتفرغ لتربية أولادي حتى أوصلهم الى حد الرجولة والأستقلال وأسعى في تهذيبهم ، حتى لا يفارق بعضهم بعضاً" ، ولا ينفرد أحدهم من الآخر. فلربما يترتب على اتفاقهم عمل كبير)^(٢).

ومما لا شك فيه ان ما كانت تتمتع به هذه المرأة من عقل راجح، جعلت مرتبة أبنائها تفوق مرتبة أبناء عمهم ،حتى مكنتهم من تولي الحكم والسلطة .^(٣). وبالفعل حققت هذه المرأة أمنيتها ، فبفضل سياستها وصبرها وتضحيتها تربي أبنائها أحسن تربية ، وتقلد جميعهم مناصب الحكم والسلطة في الأمبراطورية المغولية .^(٤)

ونظراً لما بذلته من جهد كبير لتربيتهم لاسيما الصغار منهم ، فلقنتهم ألوان الفضائل والآداب^(٥) ، لهذا أشار ابن العبري إليها قائلاً : (فأحسنت تربية الأولاد وضبط الأصحاب).^(٦). فلم تسمح لأي أحد منهم بأثارة النزاع على الأطلاق ، فألفت بين قلوب زوجاتهم مع بعضهن بعضاً" ، وقامت برعايتهن ورعاية أبنائها وأحفادها، فضلاً عن تكريمها واهتمامها لجميع الأمراء الكبار والجنود ممن آوا اليهم من

(١) الهمذاني ، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٧١.

(٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٧١.

(٣) الهمذاني ، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧١

و ١٧٢ .

(٤) الصياد ، د . فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ٢٠٧ .

(٥) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٠.

(٦) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤٨ .

جهة جنكيز خان وتولوي خان ، فحافظت عليهم بحسن تدبيرها وسداد رأيها^(١).

ثانيا : السيرة الذاتية لـ "أوغول غايميش ، أو-أوقول قيميش :-"

يعود نسب أوغول غايميش الى قبيلة المركييت^(٢)

^(١)الهمذاني ،جامع التواريخ ،الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ،ص ١٧٠ .
^(٢)قبيلة المركييت :هي احدى القبائل المغولية ، كا نوا يستقرون في منغوليا قرب ضفاف نهر سيلينغا جنوب بحيرة بايكال ،وكانوا يجاورون قبيلة الاويرات المغولية من الجنوب ،كانوا شعبا "قويا" وذووا نفوذ كبير ،عرف عنهم بميلهم للشغب والحروب ، كانوا يمارسون مهنة الصيد في الغابات ، اشتهر زعمائهم بلقب باكي أو "بكي " ، استقبلت هذه القبيلة حركة التبشير المسيحي النسطوري بعد ان كانت تعتنق الديانة الشامانية ، كانت لغتهم الخاصة المغولية فضلا عن اللغة الأويغورية ، دخلت في طاعة جنكيزخان مع بقية القبائل المغولية الاخرى بعد ان تصدوا له في حدود سنة ٦٠٠هـ/١٢٠٣م. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، ١م ، ج ١ ، ص ٨٧ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٩٦ و ص ١٠٣ و ص ٢٣٩ و ص ٣٩ ، والجزء الخاص بتاريخ غازان خان ، دراسة وترجمة : د: فؤاد عبد المعطي ، الصياد ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة ، دار النصر للطباعة الاسلامية ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م ، هامش ص ١٧٨ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣٠٧ ؛ بارتولد ، تاريخ الترك ، ص ٥٤ ، و ص ١٥٤ - ص ١٥٥ ؛ الرمزي ، م . م ، تليفق الاخبار ، ج ١ ، هامش ص ٣٤٦ ؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ٢٩ ؛ العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ٣٥ ، و ص ٣٨ ؛ فهمي ، د. عبد السلام عبد العزيز ، تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٤ و ص ١٥ ؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية والامبراطورية العربية وانحلالها ، ترجمة : نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٦١م ، ج ٢ ، ص ٢٦١ - ص ٢٧٣ ؛ القرزاق ، د. محمد صالح داود ، الحياة السياسية في العراق ، هامش ص ٢٤ ؛ الخالدي ، اسماعيل عبد الله ، العالم الاسلامي و الغزو المغولي ، باشراف : د. احمد محمد العسال و د. عبد=

المغولية^(١) ، وهي زوجة كيوك خان ، وأم أولاده ناغو (ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢م)، وخواجه أوغول (ت ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م)^(٢) ، وقد ورد في أحد المصادر التاريخية اسم ابن آخر لها وهو هرقو.^(٣) وهي أكبر زوجاته جميعاً^(٤). كانت أوغول غايميش تدين بالديانة المسيحية.^(٥) ولم تشر المصادر التاريخية إلى أي دور سياسي وإداري لها قبل وفاة زوجها كيوك خان سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م ، وقد يعود السبب في ذلك ربما إلى رفض كيوك خان لتدخلها في الحياة السياسية والإدارية ، وربما بسبب عدم رغبتها في ممارسة أي دور سياسي وإداري في الدولة ولأنشغالها بتربية أبنائها وبحياتها الاجتماعية .

=الستار فتح الله سعيد ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، ص ٢٧ ؛

Howorth, Henry. H, History of the Mongols, part 1, pp.22,23 ,55,56 ,60;

Soucek, Svat, A History of Inner Asia, p.104;

Franke, Herbert, Twitchett, Denis, The Cambridge History of China , pp.339,342.

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، هامش ص ٢٤٠ .

(٢) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، هامش ص ٢٤٠ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٨ و ص ١٧٥ ؛ الشيرازي ، تاريخ و صاف ، م ٤ ، ص ٣٢٩ .

(٣) الشيرازي ، تاريخ و صاف ، م ٤ ، ص ٣٢٩ .

(٤) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٥

(٥) بارتولد ، تاريخ الترك ، ص ١٥٤ و ص ١٥٥ ؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الإسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٦١ ، و ص ٢٣٦ ؛ الصياد ، فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ٢٩ ؛ العربي ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ٣٥ .

وقد أشار بارتولد الى ذلك قائلاً: "(بأنها لم تكن تعرف شيئاً" في شؤون الحكم والسلطة أو مصالح الدولة). (١)

ثالثاً: الدور السياسي والإداري لـ "سيورقويتيتي بيكي وأوغول غايميش":

نظراً لتداخل الأحداث السياسية في الأمبراطورية المغولية وتشابكها ، فقد وجدنا انه من الأفضل دراسة الدور السياسي والإداري لسيورقويتيتي بيكي ، وأوغول غايميش معاً لكونهن كن معاصرات للمرحلة التاريخية والأحداث السياسية نفسها .

فبعد وفاة تولوي خان ولشدة تألم أوكتاي خان لفراقه ، ولأنشغال باله على أبنائه ، أمر أن تفوض مصالح البلاد التي كانت خاضعة لسلطة أخيه تولوي خان فضلاً عن تدبير شؤون الجيش الى أرملته سيورقويتيتي بيكي ، وأن يكون الجنود ومعظم الأمراء المغول طوع أمراً ، لكونها كانت زوجته الكبرى . (٢)

كانت سيورقويتيتي بيكي في غاية العقل والكفاءة والحكمة (٣) ، وكانت ذا رأي حسن ، ودهاء واضح ، وذكاء ، ونباهة (٤) . لهذا نالت استحسان أوكتاي خان ، فقد عملت على وضع أنظمة لم يكن في مقدور أي أمير أو حاكم وضعها أو العمل على تنفيذها وتطبيقها بشكل منسق (٥) وذلك لغرض الإشراف على أبنائها وعلى أحوالهم وتنظيم شؤونهم ، فضلاً عن تنظيم شؤون الجيش والرعية (٦) .

(١) تركستان ، ص ٦٩٦ .

(٢) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٦ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٧ .

(٣) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٠ .

(٤) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨٨ .

(٥) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٧ .

(٦) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٧ .

لهذا كان أوكتاي خان كثيراً" ما يستشيرها في الأمور العامة الصغيرة منها والكبيرة التي تخص مصالح الدولة ، ولم يكن يحيد عما تراه صالحاً^(١)، فكان إذا أقدم على اتخاذ أي قرار سياسي أو عسكري مثل توجيه جيشه لجهة ما يبدأ باستشارتها أولاً وقبل أي شخص حتى لا تتحرف الأمور عن مسارها الصحيح ^(٢) .

ولم يكن يسمح لأي أحد مهما أرتفعت منزلته ومكانته على إجراء أي تغيير أو تعديل في قراراتها وأوامرها ^(٣). ونظراً لسياستها الحكيمة ولكياستها فقد كان معظم أتباعها يتمتعون أكثر من غيرهم بالحماية والأهتمام والأحترام ، فلم يصدر عنهم أية فتنة أو نزاع يخالف القوانين والأنظمة القديمة منها والحديثة . ^(٤)، وكانت تشعر بالفخر هي وأبنائها عند حضور أي حفل لتتويج حاكم للمغول نظراً لحسن تصرفها وكياستها وتبصرها بعواقب الأمور بعكس الأمراء المغول الآخرين . ^(٥) وخير دليل على حكمتها وسياستها الحكيمة وقدرتها الواضحة في احتواء النزاعات قبل نشوبها هي القرارات التي اتخذتها بحق مثل هذه الأمور .

فبعد وفاة تولوي خان أمر أوكتاي خان بمنح ابنه كوتان ألفين من جنود سلووس ممن كانوا من جملة الجنود التابعين لتولوي خان وأبنائه،

^(١)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٧ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٦ .

^(٢)الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٦ .

^(٣)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٧ .

^(٤)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٧ .

^(٥)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٧ .

دون أن يستشير أحدا" من أمراء الأسرة المغولية الحاكمة ، وعندما وصلت أخبار ذلك الى معظم الأمراء المغول أظهروا انزعاجهم وعدم رضاهم .^(١) ، وعلقوا على ذلك أمام سيورقويتيتي بيكي وابنها منكو خان وبحضور عدد من أمراء الأسرة الحاكمة قائلين : (ان هذين الآلفين من جنود سلووس يتولون إلنا بموجب مرسوم جنكيز خان ، ولكن القآن سلمهم لكوتن - أي كوتان - فكيف نترك هذا الأمر ، ونغير فرمان جنكيز خان؟! سوف نعرض هذا الموضوع على حضرة القآن)^(٢).

غير ان سيورقويتيتي بيكي أرادت اقناعهم بالصواب والأبتعاد قدر المستطاع عن أي نزاع قائلة" لهم : (ان ما تقولونه صواب . ولكننا لا ننفصنا شئ من الأموال الموروثة والمكتسبة ، ولا ينبغي أن نتمسك بهؤلاء الجنود بحال من الأحوال . ان جنودنا بل وأرواحنا كذلك ملك للقآن فيكون الحكم حكمه لكل ما يأمر به ، ونحن له مطيعون ومنقادون) .^(٣) ، وقد انبهر الأمراء المغول بكلام سيورقويتيتي بيكي ، فالتزموا الصمت معبرين عن مدى اعجابهم بكلامها^(٤)، فضلا" عن انها لم تكن ترغب في اثاره أي نزاع أو أي أزمة ومشكلة مع الأمير كوتان

^(١)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧١ .

^(٢)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ن ص ١٧١ .

^(٣)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧١ .

^(٤)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧١ - ١٧٢ .

بن أوكتاي خان ، والأمرء المغول ، فكانت كثيراً ما تودهم وتحرص على التقرب منهم .^(١)

وكان لسيورقويتيتي بيكي دور مهم وبارز في مجال الإدارة فعندما أقام المغول في عهد أوكتاي خان دوراً للبريد في جميع أنحاء البلاد الخاضعة لسيطرتهم، التي أطلقوا عليها اسم "تياها ماه"، ولغرض الأشرف على تنظيم هذه الدور عينوا عدداً من الرسل بأمر عدد من الأمرء المغول ، فأصدرت سيورقويتيتي بيكي أمراً بتعيين أحد الرسل لهذا الغرض وكان يدعى "الجيقة" ، فسار هذا بأمرها لاداء واجباته التي كُلف بها^(٢)،

وقد ذكر في عدد من المصادر التاريخية انها أمرت الأمير بيكة ليكون مندوباً عنها لمساعدة والي خراسان^(٣)

^(١)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٢ .

^(٢)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٥٤ .
^(٣)خراسان : اسم الاقليم وهي بلاد واسعة ، اول حدودها مما يلي العراق ، واخر حدودها الهند و طخارستان و غزنة وسجستان وكرمان ، تضم مدن وكور عدة منها نيسابور ، هراة ، مرو ، بلخ ، الطالقان ، نسا ، ابيورد ، سرخس ، وما يتخلل ذلك من المدن ، وفي خراسان اجود انواع الدواب والرقيق والاطعمة و الملابس وسائر ما يحتاج اليه الناس ، فانفس الدواب من بلخ ، واجود انواع ثياب القطن والابرسم في نيسابور ومرو ، واجود انواع البز في مرو ، وانجب اهل خراسان واكثرهم علما هم من بلخ ومرو في الفقه والدين والنظر والكلام .لمزيد من التفاصيل ينظر: الاضطخري ، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد ، مسالك الممالك ، بريل ، ليدن ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص ٢٥٣ - ص ٢٨٦ ؛ ابن حوقل ، ابو القاسم النصيبي ، صورة الارض ، بريل ، ليدن ، دار صادر ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٣٨ ، ج٢ ، ص ٤٢٦ - ص ٤٥٨ ؛ الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، بلا . ت ، ج٢ ، ص ٣٥٠ - ص ٣٥٤ .

الأمير جنتيمور^(١) في ادارة البلاد. (٢).

لقد تمكنت سيور قوقيتيتي بيكي من تنظيم أمور البلاد وضبط أحوال الدول بكفاءة وهمة كبيرة ،فقد برهنت للجميع عما كانت تتصف به من حسن رأي ودراية بالأمر ،لهذا لم تسمح لأي أحد بخداعها. (٣)، لهذا وصفت بأنه لم يكن لها نظير في ادارة شؤون البلاد والحكم، ولشهرتها بالجود والكرم. (٤)

وحرصت سيور قوقيتيتي بيكي على الأشرف على المباني بنفسها (٥). وأبدت اهتماما كبيرا " بالرعية شرقا" وغربا" ، فمناحتهم رعايتها ووفرت لهم معظم مستلزمات الحياة المترفة (٦).

(١) جنتيمور : اصله من قبيلة الخطا ، عُين بأمر من جوجي خان بن جنكيزخان على شحنة خوارزم ، ثم أصبح معاوننا" للأمير المغولي جورماغون ، ثم ترقى في مراتبه حتى أصبح حاجبا" ، وأخضع مدنا" عدة منها يازر ، ونسا ، وكوكروخ وغيرها ، بعضها بالسلم والبعض الاخر بالحرب ، ثم تولى اماره خراسان و مازندران ، وكان اول امير يعين عليهما ، وبقي اميرا" خلال السنوات (٦٣٠ - ٦٣٣ هـ) / (١١٢٣٢ - ١٢٣٥ م) حتى توفي سنة ٦٣٣ هـ / ١١٢٣٥ م . لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ص ١١٦ وهامشها ، وص ١١٧ - ص ١٢١ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٤٩ - ص ٥٢ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٨٦ .

(٢) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ١ ، ص ١١٦ ، وهامشها ذكر اسم الامير بيكة أي العظيم ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٤٩ .

(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨١ .

(٤) اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٥ - ص ١٧٦ .

(٥) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٦ .

(٦) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٧ .

وأهتمت أيضا" بتنظيم شؤون القصر والبلاط المغولي وفي كيفية دخول وخروج الزوار منه سواء كانوا من الحاشية أم من الأقارب أو حتى من الغرباء وبشكل يعجز عن تنظيمه خانات المغول^(١).

وأهتمت بمراقبة العمال والولاء وكبار العساكر والقادة وبمدى التزامهم بأوامرها ، لهذا هابوها ولم يستطع أحد منهم مخالفتها منفذين كافة أوامرها ، ومن خلال ممارسة الصلاحيات الممنوحة لهم وعلى أحسن وجه وبما يحقق العدل والأنصاف للرعية خوفا" وخشية" من شدة سياستها وحزمها^(٢).

وقد أهتمت سيورقوقيتيتي بيكي ومنذ وفاة زوجها تولوي خان بمراعاة الأقارب والعشائر واستمالة العساكر والأجانب من خلال السؤال عنهم وتقديم الهدايا والتحف اليهم ، لهذا حرص هؤلاء جميعا" على طاعتها وأعلنوا الولاء لها^(٣). وكانت الوفود والرسل التي تتوافد لزيارتها تقدم وافر الاحترام والتقدير لها^(٤).

أما عن سياستها حيال المسلمين فقد أشارت المصادر التاريخية الى انه وعلى الرغم من اعتناقها المسيحية فلم تبد أي تعصب لأي دين^(٥) ، بل كانت حريصة" باستمرار على الأهتمام بالمسلمين، والسعي لنشر الإسلام ومبادئه وتطبيقها بين عامة المسلمين وفي معظم البلاد التي

(١) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٨ .

(٢) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٧ .

(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨٨ ؛ الهذاني ، جامع التواريخ ،

الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٧ .

(٤) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .

(٥) اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٦ .

كانت تحت سيطرة المغول^(١). وكانت تغدق الهدايا والعطايا على الأئمة المسلمين ومشايخهم^(٢)، فقد منحت ألف كيس من الفضة "بالش"^(٣) لاقامة مدرسة في بخارى، وأمرت أن يتولى ادارتها والأشراف عليها شيخ الإسلام سيف الدين البخارزي^(٤)،

^(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٢، ص ١٨٨؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٩٨؛ ميرخواند، مير محمد بن سيد برهان الدين خاوندشاه، تاريخ روضة الصفا، شيوه شرو نكارش كم نظير دراد بيات فارسي درسده نهم هجري، كتابفروشيهاي، تهران، ١٣٣٩ هـ —، ج ٥، ص ١٧٦؛ الرمزي، م، م، تلفيق الاخبار، ج ٢، ص ٢٤؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، هامش ص ٤١٦؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ١٧٦.

^(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٢، ص ١٨٨؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٩٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ١٧٦؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، هامش ص ٤١٦؛ الرمزي، م، م، تلفيق الاخبار، م ٢، ص ٢٤.

^(٣) بالش: جمعها بالشات: قيمتها خمسمائة مثقال ذهب او فضة، وقيمة بالش من الفضة بحدود خمسة و سبعون دينارا". ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٦٠ - ص ٦١؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ غازان خان، هامش ص ٢١٩؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، م ٤، ص ٣٧٧.

^(٤) سيف الدين ابو المعالي سعيد بن المطهر بن سعيد بن علي القاندي البخارزي: وهو نزيل بخارى، كان اماما "محدثا"، فصيحاً، ورعاً، تقياً، ثرياً، له وقع في القلوب ومهابة النفوس، هو المحدث الحافظ الزاهد الواعظ، صحب عدد من العلماء والفقهاء منهم بهاء الدين السلامي وتاج الدين محمود الاشنهي وغيرهم، قرأ في خراسان على المؤيد الطوسي، وفضل الله بن محمد بن احمد النوقاني، وقرأ على الخطيب جلال الدين بن الشيخ شيخ الاسلام بن برهان الدين المرغياني. لمزيد من التفاصيل ينظر: الذهبي، شمس الدين ابي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان، سير اعلام النبلاء، تحقيق: د. بشار عواد معروف و د. محي هلال =

وقد سميت المدرسة الخانية^(١)، وأمرت بشراء الضياع والقرى وجعلها وقف لهذه المدرسة^(٢)، وقد أختير المدرسون وطلاب العلم للدراسة في هذه المدرسة وكان معظمهم من المسلمين^(٣).

وقد وصف الرمزي، م، م هذه المدرسة بقوله: (مدرسة عالية مشتملة على ثلاث طبقات)^(٤)، وأشار الرمزي م، م أيضا الى ان هذه المدرسة سميت فيما بعد فتح آباد تقع بالقرب من مرقد الشيخ سيف الدين البخارزي^(٥). وقد بلغ عدد طلاب العلم فيها ألف طالب مسلم^(٦)، وقد تُرست فيها مختلف العلوم الإسلامية^(٧).

=السرхан، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م، ج ٢٣، ص ٣٦٣ و ص ٣٦٨.

^(١)الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٣، ص ١٨٨؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٩٨؛ ميرخواند، تاريخ روضة الصفا، ج ٥، ص ١٧٦؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، هامش ص ٤١٦؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ١٧٦؛ بارتولد، تركستان، ص ٦٧؛ الرمزي، م، م، تليفق الاخبار، ج ٢، ص ٢٤.

^(٢)الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٣، ص ١٨٨؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٩٨؛ اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ١٧٦؛ الرمزي، م، م، تليفق الاخبار، ج ٢، ص ٢٤.

^(٣)الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٣، ص ١٨٨؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٩٨.

^(٤)تليفق الاخبار، ج ٢، ص ٢٤.

^(٥)تليفق الاخبار، ج ٢، ص ٢٤.

^(٦)بارتولد، تركستان، ص ٦٧٠.

^(٧)اقبال، عباس، تاريخ ايران، هامش ص ٤١٦.

وكانت سيورقوتيتي بيكي حريصة" أيضا" على ارسال الصدقات للفقراء والمساكين من المسلمين في جميع أنحاء البلاد^(١). ونظرا" لكل ذلك فقدبادلها معظم الرعية والأمراء والقادة المغول وأبنائهم وفي معظم البلاد البعيدة منها والقريبة كل الاحترام والتقدير، مقدمين لها فروض الولاء والطاعة^(٢)، لهذا وثق بها سكان البلاد، ولم يخالف أي أحد منهم أوامرها^(٣).

وحظيت سيورقوتيتي بيكي أيضا" برعاية زوجة أوكتاي خان تواركينا خاتون^(٤) (٦٣٩-٦٤٤ هـ) / (١٢٤١-١٢٤٦ م)

(١) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٨ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٨ .

(٢) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٦ - ص ١٨٧ .

(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٨ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ٧٦ .

(٤) تواركينا خاتون : هي زوجة اوكتاي خان الكبرى ، تميزت بالحصانة والحكمة والدهاء ، والكفاءة ، تولت امور الامبراطورية المغولية بعد وفاة زوجها خلال المدة (٦٣٩ - ٦٤٤ هـ) / (١٢٤١ - ١٢٤٦ م) حتى يحين موعد الاجتماع الرسمي العام لاختيار خان جديد ، فتولت ادارة البلاد و بمساعدة اكفاء العصر ، حتى لا تختل القوانين، واثبتت براعة في متابعة حكم الخان ، فضبطت امور البلاد بلطف وحيلة ، وجذبت اليها قلوب الاقوياء بانواع الاصطناع والهدايا والتحف ، فانقاد الناس الى اوامرها طوعا" ورغبة ، و انضوا تحت قوانينها ، وقد سعت جاهدة لتولى ابنها كيوك خان الحكم فتم لها ما ارادت ، توفيت سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م ، لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢٢٢ - ص ٢٢٥ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٦ - ص ١٧٩ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٣ و ص ١٧٤ ؛ الرمزي م ، م تليفق الاخبار ، ج ١ ، ص ٣٨٠ و ص ٣٩١ ؛ الصياد، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ١٩٥ و ص ١٩٦ =

التي تولت ادارة أمور البلاد بعد وفاته سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م ، فلم تفرض عليها أو على أولادها أية ضرائب ولم تخضعهم لأي قانون معين. (١)

وأحتلت سيور قوقيتيتي بيكي مكانة مميزة لدى كيوك خان ، فقد كانت هي وأولادها من المؤيدين لتوليته حكم المغول بعد وفاة والده أوكتاي خان سنة ٦٣٩هـ / ١٢٤١م (٢). لاسيما بعد اختلاف الأمراء المغول فيما بينهم في اختيار الشخص المناسب ليتولى العرش بعد وفاة أوكتاي خان ، لاسيما وان أوكتاي خان كان قد عين قبل وفاته حفيده شيرامون أو - سيرامون - ولياً للعهد ، الا ان تواركتينا خاتون زوجته و عددًا من الأمراء المغول لم يرضوا بذلك (٣).

وقد أشار الجويني الى ان البيت المغولي كان قد رشح كوتان بن أوكتاي خان أيضا ليتولى العرش وكان هذا مريضا ، أما شيرامون فقد كان صغيرا ، وكانت تواركتينا خاتون تؤيد اعتراض ابنها كيوك خان على هذين المرشحين ، وأيدتها في ذلك سيور قوقيتيتي بيكي وأولادها ، فضلا عن عدد من الأمراء المغول . (٤) معللين ذلك بأحقية كيوك خان بالعرش لأنه أكبر سناً من شيرامون ، فضلا عن مرض كوتان ، لهذا

= و ص ١٩٨ ؛ العريني ، د . السيد الباز ، المغول ، ص ١٨٨ - ص ١٨٩ ؛ رنسيان ، ستيفن ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ٣ ، ص ٤٣٥ ؛ حومد ، د . اسعد محمد ، تاريخ الجهاد لطرده الغزاة الصليبيين ، ٢٠٠٢ م ، ج ٢ ، ص ٧٩ و ص ٣٣٣ . (١) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٢٢٤ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٥ .

(٢) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٣١ ، ص ٢٣٢ .

(٣) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٢٢ و ص ١٨٠ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٣ .

(٤) تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٣١ و ص ٢٣٢ .

طالبوا بحضور الأمير باتو خان ^(١) لكونه الأكبر سناً" بين الأمراء المغول وأوسعهم سلطة" وليصدر القرار النهائي نيابة" عنهم لاجلاس كيوك خان على العرش ^(٢).

وقد ذكر المؤرخ عباس اقبال ان الأمير باتو خان وسيورقو قينيتي بيكي أرملة تولوي خان قد رفضا تعيين شيرامون على العرش أيضاً،

^(١) الامير باتوخان المغولي : هو ابن جوجي خان بن جنكيز خان ، يُعد المؤسس الحقيقي لدولة القبيلة الذهبية بعد وفاة والده ، استمرت مدة حكمه للمدة الممتدة ما بين السنوات (٦٢٤ - ٦٥٤ هـ) / (١٢٢٧ - ١٢٥٦ م) ، ضمت سلطته معظم بلاد القفجاق الغربي ، ومعظم البلاد التي ورثها عن والده الواقعة غرب نهر ارتش ، فضلا عن المناطق التي اصبحت تحت سيطرته مثل المناطق المجاورة لخوارزم والاراضي المحيطة بالشاطئ الايسر لنهر الفولغا ، قام ببناء مدينة السراي ، توفي سنة ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م . لمزيد من التفاصيل ينظر : الجويني ، تاريخ جهانكشاي، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٤٤ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦١؛ مستوفي قزويني ، حمد الله بن ابي بكر بن احمد بن نصر ، تاريخ كزيده ، باهتمام وتصميم الحواشي و الفهارس دكتور : حسين نواتي ، مؤسسه طبع و منشورات امير كبير ، تهران ، ١٣٣٩م ، ص ٥٧٣؛ الشيرازي ، تاريخ وصاف ، م ٤ ، ص ٣٣١ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٦٣؛ ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، ج ٥ ، ص ١٣٤؛ بارتولد ، تاريخ الترك ، ص ١٧١ و ص ١٧٢ و ص ١٧٤ ؛ بوزورث ، كليفوردي . أ . ، الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي ، دراسة في تاريخ الانساب ، ترجمة : حسين علي اللبودي ، مراجعة : د. سليمان ابراهيم العسكري ، مؤسسة الشراع العربي ، الكويت ، بالاشتراك مع مؤسسة عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية ، مصر ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م ، ص ٢٠٠ و ص ٢٠١ و ص ٢١٤ ؛ الرمزي ، م ، م ، تلفيق الاخبار ، ج ١ ، هامش ص ٣٥٨ و ص ٣٥٩ - ص ٣٦٤ - ص ٣٦٥ ص ٣٨٩ و ص ٣٩٢ و ص ٣٩٤ و هامش ص ٣٥٩ ، و ص ٤٠١ و ص ٤٠٢ .

^(٢) الهمداني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٢٥

وكانا يدبران معاً أمراً آخر^(١). إذ كان الأمير باتو خان يرغب بتتحيّة اسرة أوكتاي خان عن تولي العرش^(٢). لاسيما وأنه كان غير راض عن تولي كيوك خان العرش^(٣). ومهما كان الأمر فإن الأختلاف بين الأمراء المغول حول اختيار الحاكم الجديد قد انتهى بتولي كيوك خان العرش، وأقيم حفل كبير لتتويجه فكانت سيورقويتيتي بيكي وأبنائها في مقدمة الحضور، وقد انبهر الجميع بقدمهم، فقد حضروا وهم مزدانين بأنواع الزينة، وفي أبهة تامة^(٤).

وقد أشار الجويني الى ذلك بقوله : (وقد وصلت بادئ ذي بدء سيورقويتيتي بيكي وأولادها بأبهة وعدة بما لاعين رأت ولا أذن سمعت) ^(٥). ونظراً لما كانت تتمتع به من حكمة بالغة فقد التزمت وأبنائها بأحكام قانون المغول الياسا أو - اليساق -^(٦)، والسير بمقتضاه

(١) اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ١٧٥.

(٢) اقبال، عباس، تاريخ المغول، ص ١٧٣؛ اقبال، عباس، تاريخ ايران، ص ٣١٧ وص ٤١٢.

(٣) الرمزي، م، م، تلفيق الاخبار، ج ١، ص ٣٩٠.

(٤) الهمداني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٨٠؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، م ٤، ص ٣٢٧، ذكر فقط انها حضرت حفل التتويج دون ان يعلق على مظهرها.

(٥) تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٣٠.

(٦) الياسا، او" اليساق": هي مجموعة قوانين وضعها زعيم المغول جنكيز خان وقررها من تلقاء نفسه، رتب فيها احكاماً وحدد فيها حدوداً سماها الياسة الكبرى، وقد اكتبها وأمر ان تكتب على صفائح من الفولاذ، وجعله سريعة لقومه فالتزموا بها في حياته وبعد مماته، ومن اهم قوانين اليساق: ان من زنى قُتل ومن تعمد الكذب أو سحر، أو تجسس على أحد، أو دخل بين اثنين وهما يختصمان، واعان احدهما على الاخر قُتل، ومن اعطى بضاعة فخرس فيها يُقتل بعد الثالثة، ومن اطعم اسير قوم أو كساه بغير اذنهم قُتل، ومن وجد عبداً هارباً أو اسيراً قد=

في حل معظم المشاكل التي كانت تعترضها ، ولم تتجاوز مع أبنائها العادات والتقاليد المغولية. (١) ، لهذا أشار المؤرخ عباس اقبال قائلًا: (لم يكن لها نظير في عصرها من حيث احترامها للياسا الجنكزية) (٢). وقد توضح هذا الأمر أكثر من مناسبة، ففي عهد كيوك خان أصدر أمرا "بمعاينة المخالفين والمتجاوزين لأحكام القانون المغولي من خلال ارتكابهم لمخالفات خطيرة التي تجسدت من خلال منحهم الأموال والحوالات والبايزات (٣) للمقربين اليهم ، وكانت سيورقوقيتيتي بيكي

=هرب ولم يرده على من كان في يده قُتل ، فضلا" عن قوانين اخرى . لمزيد من التفاصيل ينظر : ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج١٣ ، ص ١٣٨ - ص ١٣٩ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٥٢٦ - ص ٥٢٧ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٣١٠ - ص ٣١١ ، المقرئزي ، نقي الدين ابي العباس احمد بن علي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار "الخطط المقرئزية" ، مطبعة البولاق ، مصر ، اعادت طبعه بالافيسست مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٠ ، ج ٢ ، ص ٢٢٠ - ص ٢٢١.

(١)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٨ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٥ .
(٢)تاريخ المغول ، ص ١٧٥ .

(٣)البايزات : مفردها بايزة ، هي من أعظم الأوسمة وأهمها ، وهي عبارة عن لوحة من الذهب أو الفضة أو الخشب وذلك حسب رتبة المهدي اليه ، وهي تشبه الميدالية في العصر الحديث ، وتهدى الباييزة الى من يثق بهم المغول من كبار رجال الدولة ، ويتمتع حاملها بامتيازات عدة فله الطاعة على كل من في دولة المغول ، ومن اسمى انواعها ما كانت تزينه صورة الاسد ، وهي خاصة بالملوك ، وهناك بايزات تهدى لاصحاب الرتب ، المتوسطة وتكون اصغر حجما" من السابقة وينقش عليها اسم الشخص الذي تمنح له ، و كان لرسل البريد بايزات خاصة بهم ذات شكل مستدير ويكتب عليها بايزة الخزانة ، اما رسل البريد الرسمي للدولة فكانت لهم بايزات مستطيلة مرسوم عليها صورة القمر ، فضلا" عن انواع اخرى =

وابناؤها مرفوعي الرؤوس، فخورين بانفسهم، إذ لم توجه اليهم أية مخالفة أو تهمة، بل العكس تماماً، فقد كان كيوك خان كثيراً ما يتمثل بهم في حديثه مع الآخرين ويثني عليهم، فقد كان تصرفهم مبني على أساس الأمانة التامة^(١). ولأنهم من بين سائر أمراء البيت المالك قد تمسكوا بالياسا وأمتنعوا عن أي تصرف طائش خلال المدة التي كان فيها العرش المغولي خالياً من أي حاكم^(٢).

وقد أشار الجويني الى رواية أكد من خلالها الى ماكانت تتمتع به هذه المرأة من ذكاء ورجاحة عقل قائلاً: (.... وكان الأمراء منذئذ يبحثون عن يحرف في هذا القانون، ومن الذي يوزع الباييزات ويأمر بالمراسيم من غير مشورة، ليستعيدوها ممن تسلمها بعد وفاة القآن. وقد خجل في القوريلتاي العام كل من شمله الأمر باطلاق الأموال والتولية وصرف العمال حين عرضت على الأمراء، الا بيكي وأبنائها

=من الباييزات كانت تمنح لامراء الثغور ولابناء الامراء المغول والخواتين. لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٣، هامش ص ١٨٧؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، هامش ص ٨، والجزء الخاص بتاريخ غازان خان، ص ٣٣٢ وهامشها، وص ٣٣٣-٣٣٧؛ الشيرازي، تاريخ وصاف، م ٤، ص ٣٧٧؛ الصياد، د. فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ، ص ٣٥٨؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، هامش ص ٢٣٦؛ القزاز، د. محمد صالح داود، الحياة السياسية في العراق، هامش ص ٨٤.

^(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ٣، ص ١٨٧؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ١٨٣.

^(٢) بارتولد، تركستان، ص ٦٧٦.

، فأنهم لم يأبهوا ، وهذا غاية في التعقل وضبط النفس والتفكير في عواقب الأمور....^(١).

ونظراً لثقة كيوك خان بسيور قوقيتيتي بيكي فقد أوكل إليها مهمة القيام بتوزيع الهدايا على كافة الأمراء المغول وأفراد البيت الحاكم بأسمه بعد توليه الحكم اكراما لهم ولأجمعهم على توليه العرش.^(٢)

وقد برز دور سيور قوقيتيتي بيكي أكثر والمساند للأمير باتوخان لاسيما عندما قرر كيوك خان الانتقام منه واخضاعه بسبب موقفه الراض لتوليه الحكم بشكل خاص ، ولموقفه العدائي من أسرة أوكتاي خان بشكل عام ، فضلاً عن أنه لم يحضر حفل تتويجه^(٣).

ولابد لنا أن نستعرض السبب الرئيس للخلاف بين الطرفين ، فقد ورد في عدد من المصادر التاريخية ان السبب الرئيس للخلاف الذي نشب بين كيوك خان وابن عمه الأمير باتوخان قد بدأ منذ قيام كيوك خان بتمرد على قيادة الأمير باتوخان للجيش المغولي المتوجه للسيطرة على روسيا سنة ٦٣٩هـ/ ١٢٤١ م^(٤).

وهناك رواية أخرى أشار إليها عدد من المؤرخين وهي ان كيوك خان قد سار مع جيشه الى نواحي ايميل قوجين^(٥) لقتال الأمير باتو

^(١) تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٧ .

^(٢) بارتولد ، تركستان ، ص ٦٧٦ .

^(٣) الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ١٢٧ ؛ القزاز ، د.محمد صالح داود ، الحياة السياسية في العراق ، ص ٥٧ .

^(٤) الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ١٢٧ ؛ القزاز ، د.محمد صالح داود ، الحياة السياسية في العراق ، ص ٥٧ .

^(٥) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٤٠ ؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ ؛ القزاز ، د. محمد صالح داود ، الحياة =

خان، وعندما اقترب الأمير باتو خان من هذا المكان، شعر بالقلق من نية كيوك خان حياله. (١)

وقد ذكر بارتولد انه عندما وصل كيوك خان الى منطقة ايميل قوجين شعرت سيورقوقيتيتي بيكي بأنه يضمّر شراً" للأمير باتو خان بسبب سوء العلاقة بينهما (٢) لهذا أسرعت بتحذيره من نية كيوك خان حياله نظراً للصدقة الحميمة التي كانت ممهدة وموطدة منذ عهد جنكيز خان بين جوجي خان وتولوي خان وأسرتيهما. (٣)، فبعثت سراً رسالة" الى الأمير باتو خان قائلة" له فيها: (إن مجيء كيوك خان الى تلك النواحي لا يخلو من خدعة) (٤) ، وذكر الهمذاني انها قالت له في هذه الرسالة: (كن مستعداً، لأن كيوك خان متجه بجيش جرار الى تلك الجهات). (٥)، فشكرها الأمير باتو خان كثيراً على منتها هذه وموقفها الأيجابي منه . (٦)، فازداد الأمير باتو خان قلقاً وتخوفاً من ذلك، وصار

=السياسية في العراق ، هامش ص ٥٧. ايميل قوجين : لم اعثر على معلومات وافية عنها .

(١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٢٢ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٤ .

(٢) بارتولد ، تركستان ، ص ٦٨٠ .

(٣) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٢٢ .

(٤) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٢٢ ، و ص ١٧٢ .

(٥) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ن ص ١٨٥ .

(٦) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٨٥ .

يترقب وصول كيوك خان اليه في حذر كبير واصبح مستعدا" لقتاله.(١)، غيران كيوك خان ما كاد أن يصل الى حدود سمرقند حتى وافاه الأجل سنة ٦٤٧هـ / ١٢٤٩ م(٢).

وبعد وفاة كيوك خان بعثت أرملته أوغول غايميش الرسل الى أرملة تولوي خان سيورقويتيتي بيكي والأمير باتوخان لاعلامهما بنبأ وفاته (٣) ، ومن الجدير بالذكر ان الأمير باتو خان كان موجودا" في ذلك الوقت في مدينة الآقماق (٤) ، الواقعة على سبعة مراحل من مدينة قياليق (٥) ، وكان مريضا" ولا يستطيع الحراك نظرا" لأصابته في قدمه

(١)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٢٢ او ص ١٨٥ .

(٢)الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١، ج ١، ص ٢٤٥؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ١٢٧ ؛ العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ١٩٣؛ اقبال ، عباس، تاريخ ايران ، ص ٤١٤ ذكر انه توفي عند وصوله الى مدينة بيش - بالينغ .

(٣)الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١، ج ١، ص ٢١٠ .

(٤)مدينة الآقماق : لم اعثر على معلومات جغرافية عن هذه المدينة ، ويبدو انها تقع في بلاد القفجاق، وقد ذكرها بارتولد في مواضع عدة من كتابه تركستان . لمزيد من المعلومات ينظر: ص ٦٨١ و هامش ص ٦٨٢ .

(٥)مدينة قياليق، او - قيالينغ - : و هي سهل جميل للغاية ، كانت هذه البلاد تحت سلطة كورخان الخطا ، و كان اميرها النائب عنه يلقب بلقب ارسلان خان ، و بعد تدهور دولة الخطا وتمرد امراء الاطراف عليه خضعت هذه البلاد مع ما تجاورها من البلاد مثل المالينغ لسيطرة المغول ، ووكلوا اميرا" على قيالينغ وهو ابن ارسلان خان اميرها السابق الذي قام ابنه بدس السم لابيه حتى توفي وتولى الحكم بدلا" عنه ، ودخل هذا في خدمة المغول واعلن ولاءه لهم وزوجوه فتاة منهم ، وقدم هذا مع امير الميالغ سقناق بن اوزار المساعدة للمغول عندما شنوا حملاتهم العسكرية على هذه الممالك ، اذ بعثوا عددا" كبيرا" من الرجال لمساعدة جنكيز خان ، وعندما =

، لهذا بعث رسله للقيام بكل ما يلزم لأكمال مراسيم الدفن .^(١)، وبعث رسله الى أرملة كيوك خان لأستمالتها ومواساتها في مصابها^(٢) .
وقد استشارت أوغول غايميش المقربين لها حول عودتها الى معسكر جنكيز خان القديم ، أم الى معسكر زوجها كيوك خان الواقع في منطقة ايميل قوجين^(٣). ويبدو انها لم تنتظر الرد منهم، فقد أسرع في التوجه الى المعسكر القديم لنزوجها الواقع في ايميل قوجين ، وأقامت في المكان نفسه الذي كان يقيم فيه زوجها كيوك خان لرغبتها في

=تولى منكو خان الحكم أولى احد ابناء ارسلان خان برعايته وكان يدعى اوزجد الذي كان واليا" على منطقة نهر سيحون . لمزيد من التفاصيل ينظر : الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٩٥ وهامشها ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٥٧٦ و ٦٨٣ .

^(١)ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٨ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان ، ص ١٩٨ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٦٨٠ - ٦٨١ ؛ بول ، ستانلي لين ، الدول الاسلامية ، ترجمة : محمد صبحي فرزات ، اشرف على ترجمته وعلق عليه : محمد امين دهمان ، مع اضافات و تصحيحات بارتولد ، و خليل ادهم ، مكتبة الدراسات الاسلامية ، دمشق ، بلا . ت ، ج ٢ ، ص ٥٠٦ ؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ١٢٨ ؛ سليمان ، د. احمد السعيد ، تاريخ الدول الاسلامية ومعجم الاسرات الحاكمة ، نقله عن التركية بزيادات وتعليقات : د. احمد السعيد سليمان ، دار المعارف ، مصر ، بلا . ت ، ج ٢ ، ص ٤٧١ ؛ العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق ، ج ١ ، ص ١٤١ - ص ١٤٢ ؛ العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ١٩٣ ؛ فهمي ، د. عبد السلام عبد العزيز ، تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٠٥ - ص ١٠٦ .

^(٢)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٨٥ - ص ١٨٦ .

^(٣)الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢١٠ .

ذلك^(١)، فأصدرت فرماناً " يقضي بنقل رفات زوجها كيوك خان الى ناحية ايميل قوجين^(٢) .

ووفقاً " لما كان متبعاً" من العادات والتقاليد عند المغول فقد بعثت سيور قوقيتيتي بيكي لها التعازي والنصائح^(٣) وأرسلت اليها البوقناق^(٤) والثياب^(٥).

وأمر الأمير باتوخان أن تفوض أمور الدولة خلال هذه المدة إلى أرملة كيوك خان أو غول غايميش ، إذ بعث لها رسولاً حاملاً معه رسالة" اليها يأذن لها فيها بالتصرف في أمور الممالك المغولية حتى يتفق الأمراء المغول على اختيار الشخص المناسب ليتولى الحكم، وجعل معها من يساعدها في ذلك وهو الأمير جينغاي^(٦) وزير اوكتاي

(١) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ، ١ ، ج ، ١ ، ص ٢١٠ .

(٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٨٥ .

(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ، ١ ، ج ، ١ ، ص ٢٤٠ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٨٥ .

(٤) البوقناق : يكتب هذا اللفظ المغولي باشكال عدة مثل بغناغ ، بوغناق ، بجناق ، ويعني القلنسوة المرصعة بالجواهر ، وكانت ترتديها السيدات المغوليات العريقات ، وذكر ايضا " ان المقصود فيها هي الضفائر الحريرية كانت تعلقها المتروجات على شعورهن بواسطة قبة" . ينظر : الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ، ١ ، ج ، ٢ ، هامش ص ٢٤٠ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، هامش ص ١٨٥ .

(٥) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ، ١ ، ج ، ١ ، ص ٢٤٠ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٨٥ .

(٦) جينغاي، او - جينغاي - : وتعود اصوله الى القبيلة المغولية الكراييت، وذكر انه أوغوري ، كان مسيحي الديانة ، حظي بثقة جنكيز خان فأصبح مستشار الامبراطورية المغولية ، فما من مرسوم يصدر عن الصين الشمالية الا مقترنا" =

خان^(١)، وكان مضمون هذه الرسالة: (انه ينبغي أن تقوم أوغول قيمش، " أوغل غايميش"، - كالمعتاد سابقاً - بتصرف شئون الملك بمشورة جينقاي، "جينغاي" وأركان الدولة، ولا تهمل ذلك مطلقاً، إذ انه لا يمكنني الحركة. وأنتم هنالك أخوة، وتقومون جميعاً بما يلزم لذلك)^(٢).

= بخطه فقد كان عارفاً بالكتابة الاويغورية ، وحظي بمكانة كبيرة في عهد اوكتاي خان فاصبح الوزير الاعظم لديه ، وبعد وفاة اوكتاي خان حاولت زوجته تواركينا خاتون القضاء عليه و تقويض نفوذه غير انها فشلت في ذلك ، وفي عهد كيوك خان حظي بدعم كبير من لدنه فولاه الوزارة و شمله بعطفه ورعايته ، وكان له دور كبير في التأثير على كيوك خان للاهتمام بالديانة المسيحية و بالمسيحيين فارفع شأنهم في عهده ، وبعد وفاة كيوك خان ، تولت زوجته أوغول غايميش وولدها الحكم فاصبح مستشاراً لهم ، قُتل في عهد منكو خان وعلى يد دانشمند الحاجب في رمضان سنة ٦٥٠ هـ / ١٢٥٢ م . لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م٢ ، ج١ ، ص ١١٣ و ص ١١٤ و ص ١١١٢٥ و ص ١٢٩ و ص ١٣١ و ص ١٣٣ و ص ١٣٨ ، م٢ ، ج٣ ، ص ٢١٩ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٧ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٧٠ ، ص ١٧٦ و ص ١٧٧ و ص ١٧٩ و ص ١٨٤ و ص ١٨٦ و ص ١٨٨ و ص ٢١٢ ؛ الرمزي ، م . م ، تلفيق الاخبار ، ج١ ، ص ٣٩٧ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٣ ، و ص ١٧٥ و ص ١٧٧ ؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ١٩٦ ، و ص ١٩٩ ؛ العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ١٦٢ و ص ١٦٣ و ص ١٨٨ و ص ١٩٢ و ٢٠٥ ؛ فهمي ، د . عبد العزيز عبد السلام ، تاريخ الدولة المغولية ، ص ٤١٤ و ص ٤١٥ .

^(١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٨٦ .

^(٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيزخان ، ص ١٢٢ ؛ الرمزي ، م ، م ، تلفيق الاخبار ، ج١ ، ص ٣٩١ .

ويبدو أنّ الأمير باتوخان أراد من خلال ذلك أن يفرض أرائته وشخصيته بشكل واضح على الأمراء المغول بعد وفاة كيوك خان؛ إدراكاً منه لحاجتهم لشخص قوي ينهي الصراع الدائر بينهم ويضع حداً للطامعين بالحكم .

ولما كان نبأ مرض الأمير باتو خان قد شاع في جميع أنحاء البلاد، بعثت سيورقوقيتيتي بيكي أرملة تولوي خان ابنها منكو خان اليه لعيادته. (١)، قائلة "له: (ما دام الآخرون لن يذهبوا الى باتو، وهو سيد الجميع ومريض، بادر أنت بالذهاب اليه بحجة عيادته) (٢).

وذكر المؤرخ عباس اقبال انها أوصت معظم أبنائها بالتوجه الى الأمير باتو خان (٣) قائلة "لهم: (ان باتو هو الأخ الأكبر لكل الأمراء وطاعته واجبة عليهم جميعاً ولا يجوز مخالفته) (٤). وأوصت ابنها منكو

(١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٧٢ و ص ١٩٩ .

(٢) اقبال ، عباس ، تاريخ ايران ، ص ٤١٦ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٦ .

(٣) تاريخ ايران ، ص ٤١٦ ؛ تاريخ المغول ، ص ١٧٦ .

(٤) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م١، ج١ ، ص ٢٠٤ وهامشها؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٨ ذكر انهم اصروا على انعقاده في اونان، او "كلوران" الموطن الاصلي لجنكيز خان ؛ خواند مير ، غياث الدين بن همام الدين الحسيني ، تاريخ حبيب السير في اخبار افراد بشر ، از انتشارات كتابخانه خيام ، خيابان ناصر خسرو ، تهران ، ١٣٣٣ هـ — ، م٣ ، ص ٥٨ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٦٨٢ ؛ الرمزي ، م٣ ، م ، تفليق الاخبار ، ج ١ ، ص ٣٩١ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٦ ؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ٢٠٧ و ص ٢٠٨ و ذكر ان الامير باتو خان اراد عقد الاجتماع في بلاد القفجاق حيث كان يقيم هناك ؛ فهمي ، د. عبد السلام =

خان أيضاً بملازمة الأمير باتو خان وطاعته، وقد نفذ وصيتها، إذ ذهب بنفسه لحضور الأجمع الذي دعا اليه ونفذ كل ما أمره به، ولهذا كان محط إعجابه، في حين خالف عدد من الأمراء المغول لاسيما أبناء أوكتاي خان، وكيوك خان وغيرهم رأي الأمير باتوخان في أمر تحديد المكان الذي سوف يعقد فيه الأجمع، إذ أصروا على انعقاده في مدينة قراقورم^(١) في منغوليا المقر الأصلي لجنكيز خان جريا" على العادة المتبعة ، غير ان الأمير باتوخان أعتذر لهم بعدم قدرته على السفر الى مدينة قراقورم لسوء حالته الصحية ، فأصر على انعقاده في مدينة الآقماق ، لهذا امتنع هؤلاء الأمراء عن الذهاب إليها ، وأكتفوا بأرسال عدد من المندوبين عنهم^(٢) .

=عبد العزيز ،تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٠٦ ، ذكر ان الاجتماع عقد في مدينة سراي باتو .

(١)قراقورم، او - قراقوم - : و هي مدينة تقع في اقاصي بلاد الترك الشرقية ، معنى اسمها في اللغة التركية - الرمل الاسود - ، لان قرا في لغتهم تعني اللون الاسود ، وقوم تعني الرمل ، كانت هذه المدينة عاصمة المغول وهي خالصة التتر ،وفي جهاتها بلاد المغول ، ومنها خاناتهم ، وفيها غالب عساكر الخان الكبير ، وفيها يصنع القماش الفاخر واهلها اهل صنائع فائقة. لمزيد من التفاصيل ينظر: ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن الملك الافضل نور الدين ، تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه : رينود ، والبارون ماك كوكين ديسلان ، دار الطباعة السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠ م ، ص ٥٠٥ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٤٨٠ - ص ٤٨١ .

(٢)نويان، او - نويين - : هي كلمة مغولية معناها رئيس تومان أي رئيس فرقة مكونة من عشرة الاف رجل ، اذ ان الامراء عند المغول اربع طبقات اعلاها نويين ، وهو امير العشرة الاف و يدعى امير تومان ، اذ ان تومان تعني عندهم عشرة الاف ، امير الف ثم امير مائة ثم امير عشرة . لمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني ، جامع التواريخ ، ج ٢ ، ج ١ ، هامش ص ٢١٤ والجزء الخاص بتاريخ=

أما الأمراء المغول ممن اتفقوا مع رأي الأمير باتوخان في انعقاد الاجتماع في مدينة الآقماق فقد توجهوا جميعهم إليها سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ، وحضر الاجتماع أيضاً أبناء كيوك خان وهما خواجه وناقو اللذان كانا نائبين عن بعض الأمراء المعارضين لعقد الاجتماع في هذه المدينة ، وأمر الأمير باتو خان بعدم ضرورة قدوم قداق معهما الذي كان قسيس كيوك خان ومربيه ، غير أنهما لم يبقيا في مدينة الآقماق سوى يومين بسب ما صدر عن قداق من حماقات وأقوال لعلو منزلته ومكانته ، لهذا نفر منه خواجه واخوه ناقو وأمهما وأستتابوا عنهما أحد النبلاء الذي كان يدعى تيمور نويان^(١)، مفوضين اليه الحق في تمثيلهما والموافقة والتوقيع باسمهما على أي قرار يُجمع عليه أمراء البيت المغولي^(٢) ، وعندما استقر رأي الأمير باتو خان تماماً على ترشيح منكو خان على العرش، بعث الرسل الى كل من لم يحضر هذا الاجتماع ومنهم زوجات جنكيز خان، وزوجات أوكتاي خان وأبنائه، والى سيورقوقيتيتي بيكي أرملة تولوي خان، ومعظم الأمراء المغول وأمراء اليمين واليسرة، يعلمهم بترشيحه لمنكو

=خلفاء جنكيز خان ، هامش ص ١٨١ ؛ القلقشندي ، صبح الاعشى ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢ م م ، ج ٤ ، ص ٤٢٣ ؛ الشيرازي ، تاريخ وصاف، م ٤ ، ص ٣٨١؛ الرمزي ، م ، م ، تلفيق الاخبار ، ج ٢ ، ص ١٤ ؛ بارتولد ، تاريخ الترك ، ص ٢٠١ ؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ٣٦٠ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ ايران ، ص ٣٩١ ؛ الفزاز ، د. محمد صالح داود ، الحياة السياسية في العراق ، هامش ص ٤٨٤ .

^(١)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠٠ .

^(٢)الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ن ص ١٩٣ وهامشها، و ص ١٩٤ ؛ الشيرازي ، تاريخ وصاف ، م ٤ ، ص ٣٢٩ .

خان^(١)، وفي أثر ذلك أقبل جميع الأمراء المغول يبأيعون ويعلنون التبعية، وقرروا أن يقيموا احتفالاً "عظيماً" في السنة الجديدة، وانتشرت أخبار ذلك في جميع أنحاء البلاد، وتلطفت والدة منكو خان سيورقو قيتيتي بيكي مع جميع الضيوف الأجانب، واستمالت بأساليب الرفق والذكاء معظم العشائر والأقارب إلى جانبها^(٢).

وبعد أن وافق الجميع على تعيين منكو خان الحكم وقع تيمور نويان الذي كان ممثلاً عن أوغول غايميش وولديها ناقو وخواجه معهم على ذلك مع مراعاة بقاء الحكم بيد الأخوين خواجه وناقو أبناء كيوك خان وأرملته، حتى يتم عقد الاجتماع الرسمي العام في السنة القادمة^(٣)، ومن هناك عاد الأمراء المغول وأبناء الملوك إلى بلادهم بعد اتفاقهم على موعد الاجتماع الرسمي العام، وعندما عاد تيمور نويان مواصلاً خدمته لخواجه وناقو ووالدتهما وأعلمهم باتفاق الأمراء المغول على تعيين منكو خان الحكم وبأنه وقع على ذلك باسمهم، إلا أن الأخوين خططا للغدر والأطاحة بمنكو خان، وأعدوا كميناً له للنيل منه، إلا مخططهما سرعان ما كشف، عندها أمتنع الأخوين عن مساعيها في ذلك^(٤).

وخلال هذه المدة كانت أوغول غايميش وبنائها يتولون زمام الحكم، فقد كانت تميل إلى قضاء معظم وقتها مع رجال الدين،

(١) الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ٢٠٠.

(٢) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٤١ وهامشها.

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٤١ و ص ٢٤٢؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦١؛ اقبال، عباس، تاريخ إيران، ص ٤١٧.

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ١، ج ١، ص ٢٤٢.

وكانت على خلاف دائم مع ولديها اللذين كانا يتصرفان على وفق أهوائهما، لهذا كان الأمراء المغول يحكمون ويتصرفون على هواهم ويصدرون الأوامر ويحررون الرسائل من غير استشارة أحد منهم، أما عليّة القوم فقد كانوا يميلون نحو الأمراء الذين يرغبون اليهم ويحققون لهم مصالحهم، لهذا ازدادت الفرقة بين الأم وولديها لا سيما بعد تدخل عدداً من الأصدقاء والمقربين بينهم، وابتعدوا عن جادة الصواب بحيث أصبح هناك ثلاثة حكام في وقت واحد، وفشل جينغاي الذي كان مساعداً لهم في الحكم في الإصلاح بينهم ورفضهم لسماع نصائحه لهم وأصبح حائراً في كيفية تصريفه للامور، إذ استبد الأبناء بأرائها الخاطئة بسبب صغر سنهم وقلة خبرتهم، وابتعدت أمهما عن أهل الرأي والصواب. ^(١)، وكانت سيورقويتيتي بيكي ترسل لهم المواعظ والنصائح ولكن دون جدوى. ^(٢)، وخلال المدة التي تولت فيها أوغول غايميش وولديها الحكم قام ملك فرنسا لويس التاسع بإرسال مبعوثيه من الرهبان برئاسة اندريا لونجيمو وأخيه الى منغوليا لمقابلتها وولديها لاسيما بعد أن وردت اليه الأنباء عما يكنه بعض المغول لاسيما

^(١) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ ؛ الشيرازي ، تاريخ و صاف ، م ٤ ، ص ٣٣٠ ؛ خواندمير ، تاريخ حبيب السير ، م ٣ ، ص ٥٨ و ص ٥٩ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ مفصل ايران ، از استيلاي مغول تا اعلان مشروطيت ، مؤسسة جاب سوم ، انتشارات امير كبير ، ايران ، ١٣٤٧ هـ — ، م ١ ، ص ١٥٦ ؛ القران ، د. محمد صالح داود ، الحياة السياسية في العراق ، ص ٥٨ و ص ٥٩ ؛ بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ، ص ٢٧٠ .
^(٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٨٦

من الحكام من عطف وميل للديانة المسيحية .^(١)، وقد أشار بارتولد الى أهم ما تضمنته رسائل الملك لويس التاسع لأوغول غايميش وولديها: (ان كنيسة روما سترحب بهم كأبناء بررة ، على شريطة أن يتبعوا مبادئ الكاثوليكية ويعترفوا بكنيسة روما اما" لجميع الكنائس).^(٢)، ويتضح لدينا هنا رغبة الملك لويس التاسع في نشر الديانة المسيحية الكاثوليكية بين المغول ، ويبدو ان هدفه من هذا كله هي رغبته في جعل المغول حلفاء له ضد أعدائه نظرا" لشدة المغول وبأسهم في القتال ولاستعداداتهم العسكرية ، ولدفع أذاهم عنه .

وقد وصلت سفارة الملك لويس التاسع الى مدينة قراقورم سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م فاستقبلت أوغول غايميش هذه السفارة أحسن استقبال مرحبة" بقدمهم اليها ، واستلمت من الرسل هدايا الملك لويس التاسع اليها ، غير أنها عدت هذه الهدايا بمثابة جزية يؤديها الملك للسلطان.^(٣)، وفي الوقت ذاته امتنعت عن ارسال حملة ضخمة الى الغرب بحجة المشاكل التي كان يواجهها البيت المغولي .^(٤)

وهذا الأمر يؤكد لنا ان الملك لويس التاسع كان يرغب في طلب المساعدة العسكرية من المغول ، لكنها كانت أذكى منه فلم ترغب في اقحام نفسها والمغول في مشاكل خارجية ، فضلا" عن عدم امامها بالأمور السياسية والعسكرية .

(١) بارتولد ، تركستان ، ص ٦٩٥ و ص ٦٩٦ ؛ العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ١٩٠ .

(٢) بارتولد ، تركستان ، ص ٦٩٥ و ص ٦٩٦ .

(٣) بارتولد ، تركستان ، ص ٦٩٦ .

(٤) العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ١٩١ .

وعندما عاد رسول الملك لويس التاسع إليه بعد أن مكث في منغوليا لمدة ثلاث سنوات لم يحمل معه سوى رسالة من أوغول غايميش أعربت له فيها عن شكرها الجزيل على ما قدمه لها من هدايا ،وعن اهتمامه حيالها، وطلبت منه أن يبعث لها باستمرار بالهدايا كل سنة.^(١)، وقد تعجب الملك لويس التاسع كثيرا " من موقف أوغول غايميش هذا .^(٢) ، لقد كانت أوغول غايميش وولديها وخلال هذه المدة منشغلين للحيلولة دون تولي منكو خان العرش ، فقد أصروا على رأيهم في رفض تعيينه حاكما" للمغول ، وهذا ما أتضح فيما بعد من خلال تصرفاتهم والرسائل التي بعثوا بها للأمير باتو خان وغيره .

وقد أكدوا في رسالتهم التي بعثوها للأمير باتو خان رفضهم تولي منكو خان الحكم، وأنه يكون بذلك قد خالف قوانين جنكيزخان ويطلبون منه ترشيح أحد أبناء أوكتاي خان ، ليتولى حكم المغول.^(٣)، وكان نص رسالتهم هذه: (ان تثبيت خانية منكو خان لا شك سيعود خيراها عليك)^(٤) ، وبعثوا نماذج من هذه الرسائل الى ييسو بن جغتاي بن جنكيزخان الذي كان كثيرا" ما يكتب لهم الرسائل يحثهم فيها على المصافاة والتوافق والأشفاق على والدتهما، وكان الأمير باتو خان يسعى باستمرار في اسداء النصائح لهما أيضا".^(٥)

(١) العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ١٩١ .

(٢) العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ١٩١ .

(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

(٤) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٥) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٤٣ .

لقد كان ناقو وخواجه ينظران الى الأمور بمنظار البطر والصبيانية ، ولم تعظهما تجارب الحياة ولم تؤدبهما اذ أصرا على رأيهما، فضلا" عن ان قداق المشرف على تربيتهما قد وافقهما الرأي خوفا" مما لاتحمد عقباه، ومما لا شك فيه ان الأخوين كان يهدفان من ذلك تثبيط الهمم والحيلولة دون عقد الأجتماع الرسمي العام، محاولين تأجيله قدر استطاعتهما ، والعمل على بث الخلاف بين الأمراء المغول بشأن عقد هذا الأجتماع^(١).

ولم يكن خواجه وناقو وأمهما المعارضين الوحيدين لترشيح منكو خان العرش بل أيدهم في ذلك عدد من أفراد اسرة أوكتاي خان، وكيوك خان، وكانوا يرغبون بتعيين شيرامون بن كوجو بن أوكتاي خان الحكم، وأعلنوا استنكارهم للطريقة التي تم بها انتخاب منكو خان في المرة الأولى.^(٢)

وكان بعضهم يظهر امتعاضه واعتراضه على تعيين منكو خان الحكم، ويسعى الى اطالة المفاوضة بطرائق شتى من المكر والخديعة، ويؤلف القصص والروايات بحجة ضرورة بقاء الخانية في نسل أوكتاي خان وكيوك خان، وأرسلوا الرسل الى الأمير باتو خان وشرحوا له

^(١)الهمداني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠١ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٦٨٢؛ اقبال ، عباس ، تاريخ مفصل ايران ، م ١ ، ص ١٥٦ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ ايران ، ص ٤١٧؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي، المغول في التاريخ ، ص ٢٠٧ و ص ٢٠٨ ؛ العريني ، د. السيد الباز ، المغول ، ص ١٩٣ ؛ فهمي ، عبد السلام عبد العزيز ، تاريخ الدولة المغولية ، ص ١٠٦ ؛ هياجنة ، د. محمد احمد موسى ، محاضرات في تاريخ المغول والمماليك ، مطابع الدستور التجارية ، اربد ، الاردن ، ١٩٩٠ ، و ص ٤٠.

^(٢)الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، ج ٣ ، ص ١٩٧ ؛ الهمداني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠١.

رغبتهم في ذلك^(١). ومن أهم الرسائل التي بعثوها له معلنين له في مضمونها: (اننا مخالفون لهذا الاتفاق، معرضون عن هذا الميثاق).^(٢)، و اضافوا قائلين: (ان الملك يصل الينا بالارث، فكيف نعطيهِ شخصاً اخر؟!...)^(٣).

فبعث الأمير باتو خان رسالة لهم أهم ما جاء في مضمونها: (نحن قررنا هذه المصلحة بالاشتراك مع الأخوة الكبار والصغار، وانتهى الأمر ولا يمكن فسخ الاتفاق. و اذا لم تسيروا معنا عليه، ورشحتم شخصا آخر غير منكو خان انحل عقد الأمور، واختل قانون المملكة وأمر الرعية، فتلافي أمر آخر محال. وان أنتم أمعنتم الفكر في هذا العمل أدركتم في النهاية ان هذا الأمر راعى جانب أبناء خان وأحفاده. لأن مثل هذا الملك الذي بلغ من مبتدأ المشرق الى منتهى المغرب لا يجوز أن يسلم الى الأطفال، لقلّة معرفتهم)^(٤). واستمرت المراسلات بين الطرفين مدة سنة، وانتصف عام آخر من غير أن تجدي المحادثات نفعاً، وكان منكو خان وأمه سيورقويتيتي بيكي يرسلان الجماعات المعارضة لانتخابه، متبعين معهم اسلوب المراعاة، والمولاة، والمهادنة، والمناصحة، الا ان ذلك كله لم يجد نفعاً، لهذا اتبعا اسلوب اللطف، والتشديد، والتكلف، والتهديد محاولين اقناعهم بالحجج والبراهين لعلمهم يقننوعون ويتعظون بتفكيرهم، ولكي يستيقظوا من نوم

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي، ج ٣، ص ١٠٧؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ٢٠١.

(٢) الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ٢٠١.

(٣) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٣، ص ١٩٧؛ الهمذاني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ٢٠١ مع اخلاف بسيط في النص.

(٤) الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٣، ص ١٩٨.

الغفلة وبيتعدوا عن الغرور. (١)، وبدأت سيور قوقيتيتي بيكي تستميل الأقارب والعشائر أيضاً" باللطف والحفاوة ، وتدعوهم لحضور الأجتماع لأنتخاب ابنها منكو خان. (٢)

فارسل بركة خان (٣) رسالة" الى أخيه الأمير باتو خان قائلاً له فيها:
(لقد مضى عامان، ونحن نريد اجلاس منكو قآن على العرش، وسبب

(١)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠١ و ص ٢٠٢ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ مفصل ايران ، م ١ ، ص ١٥٦ .

(٢)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠١ .

(٣)بركة خان:هو ابن جوجي خان بن جنكيزخان، وصف هذا الأمير بأنه كان شجاعاً ، جواداً ، حازماً ، عادلاً ، حسن السيرة ، حالماً ، رزناً و صفوفاً ،تولى حكم القبيلة الذهبية بعد وفاة سرتاق بن باتوخان،وقيل بعد وفاه اولاجي بن باتوخان سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م، كان الأمير بركة خان يحكم خلال سنوات حكمه معظم بلاد أبيه جوجي خان فضلاً عن بلاد ما وراء النهر شأنه في ذلك شأن اخيه الأمير باتو خان ، كانت بلاده مملكة عظيمة متسعة جداً عاصمتها مدينة السراي ،ويعد هو أول امير مغولي يعتنق الاسلام ، فقد ورد في بعض المصادر التاريخية انه اعتنق الإسلام قبل ان يعتلي عرش القبيلة الذهبية عندما كان أخوه الأمير باتوخان حاكماً عليها ، وأنه تعلم ودرس القرآن الكريم في حادثته عندما كان في مدينة خوفند، وأنه اعتنق الإسلام على يد أحد فقهاءها، وذكر انه اعتنق الاسلام على يد الشيخ سيف الدين أبو المعالي سعيد بن المطهر بن سعيد بن علي القاندي البخارزي نزيل بخارى، وقد انعكس اعتناق الأمير بركة خان للإسلام وحبه له وللمسلمين على اهتمامه بالعلم والعلماء، فقد كان يعظم العلماء والفقهاء ويُجلهم ويقربهم اليه ، وكانت خيراتة متواصلة اليهم ،ونظراً" لأعتناقه الاسلام فقد واجه معارضة شديدة من قبل الاسرة المغولية وعلى رأسهم أخوه باتو خان وابن عمه هولاكو، لاسيما بعد تقوية علاقته مع الظاهر بيبرس وعقد معاهدة معه،وقد اصطدم مع هولاكو وابنه أباقا في معارك عسكرية عدة حتى وفاته سنة ٦٦٥هـ/ ١٢٦٦م بسبب اصابته بمرض القولنج، ولم يكن لديه ابن يرث عرشه ، فتولى عرش القبيلة الذهبية من=

ذلك ان أبناء اوكتاي قآن وكويك خان وييسومونكا بن جغتاي لم يحضروا^(١)، فأجابه الأمير باتو خان قائلاً: (أجلسه أنت على

=بعده الأمير منكو تيموربن طغان بن باتوخان بن جوجي خان بن جنكيزخان لمزيد من التفاصيل ينظر: الهمذاني، جامع التواريخ ، مج ٢، ج ١، ص ٣٣٢- ص ٣٣٥؛ اليونيني، موسى بن محمد بن عبد الله البعلبكي ، ذيل مرآة الزمان ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدرآباد الدكن ، الهند ، ط ١ ، ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٤ م ، ج ١ ، ص ٣٦٥ و ص ٥٤٢ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، اعتنى به : محمد بن عيادي بن عبد الحلیم ، مكتبة الصفا ، القاهرة ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، ج ١٤ ، ص ٤٩ و ص ٥٠ و ص ٣٦٣ و ص ٣٦٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق : د. عمر عبدالسلام التدمري ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٤٢٣ هـ / ٢٠٠٢ م ، حوادث ووفيات السنوات ، ٦٦١ - ٧١٠ هـ ، ص ١٨٩ - ص ١٩١ ؛ الذهبي ، العبر في خبر من غير ، تحقيق : د. صلاح الدين المنجد ، مطبعة حكومة الكويت، الكويت ، ط ٢ ، ١٩٤٨ م ، ج ٥ ، ص ١٩٨ و ص ٢٨٠ ؛ الكتبي ، محمود بن شاکر بن أحمد ، عيون التواريخ ، تحقيق ، د. فيصل السامر ، وأ : نبيلة عبد المنعم، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ ، ج ٢٠ ، ص ٢٩٠ و ص ٣٢٠ و ص ٣٥٠ ؛ ابن خلدون ، تاريخ ، ج ٥ ، ص ٥٩٧ و ص ٦٠٣ و ص ٦٠٤ و ص ٦٠٧ ؛ الفلقشندي ، صبح الاعشى ، ج ٤ ، ص ٤٧٤ ؛ خواندمير ، تاريخ حبيب السير ، م ٣ ، ص ٧٥ و ص ١٠٢ و ص ١٠٣ و ص ١٠٨ ؛ الرمزي ، م، م، تليفق الاخبار، ج ٢، ص ٢٦-٢٧؛ اقبال ، عباس ، تاريخ مفصل إيران ، م ١ ، هامش ص ١٥٧ و ص ١٩٧؛ ارنولد ، سيرت .و. ، الدعوة الى الإسلام - بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ، ترجمة : حسن ابراهيم حسن ، وعبدالمجيد عابدين واسماعيل النحراوي ، مكتبة النهضة المصرية، مصر ، بلائ، ص ١٩٧ و ص ١٩٨ و ص ٢٠٦ ؛ بارتولد تركستان، ص ٦٩٢-٦٩٤ و ص ٧٠٢؛ بارتولد، تاريخ الترك، ص ١٧٧-١٧٩؛ سرور ، د.محمد جمال الدين ، دولة الظاهر بيبرس في مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٠ م ، ص ١٠٢ و هامشها، و ص ١٠٣ و ص ١٠٤ و ص ١٠٦ .

^(١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ٢٠٢ .

العرش، وكل شخص يخالف الياسا، يطاح برأسه^(١). وفي اثناء ذلك اتجه الى قراقورم معظم الأمراء المغول ممن اتفقوا على انتخاب منكو خان حاكما لهم، وأرسل الأمير باتو خان اخوته بركة خان وتقاتيمور نيابةً عنه، وتوجه عدد كبير من الأمراء المغول القادمين من معسكر ألغ ايف - أي معسكر جنكيز خان - لحضور الأجتماع .^(٢)

وبعث الامراء المغول رسالة الى ناقو بن كيوك خان وقد كان مضمونها: (اذا لم تبادر الى الأجتماع فأننا سنعين منكو خان).^(٣)، وحين أيقنوا انه يماطلهم لهدف معين أعلنوا: (اننا سنصل في الموعد الفلاني).^(٤)، وفعلا" تحركوا بعساكرهم وكتائبهم ومراكبهم وفرسانهم ترافقهم الجمال المحملة لحضور الأجتماع.^(٥)

وبعد ان تجمع معظم الأمراء المغول قرروا ارسال الأمير المغولي شيرامون الى أوغول غايميش وولديها خواجه وناقو، وأرسلوا رسولهم حاملا رسالة لهم.^(٦)، وقد كان مضمون الرسالة : (لقد تجمع أغلب نسل جنكيز خان ، وعمل القوريلتاي سيبقي مستمرا" حتى قدومكم، ولا نقبل أي عذر منكم. فأن كنتم تطمحون الى الأنضمام فعليكم الحضور، لتعيد دراسة مصالح المملكة، ونزيل النقاب عن الشوائب ونمحو النفاق عن

(١) الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م ٢، ج ٣ ، ص ١٩٨ وهامشها ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠٢ .
(٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠٢ .

(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢، ج ٣ ، ص ٢٠١ و ص ٢٠٢ .

(٤) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢، ج ٣ ، ص ٢٠١ و ص ٢٠٢ .

(٥) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢، ج ٣ ، ص ٢٠١ وهامشها ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠٢ .

(٦) المزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢، ج ٣ ، ص ٢٠١ .

وجه الوفاق).^(١)، وذكر الهمذاني نصاً "أخر للرسالة وهو: (لقد اجتمع أكثر أفراد أسرة جنكيز خان، ولم ينعقد القوريلتاي حتى الآن بسبب تخلفكم. وليس ثمة مجال للاعتذار والمماطلة. وإذا كنتم تفكرون في الوفاق والاتحاد، فينبغي أن تحضروا مجلس الشورى حتى تبرم مصالح الملك بتضامننا)^(٢). ولهذا فشلت أوغول غايميش وأبناؤها في تحقيق أهدافهم لاسيما بعد أن وفدت الرسل مفاجأة" إياهم بوصول أبناء الملوك والأمراء لحضور الاجتماع، وحين علموا ان لا مناص من تلبية الدعوة لحضور الاجتماع سار ناقو وقداق نويان وعدد آخر من الأمراء المغول من بيت كيوك خان، أما خواجه فقد أخذ بالتحرك على الرغم من انه كان متردداً كثيراً" في بداية الأمر ومحاولاً" تأجيل سفره يوماً بعد الآخر معللاً ذلك لشعوره بعدم عقد القوريلتاي وفي عدم اتفاقهم، محاولاً" إيجاد سبب مقنع في عدم ذهابه^(٣).

وفي سنة ٦٤٩هـ/١٢٥١م ، عقد الأمراء المغول هذا الاجتماع، وحضره معظم أبناء الأسرة المغولية الحاكمة وكان في مقدمتهم أخوة باتوخان ومنهم بركة خان، وبغاتيمور خان، وعمهم ايلجيتاي الكبير، وكوتان بن أوكتاي خان، وكولكان بن جنكيزخان، وغيرهم من كبار الأمراء المغول ، وعدد من القادة الكبار وكان عددهم يفوق عدد الجيش، واصطف الأمراء والجنود خارج المعسكر وكان معظمهم من

(١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠٢.

(٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠٢.

(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١ ، ج ١ ، ص ٢٤٣ ، و م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٠١ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠٢.

المبارزين المشهورين، وبايعوا منكوخان وبتأييد من الأمير باتو خان، إذ كشفوا رؤوسهم ورموا مناطقهم^(١) على أكتافهم ورفعوا منكو خان على سرير المملكة، وجثوا على ركبهم تسع مرات .^(٢)

وكان الجميع بانتظار أوغول غايميش وولدها خواجه ومن معهم من الأمراء المغول ممن لم يصلوا لغاية هذه اللحظة .^(٣)

وقد وردت رواية^(٤) أخرى في عدد من المصادر التاريخية مفادها انه في سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م توجهت أوغول غايميش ومؤيديها مع عساكرهم نحو معسكر منكوخان وكان المقدم على جيوشهم شيرامون حفيد أوكتاي خان، وناقو بن كيوك خان ، وقد صادفهم في الطريق رجلاً من معسكر منكوخان ممن يربون الأسود ، اذ خرج هذا بحثاً عن أحد الأسود الضائعة ، وعندما اقترب من معسكر شيرامون التقى بأحد الصبيان الذي انكسرت عجلته فطلب منه المساعدة في اصلاحها ، وخلال ذلك اكتشف مربى الأسود وجود أسلحة مخبأة في داخل العجلة ،

^(١)المناطق : مفردها منطقة ، وهو النطاق كل ما شد به وسطه وانتطق الرجل أي لبس المنطق ، و النطاق هو شبه ازار كان يلبسه الرجل والمرأة . لمزيد من التفاصيل ينظر: ابن سيدة ، ابو الحسن علي بن اسماعيل ، المخصص ، المكتب التجاري للطباعة و النشر، بيروت ، بلا . ت ، ج ٤ ، ص ٨٣ ؛ ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، مطبعة كوستانتسوماس و شركاه ، مصر ، بلا . ت ، فصل ن ، باب ق ، مادة المنطقة ، ج ١٢ ، ص ٢٣٢ .

^(٢)الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ وهامشها و ص ٢٠٣ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦١ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠٣ ؛ الشيرازي ، تاريخ وصاف ، م ٤ ، ص ٣٣٠ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٧ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ ايران ، ص ٤١٧ ؛ العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق ، ج ١ ، ص ١٤٣ .

^(٣)ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ٢٦١ .

فسأله عنها .^(١)، فأجابه الصبي: (ما أغفلك كأنك لست منا كيف لم تعرف ان كل العجل التي معنا كهذه مشحونة بآلات الحرب).^(٢) وهناك رواية" أخرى ذكرها عدد من المؤرخين في هذا الصدد وهي لا تختلف كثيراً" عن معنى الرواية التي ذكرناها آنفاً، وهي انه تم الكشف عن مؤامرة دبرها كل من شيرامون وناقو ضد الأمير منكو خان، على يد أحد الصيادين والمدعو كشك وكان هذا قادماً من معسكر منكو خان والأمير باتو خان إلا انه أضع جملته في الطريق، وعندما بدأ البحث عنه وجد نفسه بين جيش شيرامون وناقو ورأى عربات كثيرة تحمل الأقتال والمأكولات والمشروبات، فشك في أمرهم وبدأ يسأل أحد الفتيان المسافرين، وعندما اكتشف وجود عدد كبير من الأسلحة والمعدات الحربية مخبأة في العربات، أدرك أنهم يضمرون سوء" لمنكو خان، ويتحينون الفرصة للانقضاض على المحتفلين.^(٣)

^(١)ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٢؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ١٤٤ وص ١٤٥.

^(٢)ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٢.

^(٣)الجويني، تاريخ جهانكشاي، م ٢، ج ٣، ص ١٠٩؛ ابن العبري، تاريخ مختصر الدول، ص ٢٦٢ الجوزجاني، صدر الدين ابو عمر و منهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد، طبقات نصري، بتصحيح: كيتان وليم ناسوليس صاحب و مولوي خادم حسين و مولوي عبد الحي صاحبان، اهتمام: كيتان ليس صاحب موصوف، در كالج بريس طبع كرد، كلكته، ١٨٦٤ م، ج ٢، ص ٢١١؛ الهمداني، جامع التواريخ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ٢٠٥-٢٠٦؛ خواند مير، تاريخ حبيب السير، م ٣، ص ٥٩؛ العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، ص ١٤٤، ص ١٤٥.

فأسرع كشك الى معسكر منكوخان محذرا "اياه من غدرهم ، غيرانه لم يعر اهتماما" كبيرا" له، وحذره الأمراء المغول وأبناء الأمراء والملوك من ذلك ، ونصحوه بضرورة الاستعداد لمواجهةهم .^(١)

فأمر منكو خان بعدم الدخول للمعسكر أو الخروج منه ، وأمر باحتجاز عدد من الأمراء المغول منهم ايلجتاي نويان ، وتونالوتاتاكرين، وجنكي وقلتاي، وسرغان، وتونال الصغير ،وطغان، وغيرهم، وأمر عدد من الأمراء المغول ممن يثق بهم وبرأيهم بالتحقيق في هذا الأمر وكان في مقدمتهم يرغوجي الكبير، ومنكسار نويان وغيرهم من الأمراء والعظماء والقضاة، وبعث مع منكسار نويان ألفي أو ثلاثة آلاف فارس متخفين وأقحمهم في معسكر الأمراء المغول المخالفين له مدبرا" مكيدة" لهم، وبعد كشف مؤامرتهم أسرعوا لمقابلة منكو خان الذي جعلهم ينتظرون ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع بدأ بالتحقيق معهم في التهم الموجهة اليهم، وبعد أن اتضحت حقيقة أمرهم طلبوا العفو منه وعبروا له عن ندمهم،وكاد منكو خان أن يعفوا عنهم غير أن أبناء الملوك والأمراء نصحوه بعقابهم، فأصدر منكو خان أوامره بأعدامهم،ومن ثم ألقى القبض على شيرامون،وناقو،وقدائق نويان وغيرهم من المعارضين .^(٢)

^(١)المزيد من التفاصيل ينظر : الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١٠-٢١٢؛ الجوزجاني ، طبقات نصري، ج ٢ ، ص ٤١١ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢٠٦ ؛ خواند مير ، تاريخ حبيب السير، م ٣ ، ص ٥٩ ؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ، ص ٢٠٨ .

^(٢)المزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ٢١٤-٢١٩ ؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٦٢ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان، ص ٢٠٨-٢١٢؛ الشيرازي =

أما أوغول غايميش وابنها خواجه اللذين لم يكونا قد وصلا الى معسكر منكو خان ، فقد بعث الأمراء المغول لهما برسائل عدة محاولين اقناعهم بالحضور بأقصى سرعة لتبرير موقفهم والدفاع عن أنفسهم .^(١) ، وقد أشار الهمذاني الى نص واحدة من هذه الرسائل وهي كالآتي : (إذا لم يكن لكما دور المشاركة في هذه المؤامرة ، فإن سعادتكما تكون في المبادرة بالمجئ الى الحضرة) .^(٢) ، وبعثوا رسالة" اخرى الى أوغول غايميش التي تأخرت في القدوم لتهنئة منكوخان وكان مضمون الرسالة : (إذا لم يكن لك علاقة بهذا الأمر ، ولم تفكري بمشاركتهم أو مساعدتهم ، فسعادتك مؤمنة ، وعلامتها المبادرة نحو الخان بأقصى سرعة) .^(٣) ، فبعثت مع هذا الرسول رسالة" تقول لهم فيها: (انكم معشر الأمراء الأنجال قد تعهدتم وقدمتم وثيقة خطية بأن يظل الحكم دائماً في اسرة أوكتاي قآن، وألا تخالفوا أولاده، ولكنكم الآن قد نقضتم العهد،

=، تاريخ وصاف ، م ٤ ، ص ٣٣٠ ؛ خواند مير ، تاريخ حبيب السير ، م ٣ ، ص ٥٩ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ المغول ، ص ١٧٧ ؛ اقبال ، عباس ، تاريخ ايران ، ص ٤١٧ ؛ الصباد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ٢٠٨ ؛ العزاوي ، عباس ، تاريخ العراق ، ص ١٤٥ ؛ هياجنة ، د . محمد احمد ، موسى ، محاضرات في تاريخ المغول والمماليك ، ص ٤٠ .

^(١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢١٢
^(٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢١٢ .

^(٣) الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، ج ٣ ، ص ٢١٧ ؛ الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢١١ .

ولم تتفدوا هذا الكلام). (١)، فأثارت هذه الرسالة غضب منكو خان فأمر بقتلها وقذفها في البحر (٢).

في حين أشار الهمذاني الى ان منكو خان بعث رسله للقبض على أوغول غايميش ، فاحضروها بعد أن خاطوا يديها في خيوط مصنوعة من جلد الثور، فلما وصلت الى معسكر منكو خان بعثوا بها مع والدة شيرامون حفيد أوكتاي خان والتي كانت تدعى قداقاج خاتون الى معسكر سيور قوقنتي بيكي ، وهناك بدأ المحقق منكسار باستجوابها. (٣). وبعد ان انتهى من التحقيق معها في جميع التهم المنسوبة لها والتأكد من صحتها ، لفوها في لباد وقذفوا بها الى البحر . (٤)، وكان ذلك سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م. (٥).

وبعد مقتل أوغول غايميش وتسلم منكو خان الحكم اكتشف أخطاء" جسيمة قامت بأقترافها خلال تسلمها لزام الحكم بعد وفاة كيوك خان، فقد ذكر في عدد من المصادر التاريخية ان أوغول غايميش كانت قد أمرت سنة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م وقبل أن ينفذ حكم الأعدام بحقها الأيدي

(١) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢١١.

(٢) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢١١.

(٣) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢١٢؛ الشيرازي ، تاريخ وصاف ، م ٤ ، ص ٣٣٠ .

(٤) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢١٢.

(٥) الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٢١٢.

قوت^(١) زعيم الأويغور^(٢) بقتل معظم المسلمين ممن يسكنون في بلاده وخلال صلاة الجمعة ، وكان في نية الأيدي قوت مقابلة أوغول غايميش وأولادها ناقو وخواجه للتخطيط لذلك، غير انه وخلال سفرته

(١) الأيدي قوت ، أو - ايدوق قوت - : هو لقب أطلقه الأتراك الأويغور على امرائهم ، ومعناه صاحب الدولة ، أو المرسل من الله تعالى ، أو رب الحظ ، أو صاحب الجلالة ذي القداسة ، أو قائد الدولة ، أو رب الدولة . لمزيد من التفاصيل ينظر: الجويني، تاريخ جهانكشاي ، م ، ١ ، ج ١ ، ص ٨٠ ، ص ٨٦؛ ابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٢٩ ؛ فامبري ، ارمينوس ، تاريخ بخارى ، ص ١٦٣ ؛ بارتولد ، تاريخ الترك ، ص ٤٦ .

(٢) الأويغور : كلمة الأويغور تعني الارتباط والتعاون ، ذكر ان بداية وجودهم كان على ضفاف نهر اورخون ، وذكر ان أوغوز أبا الأتراك كان يؤمن بالله سبحانه وتعالى ويدين بالوحدانية غير ان أباه وأعمامه كانوا كفارا" فوقفوا ضده وأرادوا القضاء عليه فوقف الى جانبه عدد من اقاربه مساندين له فاطلق عليه اسم الأويغور ، ثم استقروا في المناطق الواقعة شمال شرقي تركستان الحالية أي بين مدينتي قراقورم و تور ، كما اعتنقوا ديانات عدة منها اليوزية والمانوية والمسيحية ومنهم الزرادشتيون ، واعتنقوا الاسلام في القرن ٤ هـ / ١٠ م و ق ٥ هـ / ١١ م ، وكانوا واسطة الارتباط بين الاقوام الاكثر تمدنا" وحضارة في ايران و الهند والصين لانهم اكثر الأتراك ثقافة" وتمدنا" ، ذكر ان عدد قبائلهم كان تسعة وقيل غير ذلك ، اقام الأويغور مملكتين لهم الأولى في كن جو ، والثانية في مدينة بيش - باليغ وقرا خوجه . لمزيد من التفاصيل عنهم ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ، ١ ، ج ١ ، ص ٨٠ - ص ٨٦ ؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٥٥٣ - ص ٥٥٧ ؛ بارتولد ، تاريخ الترك ، ص ٤٩ - ص ٥٦ ؛ صفا ، دكتور نبيح الله ، تاريخ ادبيات در ايران ، از ميانه قرن بنجم تا آغا زقرن مفتم بجرى ، كتابفروشي ن ابن سينا ، تهران ، ١٣٣٩ هـ ، ص ٩١ ؛ كريستنسن ن ارثر ، ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة : يحيى الخشاب ، راجعه : عبد الوهاب عزام ، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٥٧ م ، ص ١٩٠ - ص ١٩٢ ؛ الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي ، المغول في التاريخ ، ص ٢١ - ص ٢٢ .

هذه وصلت الى مسامعه اعتلاء منكو خان العرش ، فتوجه مضطرا" لمقابلته ، غير ان هذه المؤامرة سرعان ماكشفها أحد العلماء المسلمين عن طريق أحد الأشخاص ويدعى تكميش ، وألقي القبض عليه وأمر منكوخان بمحاكمته ،وبعد أن حقق معه اعترف بذنبه فصدر بحقه حكم الأعدام ، وأعدم اثنان أخران من أتباعه ، أما الثالث فقد استرحمت فيه سيورقوتيتيتي بيكي ، بينما توسط الأمير باتو خان لدى منكو خان لأطلاق سراح الرابع ،فوافق منكوخان على طلبهما ، وأعطى مكافأة" لتكميش نظرا" لما قام به من دور كبير في كشف هذه المؤامرة، واعتنق الإسلام بعدها .^(١)

وقد اكتشف منكو خان أيضا" أخطاء" اقتصادية قامت بها أوغول غايميش وولديها خواجه وناقو خلال مدة حكم كيوك خان وبعد وفاته ، حيث قام هؤلاء بأجراء معاملات تجارية ضخمة مع عدد من التجار، ومنحوم الحوالات المالية التي أصبح بعضها يستحق الدفع والبعض الآخر انتهت مدة صلاحيته ، وهذا الأمر أضر كثيرا" بالتجار، فقدموا مظالمهم لمنكو خان،فضلا" عن ما نجم عن ذلك من أضرار اقتصادية في البلاد، فأمر منكوخان المحاسبين وكتاب الديوان بأجراء حساباتهم فوجدوا نقصا" كبيرا" قد حدث في ميزانية الدولة، فأصدر منكوخان أوامره بأصلاح الضرر من خلال جمع الأموال من كافة الممالك الخاضعة لسلطة المغول عن طريق وضع نظام ضريبي جديد.^(٢)

^(١)المزيد من التفاصيل ينظر: الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ١، ج ١، ص ٧٦- ص ٨٠؛ مستوفي قزويني، تاريخ كزيدة، ص ٥٨٨ ؛ ميرخواند ، تاريخ روضة الصفا ، م ٥ ، ص ١٨١، و ص ١٨٢؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٦٨٥ و ص ٦٨٦؛ بارتولد ، تاريخ الترك، ص ١٩٠.

^(٢)الشيرازي ، تاريخ وصاف ، م ٤ ، ص ٣٣١.

ان هذا الأمر يؤكد لنا مرة" اخرى سوء التدابير التي كانت تتخذها
أوغول غايميش مع أولادها ، لقلّة خبرتها ولعدم احاطتها بأركان وأسس
النظام الإداري والسياسي والاقتصادي.

ولم تمض سوى أشهر قليلة حتى توفيت سيورقوتيتي بيكي ، وقد
اختلف المؤرخون في تحديد سنة وفاتها .

فمنهم من رأى انها توفيت في شهر ذي الحجة من سنة ٦٤٩هـ /
١٢٥١ م^(١). غير ان بارتولد أشار الى انها كانت على قيد الحياة سنة
٦٥٠هـ / ١٢٥٢ م^(٢)، وانها شهدت اعدام أوغول غايميش سنة
٦٥٠هـ / ١٢٥٢ م^(٣).

ومن خلال استعراض الأحداث التاريخية التي أشرنا اليها آنفا" أرى
انها توفيت في أواخر سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م وقبل أن تحل سنة
٦٥٠هـ / ١٢٥٢م وبأيام قلائل.

ومن المهم أن نذكر هنا انها دفنت في موضع يسمى بودة أوندور -
أي الموطن الكبير لجنكيز خان - وعلى مقربة من نهر سلنكة -
سلنجا-^(٤)

^(١)الجويني ، تاريخ جهانكشاي ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٨٨؛ الهمذاني ، جامع التواريخ
، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ١٩٨ .

^(٢)تركستان ، ص ٦٨٦ .

^(٣)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص
٢١٢؛ بارتولد ، تركستان ، ص ٦٨٣ .

^(٤)نهر سلنجا:وهو احد النهار في شمال منغوليا، يصب في جنوب بحيرة بايكال ،
وكان له دور بارز في التاريخ التركي اذ يصب فيه من الجنوب الشرقي نهر
أورخون ، ويتفرع منه رافد يصب في بحيرة كوسو في الشمال .ينظر:اوزطونا،
يلماز، المدخل الى التاريخ التركي، ترجمة : أرشد الرمزي ، نقلا" عن الموقع
= www.alturkmani.com/makalaat/28102006/Ersad.pdf

في منغوليا الى جانب مقابر بقية الأمراء المغول^(١).

ص١٦؛ العريني، د. السيد الباز، المغول، ص٢٩؛ حطيط، د. احمد، حروب المغول - دراسة في الاستراتيجية العسكرية للمغول من ايام جنكيزخان حتى عهد تيمورلنك، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٤، ص٤٥.
^(١)الهمذاني ، جامع التواريخ ، الجزء الخاص بتاريخ خلفاء جنكيز خان ، ص ٣٠٥.

الخاتمة

لقد أكدت من خلال دراستي هذه على الدور السياسي والأداري لأثنتين من زوجات خانات المغول، وأثرهن الكبير والأيجابي في البلاط المغولي، نظراً لما تركنه من بصمات في مستقبل الأمبراطورية المغولية.

ان الدور السياسي والأداري الذي مارسته سيورقويتيتي بيكي أرملة تولوي خان لم يكن دوراً "محدوداً" بل على العكس من ذلك تماماً، فالمكانة الكبيرة التي حظيت بها لدى أوكتاي خان، وكيوك خان يُعدّ أعظم دليل على ذلك، نظراً لما كانت تتصف به من ذكاء ودهاء، ولما كانت تتمتع به من مهارة وكفاءة ادارية وسياسية واضحة المعالم، ولما قدمته من تضحيات من أجل أبنائها، كل ذلك أثر في ما مارسته من صلاحيات سياسية وادارية، وفي اتخاذها للقرارات الصائبة، لهذا احتلت مركزاً "مرموقاً" بين سيدات البلاط المغولي، وحظيت بتأييد الأقارب والجند والأمراء المغول، فاعلنوا الولاء والطاعة لها، فأصبحت في نظرهم امرأة فذة لا يستطيع أحد مخالفة أوامرها.

وقد تمخضت عن دراستي هذه نتائج أخرى منها انه على الرغم من ان سيورقويتيتي بيكي كانت تدين بالمسيحية فإن هذا الأمر لم يمنعها من الأهتمام بالمسلمين وبعلمائهم وأئمتهم، فأحسنّت اليهم وأكرمتهم و عملت على ارتقاء منزلتهم.

وقد بذلت سيورقويتيتي بيكي جهداً كبيراً من أجل ارتقاء ابنها منكوخان العرش من خلال استمالتها لمعظم الامراء المغول وكسب ودهم وتأييدهم لأبنها نظراً لما كانت تتمتع به من ذكاء كبير وخبرة

واسعة ، فضلا" عن المساعدة التي قدمها لها الأمير باتو خان الذي كان أكبر الامراء المغول سنا"، لعدم رغبته في تولي أي شخص من أسرة أوكتاي خان العرش ، ولرابطة الصداقة الحميمة التي كانت تجمع بين اسرة تولوي خان واسرة جوجي خان.

وكان من النتائج الرئيسية التي تمخض عنها بحثي هذا الدور السياسي الذي مارسه أوغول غايميش أرمة كيوك خان ، فأنا نلاحظ ان سلبية قراراتها ومواقفها حيال الأحداث السياسية كان نابعا" من قلة خبرتها ولعدم احترامها لقانون اليساق المغولي ، ولعدم استماعها وامثالها لنصائح من هم أكثر خبرة" ودراية" منها في شؤون الحكم ، وهذا كله جعلها ضحية استبدادها برأيها ولرغبتها في تحقيق ما كانت تصبو اليه ، مما جعلها تتخبط من طريق مسدود الى آخر، وهذا كله قد أثر سلبا" في الأوضاع العامة للأمبراطورية المغولية لا سيما بعد وفاة كيوك خان سنة ٦٤٧ هـ/١٢٤٩ م .

ملحق رقم (١)



هذه الصورة توضح سيورقوقيتيتي بيكي والى جانبها زوجها

تولوي خان بن جنكيزخان

نقلا عن : اقبال، عباس، تاريخ مفصل ايران، ج ١، مقابل ص ١٥٨؛

العزاوي، عباس، تاريخ العراق، ج ١، تابع ص ١٤٢.

قائمة المصادر والمراجع

*أولاً: المصادر الأصلية: (العربية وغير العربية "المعربة وغير المعربة"):

- ١- الاصطخري، ابو اسحاق ابراهيم بن محمد (ت ٣٤٠هـ / ٩٥١م):
١. مسالك الممالك، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧م.
- الحموي، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م):
٢. معجم البلدان، دار الفكر، بيروت، بلا. ت .
- ابن حوقل، ابو القاسم النصيبي (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م):
٣. صورة الارض، بريل، ليدن، دار صادر، بيروت، ط ٢، ١٩٣٨م.
- الجوزجاني، صدرالدين ابو عمر ومنهاج الدين عثمان بن سراج الدين محمد (ت ٦٩٨هـ / ١٢٩٨م):
٤. طبقات نصري، بتصحيح: كيتان وليم ناسوليس صاحب ومولوى خادم حسين ومولوي عبد الحي صاحبان، اهتمام: كيتان ليس صاحب موصوف، در كالج بريس طبع كرد، كلكته، ١٨٦٤م.
- الجويني ، علاء الدين عطا ملك بن بهاء الدين محمد بن محمد الدين محمد (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م):
٥. تاريخ جهانكشاي، نقله عن الفارسية وقارنه بالنسخة الانكليزية د. محمد التونجي ، دار الملاح للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.
- ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م) :
٦. العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس : الأستاذ : خليل شحادة ، مراجعة : سهيل زكار ، دار

الفكر، ط ٢، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، وطبعة دار احياء التراث العربي،
الناشر: مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط ٤، بلا.ت.

- خواندمير، غياث الدين بن همام الدين الحسيني
(ت ٩٤٢هـ/١٥٣٥م):

٧. تاريخ حبيب السير في أخبار أفراد بشر، از انتشارات كتابخانه
خيام، خيابان ناصر خسرو، تهران، ١٣٣٣هـ.

- الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان
(ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م):

٨. سير أعلام النبلاء، تحقيق: د. بشار عواد معروف ود. محي الدين
السرхан، مؤسسة الرسالة. بيروت، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، وج ١٤
طبعة اعتنى به: محمد بن عيادي بن عبد الحليم، مكتبة الصفا،
القاهرة، ط ١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٩. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: د. عمر
عبد السلام التدمري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، حوادث ووفيات
السنوات ٦٦١ - ٧١٠هـ، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١٠. العبر في خبر من غبر، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، مطبعة
حكومة الكويت، الكويت، ط ٢، ١٩٤٨م.

- ابن سيده، ابو الحسن علي بن اسماعيل (ت ٤٥٨هـ / ١٠٦٥
م):

١١. المخصص، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، بلا.ت.
- الشيرازي، اديب شرف الدين عبد الله بن فضل الله (ت في حدود

النصف الاول من ق ٨هـ / ١٤م):

١٢. تاريخ وصاف الحضرة، تحرير: عبد المحمد آيتي، انتشارات بنياد
فرسك ايران، ١٣٤٦هـ.

- ابن العبري ، غريغوريوس الملطي (ت ٦٨٥هـ/١٢٨٦م) :
١٣. تاريخ مختصر الدول، وقف على طبعه ووضع حواشيه الأب
انطون صالحاني اليسوعي ، المطبعة
الكاثوليكية ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٥٨م .
- ابو الفدا ، عماد الدين اسماعيل بن الملك الأفضل نور الدين
(ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م) :
١٤. تقويم البلدان ، اعتنى بتصحيحه وطبعه : رينود ، والبارون ماك
كوكين ديسلان ، دار الطباعة
السلطانية ، باريس ، ١٨٤٠م .
- القلقشندي ، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) :
١٥. صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، وزارة الثقافة والأرشاد القومي
، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ، مطابع
كوستاتسوماس وشركاه ، القاهرة ، بلا.ت ، و طبعة دار الكتب
المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م .
- الكتبي ، محمود بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م) :
١٦. عيون التواريخ ، تحقيق د. فيصل السامر ، وأ : نبيلة عبد
المنعم، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٧ .
- ابن كثير ، عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن عمر
(ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م) :
١٧. البداية والنهاية في التاريخ ، تحقيق : علي شيري ، طبعه ونشره ،
دار احياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨ هـ .
- مستوفي قزويني، حمد الله بن ابي بكر بن احمد بن نصر(ت
٧٤٠هـ / ١٣٣٩م) :

١٨. تاريخ كزيدة ، باهتمام وتصميم الحواشي والفهارس : دكتور:
حسين نوائي ، مؤسسة طبع ومنشورات

امير كبير ، تهران ، ١٣٣٩هـ.

- المقريزي ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي
(ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م) :

١٩. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقرئية" ،
مطبعة بولاق ، مصر ، اعادت طبعه الاوفيسيت ، مكتبة المثنى ، بغداد
، ١٩٧٠م.

- ابن منظور ، محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١م):

٢٠. لسان العرب ، مطابع كوستانتسوماس وشركاه، مصر ، بلا. ت.

- ميرخواند ، مير محمد بن سيد برهان الدين خاوندشاه
(ت ٩٠٤هـ / ١٤٩٨م) :

٢١. تاريخ روضة الصفا، شيوه شرو نكارش كم نظير دراد بييات
فارسي درسه نهم هجري ، كتابفروشيهاي ، تهران ، ١٣٣٩هـ .

- الهمذاني ، رشيد الدين فضل الله (ت ٧١٨هـ / ١٣١٨م) :

٢٢. جامع التواريخ ، ترجمة : محمد صادق نشأت ، محمد موسى
هنداوي وفؤاد عبد المعطي الصياد ، راجعه وقدم له : يحيى الخشاب ،
دار أحياء الكتب العربية ، القاهرة ، بلا. ت ؛ والجزء الخاص بتاريخ
خلفاء جنكيز خان من اوكتاي قآن الى تيمور قآن، نقله الى العربية:
د. فؤاد عبد المعطي الصياد، راجعه وقدم له: د. يحيى الخشاب، دار
النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣م ، والجزء
الخاص بتاريخ غازان خان، دراسة وترجمة: د. فؤاد عبد المعطي
الصياد، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، دار النصر للطباعة الاسلامية،
القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

- اليونيني، موسى بن محمد بن عبد الله البعلبكي
(ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م):

٢٣. ذيل مرآة الزمان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد
الذكن، الهند، ط١، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٤م.
* ثانياً: "المراجع الثانوية (العربية وغير العربية " المعربة وغير
المعربة"):

- ارنولد ، سيرت .و. :

١. الدعوة الى الإسلام - بحث في تاريخ نشر العقيدة الإسلامية ،
ترجمة : حسن ابراهيم حسن ، وعبدالمجيد عابدين واسماعيل النحراوي
، مكتبة النهضة المصرية، مصر ، بلا.ت .

- أقبال ، عباس :

٢. تاريخ مفصل إيران از استيلاى مغول تا اعلان مشروطيت ،
مؤسسة جاب سوم ، انتشارات امير كبير ، إيران ، ١٣٤٧هـ .
٣. تاريخ ايران بعد الاسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة
الفاجارية ٢٠٥ هـ / ٨٢٠م - ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م، نقله عن الفارسية
وقدم له وعلق عليه :د. محمد علاء الدين منصور، راجعه الاستاذ
الدكتور: السباعي محمد السباعي، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة،
١٩٨٩م.

٤. تاريخ المغول منذ حملة جنكيز خان حتى قيام الدولة التيمورية،
ترجمة: د. عبد الوهاب علّوب، اصدارات المجمع الثقافي، ابو ظبي،
الامارات العربية المتحدة، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠م.

-أوزطونا ، يلماز:

٥. المدخل الى التاريخ التركي ، ترجمة: ارشد الرمزي ، نقلًا عن

الموقع www.alturkmani.com/makalaat/28102006/Ersad.pdf

-بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفتش :

٦. تاريخ الترك في آسيا الوسطى، ترجمة : د.أحمد سعيد سليمان،
راجعه : ابراهيم صبري ، مكتبة الانجلو المصرية ، مصر ، بلا.ت .
٧. تركستان من الفتح العربي حتى الغزو المغولي ، ترجمة : صلاح
الدين عثمان هاشم ، أشرف على طبعه قسم التراث العربي ، المجلس
الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ١٤٠١هـ/١٩٨١م .

- بروكلمان ، كارل :

٨. تاريخ الشعوب الإسلامية والإمبراطورية العربية وانحلالها، ترجمة
: نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٣،
١٩٦١م .

- بوزورث، كليفورد .أ.:

٩. الاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي، دراسة في التاريخ
والانساب، ترجمة : حسين علي اللبودي، مراجعة د. سليمان ابراهيم
العسكري، مؤسسة الشراع العربي، الكويت، بالاشتراك مع مؤسسة
عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، الهرم، مصر، ط٢،
١٩٩٥م .

- بول، ستانلي لين :

١٠. الدول الاسلامية، ترجمة: محمد صبحي فرزات، اشرف على
ترجمته وعلق عليه: محمد امين دهمان، مع اضافات وتصحيحات
بارتولد، وخليل ادهم، مكتبة الدراسات الاسلامية، دمشق، بلا.ت .

-حطيط، د. احمد:

- ١١.حروب المغول - دراسة في الاستراتيجية العسكرية للمغول من
ايام جنكيزخان حتى عهد تيمورلنك، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١،
١٩٩٤م .

- حومد، د. اسعد محمد:
١٢. تاريخ الجهاد لطرد الغزاة الصليبيين ، ط١ ، ٢٠٠٢م.
- الخالدي، اسماعيل عبد الله:
١٣. العالم الاسلامي والغزو المغولي، باشراف الدكتور: احمد محمد العسال و عبد الستار فتح الله عبد العال، مكتبة الفلاح، الكويت، بيروت ، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- الرمزي، م، م:
١٤. تليفق الاخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار، المطبعة الكريمة والحسينية، أرنبورغ ، ط١ ، ١٩٠٨م .
- رنسيما، ستيفن:
١٥. تاريخ الحروب الصليبية - مملكة عكا والحملات الصليبية المتأخرة-، : نقله الى العربية : د. السيد الباز العريني ، ط٢ ، ١٩٨٠م.
- سرور ، د. محمد جمال الدين:
١٦. دولة الظاهر بيبرس في مصر ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٠م.
- سليمان ، د. أحمد السعيد :
١٧. تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسرات الحاكمة ، نقله عن التركية زيادات وتعليقات : د. أحمد السعيد سليمان ، دار المعارف ، مصر ، بلا.ت.
- صفا، دكتور ذبيح الله:
١٨. تاريخ ادبيات در ايران، از ميانه قرن بنجم تا آغا زقرن مفتم بجرى، كتابفروشى، ابن سينا، تهران، ١٣٣٩هـ.
- الصياد ، د. فؤاد عبد المعطي :
١٩. المغول في التاريخ ، دار النهضة العربية ، بيروت ، بلا. ت .

- العريني ، د. السيد الباز :
٢٠. المغول ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ،
١٤٠٦هـ / ١٩٨٦ م
- العزاوي ، عباس :
٢١. تاريخ العراق بين الاحتلالين - حكومة المغول - ٦٥٦ -
٧٣٨هـ / ١٢٥٨ - ١٣٣٨ م ، مطبعة بغداد ، بغداد ، ط ١ ،
١٣٥٣هـ / ١٩٣٥ م .
- عكاشة ، د. ثروت :
٢٢. اعصار من الشرق - جنكيزخان - ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ٥ ،
١٩٩٢ م .
- فامبري ، أرمينوس :
٢٣. تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر ، ترجمة
وعلق عليه . د. أحمد محمود الساداتي ، راجعه وقدم له : د. يحيى
الخشاب ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية ، القاهرة ، بلا.ت .
- فهمي ، د. عبد السلام عبد العزيز :
٢٤. تاريخ الدولة المغولية في ايران ، دار المعارف ، القاهرة ،
١٩٨١ م .
- القزاز ، د. محمد صالح داود :
٢٥. الحياة السياسية في العراق في عهد السيطرة المغولية ، مطبعة
القضاء ، النجف ، ساعدت جامعة بغداد على طبعه ، بغداد ،
١٣٩٠هـ / ١٩٧٠ م .

- كريستنسن، أرثر:

٢٦. إيران في عهد الساسانيين، ترجمة: يحيى الخشاب، راجعه: عبد الوهاب عزام، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٧م.

- هياجنة، د. محمد احمد موسى:

٢٧. محاضرات في تاريخ المغول والمماليك، مطابع الدستور التجارية، اربد، الاردن، ١٩٩٠م.

* ثالثاً: المصادر الأجنبية غير المعربة:

-Franke,Herbert,Twitchett,Denis:

1- The Cambridge History of China , University press , Cambridge , 2008.

-Howorth,Henry.H:

2-History of the Mongols - from the 9th to the 19th century – London,Longmans ,Green,and Co,1876.

-Soucek, Svat:

3.A History of Inner Asia, University press, Cambridge.

**The Political and administrative Roles for the Wives
of the Mongols' Emperors during the Abbasid Era**

By

Asst. Prof. Suaad Hadi Hasan Al-Tai

Baghdad Univ./ College of Education/ Ibn Rushd/

Dept. of History

(650-626 H) / (1252-1228)

Abstract

The paper is an expanded study of the political and administrative roles of two Mongols' emperors who were models for the political and administrative lives. They were affected by and affected the events in the Mughal court. Moreover, they had other important roles in management and construction as well as their interests in science and scientists and they patronised them. Accordingly the Mongols and their princes focused on a number of them that they trusted them and consulted them in several things that concern the country.

Undoubtedly, the wives' concern in the political and administrative matters stemmed from their desire for achieving esteem in addition to being outstanding wives and mothers which made it important for writers to document their names.

The paper starts with two significant examples of the Mongols' wives who had an influential role in the court as well as the country. The paper starts with a brief biography of the lives and deaths of each one of the Mongols' wives, their husbands and children.



**السياسة البريطانية في الخليج العربي
الأهداف والنتائج ١٦٠٠ - ١٨٤٣ م**

**م. عصام خليل محمد ابراهيم الصالحي
كلية الآداب - الجامعة العراقية**

مقدمة

توطئة:

بدأ الاهتمام الانكليزي بالاستكشافات الجغرافية في عهد الملك هنري تيودور، المعروف بـ هنري السابع Henry VII (١٤٨٥ - ١٥٠٩م). فقد شجع المستكشفين والعلماء والمغامرين على الاستكشافات الجغرافية وسير اغوار العالم والمحيطات خارج اوروبا، كما شجع التجار واصحاب رؤوس الاموال على تطوير التجارة، والاتجار مع دول العالم الاخرى وجمع الثروات (١).

خضع الخليج العربي خلال القرن السادس عشر لسيطرة البرتغاليين، الذين استحوذوا على معظم تجارة الحرير مع فارس رغم المحاولات العثمانية المتكررة التي فشلت في عرقلة ومنع هذه التجارة. وخلال النصف الثاني من القرن السادس عشر وجه الانكليز اهتمامهم للدخول في ميدان التجارة الواسع ما بين الهند وفارس طمعاً في الحصول على نصيب فيها (٢).

قام المغامر انتوني جينكنسون A. Jenkinson في عام ١٥٦١م باول محاولة انكليزية للاتجار مع الشرق براً. غير انه فشل في مسعاه. ثم جرت محاولة المغامر رالف فيج R.Fitch وثلاثة من زملائه في

(١) محمد مظفر الادهمي، تاريخ اوروبا الحديث: عصر النهضة، الثورة الفرنسية القرون ١٦ - ١٨ ميلادية، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٩، ص ٨٦؛ علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة، بغداد، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠، ص ٥٥.

(٢) محمود علي الداود، احاديث عن الخليج العربي، ط ٢، بغداد، مديرية الفنون والثقافة الشعبية، ١٩٦٦، ص ٨.

عام ١٥٨٣ م، للوصول الى الشرق عن طريق بلاد الشام ومنها الى بغداد ومن ثم الى البصرة فالخليج العربي، حيثُ أسره الميرتغاليون في هرمز . وبعد عودتهم الى لندن في عام ١٥٩١ م، نشروا تقارير مشجعة للغاية عن الفرص الكبيرة للتجارة مع الشرق (١) .

وفي عام ١٥٩٩م، قررت مجموعة من التجار واصحاب رؤوس الاموال الانكليز تأسيس " شركة اتحاد التجار المغامرين مع الشرق " . وقد وافقت الملكة اليزابيث الاولى Elizabeth I (١٥٥٨ - ١٦٠٣م) على عقد تأسيس الشركة في الحادي والثلاثين من كانون الاول عام ١٦٠٠ م، وسميت منذُ ذلك الحين بـ (شركة الهند الشرقية الانكليزية) The English East Indian Company (٢) .

وتمكن الاخوان انتوني وروبرت شيرلي Antony & Robert Sherely في منتصف عام ١٦٠٠ م، من اقامة علاقات تجارية مباشرة مع بلاد فارس، إذ حصلوا على تسهيلات تجارية هامة، تعهد بمنحها للتجار الانكليز الشاه عباس الاول (١٥٨٥ - ١٦٢٩ م) (٣) .

وعلى اساس ماتقدم، تطرح التساؤلات الآتية :-

- ماهو الدور الذي مارسته شركة الهند الشرقية الانكليزية في توطيد النفوذ الانكليزي في الخليج العربي على المستويين السياسي والاقتصادي ؟

(١) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، بريطانيا وامارات الساحل العماني، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨، ص ٤٥ - ٤٨ .

(٢) ارنولد تالبوت ويلسون، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، الكويت، دار الفجر للطباعة والنشر، (د.ت)، ص ٩٤ - ٩٦ .

(٣) ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ - ١٩١٦م، الموصل، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ٢٠٠٥، ص ٣٠٧ .

- وماهي حقيقة التعاون الانكليزي - الفارسي ومدياته في تحجيم الوجود العربي ومحاولات انهائه ولاسيما على امتداد الساحل الشرقي للخليج العربي ؟
 - وماهي الاهداف التي توخاها ذلك التعاون ؟ وماهي نتائجه واثاره السلبية على وجود مستقبل العرب في الخليج العربي .
- هذه التساؤلات تمثل الاشكالية المطروحة التي سيحاول الباحث ايجاد اجابات وافية لها من خلال سير البحث .

شركة الهند الشرقية الانكليزية :

اخذت الشركة على عاتقها مهمة ترسيخ السيطرة البريطانية في الهند وماجاورها والخليج العربي وبلاد فارس وايجاد قنوات اقتصادية وتجارية جديدة لمد النفوذ الانكليزي اليها، موفرة بذلك على الحكومة البريطانية والتجار الجهد والمال (1) . ففي تلك المدة، كانت الحكومة البريطانية تفتقر الى القوة والمال الكافي للقيام بالمشاريع التجارية والاستكشافية بمفردها، وكذلك الحال بالنسبة للتجار الانكليز، نظراً للصعوبات والمخاطر الجسيمة التي كانت تعترض سبل التجارة انذاك، وحاجتها للاموال الطائلة التي تتطلبها التجارة والاستكشاف في مناطق الشرق البعيدة (2).

ويتبين من سجلات الشركة، بأن صادراتها الى الخليج العربي وبلاد فارس كانت تشمل، الملابس الصوفية، معادن مختلفة، مصنوعات متنوعة فيما اشتملت وارداتها على، التوابل، القطن، العطور، الاحجار الكريمة، النيلة، الحرير، الاخشاب النادرة (3) . ويوضح ذلك، بأن الكفة التجارية كانت تميل الى ارتفاع نسبة الواردات عن نسبة الصادرات مما ادى الى الاخلال بالخرزاة الانكليزية، التي كانت تدفع سنويا قيمة الفروقات التجارية بالذهب والفضة عن مشترياتها من الاسواق الشرقية

(1) ابراهيم خليل احمد، المصدر السابق، ص 307 - 308 .

(2) عبد الامير محمد امين، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد الثاني عشر، 1980، ص 185 - 186 .

(3) C.A.Herrick ; History of Commerce and Industry ,New York ,Department Statement press , 1935 , p.216

ولاسيما بعد الكساد الذي اصاب الاقمشة الصوفية الانكليزية في بلاد الهند وماجاورها بسبب حرارة الطقس وفقر السكان⁽¹⁾.

لذلك اخذت الشركة على عاتقها مهمة البحث عن مناطق اخرى لتصريف منتجاتها الصوفية، وقد وجدت في بلاد فارس سوقاً رائجاً لمنتجاتها. ويعود ذلك الى برودة الطقس من جهة، وارتفاع مستوى المعيشة لدى السكان من جهة اخرى، فضلاً عن العادات الاجتماعية المحلية التي تفرض ارتداء الملابس الجيدة والسميكة مما جعل بلاد فارس سوق جيدة لتصريف الاقمشة الصوفية الانكليزية⁽²⁾.

ولعل التطور الذي حصل على مجمل نشاطات شركة الهند الشرقية الانكليزية في الخليج العربي قد جعلها موضع فخر واعتزاز الحكومة والشعب الانكليزي، فروعّي تهيأتها للقيام بمسؤوليات وواجبات سياسية فضلاً عن مهماتها الاقتصادية والتجارية، لتكون اداة للتوسع واليد الطولى لتنفيذ السياسة الاستعمارية الانكليزية في المحيط الهندي والخليج العربي وبلاد فارس. وقدر لها ان تؤدي ذلك الدور الخطير لاحقاً، فقد ترك اثراً واضحاً في تاريخ السياسة والاقتصاد الانكليزي ابان تلك الفترة وربما امتد اثره حتى منتصف القرن العشرين⁽³⁾.

الامتيازات والتسهيلات الفارسية :

حصلت شركة الهند الشرقية الانكليزية على موافقة الحكومة المحلية في عام ١٦٠٨م على رخصة تأسيس قاعدة تجارية لها في

(1) F. Robinson ; The Trade of The East India Company From 1709 – 1813 , Cambridge University press , 1962 , p.66 – 67 .

(2) عبدالامير محمد امين، المصدر السابق، ص ١٩٥ .

(3) Bal Krishna ; Commercial Relations Between India & England , London , Oxford University Press , 1924 , P. 129 – 130 .

ميناء سورات surat الواقع على الساحل الغربي للهند^(١) . وفي عام ١٦١٤م، ارسلت الشركة وفداً من سورات الى اصفهان للاطلاع على رؤية المسؤولين الفرس حول التبادل التجاري بين البلدين، والتمهيد لوضع الاتفاقات التجارية بشأنه . وقد استطاع الوفد، الحصول على فرامين (مفردها فرمان بمعنى مرسوم او قرار) وهي وثائق رسمية تمثل اوامر عليا موجهة من قبل الشاه عباس الاول الى جميع حكام الولايات الفارسية لأبداء وتقديم المساعدة اللازمة لجميع السفن الانكليزية التي ترسو في الموانئ الفارسية، والبعثات التجارية الانكليزية المنتشرة في انحاء البلاد^(٢) . وفي عام ١٦١٦م، حصل بعض تجار شركة الهند الشرقية الانكليزية على فرمان اخر، تعهد فيه الشاه عباس الاول بتقديم المساعدة التامة للتجار الانكليز، وضمان حرية انتقالهم والمتاجرة في جميع انحاء بلاد فارس دون اية شروط او قيود . وبذلك تمكنت الشركة من تحقيق هدفها الرئيس في بيع الاصواف الانكليزية في بلاد فارس مقابل الحصول على خامات الحرير منها^(٣) .

التعاون الانكليزي الفارسي للقضاء على الوجود البرتغالي :

كان الشاه عباس الاول قد وافق عام ١٦١٨م على اعطاء الشركة جزيرة جسك الواقعة عند مدخل الخليج العربي لتكون ميناءاً للتجارة الانكليزية، وقد تضمن الاتفاق المعقود بين الشاه والشركة اعفاء

^(١) زكي صالح، العراق وبريطانيا حتى عام ١٩١٤، بغداد، مطبعة المثني، ١٩٦٨، ص ٤٧ .

^(٢) زكي صالح، المصدر السابق، ص ٤٧ .

^(٣) ارنولد تالبوت ويلسون، المصدر السابق، ص ٩٨ - ٩٩ .

البضائع الانكليزية من الضرائب الكمركية^(١) . وازاء التسهيلات العديدة والمواقف الايجابية التي ابداهما الشاه، ارسل ملك انكلترا جيمس الاول James I (١٦٠٣ - ١٦٢٥ م) كتاباً الى الشاه عباس الاول في التاسع عشر من اذار عام ١٦٢٠م، شكره فيه على تعاونه ومساعدته للتجار الانكليز ومنحه شركة الهند الشرقية الانكليزية امتيازات تجارية هامة، وطلب منه السماح للشركة بتأسيس مصنع للحرير في ميناء بسك . وقد وافق الشاه على ذلك، من اجل توثيق العلاقات بين الفرس والانكليز وتوحيد جهودهما لطرد البرتغاليين من الخليج العربي اولاً ، ولمواجهة القوى العربية بهدف اضعافها ومن ثم اخضاعها للسيطرة الفارسية ثانياً^(٢) .

تمكنت الشاه عباس الاول رغبة شديدة بالقضاء على عرب الخليج العربي بساحليه الشرقي والغربي وجزره ، وجعل الخليج العربي فارسياً مستغلاً بذلك الوجود الانكليزي في المنطقة ومحاولات استرضائه بتقديم كافة اشكال التسهيلات والامتيازات التجارية والعسكرية والتواطؤ معه لتحقيق المأرب الفارسية، وكذلك ضعف القبائل العربية نتيجة لتفرقها وعدم توحيد جهود ابناءها ومشايخها، وتجميع قواها الاقتصادية والعسكرية لمواجهة خطر الاطماع الفارسية بالمياه والارض العربية، والنفوذ المتزايد للقوى الاجنبية في الخليج العربي^(٣) .

(١) زكي صالح، المصدر السابق، ص ٤٨ - ٤٩ .

(٢) س . ب . مايلز، الخليج العربي بلدانه وقيائله ، ترجمة محمد امين عبدالله، ط ٣، سلطنة عُمان، المطبعة المركزية، ١٩٨٦، ص ٢٠٣ .

(٣) E.Lipson ; The Economic History of England , London , Oxford University Press , 1942, p. 73.

الموقف الفارسي من الغزو البرتغالي :

كان البرتغاليون اول من وصل من القوى الاجنبية الى مياه الخليج العربي مطلع القرن السادس عشر وبعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح عام ١٤٩٨م، فتسيدوا البحار الشرقية لمدة قرن ونصف من الزمن (١) . شرع العرب بمقاومة الغزو البرتغالي للاراضي العربية بدءاً من البحر الاحمر وباب المنذب فخليج عدن وبحر العرب والسواحل العمانية حتى مدخل الخليج العربي عند جزيرة هرمز (٢) ثم البحرين وجميع المواقع التي حاول البرتغاليون الاستيلاء عليها حتى تمكن البرتغاليون من احتلال هرمز في عام ١٥٠٧ م . قام العرب بعدة ثورات ضد الوجود البرتغالي في الخليج العربي امتدت من هرمز والبحرين والقطيف بمساعدة اليعاربة في مسقط ومعظم الساحل العماني حتى تمكنوا في النهاية من القضاء على البرتغاليين وطردهم من الخليج العربي في منتصف القرن السابع عشر (٣) .

وبوصول الانكليز والهولنديون الى المحيط الهندي والخليج العربي بدأ الصراع بين القوى الثلاث للسيطرة على المنطقة عسكرياً وتجارياً . وقد أدت المنافسة التجارية الى وقوع اشتباكات دامية

(١) Bal Krishna ; Op.Cit ., P. 144 – 145 .

(٢) هرمز: وهي مشيخة عربية كبيرة، بسطت سلطتها السياسية على الساحل الشرقي من الخليج العربي وجزره، والساحل الغربي من القطيف شمالاً وجزر البحرين حتى عمان جنوباً ، وامتد سلطانها داخل الجزيرة العربية، فضلاً عن ثرائها وازدهارها الاقتصادي وكثرة سكانها ورفاهيتهم، إذ يبلغ عدد سكانها اربعين الف نسمة، ويرجع ذلك الى نشاطها التجاري وتنوعه، وسميت بـ (لؤلؤة الشرق)، وتعد من اهم حلقات نقل ومرور التجارة العالمية بين الشرق والغرب ؛ ارنولد تالبوت ويلسون، المصدر السابق، ص ٦٩ .

(٣) س . ب . مايلز، المصدر السابق، ص ١٦٨ .

ومعارك كثيرة بين هذه القوى الثلاث^(١). وقد ظهر الضعف جلياً على الوجود البرتغالي ولاسيما بعد ان تحالف الفرس مع الانكليز والهولنديين لاضعاف مركز البرتغاليين التجاري ومن ثم القضاء عليهم وانهاء وجودهم في الخليج العربي^(٢). ولا بد من ايضاح الموقف الفارسي من الغزو البرتغالي للخليج العربي. فقد تحمل العرب بوحدهم اعباء المقاومة المسلحة للوجود البرتغالي، وعانوا من قسوته وجبروته وتسلطه وسرقته لاموالهم وثرواتهم، وقطع ارزاقهم بمنعهم من الابحار في الخليج العربي او المتاجرة عبره، وخسروا الكثير من الضحايا من ابنائهم ونسائهم واطفالهم نتيجة لبطش البرتغاليين وكرههم للعرب والمسلمين^(٣).

اما الفرس فقد رحبوا بالغزاة البرتغاليين منذ وطأت اقدامهم الارض العربية، وعرضوا التعاون معهم، فعقدت معاهدة في عام ١٥٠٨ م، بين الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠١ - ١٥٢٤م) وبين القائد البرتغالي الفونسو البوكيرك، Alfonso ALBU Keirk تضمنت اعتراف الشاه بالاحتلال البرتغالي لجزيرة هرمز، ومنح البرتغاليين امتيازات تجارية واعفاء بضائعهم من الضرائب، مقابل اقامة تحالف عسكري بين الطرفين في الخليج العربي لمواجهة الدولة العثمانية والقضاء على الوجود العربي فيه^(٤). ولعل الرسالة التي بعثها

(١) جعفر عباس حميدي واخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٩١، ص ٥٠.

(٢) مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢ - ١٧٦٣، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، (د.ت)، ص ٦٧ - ٦٨.

(٣) ارنولد تالبوت ويلسون، المصدر السابق، ص ١٧٨ - ١٧٩.

(٤) عبد العزيز محمد الشناوي، المراحل الاولى للوجود البرتغالي شرقي الجزيرة العربية؛ تاريخ قطر، ج ٢، الدوحة، (د.ت)، ص ٦٤٠.

البوكيرك الى الشاه اسماعيل، توضح النوايا المبيتة للفرس تجاه العرب ومقدساتهم الاسلامية . فقد اعلن البوكيرك في رسالته، تأييدهُ القوي للاطماع الفارسية في احتلال الخليج العربي فكتب: ((واذا اردت ان تنقض على بلاد العرب أو ان تهاجم مكة فستجدني بجانبك في البحر الاحمر امام جدة أو في عدن أو في البحرين أو في القطيف أو البصرة))^(١) . وبذلك يكون الفرس قد استجدوا بالغزاة البرتغاليين على العرب، ووضع البرتغاليون سفنهم ومعداتهم وقدراتهم الحربية في خدمة الاطماع التوسعية الفارسية في الخليج العربي، ولما ضعف البرتغاليون انفرط عقد هذا التحالف، وتحول الفرس الى جانب القوى الاوربية التي وصلت الى الخليج العربي للاحتماء بها ضد حلفاءهم السابقين وضد العرب .

معركة جسك :

حدثت المعركة الاولى بين الانكليز والبرتغاليين في نهاية عام ١٦٢٠ م بالقرب من جزيرة جسك، وسميت بمعركة جسك البحرية . ففي شتاء العام نفسه وصل اسطول انكليزي مكون من اربع سفن تجارية الى قاعدة سورات في الهند، اذ ابحرت اثنتان منهما الى ميناء جسك لتفريغ حمولتهما من الاقمشة الصوفية الانكليزية وتحميلهما بخام الحرير^(٢) . وكانت الاوامر قد صدرت الى الاسطول البرتغالي في هرمز بمنع السفن الانكليزية من الوصول الى الموانئ الفارسية، وعدم السماح للانكليز بانشاء مراكز تجارية على سواحل الخليج العربي

^(١)صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، دار العلم للملايين، ١٩٦٥، ص ١٧ .

^(٢)ج.ج. لوريمر، دليل الخليج، ط٢، ترجمة قسم الترجمة بمكتب امير دولة قطر، الدوحة، اربعة عشر جزءاً، (د.ت)، ج ١، ص ٣٩ .

الشرقية والغربية والقضاء على وجودهم في المنطقة بصفة نهائية^(١). فوضع القائد البرتغالي روي فراير Roy Friar خطة عسكرية تعتمد في الاساس على تحصين القلاع في هرمز ، وبناء دفاعات جديدة ،وانزال موانع وسلاسل حديدية في المياه لمنع السفن الانكليزية من الاقتراب من هرمز^(٢).

ويبدو ان البرتغاليين قد اخطأوا في تقدير قوة الاسطول البحري الانكليزي وكفاءته القتالية، فحين قدمت السفينتان التجاريتان الانكليزيتين في تشرين الثاني - نوفمبر عام ١٦٢٠ م الى جسك تصدى البرتغاليون لهما واضطروهما الى العودة الى قاعدتهما في سورات^(٣). وعلى اثر ذلك امرت شركة الهند الشرقية الانكليزية، السفينتان التجاريتان بالعودة الى جسك، وبصحبتهما قطعاً حربية لحراستهما ولفتح الطريق امامهما، وعندما اقتربت السفن الانكليزية من ميناء جسك في السادس عشر من كانون الاول - ديسمبر عام ١٦٢٠ م، تصدى البرتغاليون للاسطول الانكليزي في محاولة لمنعه من الدخول الى الميناء، فدارت معركة بين الطرفين بالقرب من شواطئ جسك، انتهت بانتصار الانكليز على الرغم من ان السفن البرتغالية كانت تتفوق على السفن الانكليزية بالعدد والعدة . فافرغوا حمولة سفنهم من الصوف الانكليزي والبضائع الاوربية، ثم شحنوا السفن بالحريز الفارسي وعادوا الى سورات^(٤).

(١) مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص ٦٨

(٢) س. ب . مايلز، المصدر السابق، ص ١٨٦ .

(٣) ارنولد تالبوت ويلسون، المصدر السابق، ص ١٠٩ .

(٤) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢-٤٣ .

اجتمع وفد من مندوبي شركة الهند الشرقية الانكليزية بالشاه عباس الاول مطلع عام ١٦٢١ م، فقدموا له الهدايا الثمينة، وهنئهم بالانتصار على البرتغاليين، ووعدهم بمنحهم امتيازات جديدة، تتضمن امتيازاً باحتكار شركة الحرير الفارسي، والسماح لهم بانشاء وكالات تجارية في عموم بلاد فارس (١).

معركة هرمز:

بعد هزيمة البرتغاليين في معركة جسك وفقدانهم لأهم مصدر من مصادر تموينهم بالماء والمؤن، قام البرتغاليون باحتلال جزيرة قشم القريبة من هرمز والساحل الشرقي للخليج العربي، وانشاء قلعة حصينة هناك لضمان امداد هرمز بمياه الشرب (٢).

حاول الشاه عباس الاول استمالة الانكليز الى جانبه، مستغلاً المطالب المتكررة لمندوبي شركة الهند الشرقية الانكليزية للحصول على امتيازات اكثر في فارس ولاسيما بعد احتلال البرتغاليين لجزيرة قشم. اذ جرى الاتفاق القاضي باعفاء الشركة من دفع الضرائب على بضائعها الواردة الى هرمز في حال تمكن الانكليز من طرد البرتغاليين منها، وسرى هذا الاتفاق بعدما هُجرت هرمز وحلت بندر عباس محلها كمركز رئيس لتجارة الخليج العربي، إذ احتفظ الانكليز بامتياز الاعفاء الضريبي في الميناء الجديد (٣).

جرى الاتفاق بين الانكليز والفرس على طرد البرتغاليين من هرمز ووقع الاتفاق عن الانكليز ممثل شركة الهند الشرقية الانكليزية في

(١) مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص ٧٠.

(٢) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤٥ - ٤٦.

اصفهان السير مونكس Sir. Monox وامام قلي خان احد مساعدي
 الشاه عباس في الثامن من كانون الثاني - يناير عام ١٦٢٢ م (١) .
 وتضمنت بنود الاتفاق: تقسيم الغنائم واسلاب الحرب بين
 الطرفين بالتساوي، تسليم القلعة البرتغالية في هرمز ومحتوياتها من
 الاسلحة والذخائر الى القوات الانكليزية، تقسيم العوائد الكمركية بين
 شركة الهند الشرقية الانكليزية وفارس بالتساوي، اعفاء البضائع
 الانكليزية من الضرائب الكمركية الى الابد، يسلم الاسرى المسلمون
 الى الفرس والمسيحيون الى القوات الانكليزية، على الشاه عباس ان
 يدفع نصف نفقات السفن والمواد الغذائية واجور الجنود الانكليز، فضلاً
 عن ذلك، ان على الفرس توفير البارود (٢) .

استغلت شركة الهند الشرقية الانكليزية هذه الفرصة استغلالاً امثلاً،
 فقد كانت تتطلع للاستحواذ على هرمز لما تمثله من سوقاً تجارية رائجة
 وزاخرة بالاموال والثروات، وكانت قبلة للتجار من كل مكان وتتوارد
 عليها البضائع من الصين واليابان وجزر الهند الشرقية وسيام والهند
 ودول اوربا، وتزخر اسواقها بالحريز والاحجار الكريمة والخيول
 واللؤلؤ والعطور والبخور والاششاب وغيرها الكثير من البضائع وعدّ
 مسؤولوا الشركة بأن الجدوى الاقتصادية المربحة، كانت الدافع في
 المقام الاول حين اتخذت الشركة قرارها بالاشتراك في الحملة على
 هرمز . فضلاً عما تتركه من مردود على المستوى السياسي الاقليمي
 وماتوفره من قاعدة للوجود البريطاني الاستعماري في المنطقة (٣) .

(١) مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص ٧٦ .

(٢) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث، ج١،
 بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٧١، ص ٧٢ .

(٣) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج١، ص ٤٥ .

وبموجب الاتفاق الانكليزي - الفارسي، ارسلت الشركة الانكليزية في سورات خمس سفن حربية واربعة قوارب كبيرة تحت قيادة ريتشارد بليت Richard Bleet وجون دول Jones Doll في التاسع عشر من كانون الثاني - يناير ١٦٢٢ م، لطرده البرتغاليين من جزيرة هرمز بالتعاون مع الفرس (١).

واخذت مواقعها تجاه سواحل هرمز في الحادي والعشرين من كانون الثاني - يناير، وفرضت حصاراً شديداً على هرمز، ثم قصفت السفن الانكليزية هرمز بالمدافع لمدة ثلاثة ايام (٢).

انتهت معركة هرمز باندحار البرتغاليين على الرغم من دفاعهم بقوة عن هرمز فاضطروا الى التسليم للقوات الانكليزية. وكانت تلك المعركة ايذاناً بنهاية الوجود البرتغالي في الخليج العربي (٣).

بعد الانتصار في هرمز، وما حققته شركة الهند الشرقية الانكليزية من انجازات تجارية وعسكرية، وثبتت اقدامها في الهند وماجاورها، سعت بقوة لتثبيت اقدامها في الخليج العربي بجزره وساحليه الشرقي والغربي، فعقدت اتفاقاً مع الشاه عباس الاول في منتصف عام ١٦٢٢ م، تقوم بمقتضاه بحماية السفن التجارية والمحطات والموانئ الممتدة على طول السواحل الخليجية (٤). فأهلّت الموانئ لاستقبال السفن وانشأت حولها الابنية مما يستلزم الادارة والسكن والترفيه، واحاطتها

(١) ارنولد تالبوت ويلسون، المصدر السابق، ص ١١٨ .

(٢) Charlos Belgrave ;The Pirate Coast London , Oxford University Press ,1966, P.11 .

(٣) مصطفى عقيل الخطيب، المصدر السابق، ص ٧٩ .

(٤) عبد الفتاح ابراهيم، على طريق الهند، بغداد، مطبعة الاهالي، ١٩٣٥، ص ٢٦ .

بالحصون والاسوار بهدف حمايتها والدفاع عنها . وجهزت سفينتين حربيين للقيام بواجبات الدورية لحماية التجارة في الخليج العربي (١) .
 نلاحظ أن الجانب السياسي، والعسكري بدرجة أقل، قد طغى على النشاط الفعلي للشركة، واصبح الجانب الاقتصادي والتجاري في المرتبة الثانية في سلم اولويات الشركة . فقد اناطت الحكومة الانكليزية بمسؤولي الشركة مهاماً سياسية عديدة، ومن ذلك، تعيين مندوبيها، قناصل وممثلين عن الحكومة الانكليزية في المناطق التي يعملون فيها اضافة الى وظيفتهم في الشركة، مما هيأها لأداء دور هام وحيوي في رسم وتنفيذ مقتضيات السياسة الانكليزية وبرامجها الاقتصادية في مناطق الشرق ولاسيما في الخليج العربي منذ عام ١٦٢٢م (٢) .

وفور اعتلائه عرش بريطانيا، منح شارل الثاني (Charl II) (١٦٦٠ - ١٦٨٥م)، شركة الهند الشرقية الانكليزية حق اعلان الحرب، وشن الغارات، وعقد الاتفاقيات، واجراء المفاوضات السياسية، كما منحها حق الحصول على قوة بحرية لحماية وتأمين مصالحها في مياه ومناطق الشرق وكان ذلك بموجب المرسوم الملكي الصادر في عام ١٦٦١م (٣) .
 وتعد تلك الخطوة، اولى المحاولات التي سعت من خلالها انكلترا الى بسط سلطتها ونفوذها السياسي (المقرون بالقوة العسكرية) على الخليج العربي ومن ثم بلاد فارس وبلاد الرافدين، ومن خلال عاملي التجارة والاقتصاد بأداة تنفيذ ممثلة بشركة الهند الشرقية الانكليزية .

(١) هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة عبد المسيح جويده، بغداد، مطبعة

الاهالي، ١٩٣٤، ص ٥٨ .

(٢) عبد الامير محمد امين، المصدر السابق، ص ٢١١ - ٢١٣ .

(٣) هنري فوستر، المصدر السابق، ص ٥٨ - ٥٩ .

التنافس الانكليزي – الهولندي :

يرجع الوجود الهولندي في الخليج العربي الى نهاية القرن السادس عشر بعد انفصال هولندا عن العرش الاسباني، فاندفع الهولنديون نحو الشرق . وكانت شركة فانفير Vanver اول شركة هولندية للتجارة مع مناطق الشرق، ووصلت اول رحلة لها الى السواحل الشرقية للهند عام ١٥٩٥ م، واستطاعت ان تعقد اول اتفاق تجاري هولندي مع حاكم مقاطعة بنتام أو ما يعرف بـ (فيزاغاتام) الواقعة على خليج البنغال، مما فتح المجال واسعاً امام التجارة الهولندية في جزر اربيل الهند الشرقية^(١) . فأدى ذلك النجاح الى انشاء شركات هولندية عديدة للتجار مع بلاد الشرق . وتواردت السفن والاساطيل الهولندية الى مياه الخليج العربي والمحيط الهندي لنفس الغرض لفترة مابين الاعوام ١٥٩٨ - ١٦٠٣م، وبهدف تنظيم عمل هذه الشركات، انضمت اغلبها في جمعية "الاتجار مع البلاد البعيدة" ومن ثم اصبحت تعرف بشركة الهند الشرقية الهولندية في عام ١٦٠٢م The Holand Esat India Company^(٢) .

حقق الهولنديون تفوقاً واضحاً في الخليج العربي والمحيط الهندي، واستطاعوا اضعاف وتحجيم النشاط البرتغالي فيها، وقد توافق ذلك مع الاهداف الانكليزية والفارسية الرامية الى القضاء على الوجود البرتغالي في حوض الخليج العربي والهند^(٣) .

ويُعد القرن السابع عشر، قرن السيطرة الهولندية على التجارة في الخليج العربي والبحار الشرقية، فقد تمكنوا من انشاء الكثير من

(١) محمود علي الداود، العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مجلة كلية الاداب،

بغداد، العدد ٣ ،كانون الثاني ١٩٦١، ص ١٢ .

(٢) ارنولد تالبوت ويلسون، المصدر السابق، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٣) محمود علي الداود، احاديث عن الخليج العربي، ص ٩ .

المراكز التجارية والحصون والقلاع، وامتلكوا اسطولاً حربياً كبيراً لحماية طرقهم وقوافلهم التجارية، وحققوا ارباحاً كبيرة فاقت توقعاتهم^(١).

ساد التقارب العلاقات الانكليزية - الهولندية خلال الربع الاول من القرن السابع عشر ويرجع ذلك، الى هدفهم المشترك في القضاء على الوجود البرتغالي في الخليج العربي، وتوج ذلك التقارب بتعاونهما في معركة بندر عباس البحرية عام ١٦٢٥ م حيث قام الاسطولان الانكليزي والهولندي بحملة بحرية مشتركة حققوا فيها الانتصار على الاسطول البرتغالي بالقرب من بندر عباس^(٢).

ونتيجة لبروز الهولنديين وسيطرتهم الكاملة على الخليج العربي والهند، عمد الشاه عباس الاول الى السماح للهولنديين باثشاء مركز تجاري في بندر عباس قريباً من المركز التجاري الانكليزي^(٣).

وفي عام ١٦٤٥م، منح الشاه عباس الثاني (١٦٤١ - ١٦٦٦م) الهولنديين تسهيلات تجارية جديدة، فحصلوا على امتياز حق تصدير الحرير الفارسي من جميع الموانئ الخاضعة للسيطرة الفارسية، واعفاءهم من الضرائب. الامر الذي ادى الى تعاظم نفوذ الهولنديين واتساع نشاطهم التجاري بشكلٍ لم يسبق له مثيل، ويرجع ذلك الى ما عرّفوا به من تخفيض اسعار بضائعهم، واستخدامهم للقوة العسكرية احياناً للحصول على الامتيازات التجارية الضرورية^(٤).

(١) Charles Belgrave ; Op . Cit ., P.24 .

(٢) ارنولد تالبوت ويلسون، المصدر السابق، ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٣) ارنولد تالبوت ويلسون، المصدر السابق، ص ١٣٤ .

(٤) محمود علي الداود، العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، ص ١٥.

هذا النجاح الملحوظ للهولنديين، أدى الى اذكاء روح المنافسة الانكليزية - الهولندية للسيطرة على اسواق وتجارة بلاد فارس والخليج العربي، إذ لم يبق للتجارة الانكليزية مجال يذكر في تلك الاسواق بعد استحواذ الهولنديين عليها (١) .

وبهدف منافسة الوجود الهولندي في جزيرة خرج (٢) سعى الانكليز للحصول على مركز تجاري لهم في اماره بندر ريق (٣)، وكان لهم ما أرادوا بموافقة الشيخ ناصر آل صعب على الطلب الانكليزي، وعُين فرنسيس وود Frances Wood مقيماً عاماً في بندر ريق (٤) .

(١) صلاح العقاد، المصدر السابق، ص ٣٤ .

(٢) خرج، جزيرة صغيرة تابعة الى اماره بندر ريق، وتبعد عن ساحلها بحوالي ثلاثة وعشرون ميلاً، وهي جزيرة جرداء، لايزيد عدد سكانها عن المائة شخص من صيادي الاسماك، استأجرها الهولنديون من الامير ناصر ال صعب امير بندر ريق عام ١٧٥٣م بعد طردهم من البصرة عام ١٧٥٠م، مقابل ايجار سنوي، الآ أنهم امتنعوا عن دفعه عام ١٧٥٤م، مما اثار الخلاف بين الطرفين ؛ علاء نورس، السياسة الايرانية في الخليج العربي أبان عهد كريم خان ١٧٥٧ - ١٧٧٩، الكويت، دار الشروق للطباعة والنشر، ١٩٨٢، ص ٣٨ .

(٣) اماره بندر ريق، اماره عربية قامت في القرن الثامن عشر، وتقع من الجزء الشمالي من الساحل الشرقي للخليج العربي الى الشمال من مدينة بوشهر الساحلية . وهي مدينة موعلة في القدم، وميناء تجاري معروف وعقدة اتصال هامة بين شمال الخليج العربي وساحله الشرقي . اقامت علاقات وثيقة مع مدن الساحل الغربي ولاسيما البصرة والكويت، وسكانها عرب من قبيلة آل صعب العمانية ؛ جمال زكريا قاسم، الادعاءات الايرانية في الخليج العربي، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ في بغداد - اذار ١٩٧٣، بغداد، ١٩٧٤، ص ٦١٦ - ٦١٧ .

(٤) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٩ .

حدثت تطورات داخلية خطيرة نتيجة لتزايد النفوذ الاجنبي في الامارة، مما ادى الى حدوث ثورة ضد الشيخ ناصر آل صعب انتهت بمقتله عام ١٧٥٤م، وتولى ابنه الشيخ مهنا بن ناصر آل صعب الحكم (١٧٥٤ - ١٧٥٥/١٧٥٦ - ١٧٦٩ م) . الا ان حسين (اخاه من أبيه وامه فارسية)، قد استطاع ان يخلع الامير مهنا ويستولي على حكم الامارة مطلع عام ١٧٥٥م^(١) . وصل المقيم العام الانكليزي فرنسيس وود الى الامارة في شهر حزيران ١٧٥٥م، واستقبله الامير حسين بحفاوة بالغة وقدم له كافة التسهيلات اللازمة لتأسيس الوكالة التجارية في الامارة، التي اصبحت بعد مدة وجيزة مستعمرة انكليزية لمنافسة الوجود الهولندي^(٢) .

وكان لانشغال هولندا بحربها ضد فرنسا (١٦٧٢ - ١٦٧٨م)^(٣)، وفقدان شركة الهند الشرقية الهولندية للدعم المادي والسياسي الذي

(١) عبدالامير محمد امين، دور القبائل العربية في صد التوسع الاوربي في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ في بغداد - اذار ١٩٧٣، بغداد، ١٩٧٤، ص ٦٥٧ .

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٥٨ - ٦٥٩ .

(٣) الحرب الفرنسية - الهولندية، وتسمى بحرب الاراضي المنخفضة البروتستانتية، وهي جزء من حرب الوراثة الاسبانية، اذ قاد ملك فرنسا لويس الرابع عشر (١٦٦١ - ١٧١٥م) حوالي مائة وعشرون الف محارب عبر نهر الراين لاحتلال هولندا، ويرجع ذلك الى مطالبة لويس الرابع عشر، بعد وفاة الملك الاسباني فيليب الرابع، والد زوجته ماريا تريزا الوراثة الشرعية، بالحصول على الاقاليم المنخفضة (هولندا - بلجيكا - لوكسمبورغ) التابعة للتاج الاسباني . فتصدى الهولنديون بقيادة وليام اورانج William Orange (١٦٨٨ - ١٧٠٢م) الذي نودي به ملكاً على انكلترا اثر الثورة الجليلة عام ١٦٨٨ م، فتصدوا للجيش الفرنسي وكسروا السدود واغرقوا البلاد ومنعوا لويس الرابع عشر من احتلال العاصمة امستردام ؛ جيفري براون، تاريخ اوربا الحديث، =

كانت تحصل عليه من الحكومة الهولندية، اثرًا ايجابياً على الموقف الانكليزي، وفسح المجال امامهم للانفراد بالسيطرة على الخليج العربي والهند والمياه الشرقية^(١). ومنذ منتصف القرن الثامن عشر، ظهرت بوادر الضعف على الهولنديين وبدأت سيطرتهم تتلاشى وينهار نفوذهم ووجودهم في الخليج العربي، ولاسيما بعد الانتصار الذي حققته امارة بندر ريق العربية بقيادة الشيخ مهنا بن ناصر على القوات الهولندية المتواجدة في جزيرة خرج في الاول من كانون الثاني - يناير ١٧٦٦م، ولعل اصرار العرب على اخراج الهولنديين من الخليج العربي بعد ان ادركوا بأن الهولنديين يناصرون الفرس ضدهم ويعينونهم على توطيد اقدامهم في العديد من مناطق الخليج العربي ولاسيما في ساحله الشرقي. واخيراً اضطر الهولنديون الى التسليم بالشروط التي فرضها الشيخ مهنا وغادروا الجزيرة والخليج العربي^(٢).

في عام ١٧٥٦ م تمكن الشيخ مهنا من استعادة حكم الامارة بعد ابعاد اخيه حسين، وياشر فوراً بهدم مبنى الشركة الانكليزية والوكالة وانزل العلم الانكليزي عنهما، وفي السادس من تشرين الثاني - نوفمبر ١٧٥٦م، طلب الامير مهنا من المقيم فرنسيس وود مغادرة بندر ريق خلال نصف ساعة، فغادرها ومن معه من الحراس والموظفين الانكليز من فورهِ متوجها الى البصرة^(٣). ويؤشر ذلك، الفشل الذريع الذي منيت به المشاريع الاستعمارية لشركة الهند الشرقية الانكليزية في امارة بندر ريق.

=ترجمة علي المرزوقي، ط٢، عمان، الدار الاهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ص ٢٩١ - ٢٩٣؛ علي حيدر سليمان، المصدر السابق، ص ١٣٠.

(١)صلاح العقاد، المصدر السابق، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢)Charles Belgrave ; Op . Cit ., P. 26 .

(٣)ج.ج. لويرمر، المصدر السابق، ج١، ص ٦٠٩.

وبعد الانتصار الذي حققه العرب بطردهم الهولنديين من خرج، أصبح التعاون الانكليزي - الفارسي ثنائياً ضد الامير مهنا، الذي غدى قوة كبيرة في شمال الخليج العربي . واثمر ذلك التعاون عقد اتفاق بين كريم خان الزند والانكليز (١٧٥٠ - ١٧٧٩م)، تعهد بموجبه كريم خان بأن يحصل الانكليز على جميع المراكب والاسلحة والغنائم في حالة القضاء على الامير مهنا، وان يتخلى لهم كذلك عن جزيرة خرج وللابد^(١) . وبموجب هذا الاتفاق قام الاسطول الانكليزي في ايار - مايو ١٧٦٨م بشن هجوم على جزيرة خرج، الا ان القوات العربية دافعت عن الجزيرة ببسالة وردت الهجوم الانكليزي واسرت احدى سفنهم . وتوالت هجومات مشتركة فارسية - انكليزية عدة على الجزيرة والامارة من البر والبحر، الا انها فشلت جميعها في اضعاف موقف الشيخ مهنا . فعمد الانكليز والفرس الى اثاره الفتن والاضطرابات داخل الامارة، وتحريض بعض الناقلين ضد الشيخ مهنا والخروج عن طاعته، وساعد على ذلك، مجموعات من الفرس المندسين بين الناس، فأطيح بحكم الشيخ مهنا في كانون الثاني - يناير ١٧٦٩م اثر حركة داخلية، فتسلم السلطة شخص فارسي الاصل يدعى حسين خان . وبعد القضاء على الحكم العربي في الامارة والشيخ مهنا، ازداد التدخل الفارسي بشؤونها، ثم توأمت انكلترا مع الفرس لانتهاء الحكم العربي فيها وضمها مع جزيرة خرج الى بلاد فارس^(٢) .

العلاقات الانكليزية - الفارسية مطلع القرن التاسع عشر:

حتى اواخر القرن الثامن عشر لم تستطع انكلترا توسيع نفوذها في بلاد فارس، لان مصالحها التجارية وارباحها المادية انذاك تاتي في

(١) رنولد تالبوت ويلسون، المصدر السابق، ص ١٥٣ .

(٢) علاء نورس، المصدر السابق، ص ٤٩ .

مقدمة اهتماماتها . غير ان ذلك الوضع تبدل مع مطلع القرن التاسع عشر، فقد بدأ النفوذ الانكليزي خاصة والاوربي عامة يمارس دوراً كبيراً ومؤثراً في الشؤون السياسية والاقتصادية لهذه البلاد .

اراد نابليون بوناپيرت، جعل بلاد فارس محطةً لتجميع قواته في الشرق، ومركزاً لانطلاق عملياته الحربية ضد الهند التي كانت تعد قاعدة النفوذ الانكليزي في الشرق، ومقابل ذلك، تقوم فرنسا ببناء وتدريب الجيش الفارسي على ايدي ضباط وخبراء فرنسيين . وقد رحب فتح علي شاه القاجاري (١٧٩٨ - ١٨٣٤ م) بالعرض الفرنسي لان هدفه الرئيس كان اعادة الاستيلاء على بلاد الكرج (جورجيا حالياً) التي ضمتها روسيا عام ١٨٠١م (١) .

اتفق كل من فتح علي شاه ونابليون بوناپيرت على توطيد العلاقات بين بلديهما ولاسيما في المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية، والتخطيط لشن هجوم مشترك فرنسي - فارسي ضد روسيا لاسترجاع جورجيا . وفي عام ١٨٠٧ م تم توقيع معاهدة بين الطرفين في ايار - مايو من العام نفسه، تعهدت فرنسا بموجبها ان تزود بلاد فارس بكافة انواع الاسلحة وتعمل على تدريب جيشها، بالمقابل تعهدت بلاد فارس بانهاء علاقتها الدبلوماسية مع انكلترا، والغاء كافة اتفاقاتها التجارية معها، وان تعلن الحرب ضدها في وقت لاحق (٢) .

وبسبب تطور الاحداث السياسية في اوربا، تخلى نابليون بوناپيرت عن اتفائه مع فتح علي شاه بعد شهرين من توقيعه، ووقع معاهدة

(١) كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، مطبعة ارکان، ١٩٨٥، ص ٣٢-٣٤ .

(٢) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ترجمة امين فارس ومنير البعلبكي، ط ٩، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١، ص ٦٥٧ .

تلست^(١) Tilst مع روسيا في الثامن من تموز - يوليو ١٨٠٧م، وبذلك انتهت هذه المعاهدة الامال التي عقدها الشاه للحصول على مساعدة الفرنسيين، فوجد نفسه مضطراً لطلب المعونة الانكليزية من جديد لاستكمال تسليح وتطوير الجيش الفارسي^(٢).

انكلترا من جانبها كانت حريصة على بسط نفوذها على بلاد فارس خشية من امتداد النفوذ الفرنسي عليها، مما يعرض مستعمراتها في الهند الى الخطر، فرحبت بالطلب الفارسي وارسلت اواخر عام ١٨٠٧م وفداً برئاسة السير هارفرد جونز Harvard Jons، مهمته عقد معاهدة تحالف بين انكلترا وفارس، وتقديم مساعدة مالية مباشرة للشاه، والتعهد بتقديم مساعدات مالية سنوية لبلاد فارس، كما تتعهد انكلترا بتدريب وتسليح الجيش الفارسي. وقد وقع جونز المعاهدة مع الشاه في الثاني عشر من اذار - مارس ١٨٠٩م، وقد نصت على تعهد الشاه بقطع جميع علاقات بلاده مع فرنسا وكل دولة اخرى معادية لانكلترا، ويتعهد الشاه بالتشاور مع الحكومة الانكليزية قبل عقد اي اتفاق او منح امتيازات لاي دولة اخرى ولاسيما الدول الاوربية، وبالمقابل تعهدت

^(١) تلست، معاهدة وقعت بين نابليون بونابرت والقيصر الروسي الاسكندر الاول، اعترف بموجبها القيصر بالسيطرة الفرنسية على اوريا الوسطى والغربية، ووافق على الانضمام الى النظام القاري ضد انكلترا. فيما وافق نابليون بموجبها على مساعدة روسيا على تقسيم الدولة العثمانية، وحرية التصرف مع السويد وفنلندا؛ الان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩ - ١٩٤٥، ج ٢، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين، بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٩٢، ص ٣٣٠.

^(٢) كارل بروكلمان، المصدر السابق، ص ٦٥٨.

انكلترا بتقديم كافة المساعدات المالية والعسكرية التي تم الاتفاق عليها قبل عقد المعاهدة^(١).

ونتيجة لهزائم الفرس امام القوات الروسية^(٢)، وتدهور العلاقات بين الطرفين، اتجه الشاه لتوثيق علاقات بلاده مع انكلترا بصورة اوسع ولاسيما في المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية. فقد تم التوصل الى توقيع اتفاقية جديدة بين انكلترا و فارس في الخامس والعشرين من تشرين الثاني - نوفمبر ١٨١٤م، تضمنت البنود الآتية:-

١. تعهدت فارس بالغاء جميع علاقاتها مع الدول الاوربية المعادية لانكلترا.

٢. تعهدت فارس بعدم السماح لأي دولة باستخدام اراضيها ممرا لغزو الهند.

٣. تعهدت فارس بالسماح للشركات الانكليزية بالاتجار في كافة انحاء البلاد، وفتح الوكالات التجارية في الموانئ والمدن وتخفيض الرسوم الكمركية على البضائع الانكليزية.

٤. معاملة التجار الانكليز معاملة خاصة، ولهم الاولوية في الحصول على المواد ولاسيما خامات الحرير.

٥. تعهدت انكلترا باستمرار تقديم المساعدات والمعونات المالية.

^(١) طارق نافع الحمداني، تاريخ ايران وتركيا الحديث والمعاصر، بغداد، مطابع جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٣٠ - ٣١.

^(٢) كانت روسيا قد ضمت اليها مقاطعة جورجيا عام ١٨٠١ م، فبدأت حرب غير معلنة بين فارس وروسيا، وهكذا تهيأت الظروف لاعلان الحرب بين الطرفين عام ١٨٠٤م، وتجددت عام ١٨١٢م، حيث الحققت القوات الروسية هزائم متتالية بالجيش الفارسي، مما اضطر الفرس الى قبول الصلح والتوقيع على معاهدة كولستان المذلة في الرابع والعشرين من تشرين الاول ١٨١٣م؛ كمال مظهر احمد، المصدر السابق، ص ٤٣ - ٤٤.

٦. تعهدت انكلترا بتقديم المساعدات العسكرية، بما في ذلك الاسلحة بانواعها، وتدريب القوات الفارسية على ايدي الضباط الانكليز، وتقديم المشورة والخبرة العسكرية^(١).
ويبدو ان الفرصة اصبحت مؤاتية للتغلغل الانكليزي في مفاصل البلاد، ومحاولة التحكم في سياستها واقتصادها وجيشها . وقد ظلت هذه المعاهدة سارية المفعول حتى عام ١٨٥٧ م .

العلاقات العربية – الانكليزية :

فرض العرب سيطرتهم وسيادتهم الكاملة على الخليج العربي، خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، وظهر منهم عرب عُمان وعرب العتوب وعرب القواسم وبنو كعب . فقد نجحت القبائل العربية في مواجهة النفوذ الاوربي ومنع توسعه ، وتمكنوا من طرد البرتغاليين والهولنديين من الخليج العربي، ووقفوا ضد التوسع الانكليزي بقوة ولاسيما القواسم، الذين قاتلوا الانكليز في الخليج العربي طوال نصف قرن . غير ان طاقات القوى والقبائل العربية كانت مبعثرة، وغير موحدة، وينقصها الادراك السليم لمصالحها المشتركة، فقد كانت في نزاع دائم فيما بينها من اجل السيادة والسيطرة، الامر الذي ادى الى ضعف موقفها واضمحلال قوتها، مما وفر الظروف الملائمة لביسط السيطرة البريطانية على الخليج العربي، ومن ثم ادى التعاون الانكليزي - الفارسي الى اقتطاع الساحل الشرقي للخليج العربي ووضعه تحت السيطرة الفارسية .

ظهر القواسم على مسرح الاحداث في الخليج العربي خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، ولاسيما بعد موت نادر شاه

(١) J.C. Hurewitz; Diplomacy in the Near and Middle East , New York , 1972 , vol . 1 , P. 86 – 88

(١٧٣٦ - ١٧٤٧م) وتدهور البحرية الفارسية، حيث رسخ القواسم السيادة العربية على الساحلين الشرقي والغربي للخليج العربي . فقد تمكنوا من فرض السيطرة العربية على معظم الساحل الشرقي وبندر عباس وقشم ولافت ولنجه وحرروا جزيرة هرمز^(١).

يعد القواسم من ابرز القوى العربية التي واجهت الوجود الاستعماري الانكليزي والفارسي في الخليج العربي، وتعاونوا مع العمانيين للقضاء على الاطماع الفارسية في الخليج العربي خلال مدة حكم كريم خان الزند (١٧٥٠ - ١٧٧٩م)^(٢).

اتسمت العلاقات بين الانكليز والقواسم بالعداء الشديد والسلبية لمدة طويلة، وكانت سفن القواسم تثير الذعر الدائم للسفن الانكليزية في الخليج العربي . فقد اضعفوا تجارتهم، وانهكوا اقتصادهم، وهددوا وجودهم . ويعود موقف القواسم الصلب هذا الى عاملين مهمين اولهما، تمرس القواسم في اتقان فنون البحر والابحار وتعد الملاحة البحرية مهنتهم الرئيسية، وثانيهما، تميز القواسم بالجرأة والاقدام وعدم مهابة الانكليز والفرس^(٣) . امتد الصراع بين القواسم والانكليز منذ عام ١٧٧٨م حتى نهاية عام ١٨١٩م . اذ تمكن خلالها القواسم من اسر وتدمير الكثير من السفن والطرادات الانكليزية، كما كبدهم اعداداً

(١) عبدالعزيز عبد الغني ابراهيم، المصدر السابق، ص ١٠١ - ١٠٢ .

(٢) صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٨٢٠، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٦، ص ٩٢ .

(٣) عبد الامير محمد امين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن التاسع عشر، بغداد، مطبعة المثني، ١٩٦٦، ص ٢٣ .

كبيرة من القتلى والجرحى والأسرى، وخسرت التجارة الانكليزية اموالاً طائلة جراء ذلك الصراع البحري مع القواسم (١). بدأت حكومة الهند البريطانية في بومباي ووزارة المستعمرات في لندن بالأعداد لحملة بحرية كبيرة بهدف القضاء على القواسم بشكل نهائي. وانيطت قيادة الحملة الى السير وليم كرانت كير Sir William Grant Keir، الذي امر قواته في فجر اليوم الثالث من كانون الاول - ديسمبر ١٨١٩ م بالانزال في رأس الخيمة تحت غطاء من القصف المدفعي الكثيف. وبعد خمسة ايام استسلم القواسم للقوات الغازية. وتقدمت القوات الانكليزية لاحتلال رامس وام القيوين وعجمان والشارقة ودبي، واحرقت كافة سفن القواسم واستولت على بعضها، وهكذا انتهى دور القواسم (٢).

استثمر القائد الانكليزي وليم كرانت كير، انتصار قواته واحتلالها مدن القواسم، في نشر وتوسيع السيطرة الانكليزية في انحاء الخليج العربي. فاقامت قواته معسكراً لها في رأس الخيمة، ووضع الخطط الكفيلة لآيجاد تسوية سياسية تكفل لانكثرا القضاء على المقاومة العربية، مما لايسمح للقواسم او لغيرهم من العرب في المستقبل من تهديد المصالح الانكليزية او لحلفائها او التعرض للتجارة الانكليزية او الفارسية في الخليج العربي (٣).

(١) جون كيلي، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠ م، ج١، ترجمة محمد امين عبدالله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٧٩، ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٢) صالح محمد العابد، المصدر السابق، ص ٢٧٥ - ٢٧٧.

(٣) صلاح العقاد، المصدر السابق، ص ١١٠.

تعهدات عام ١٨٢٠ م General Treaty :

في اوائل كانون الثاني - يناير ١٨٢٠ م، اجتمع شيوخ الساحل المهادن البارزين مع القائد الانكليزي كير، عارضين عليه التفاوض والاتفاق لانهاء حالة الحرب بين الطرفين من اجل مصلحة الجميع، ووضع اسس صداقة وتعاون دائمين مع انكلترا . فاستقبل كير هذه العروض بارتياح كبير^(١). فعقد اتفاقيات اولية، متشابهة في بنودها مع هؤلاء الشيوخ وكل على انفراد، وقد وقعت التعهدات مع شيوخ كل من، الشارقة، ابو ظبي، دبي، عجمان، ام القيوين، وجزيرة الحمرا . وبموجب شروطها تعهد شيوخ القواسم بتسليم سفنهم الحربية والتجارية الى الانكليز، واحتفاظهم بمراكب الصيد الصغيرة فقط، وتسليم جميع الاسرى الانكليز ورعاياهم ولاسيما الفرس والهنود . وبالمقابل تعهد الانكليز بعدم الدخول الى الاحياء العربية او تدميرها . كما وافق شيوخ القواسم وتعهدوا بتوقيع معاهدة شاملة ودائمة مع الانكليز لاحقا^(٢).

ولعل بالامكان، وصف تلك التعهدات بالمؤلة لشيوخ القواسم، إذ لم يتوفر فيها عنصر التكافؤ، فقد فرضتها الدولة المنتصرة بالقوة العسكرية، لذلك فهي تعهدات غير شرعية من الوجهة القانونية، فضلا عن ذلك، فإن انكلترا كانت تمثل قوة استعمارية محتلة، تريد ان تفرض ارادتها على اصحاب الارض والمياه بوسائل غير مشروعة^(٣) . فقد اتخذ القائد الانكليزي كير هذه التعهدات حجة قانونية لمواصلة تدمير قوى القواسم العسكرية والبحرية والاقتصادية، فأمر بتفتيش جميع

(١) سيد نوفل، الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، بيروت،

دار الثقافة العربية، ١٩٧٠، ص ٦٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٧ .

(٣) جون كيلبي، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٥٧ .

موانئ القواسم، وتدمير التحصينات ووسائل الدفاع عن المدن والسواحل، واحراق السفن الراسية في الموانئ (١) .

اتفاقية السلم العام :General Peace Treaty

فرضت انكلترا اتفاقية جديدة على القبائل العربية في الخليج العربية، عرفت باتفاقية السلم العام نهاية عام ١٨٢٠ م، نصبت فيها نفسها مسؤولة عن حماية واستتباب الامن في الخليج العربي، وحكماً بين قبائله في حالة حدوث خلافات او نزاعات قبلية فيما بينها . وقد تعهدت القبائل العربية بتحريم النهب والقرصنة في البحر والبر، والمُخالف يعاقب بالموت ومصادرة املاكه ، وتزويد كل سفينة بوثيقة (سجل) واجازة ميناء موقعة من الشيخ او الحاكم، وان تحمل كل سفينة عربية علماً بلونين الابيض والاحمر، ويتعهد الشيوخ بالتعاون مع الانكليز للقضاء على اية حركة ترمي الى خرق هذه الاتفاقية، ويتعهدون كذلك بتحريم تجارة الرقيق (٢) .

ويمكن استنتاج مجموعة من الاهداف التي توختها انكلترا من عقد هذه الاتفاقية، من ابرزها تجزئة منطقة الخليج العربي وتقسيمه الى مشيخات وامارات صغيرة، وبث روح الفرقة بين ابنائهم، ولتحقيق اهدافها تلك، لجأت انكلترا الى تقييد حركة السفن العربية في البحر، حفاظاً على تجارتها البحرية فمنعت الشيوخ من نقل نزاعاتهم وحروبهم الى البحر فيما اطلقتها في البر . من جانب اخر، عقدت انكلترا المعاهدة مع عرب الساحل الغربي للخليج العربي دون ان يسمحوا للشيوخ العرب على الساحل الشرقي بالدخول في المعاهدة، مما

(١) صالح محمد العابد، المصدر السابق، ص ٣٢٦ - ٣٢٧ ؛ صلاح العقاد، المصدر السابق، ص ١١١ - ١١٣ .

(٢) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، المصدر السابق، ص ٢٢٧ .

يدل بوضوح على نية انكلترا المبيتة في مساعدة الفرس وتمكينهم من السيطرة الكاملة على الساحل الشرقي للخليج العربي . وبسبب سيطرتها البحرية على الخليج العربي، حالت انكلترا بين العرب وجزرهم ومنعتهم من الوصول اليها، مما سمح للفرس من احتلالها الواحدة تلو الاخرى، وبذلك وفرت انكلترا الحماية اللازمة للتجارة الفارسية في الخليج العربي (١) .

امننت انكلترا من خلال تلك الاتفاقية مصالحها التجارية والعسكرية ومصالح رعاياها وحلفاءها . ومن جملة اهدافها الاخرى، ابعاد عرب الخليج العربي عن الاتصال بالعالم الخارجي بعد تدمير السفن العربية التي كانت تصلهم بالهند وشرق افريقيا في سبيل الجهاد والتجارة . فضلاً عن ذلك، فقد حدثت هذه الاتفاقية وبدرجة كبيرة سلطة الشيوخ على اتباعهم وابناء قبائلهم المنتشرة في انحاء الجزيرة العربية وساحلي الخليج العربي، واصبحوا بعد هذه الاتفاقية حكام مناطقهم الجغرافية الصغيرة (٢) .

استقرت الاوضاع السياسية في الخليج العربي لصالح انكلترا بعد عام ١٨٢٠م، ومثل ذلك العام، نقطة تحول هامة في علاقات الانكليز مع القوات العربية الخليجية . وبدأت بتنظيم وجودها السياسي في الخليج العربي على اساس البقاء والاستقرار لسنوات طويلة في المنطقة . فحولت وكالتها التجارية في بوشهر الى مقيمة سياسية ١٨٢٠م . واسست وكالات سياسية في الشارقة ومسقط والبحرين والكويت، ووكالات تجارية عديدة على طول الساحل العماني والساحل الغربي للخليج العربي وامارات الساحل المهادن . على ان تتبع جميع هذه

(١) ج.ج. لوريمر، المصدر السابق، ج١، ص ٣١٣ .

(٢) جون كيللي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٣٠ - ٣٣٣ .

الوكالات للمقيمة السياسية في بوشهر، وتبعث بتقارير دورية للمقيم السياسي الذي يقوم بدوره بتوجيهها وارسالها الى حكومة الهند البريطانية (١).

بعد ذلك، اصبح المقيم الانكليزي في بوشهر، اضافة الى وظيفته، قنصلاً عاماً في الخليج العربي، واقليم فارس، والاحواز، ولورستان، والجزر التي تقع ضمن الساحل الشرقي للخليج العربي. وعلى اساس ذلك، اصبح مسؤولاً امام حكومة الهند البريطانية بصفته مقيماً سياسياً في بوشهر، ومسؤولاً امام وزارة الخارجية البريطانية في لندن، بصفته قنصلاً عاماً في الخليج العربي، ومسؤولاً امام وزارة المستعمرات البريطانية في لندن، بصفته ممثلاً للتاج البريطاني على احدى المستعمرات البريطانية (٢).

وعلى الرغم من استقرار الاوضاع السياسية والعسكرية لصالح انكلترا في عموم الخليج العربي، وضعف القوى العربية عسكرياً، الا ان المقاومة العربية ضد الوجود الانكليزي قد استمرت وان كانت بدرجة اقل وعلى فترات متباعدة، فقد هاجمت القبائل العربية السفن الانكليزية والفارسية في عرض الخليج العربي، وعند زيارتها للموانئ العربية، واعلنت قبائل عجمان وبني ياس والقييسات عدم الاعتراف بالمقيم الانكليزي وبالمعاهدات المعقودة مع بلاده وطالبوا الانكليز بالرحيل عن الخليج العربي (٣).

ونتيجة لاستمرار المقاومة العربية، وحرصاً من انكلترا على استمرار سيطرتها على الخليج العربي وشيوخه، وخشيتها من عودة

(١) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، المصدر السابق، ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٢) Charles Belgrave ; Op .Cit ., P. 54 - 55 .

(٣) صلاح العقاد، المصدر السابق، ص ١٧٩.

الأوضاع الى ما كانت عليه قبل عام ١٨٢٠ م ويفلت عقد الامور من يدها، سعت انكلترا الى عقد اجتماع يضم المقيم البريطاني وشيوخ القبائل العربية في نيسان - ابريل ١٨٣٥م،

وقد استطاع المقيم البريطاني ان يقنع الشيوخ بالموافقة على وقف القتال في البحر لمدة ستة اشهر . وقد مددت هذه الهدنة خلال الاعوام التالية ولغاية عام ١٨٤٣ م، ولمدة سنة واحدة في كل مرة وقد ترك هذا التجديد للهدنات البحرية ونجاحها، ارتياحاً كبيراً لدى الاوساط السياسية الانكليزية، لذلك سعوا بقوة لعقد هدنة دائمة (١) .

السياسة البريطانية التعسفية ضد العرب:

اتخذت السلطات الانكليزية خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر، مجموعة من الاجراءات الجائرة والتعسفية بحق القبائل العربية بحجة حصر وانهاء الخلافات والمشاكل التي تحدث بين هذه القبائل . غير ان حقيقة الامر، تعد خطة بعيدة المدى لفصل الساحل الشرقي للخليج العربي عن الساحل الغربي وباقي البلاد العربية ووضع تحت السيطرة الفارسية .

اقترح المقيم السياسي الانكليزي كوبلاند هينل Coupland Henill في حزيران - يونيو ١٨٣٦م، ان يكون الجانب الشرقي من الخليج العربي خالياً من السفن العربية . فوضع خط عامودي عرف بـ (الخط المانع الاول) امتد من ميناء الفاو شمالاً حتى جزيرة داس جنوباً (كما موضح في الخريطة) . ثم قرر هينل عدم السماح لاي سفينة عربية بالتواجد والابحار على طول الساحل الشرقي للخليج العربي . وبغية ابعاد السفن العربية وتوسيع المناطق المحرمة عليها، وضع هينل خط افقي يمتد من جزيرة داس الى جزيرة سيرى ومنها الى جزيرة ابو

(١) جعفر عباس حميدي وآخرون، المصدر السابق، ص ١٧٤ .

موسى (كما موضح في الخريطة) . وطلب من شيوخ القبائل العربية المتواجدة على الساحل الغربي الا تتعدى سفنهم هذا الخط بأي حال من الاحوال . وتعد اي سفينة عربية تبخر شمال هذا الخط، سفينة قرصنة، ويعد ذلك خرقاً لمعاهدة ١٨٢٠م وتجاوز عليها عقوبة المصادرة والحكم بالموت على ملاحيتها لكونهم قراصنة^(١) . ومن اجل اعطاء هذه الخطة الصفة القانونية والالزامية على شيوخ القبائل العربية، وافقت على تطبيقها كل من حكومة الهند البريطانية في بومباي والحكومة الانكليزية في لندن^(٢) .

وتزامناً مع الاجراءات الانكليزية الباطلة قانوناً ، شرعت السلطات الفارسية باتخاذ كافة الاجراءات الكفيلة (بتفريس) الساحل الشرقي للخليج العربي وجزره ، فاعتمدت سياسة الابعاد القسري للسكان العرب والتهديد والقتل ومصادرة الاملاك^(٣) .

وبعد تعيين هنري روبرتسون Sir . Henry Ropertson مقيماً انكليزياً في الخليج العربي، قدم اقتراحاً في نيسان - ابريل ١٨٤١م، لتطوير الخط المانع الاول، يتضمن رسم خط افقي يمتد من جنوب جزيرة قشم باتجاه الغرب نزولاً الى جزيرة ابو موسى ومنها بنفس الاتجاه الى جزيرة صير بو نعير عرف بـ (الخط المانع الثاني)^(٤) . (كما موضح في الخريطة) وبذلك يكون روبرتسون قد زاد من المناطق البحرية المحرمة على السفن العربية (فقط) ومنعها من الابحار والتواجد فيها .

(١) عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، المصدر السابق، ص ٣٥١ .

(٢) جون كيللي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤١ .

(٣) عبد الامير محمد امين، القوى البحرية في الخليج العربي، ص ٥٤ .

(٤) عبدالعزيز عبد الغني ابراهيم، المصدر السابق، ص ٣٥١ .

وعاد روبرتسون الى توسيع المناطق المحرمة على السفن العربية، فجعل خطه المانع يمتد من جنوب جزيرة قشم بعشرة اميال وباتجاه الساحل الغربي مروراً بجنوب جزر طناب الكبرى، وابو موسى، وصير بو نعير، ثم يتجه الى الشمال الغربي ليتصل بالخط المانع الاول عند جزيرة داس^(١) (كما موضح في الخريطة) .

وافقت حكومة الهند في بومباي والحكومة البريطانية في لندن على مقترحات المقيم روبرتسون لتطوير وتوسيع خطوط الموانع البحرية . فيما استمرت السلطات الفارسية بممارساتها التعسفية ضد العرب بالاتفاق مع السلطات الانكليزية، فاندفعت بعض القبائل العربية باتجاه شمال الساحل الشرقي وصولاً الى مناطق عبادان والمحمرة والاحواز المعروفة بعربستان، وبعضها الاخر رحل باتجاه مناطق الساحل الغربي تخلصاً من سياسة البطش والتكيل التي مارسها الفرس ضدهم^(٢) .

ولعل من ابرز نتائج السياسة الانكليزية من جراء وضع خطوط الموانع ورسم المناطق المحرمة على السفن العربية في الخليج العربي يتمثل بما يأتي:

١. ابعاد السفن العربية عن الخط الرئيس للتجارة الدولية، وذلك لحماية السفن والمراكز التجارية الانكليزية والفارسية، وازعاف التجارة والاقتصاد العربي .

٢. تقسيم الخليج العربي الى ساحلين شرقي يكون بكامله وجزره تحت السيطرة الفارسية، واخر غربي لاستيطان القبائل العربية، وفي مرحلة لاحقة يتم الحاق الساحل الغربي او ربما اجزاء منه

^(١) المصدر نفسه، ص ٣٥٢ .

^(٢) جون كيلبي، المصدر السابق، ج١، ص ٣٤٢ .

- مع بلاد فارس . ومثال على ذلك، البحرين والكويت والقطيف
والاحساء والكثير من الجزر القريبة من الساحل الغربي .
٣. انفصام الروابط الاجتماعية والثقافية والقبلية ما بين العرب على
جانبي الخليج العربي بسبب التسلط الفارسي واستخدام سياسة
التفريس على عرب الساحل الشرقي .
٤. خلقت العديد من المشاكل والخلافات المعقدة بين العرب
والفرس وبين العرب انفسهم استمرت حتى يومنا هذا (١) .

(١) زكي صالح، المصدر السابق، ص ٢٥٨ .

مصادر البحث

أولاً : المصادر العربية والمعربة :

١. ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ - ١٩١٦ م، الموصل، دار ابن الاثير للطباعة والنشر، ٢٠٠٥ .
٢. ارنولد تالبوت ويلسون، الخليج العربي، ترجمة عبد القادر يوسف، الكويت، دار الفجر للطباعة والنشر، (ب - ت) .
٣. الان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩ - ١٩٤٥، ج ٢، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين، بغداد، دار المأمون للترجمة والنشر، ١٩٩٢ .
٤. ج . ج . لوريمر، دليل الخليج، ط٢، ترجمة قسم الترجمة بمكتب امير دولة قطر، الدوحة، اربعة عشر جزء، القسم التاريخي، (د - ت) .
٥. جعفر عباس حميدي واخرون، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٩١ .
٦. جفري براون، تاريخ اوربا الحديث، ط٢، ترجمة علي المرزوقي، عمان، الدار الاهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩ .
٧. جون كيلى، بريطانيا والخليج ١٧٩٥ - ١٨٧٠، ج١، ترجمة محمد امين عبدالله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٧٩ .
٨. زكي صالح، العراق وبريطانيا حتى عام ١٩٧٤، بغداد، مطبعة المثني، ١٩٦٨ .
٩. س. ب. مايلز، الخليج بلدانه وقبائله، ط٣، ترجمة محمد امين عبدالله، سلطنة عمان، المطبعة المركزية، ١٩٨٦ .
١٠. سيد نوفل، الاوضاع السياسية لامارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، بيروت، دار الثقافة العربية، ١٩٧٠ .

١١. صالح محمد العابد، دور القواسم في الخليج العربي ١٧٤٧ - ١٨٢٠، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٦ .
١٢. صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، القاهرة، دار العلم للملايين، ١٩٦٥ .
١٣. طارق نافع الحمداني، تاريخ ايران وتركيا الحديث والمعاصر، بغداد، مطابع جامعة بغداد، ١٩٨٩ .
١٤. عبدالامير محمد امين، القوى البحرية في الخليج العربي في القرن السابع عشر، بغداد، مطبعة المثني، ١٩٦٦ .
١٥. عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ الشعوب الاسلامية في العصر الحديث، ج١، بيروت، دار الفكر المعاصر، ١٩٧١ .
١٦. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، بريطانيا وامارات الساحل العماني، بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٨ .
١٧. عبد العزيز محمد الشناوي، المراحل الاولى للوجود البرتغالي شرقي الجزيرة العربية: تاريخ قطر، ج٢، الدوحة، (د.ت) .
١٨. عبد الفتاح ابراهيم، على طريق الهند، بغداد، مطبعة الاهالي، ١٩٣٥ .
١٩. علاء نورس، السياسة الايرانية في الخليج العربي ابان عهد كريم خان ١٧٥٧ - ١٧٧٩، الكويت، دار الشروق للطباعة والنشر، ١٩٨٢ .
٢٠. علي حيدر سليمان، تاريخ الحضارة الاوربية الحديثة، بغداد، دار واسط للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠ .
٢١. كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية، ط٩، ترجمة امين فارس ومنير البعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨١ .

٢٢. كمال مظهر احمد، دراسات في تاريخ ايران الحديث والمعاصر، بغداد، مطبعة اركان، ١٩٨٥ .
٢٣. محمد مظفر الادهمي، تاريخ اوربا الحديث: عصر النهضة، الثورة الفرنسية، القرون ١٦ - ١٨ ميلادية ، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٩ .
٢٤. محمود علي الداوود، احاديث عن الخليج العربي، ط٢، بغداد، مديريةية الفنون والثقافة الشعبية، ١٩٦٦ .
٢٥. مصطفى عقيل الخطيب، التنافس الدولي في الخليج العربي ١٦٢٢ - ١٧٦٣، صيدا - بيروت، المكتبة العصرية، (د . ت) .
٢٦. هنري فوستر، نشأة العراق الحديث، ترجمة عبد المسيح جويده، بغداد، مطبعة الاهالي، ١٩٣٤ .

ثانياً : المصادر الاجنبية :

1. Bal Krishna ; Commercial Relations Between India & England , London , Oxford University Press , 1924 .
2. C. A. Herrick ; History of Commerce & Industry , New York , Department Statement Press , 1935 .
3. Charles Belgrave ; The Pirate Coast , London , Oxford University Press , 1966 .
4. E. Lipson ; The Economic History Of England , London , Oxford University Press , 1942 .
5. F. Robinson ; The Trade of the East India Company From 1709 - 1813 , Cambridge University Press , 1962 .
6. J. C. Hurwitz ; Diplomacy in the Near & Middle East , New York , 1972 .

ثالثاً : البحوث المنشورة :

١. جمال زكريا قاسم، الادعاءات الايرانية في الخليج العربي، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ المنعقد في بغداد - اذار - مارس ١٩٧٣، بغداد، ١٩٧٤ .
٢. عبدالامير محمد امين، دور القبائل العربية في صد التوسع الاوربي في الخليج العربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بحوث المؤتمر الدولي للتاريخ المنعقد في بغداد في اذار - مارس ١٩٧٣، بغداد، ١٩٧٤ .
٣. عبدالامير محمد امين، الشركات التجارية الاحتكارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، مجلة المؤرخ العربي، بغداد، العدد الثاني عشر، ١٩٨٠ .
٤. محمود علي الداوود، العلاقات الهولندية مع الخليج العربي، مجلة كلية الاداب، بغداد، العدد ٣، كانون الثاني - يناير، ١٩٦١ .

British Politics in the Arab Gulf: Goals and Results 1600-1843 (A Historical Study)

By

Inst. Issam Khalil Muhammed
College of Arts/ Al-Iraqia University

Abstract

The researcher deals with one of the highly important topics which is the British invasion of the Arab Gulf at the beginning of the seventeenth century and with what it had produced of negative effects on the political and economic conditions of the Arab Gulf represented in the Persian ambitions for seizing the east coast and its islands and the ambitions of the Persian ruling families to impose its control on other areas in addition to its control over its waters.

The Arab Gulf is a vital part in the great Arab homeland and is deeply rooted in its ancient history and an honourable pillar in its Islamic history. The paper tackles the stages of the British politics in the Arab Gulf from the early seventeenth century to the mid nineteenth century. It sheds light on the existing struggle between Britain and the other invading powers of the Arab Gulf and on the complicit role played by the Persia in offering full assistance to the centre of the British politics represented by the Easter Indian-British Company and its ability to extend its influence throughout the Arab Gulf, and at its foremost, Persia and the East Coast.



حركة الشيخ عز الدين القسام وأثرها على
الحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام ١٩٣٦

د. وسام حسين عبد الرزاق
الجامعة العراقية - كلية الآداب

التمهيد:

خضعت فلسطين أثناء الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) للسيطرة البريطانية، إذ تمكن القائد ادموند اللنبي^(١) Edmund, Allenby (١٨٦١-١٩٣٦)، من احتلال مدينة القدس في كانون الاول عام ١٩١٧، ومع بدايات عام ١٩١٨ أصبح كل التراب الفلسطيني تحت السيطرة البريطانية^(٢).

استمرت الإدارة العسكرية البريطانية لفلسطين حتى الاول من تموز عام ١٩٢٠، إذ تم استبدالها بإدارة مدنية، وتم تعيين هيربرت صموئيل^(٣) Herbert Samuel (١٨٧٠-١٩٦٣) كأول مندوب سامي في فلسطين.

(١) ادموند اللنبي: شخصية عسكرية بريطانية، ولد عام ١٨٦١، دخل الكلية العسكرية الملكية البريطانية وتخرج بصفة ضابط في الجيش البريطاني، خدم في جنوب أفريقيا، نقل الى بريطانيا مع بداية الحرب العالمية الأولى، عين قائداً لفرقة الفرسان، ثم أصبح قائداً لقوات الجيش الثالث في فرنسا، وحصل على شهرة واسعة بعد انتصاره في معركة اراس، وفي حزيران عام ١٩١٧ نقل الى فلسطين إذ احتل القدس في كانون الاول عام ١٩١٧، وقد تمكن من فرض سيطرته الكاملة على بلاد الشام قبل توقيع هدنة مدروس في ٣٠ تشرين الاول عام ١٩١٨، منح لقب نبيل عام ١٩١٩، وأصبح المندوب السامي على مصر للمدة (١٩١٩-١٩٢٥). لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى:- الآن بالمر، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩-١٩٤٥، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين، ج١، منشورات دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٩٢، ص٤٧.

(٢) عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٣، ص١٠٣-١٠٥.

(٣) هيربرت صومائيل:- شخصية سياسية بريطانية، ولد عام ١٨٧٠ في عائلة يهودية ارثوذكسية تعمل بالتجارة وأعمال المال، وقد تعلم تعليماً دينياً تقليدياً، =

التغيير الذي حصل في الإدارة البريطانية لفلسطين لم تتعدى آثاره شكلها فقط، إذ إن أسس العمل بقيت هي نفسها، فالإدارة الجديدة سارت على نفس الاتجاه في العمل على تنفيذ وعد بلفور وتهويد فلسطين^(١).

=وقد اصبح اول وزير يهودي الديانة يعين في الحكومة البريطانية، كان يعتقد بان الحل الصهيوني للمسألة اليهودية حل غير عملي، لكنه سرعان ما عدل رأيه واقترح إنشاء دولة يهودية في فلسطين تخدم المصالح البريطانية في المنطقة، وفي عام ١٩١٥ قدم مذكرة لأعضاء الحكومة البريطانية تحدث فيها عن مستقبل فلسطين، ثم قدم مذكرة أخرى تحدث فيها عن إمكانية إنشاء دولة يهودية هناك، وطالب بتحويل فلسطين الى محمية بريطانية حتى يمكن إعطاء تسهيلات للمنظمات اليهودية لتشتري الأرض بسبب اهتماماته الاستعمارية الصهيونية عين أول مندوب سامي بريطاني في فلسطين عام ١٩٢٠ بعد وضعها تحت الانتداب، وقد عمل على إصدار اعتراف باللغة العبرية كأحدى اللغات المحلية في فلسطين، وقد زاد عدد المستعمرات الصهيونية في عهده من أربعة وأربعين الى مئة مستعمرة. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى: عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، منشورات مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة، ١٩٧٤، ص ٢٤١-٢٤٢.

(١) قامت بريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى بعقد وإصدار سلسلة من الاتفاقيات والتصريحات، والتي من خلالها كانت تدير شؤونها العسكرية وتضمن مصالحها وطريقة إدارتها لمستعمراتها بعد انتهاء الحرب، ولعل من أولى هذه الاتفاقيات ما جرى الاتفاق عليه مع شريف مكة الحسين بن علي، عبر الرسائل المتبادلة بينه وبين المعتمد السامي البريطاني في مصر السير هنري ماكماهون، إذ تم تبادل عشرة رسائل في المدة المحصورة (١٤/٧/١٩١٥ - ١٠/٣/١٩١٦)، تعهدت فيها بريطانيا بالعمل على مساعدة العرب على إقامة دولتهم الموحدة، لكنها لم تلتزم بهذا الاتفاق. مع دخول الولايات المتحدة الأمريكية الى الحرب العالمية الأولى الى جانب دول الوفاق الودي في ٦ آذار ١٩١٧ وضعت القضية الفلسطينية على طاولة المفاوضات بين الجانبين، إذ عقد اجتماع حضره وزير =

إزاء هذه الأطماع الصهيونية في فلسطين، والدعم البريطاني اللامحدود لها، كانت المقاومة هي الخيار الأوحد لأبناء الشعب الفلسطيني، وقد اتخذت شكلين كان الأول منهما يعتقد بصعوبة مواجهة بريطانية والصهاينة معاً، لهذا فقد ركز جهوده على مواجهة الصهاينة ومحاولة استمالة الجانب البريطاني أو تحييده على أقل تقدير، أما الشكل الثاني فكان يؤمن بأن بريطانية هي السبب الرئيسي لمشكلة فلسطين،

=الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور من جهة والقاضي الأمريكي ومستشار الرئيس للشؤون الخارجية فريد مان برانديز لمناقشة هذه القضية، وكان برانديز على اتصال دائم مع حبيب وايزمن طويلة مدة المفاوضات، وقد تكلفت هذه الاجتماعات في ٢ تشرين الثاني عام ١٩١٧ بقيام وزير خارجية بريطانية بإصدار تصريحه على شكل رسالة وجهها الى اللورد روتشيلد، وقد حصلت موافقة الجانب الفرنسي عليه بتاريخ ١٤ شباط ١٩١٨، والجانب الايطالي في ٩ حزيران ١٩١٨، كما سعت الولايات المتحدة الأمريكية الى تضمين صك الانتداب البريطاني على فلسطين والصادر في ٢٤ تموز عام ١٩٢٢، أشارات واضحة الى تصريح بلفور سواء في مقدمته وفي مواده (٢، ٤، ٦، ٧، ١١، ٢٢، ٢٤)، وبهذا تكون بريطانيا قد تنكرت لوعودها للشريف حسين، والتزمت بوعودها للحركة الصهيونية. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى:-

عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٣٨٥ - ٣٩٨؛ عبد الرزاق محمد اسود، الموسوعة الفلسطينية، ج ٢، الدار العربية للموسوعات، بغداد، بدون تاريخ، ص ٣٤٥ - ٣٦٢؛ صلاح عيسى وجميل عطية، أربعة وجوه لوعده باطل قصة وعد بلفور، صحيفة الوطن، الكويت، عدد ٤٥٧٧، ١٩٨٧، ص ٢ - ٤؛ محمد السمرة وآخرون، فلسطين ارضاً وشعباً وقضية، منشورات جامعة الدول العربية، ١٩٨٢، ص ٢٠٠، برباره حداد، الموقف البريطاني في فلسطين ١٩١٨-١٩٢٠، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ١٧، ١٩٧٣، ص ١١٣-١١٧.

Jones, Philip, Britain and Palestine 1914 - 1948, Oxford, 1979, P.10.

Jones, Philip, Britain and Palestine 1914-1942, Oxford, 1979, P.10

ولن تحل هذه المشكلة إلا بمواجهة بريطانية والحركة الصهيونية ومن دون التمييز بينهما.

وعلى ما يبدو ومن سير الأحداث إن الاتجاه الثاني قد فرض وجهة نظره على مجريات الامور، وهذا ما سوف يمكننا إن نتابعه من خلال بحثنا هذا.

الحركة الوطنية الفلسطينية حتى عام ١٩٣٥.

عندما بادر الفلسطينيون في أواخر عام ١٩١٨ إلى معارضة السيطرة البريطانية والنفوذ الصهيوني، لم يكونوا يمتلكون حزب أو مؤسسة سياسية خاصة بهم تتولى قيادة حركة المقاومة، فقد كان أهل فلسطين كجزء من أبناء سورية الطبيعية مرتبطين بالحركة الوطنية السورية، إذ إن العديد من أعيان ووجهاء وشباب فلسطين كانوا ينتمون الى المنظمات والنوادي والأحزاب السورية والتي كانت تعمل على استقلال سورية الكبرى عن الدولة العثمانية^(١).

لكن التغيرات التي حدثت بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، وتقسيم سورية الكبرى الى أقطار (سورية، لبنان، فلسطين، شرق الأردن)، وبالتالي فقد وجد الفلسطينيون أنفسهم ملزمين بإنشاء حركة وطنية تتولى مهمة مواجهة السيطرة البريطانية ومقاومة الخطر الصهيوني^(٢).

(١) خيرية قاسمية، المقاومة العربية للصهيونية في أواخر العهد العثماني (١٩٠٨ -

١٩١٧) الاتجاهات الرئيسية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، عدد (١١)،

١٩٨٣، ص ٧١ - ٧٣؛ عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٠٣.

(٢) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٠٤.

تألفت في بدايات عام ١٩١٨ قيادات محلية عرفت بأسم " الجمعيات الإسلامية المسيحية"^(١)، وقد تولت قيادة الحركة الوطنية ومواجهة النفوذ المتزايد للحركة الصهيونية في فلسطين. اخذ الشعور العام لدى أبناء الشعب الفلسطيني بالتأكيد وبمختلف الطرق على ضرورة إيجاد قيادة موحدة مركزية للحركة الوطنية، لهذا فقد دعت الجمعيات الإسلامية المسيحية الى عقد ما عرف بأسم " المؤتمر العربي الفلسطيني"^(٢) والذي ينتخب قبل انفضاضه لجنة تنفيذية تتولى

(١) حاول رجال السياسة البريطانيون العاملون في فلسطين إثارة النعرات الدينية بين الفلسطينيين لشق وحدة أبناء الشعب الواحد، لهذا فقد جاء رد أبناء فلسطين بتشكيل الجمعيات الإسلامية المسيحية، لتعبر عن وحدة إبناء الشعب الفلسطيني بغض النظر عن انتمائهم الديني، وقد كانت الجمعيات التي ظهرت في (القدس ويافا ونابلس)، من ابرز الجمعيات وأكثرها نشاطاً. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع إلى:- احمد المرعشلي وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، ج٢، دمشق، ١٩٨٤، ص٢٢٨؛ ناجي علوش، الحركة الوطنية الفلسطينية امام اليهود والصهاينة ١٨٨٢ - ١٩٤٨، بيروت، ١٩٧٤، ص٧٥-٧٦.

(٢) عقدت منذ أوائل عام ١٩١٩ وحتى أواخر عام ١٩٢٨ ثمان مؤتمرات عربية فلسطينية، إذ عقد المؤتمر الاول في القدس (٢٧ كانون الثاني - ١٠ شباط ١٩١٩)، اما المؤتمر الثاني والذي كان مقررأ عقده في القدس بتاريخ (آذار عام ١٩٢٠) فقد رفضت سلطات الاحتلال البريطاني انعقاده، اما المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث فقد عقد في حيفا بتاريخ (١٣ كانون الاول عام ١٩٢٠)، اما المؤتمر الرابع فقد عقد في القدس بتاريخ (الاول من آذار عام ١٩٢١)، اما المؤتمر الخامس فقد عقد في نابلس للمدة (٢٢ أب- ٢٥ أب عام ١٩٢٢)، عقد المؤتمر السادس للمدة (١٦ حزيران - ٢٠ حزيران عام ١٩٢٣) في مدينة يافا، اما المؤتمر العربي الفلسطيني السابع فقد تأخر عقده كثيراً وذلك بسبب الخلافات العائلية والمالية بين قيادات الحركة الوطنية الفلسطينية، وقد تم عقده في (حزيران عام ١٩٢٧)، اما المؤتمر الثامن فقد عقد في القدس بتاريخ=

مهمة قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية، وفعلاً فقد عقد في القدس المؤتمر العربي الفلسطيني الاول للمدة (٢٧ كانون الثاني - ١٠ شباط ١٩١٩)، وقد حضره سبعة وعشرون مندوباً يمثلون مدن وقرى فلسطين، وقد تم في هذا المؤتمر اختيار لجنة تنفيذية تتولى مهمة قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية^(١). يلاحظ إن اللجان التنفيذية التي تولت قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية كانت تحبذ العمل بأسلوب التهذئة وإرسال البرقيات وعقد اللجان والاجتماعات مع الجانب البريطاني، لكن ما حصل في نيسان عام ١٩٢٠ كان استثنائياً عندما قام رئيس اللجنة التنفيذية موسى كاظم الحسيني^(٢) (١٨٥٣ - ١٩٣٤)، بإلقاء خطاب ألهب

= (١٣ كانون الثاني ١٩٣١)، وقد جاء عقده بعد خمسة سنوات من عقد المؤتمر السابع. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى:- عبد الرزاق محمد اسود، المصدر السابق، ص ٤٤٤ - ٤٤٨؛ عبد القادر ياسين، كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨، سلسلة دراسات فلسطينية، منشورات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٥، ص ٥٦ - ٥٧.

(١) جاءت اللجنة التنفيذية الأولى مؤلفة من: (عارف الدجاني، عمر البيطار، توفيق حماد، سلمان التاجي، يعقوب فراج، الفرد روك)، وكان عارف الدجاني رئيساً لها، اما باقي المؤتمرات فقد اختير موسى كاظم الحسيني لرأسها. ينظر:- عبد الرزاق محمد اسود، المصدر السابق، ص ٤٤٤ - ٤٤٨.

(٢) موسى كاظم الحسيني:- شخصية وطنية فلسطينية ولد عام ١٨٥٣ في مدينة القدس، وتلقى تعليمه الأولي فيها، ثم أكمل دراسته في استانبول عاد الى فلسطين ليعمل قائمقام لمدينة يافا، ثم نقل الى صفد ثم عكا، تمت ترقيته ليصبح متصرفاً في منطقة عسير باليمن ثم نقل الى الأناضول، وقد أحيل على التقاعد عام ١٩١٤ ليتفرغ للعمل السياسي، بعد الاحتلال البريطاني أصبح رئيساً لبلدية القدس، وظل في هذا المنصب حتى عام ١٩٢٠ إذ ابعده لمواقفه الوطنية، وقد ترأس المؤتمر الفلسطيني العربي منذ المؤتمر الثالث حتى الثامن، وقد أسهم في إنشاء صندوق الأمة لإتقاذ أراضي فلسطين من البيع لليهود. لمزيد من

حماس الجماهير القادمة الى القدس لإحياء الاحتفال بمولد نبي الله موسى (عليه السلام)، وحدث إن وجه اليهود اهانات للمسلمين فتفجر الموقف ووقعت بعض الاشتباكات بين العرب واليهود والقوات البريطانية، وقد استمرت هذه الاشتباكات اسبوعاً كاملاً، وأدت الى إثارة الجانب البريطاني، الأمر الذي أزعج بعض أعضاء اللجنة التنفيذية إذ كتبت صحيفة الكرمل ما نصه: " إن الحكومة البريطانية حكومة قوية، ومن ثم فمن الصعب علينا إن نحاربها فلا بد لنا، إذاً ، من جعل ثورتنا تقتصر على محاربة خصومنا"^(١)، وكانت الصحيفة تعني " بخصومنا" اليهود بطبيعة الحال. كما يلاحظ على اللجنة التنفيذية إن الصراعات والمصالح العائلية قد مزقتها من الداخل، وزادت من ارتداء أعضائها في أحضان المحتل البريطاني الأمر الذي اثر سلباً على الحركة الوطنية الفلسطينية وأصابها بالجمود، وجعل عقد المؤتمر العربي الفلسطيني لا يتم بموعده اطلاقاً^(٢). لقد نجحت سلطات الاحتلال البريطاني بتأجيج الصراع العائلي وذلك عند إقالتها لموسى كاظم الحسيني من منصب رئيس بلدية القدس وتعيينها لراغب النشاشيبي^(٣) (١٨٨٣ - ١٩٥١) في

=التفاصيل يمكن الرجوع الى:- حميد الجميلي وآخرون، موسوعة إعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج١، منشورات بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٠٠، ص ٥٦٩.

(١) صحيفة الكرمل، حيفا، ١٣ / ٥ / ١٩٢٠. نقلاً عن عبد القادر ياسين، المصدر السابق، ص ٥٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦٥ - ٦٧؛ أكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، منشورات دار الجليل، عمان، ط٣، ١٩٨٦، ص ٧٢ - ٧٣.

(٣) راغب النشاشيبي: شخصية سياسية فلسطينية، ولد في القدس عام ١٨٨٣، حصل على تعليمه الاولي في مدارس القدس، وغادرها لدراسة الهندسة في استانبول، وعين بعد عودته الى فلسطين في قسم الأشغال العامة في متصرفية=

هذا المنصب، ثم جاءت انتخابات مفتي القدس لتزيد الطين بله إذ إن
المندوب السامي البريطاني قد ضرب نتائج الانتخابات عرض
الحائط^(١)،

=القدس، تم انتخابه كنائب في مجلس المبعوثان العثماني بعد عام ١٩٠٨، وبعد
انتهاء الحرب العالمية الأولى غادر استانبول متوجها الى حلب وأقام فيها الى إن
استدعته سلطات الاحتلال البريطاني سنة ١٩٢٠ وعينه رئيساً لبلدية القدس،
وقد بقى في منصبه هذا حتى عام ١٩٣٤ عندما هزم في الانتخابات أمام منافسه
الدكتور حسين فخري الخالدي، وقد قام بتأسيس حزب الدفاع الوطني، وقد
نعت راغب النشاشيبي ومؤيديه بالمعارضين، وعند تأليف اللجنة العربية العليا
أصبح احد أعضائها، وبعد عام ١٩٤٨ وضم ما تبقى من فلسطين الى إمارة
شرق الأردن عين وزيراً في الحكومة الأردنية، ثم حاكماً للضفة الغربية،
فعضواً في مجلس الأعيان الأردني حتى وفاته عام ١٩٥١. لمزيد من التفاصيل
يمكن الرجوع الى:- احمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج ٢،
ص ٤٥٠؛ عصمت برهان الدين عبد القادر، دور النواب العرب في مجلس
المبعوثان العثماني ١٩٠٨ - ١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية
الآداب - جامعة الموصل، ١٩٨٩، ص ٤١.

(١) كان الصراع بين العائلات الفلسطينية الكبيرة قد اشتد من اجل المراكز
والمناصب، ففي عام ١٩٢١ توفي الشيخ كامل الحسيني مفتي القدس، فطرح
مسألة خلافته، وكان أخوه الحاج محمد أمين قد رشح نفسه لشغل المنصب.
وعلى الرغم من إن عائلة الحسيني احتكرت منصب الافتاء أكثر من قرن من
الزمن، وهذا عرف شائع ومنتشر في البلاد العربية وقد شمل وظائف ومشيخات
وغير ذلك، ولكن المعتاد إن يتم الاختيار من خلال هيئة مصغرة، تضم بعض
افقه مشايخ الحرم القدسي الشريف والأعضاء المسلمين في بلدية القدس، وهذه
الهيئة ترشح ثلاث أشخاص تختار الحكومة اقدمهم ليكون مفتياً للقدس، وقد
جرت الانتخابات وجاء الشيخ حسام الدين جار الله في المركز الاول في حين
جاء الحاج أمين في المركز الرابع، لكن الحاج امين سرعان ما تولى دور=
المفتي بصرف النظر عن تسوية القضية، ثم قام بدعوة المندوب السامي

عند تعيينه للحاج محمد أمين الحسيني^(١) (١٨٩٥ - ١٩٧٤) مفتياً للقدس.

=البريطاني هربرت صومائيل الى مأدبة غداء أقيمت على شرفه لهذه المناسبة في (٢٥ نيسان عام ١٩٢١)، كانت تلبية صومائيل للدعوة والمعاملة الودية بين الرجلين، بمثابة اعتراف بالحاج أمين الحسيني مفتياً على القدس، وفعلاً فقد أجبرت سلطات الاحتلال البريطاني الشيخ حسام الدين على الانسحاب، وبهذا فقد صعد الحاج أمين الى المركز الثالث وتم اختياره. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى:- ناجي علوش، المقاومة العربية في فلسطين (١٩١٧ - ١٩٤٨)، سلسلة كتب فلسطينية-٦، منشورات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ط١، ١٩٧٥، ص ٤٨، عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ١٧٣.

(١) محمد أمين الحسيني: شخصية وطنية فلسطينية ، ولد في القدس عام ١٨٩٥، وتلقى تعليمه الأولي فيها، ثم التحق بكلية الغرير في القدس لتعلم الفرنسية وبعد عامين من الدراسة فيها، التحق بالجامع الأزهر في القاهرة، ثم أرسله والده الى استانبول للدراسة في جامعتها، لكنه التحق بالكلية العسكرية العثمانية، وتخرج منها برتبة ضابط صف، وفي ايام الحرب العالمية الأولى ترك الخدمة في الجيش العثماني والتحق سراً بالثورة العربية الكبرى في لوائي القدس والجليل، وبعد الاحتلال البريطاني للقدس أصبح مرافقاً للحاكم العسكري العام لفلسطين، لكنه لم يستمر طويلاً في هذه الوظيفة إذ قدم استقالته احتجاجاً على السياسة البريطانية الداعمة للصهاينة، وعمل كمدرس في كلية روضة المعارف في القدس. كون في القدس ما عرف باسم " النادي العربي " ، والذي تبنى سياسة مقاومة الوجود الصهيوني في فلسطين، حكمت المحكمة العسكرية البريطانية عليه بالسجن لمدة خمسة عشر عاماً غيابياً لاشتراكه في انتفاضة عام ١٩٢٠، لكن الإدارة المدنية قامت بإسقاط الحكم والعفو عنه وسمحت بعودته الى القدس. أصبح في عام ١٩٢١ مفتياً للقدس، ثم رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى عام ١٩٢٢، دعم ثورة عام ١٩٣٦ مادياً ومعنوياً، ورفض فكرة تقسيم فلسطين، وحاولت سلطات الاحتلال البريطاني اعتقاله لكنه تمكن من الهرب الى لبنان والذي مكث فيها لبعض الوقت، ثم توجه الى بغداد عام ١٩٣٩ وكان له دور=

جاءت انتخابات المجلس الإسلامي الأعلى^(١) (٢٠ كانون الاول ١٩٢١)، لتزيد من تعقيد الأمور فهذه الانتخابات لم تكن محصورة في هيئة مصغرة، كما هو الحال في اختيار المفتي، بل كانت تشمل كل الذكور المسلمين الراشدين في فلسطين. وكان إجراء انتخابات واسعة

=بارز في حركة مايس عام ١٩٤١، وبعد فشل هذه الحركة توجه الى إيران ومنها الى تركيا فبلغاريا فايطاليا فألمانيا، والتي أمضى فيها أربعة سنوات وإنشأ في برلين وروما مكتبان للحركة العربية، وعندما احتل الحلفاء ألمانيا وقع في اسر القوات الفرنسية، وبوساطة مصرية مغربية وسورية ولبنانية أبقاه الفرنسيون في منزل في إحدى ضواحي باريس لمدة عام كامل الى إن تمكن من مغادرة باريس بجواز سفر مزور وانتقل الى القاهرة والتي بقي فيها حتى عام ١٩٥٩، ثم انتقل الى سوريا ثم لبنان الى إن وافته المنية عام ١٩٧٤ فدفن في مقبرة الشهداء فيها. لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع الى:- احمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج٤، ص ١٣٨ - ١٤٢؛ كريم مطر حمزة الزبيدي، المفتي محمد أمين الحسيني وأثره في السياسة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب - جامعة بغداد، ١٩٨٩؛ مذكرات الحاج أمين الحسيني، إعداد وتصنيف عبد الكريم العمر، منشورات المطبعة الأهلية للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ١٩٩٩.

(١) المجلس الإسلامي الأعلى: كانت الأوقاف والمحاكم الشرعية الإسلامية في أوائل الاحتلال البريطاني لفلسطين، تدار من قبل دوائر العدل والقضاء في حكومة فلسطين، وكان يرأس هذه الدوائر شخصية بريطانية يهودية الديانة، الأمر الذي أثار غضب المسلمين وامتعاضهم، وقد عقد في القدس مؤتمر إسلامي حضره علماء وشيوخ المدن والقرى الفلسطينية المختلفة، وقرروا تأسيس المجلس الإسلامي الأعلى ليتولى إدارة الشؤون الإسلامية في فلسطين، وقد رحبت حكومة فلسطين بهذه الفكرة، أصدرت قانون خاص بالمجلس. لمزيد من التفاصيل ينظر:- ناجي علوش، المصدر السابق، ص ٤٩ - ٥٠؛ عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، منشورات مكتبة الأندلس، ط١، القدس، ١٩٦١، ص ٥١٤ - ٥١٥.

النطاق كهذه، من اجل انتخاب رئيس وأربعة أشخاص للإشراف على الأوقاف الإسلامية، سبباً في تمزيق البلاد من أقصاها الى أقصاها، الى ولاءات لأشخاص واسر معينة.

ومما زاد في تعقيد الامور والتي هي معقدة اصلاً إن السلطات البريطانية وبواسطة المحكمة العليا قد أعلنت بطلان الانتخابات، وقررت تعيين مجلس بديل عن المجلس المنتخب، وكان هذا المجلس برئاسة الحاج محمد أمين الحسيني وأربعة أشخاص من المحسوبين عليه^(١).

وبهذا فقد انقسمت الحركة الوطنية الفلسطينية الى فئتين، هما المجلسيون والمعارضون، اما المجلسيون فقد تسموا بهذا الاسم نسبةً الى المجلس الإسلامي الأعلى، وقد تزعمهم آل الحسيني الذين كانوا يسيطرون على المجلس الإسلامي الأعلى والإفتاء ويتحكمون بإدارة الأوقاف الإسلامية في سائر المدن الفلسطينية، وكان الحاج أمين الحسيني يأخذ نصف راتبه والذي كان بقدر (٦٠٠) جنيه فلسطيني من سلطات الاحتلال البريطاني. اما المعارضون والذين تسموا بهذا الاسم لمعارضتهم لنفوذ الحسيني، وقد تزعمهم السيد راغب النشاشيبي والذي كان يشغل منصب رئيس بلدية القدس وسائر أعوانه وأتباعهم رؤساء بلديات المدن الفلسطينية الأخرى، وهؤلاء هم موظفون لدى سلطات الاحتلال البريطاني^(٢).

(١) ناجي علوش، المصدر السابق، ص ٥٠؛ مؤيد توفيق العقرباوي، قاموس القضية الفلسطينية الحديث والمعاصر ١٩٠٠ - ٢٠٠٠، دار المنار، عمان، ط١، ٢٠٠٢، ص ٢٢.

(٢) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٦٩.

ومن هنا نستطيع إن نقول إن هاتين الفئتين ضمن الحركة الوطنية كانتا تعملان في ظل الإحتلال البريطاني، وكانتا تمثلان مصالحهما العائلية الضيقة الأمر الذي جعلهما يركزان على الوقوف بوجه الصهيونية ومحاولات إنشاء "وطن قومي" في فلسطين، ويتغاضون عن المحتل البريطاني.

إزاء هذا الترددي والتراجع في عمل الحركة الوطنية الفلسطينية، قرر عدد من العاملين في المجال الوطني ومن ذوي الخلفيات القومية العمل على إنشاء حزب سياسي يعيد الحيوية للعمل الوطني وبيتعد عن المصالح العائلية الضيقة، ويشخص سبب المشكلة الحقيقي في فلسطين لهذا فقد أعلن عن تأسيس حزب سياسي باسم حزب الاستقلال في تموز عام ١٩٣٢، وقد تألفت هيئته المركزية من كل من: (عوني عبد الهادي سكرتير عام الحزب، محمد عزة دروزة، معين الماضي، صبحي الحضرا، رشيد الحاج إبراهيم، دكتور سليم سلامة، عجاج نويهض، أكرم زعيتر، فهمي العبوش، حمدي الحسيني، حربي الأيوبي)(١).

وقد جاء في بيان الإعلان عن إنشاء حزب الاستقلال تحديد الأسباب وراء تكوينه بما نصه:- "الشعور بما طرأ على الحركة الوطنية الاستقلالية في هذه البلاد من ضعف وفتور، وما وقع فيه من اضطرابات وانحلال، وما تسلط عليها من أهواء ونزعات زعزعت أساسها وبدلت إغراضها ومراميها".

(١) سميح شبيب، حزب الاستقلال العربي في فلسطين ١٩٣٢ - ١٩٣٣، منشورات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطيني، بيروت، ط١، ١٩٨١، ص ٤٤ - ٤٧؛ مذكرات عوني عبد الهادي، تقديم وتحقيق الدكتورة خيرية قاسمية، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٢، ص ١٦٠ - ١٦٣.

بدأ الحزب نشاطه بإقامة عدد من المهرجانات الكبرى في مدن فلسطين الرئيسية، وكان يصدر بيانات في المناسبات ترفع شعار مقاومة البريطانيين على اعتبارهم " أصل الداء" لهذا فقد جاء في احد بيانات الحزب بما نصه " إن المجتمعين يعتبرون الاستعمار الانجليزي أساس البلاء وسبب الرزايا، ويجددون العهد على مكافحته ومقارعة حتى تظفر امة باستقلالها وحريتها" ويضيف البيان " الحكم الاستعماري القائم في البلاد باطلاً، ولا يستند إلا على القوة، ووعد بلفور مرفوض من أساسه، وعرب فلسطين متمسكون بحقهم الطبيعي بالحرية والاستقلال..."^(١).

وقد اصدر عجاج نويهض عضو الهيئة المركزية للحزب مجلة أسبوعية اسمها "العرب" صدر العدد الاول منها في الأسبوع الأخير من أب عام ١٩٣٣، وكانت المجلة تنشر أبحاث عن الحركة القومية العربية وتاريخها وأهدافها، كما كانت مهتمة بالشأن الداخلي الفلسطيني، وكثيراً ما كانت الكتابات فيها بأسلوب ساخر، إذ نشرت في احد إعدادها نقداً لاذعاً للجنة التنفيذية للحركة الوطنية، وجاء بما نصه:- " فهي اللجنة التنفيذية العربية للمؤتمر الفلسطيني العربي، أو العربي الفلسطيني السابع "مرفعة" المؤتمرات على الإطلاق، ولدت خرساء عمياء...، وأحسن ما ذكر منها من الوصف... قول إحدى صحفنا الوطنية أنها " قطع من المائثية البشرية" وتضيف بما نصه:- " وكانت الطائفية والعائلية بارزة في تكوينها بروزاً عجبياً"^(٢).

(١) سميح شبيب، المصدر السابق، ص ٦٣ - ٧٣، ناجي علوش؛ المصدر السابق، ص ٧٧ - ٨٥.

(٢) ناجي علوش، المصدر السابق، ص ٨٣ - ٨٤؛ احمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٠٩.

على الرغم من الصدى الذي أحدثه حزب الاستقلال عند تكوينه، والشعارات الوطنية التي رفعها والتي رحبت بها الجماهير، إلا انه قد وجد نفسه في نهايات عام ١٩٣٣ غير قادر على الاستمرار والبقاء، فاضمحل تدريجياً وتلاشى لأسباب تنظيمية بحتة، إلا انه استمر شكلاً^(١).

شهد عام ١٩٣٤ حدثين ساهما في زيادة تمزق وتشتت الحركة الوطنية في فلسطين، الاول تمثل بإعلان سلطات الاحتلال البريطاني عن إجرائها انتخابات للمجالس البلدية في فلسطين بعد إقرارها لقانون نظام النقابات البلدية نهايات عام ١٩٣٣، هذا الحدث زاد من حدة تقسيم الحركة الوطنية والتي كانت اصلاً منقسمة الى قسمين، القسم الاول تمثل بالحاج محمد أمين الحسيني ومؤيديه (المجلسيون) وكان مرشحهم لرئاسة بلدية القدس هو حسين فخري الخالدي، في حين تمثل القسم الثاني براغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس منذ عام ١٩٢٠ ومؤيديه (المعارضون)^(٢).

(١) للاطلاع على أسباب تلاشي حزب الاستقلال يمكن الرجوع الى:- سمح

شبيب، المصدر السابق، ص ٩٢ - ٩٧.

(٢) حسين فخري الخالدي: شخصية وطنية فلسطينية، ولد في القدس عام ١٨٨٥، وحصل على تعليمه الأولي فيها، درس الطب في استانبول، وعاد للعمل في القدس، وكان موظفاً في دائرة الصحة العامة في ايام الانتداب البريطاني، وفي عام ١٩٢٨ أصبح مديراً لدائرة الصحة العامة، وكان له موقف متميز إبان ثورة عام ١٩٢٩، وأصبح في عام ١٩٣٤ رئيساً لبلدية القدس، وقام بتأسيس حزب الإصلاح، وفي عام ١٩٣٦ أصبح عضواً في اللجنة العربية العليا لفلسطين، وقد اعتقل وابعث الى جزيرة سيشل ثم تم العفو عن المبعدين فعاد الى بيروت والتي بقي فيها حتى عام ١٩٤٣، إذ عاد الى القدس، وأصبح عضواً في الهيئة العربية

لقد كان الصراع على رئاسة المجلس البلدي لمدينة القدس تحدياً شديداً بين الطرفين، إذ إن بلدية القدس كانت معقلاً من معاقل المعارضة وسبباً من أسباب قوتها المادية والمعنوية، في حين رأى الحاج محمد أمين إن رئاسة بلدية القدس كانت حقاً تاريخياً لأسرته انتزعتها البريطانيون منها عام ١٩٢٠، لهذا لا بد من استعادتها وحرمان المعارضة منها، وفعلاً فقد تمكن الحاج محمد أمين الحسيني من الفوز في هذه الانتخابات وأصبح حسين فخري الخالدي رئيساً لبلدية القدس بدلاً لرأغب النشاشيبي^(١).

أما الحدث الثاني فتمثل بوفاة موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية في (٢٦ آذار عام ١٩٣٤) متأثراً بالجروح التي أصابته على اثر الصدمات التي حصلت في مظاهرة يافا في تشرين الاول ١٩٣٣^(٢).

=عليا، وقد بقي في فلسطين عقب قرار التقسيم. لمزيد من التفاصيل يمكن

الرجوع الى:- احمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٦٠.

(١) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٢٨٨.

(٢) كان موسى كاظم الحسيني قد قاد مظاهرة يافا في (٢٣ تشرين الاول ١٩٣٣)

بنفسه، وقد كانت هذه المظاهرة كبيرة من إذ عدد المشاركين فيها، وقد اعد لها

بغاية بإذ إن اغلب قادة الحركة الوطنية كانوا مشتركين في صفها الاول، لهذا

فقد استعدت حكومة الاحتلال البريطاني لقمعها بكل ماديها من قوة، لهذا فما إن

بدأت المظاهرة حتى اشتبك رجال الشرطة بالمتظاهرين مستخدمين الهراوات

والبنادق، فقتل اثنين وثلاثون عربياً، وجرح سبعة وتسعون كان موسى كاظم

الحسيني من بينهم، وكان عمره يزيد عن الثمانين عاماً، وقد توفي بعد عدة

أشهر متأثراً بالجروح التي أصابته في المظاهرة. لمزيد من التفاصيل يمكن

الرجوع الى:- ناجي علوش، المصدر السابق، ص ٨٨ - ٨٩؛ حميد الجميلي

وآخرون، المصدر السابق، ص ٥٦٩.

كانت الخلافات التقليدية في اللجنة التنفيذية، وما جد من صراعات بعد وفاة موسى كاظم الحسيني، حائلاً دون انتخاب رئيس جديد يحل محل الرئيس الراحل، ولقد اجتمعت اللجنة بتاريخ (٦ نيسان عام ١٩٣٤) وقررت إن يبقى كرسي الرئاسة شاغراً، حتى انعقاد المؤتمر التالي للحركة الوطنية، على إن يقوم جمال الحسيني نائب رئيس اللجنة بمهام الرئيس، وقد عقدت عدة اجتماعات للإعداد لعقد مؤتمر الحركة الوطنية الفلسطينية لكن هذه الاجتماعات لم تنتهي الى شيء يذكر بسبب الخلافات والخصومات الأمر الذي دفع جمال الحسيني الى إصدار بيان أعلن فيه قرار اللجنة التنفيذية حل نفسها بسبب عدم الانسجام بين أعضائها على حد وصف البيان ودعوة القوى الوطنية الى تشكيل أحزاب سياسية تمثلها^(١).

جاء حل اللجنة التنفيذية ايذاناً بظهور عدد من الأحزاب السياسية على الساحة الفلسطينية متشابهة في الأهداف وطرق العمل، لكنها كانت مختلفة في تمثيلها لمصالح قادتها وعوائلهم، ولعل من ابرز هذه الأحزاب حزب الدفاع الوطني والذي أعلن عن تأسيسه بتاريخ (٢ كانون الاول عام ١٩٣٤) برئاسة راغب النشاشيبي، وقد تألفت لجنته المركزية من (فخري النشاشيبي، حسن صدقي الدجاني، يعقوب فراج، مغنم مغنم)^(٢).

كما قام الدكتور حسين فخري الخالدي بالإعلان عن تشكيل حزب سياسي بأسم حزب الإصلاح والذي كان الخالدي رئيساً له،

(١) ناجي علوش، المصدر السابق، ص ٨٩ - ٩٠.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن حزب الدفاع الوطني يمكن الرجوع الى:-

علي سعود عطية، الحزب العربي الفلسطيني وحزب الدفاع الوطني، منشورات جمعية الدراسات العربية، القدس، ١٩٨٥، ص ١٢٥ - ١٧٤.

وكانت لجنته المركزية مكونة من :- (إسحاق البديري، محمود أبو خضراء، حسني خليفة، عيسى البندك، سعدي الدين الخليلي)^(١).

تأسس في القدس حزب آخر عرف باسم الحزب العربي الفلسطيني وذلك بتاريخ (٢٥ آذار عام ١٩٣٥) وقد تألفت لجنته المركزية من :- (جمال الحسيني رئيساً للحزب، الفريد روك نائب الرئيس، اميل الفوري اميناً عاماً، خالد الفرخ، كامل الدجاني، وجيه البشتاوي) وكان هذا الحزب واجهةً للمجلس الإسلامي الأعلى ورئيسه الحاج محمد أمين الحسيني^(٢).

ظهر في نابلس حزب آخر هو " جبهة الدفاع الوطني" وكان من ابرز مؤسسيها (عبد الفتاح طوقان وعبد اللطيف صلاح) وذلك في نهايات عم ١٩٣٥ ، وقد أشار مؤسسوا هذا الحزب أنهم يعملون من اجل وحدة الكلمة الفلسطينية ونبذ الاتجاهات والمصالح الأخرية^(٣)، قام يعقوب الغصين بتأسيس حزب سياسي يركز اهتمامه على شريحة الشباب ويدعوا لتوفير الأندية الرياضية ومراكز الشباب لخلق جيل يعمل على مكافحة الصهيونية، وقد عرف هذا الحزب باسم (حزب الشباب) وكان الإعلان عن تأسيسه في نهايات عام ١٩٣٥^(٤).

ويصف الكاتب الفلسطيني عبد الوهاب الكيالي ما كان يجري في فلسطين بقوله :- " ولقد كانت البواعث الأناثية وراء تعدد الأحزاب

(١) لمزيد من التفاصيل عن حزب الإصلاح يمكن الرجوع الى :- احمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج١، ص ٢٦٠ - ٢٦١.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن الحزب العربي الفلسطيني يمكن الرجوع الى :- علي سعود عطية، المصدر السابق، ص ١٢٥ - ١٧٤.

(٣) ناجي علوش، المصدر السابق، ص ٩٣ - ٩٤.

(٤) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

العربية واضحة أمام أنظار الفلسطينيين جميعاً وأثارت خصوماتهم سخرية الرأي العام كله والاعتقاد الذي يسود القرى ان الزعماء لا يعملون إلا لأنفسهم" (١)، ومن هنا نستطيع إن نقول انه لم يكن تعدد الأحزاب والقوى عامل التقاء، بين القوى المختلفة، بل كان واسطة لتعبئة القوى المتصارعة، في طول البلاد وعرضها وحمل الناس على اختيار موقف من الصراع الدائر، وبالتالي فان حالة التعدد لم تكن حالة قوة بل كانت دليل على الضعف.

- الشيخ عز الدين القسام ودوره في الإعداد لحركة مسلحة

تختلف المصادر التاريخية في تحديد تاريخ ميلاد الشيخ محمد عز الدين عبد القادر القسام (٢) فمنها من يحدد سنة ١٨٧١ تاريخاً لميلاده (٣)، في حين تشير مصادر أخرى الى إن عام ميلاده هو عام ١٨٨٢ (٤)، واغلب الظن إن عام ١٨٨٢ هو الأصح من خلال مقارنته

(١) المصدر نفسه ، ص ٢٩٠.

(٢) كانت الاسماء المركبة من الأمور الشائعة في العهد العثماني.

(٣) تشير المصادر الآتية الى إن تاريخ ولادة الشيخ عز الدين القسام هو عام ١٨٧١ وهذه المصادر هي:- عبد الرزاق محمد اسود، المصدر السابق، ص ٤٢٧؛ غسان كنفاني، ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ في فلسطين: خلفيات وتفاصيل وتحليل، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ٦، ١٩٧٢، ص ٦١؛ عادل حسن غنيم، ثورة الشيخ عز الدين القسام، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ٦، ١٩٧٢، ص ١٨١، صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦ - ١٩٣٩، دمشق، ١٩٥٩، ص ١٩-٢٠.

(٤) المصادر التي تشير الى إن تاريخ ولادة الشيخ عز الدين القسام هو عام ١٨٨٢ هي:- حميد الجميلي وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٦١؛ احمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٢٩؛ عبد القادر ياسين، المصدر السابق، ص ١٤٨؛ محمد أنيس، تاريخ القضية الفلسطينية، مطبعة جامعة القاهرة، مصر، ١٩٦٢، ص ٢-٣.

بعمر أقرانه، والإحداث التي مرت عليه أثناء سنوات دراسته في الأزهر.

ولد عز الدين القسام في بلدة جبلة السورية جنوب اللاذقية، في أسرة عرفت بتدينها وتمسكها بالقيم الإسلامية، أما أبوه فهو الشيخ عبد القادر القسام وكان صاحب كتاب يعلم فيها الأطفال القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم^(١).

تلقى عز الدين القسام دراسته الأولية في بلدته، وذهب في سن الرابعة عشر الى القاهرة للدراسة في الأزهر برفقة أخيه فخر الدين وقد أمضى في الأزهر عدة سنوات اخذ فيها العلم على يد ابرز أئمة وفيهم الشيخ محمد عبده والذي تركت أرائه اثراً كبيراً في نفس عز الدين.

عاد الشيخ عز الدين الى جبلة عام ١٩٠٣، إلا انه سرعان ما سافر مجدداً لكن هذه المرة الى استانبول وكان هدفه الاطلاع والمشاهدة، إذ انه كان يؤمن بان رجل الدين ليس معلماً للفروض والعبادات فقط، بل إن دوره يمتد ليشمل تعليم الآباء والوطنية وعزة النفس، إن دور رجل الدين كان عنده دفع الناس الى رفض الاستكانة والارتباط بقضايا الوطن^(٢).

كانت وفاة والده قد أجبرته على العودة الى جبلة والعمل محل والده في الكتاب إذ اخذ يعلم الأطفال بعض العلوم الحديثة وأصول القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، ثم أصبح إماماً لمسجد المنصوري في قريته ذاتها، وقد عرف بخطبته الجيدة، ودروسه القيمة، لهذا فقد

(١) أحمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج٣، ص٢٢٩.

(٢) حميد الجميلي وآخرون، المصدر السابق، ص ٣٦١؛ احمد المرعشلي

وآخرون، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٩.

امتدت سمعته الحسنة إلى المناطق المجاورة والتي ارتبط بسكانها بصداقات متينة^(١).

مع وصول أخبار الاحتلال الايطالي لليبيا عام ١٩١١، والمجازر التي يرتكبها الايطاليون ضد أبناء الشعب الليبي، قام الشيخ عز الدين القسام بقيادة مظاهرة طافت شوارع جبلة، تاييداً للعرب الليبيين، وقد دعا الناس للتطوع لقتال الايطاليين، وقد اختار (٢٥٠) متطوعاً، وقام بحملة لجمع التبرعات لتأمين ما يلزمهم ويلزم أسرهم، لكن السلطات العثمانية لم تسمح لهم بالسفر^(٢).

رفع القسام راية المقاومة ضد الاحتلال الفرنسي لسورية، واشترك في ثورة جبل حوران (١٩١٩-١٩٢٠) وقد انتقل من قريته على الساحل بعد إن باع كل ما يملك، ليسكن في قرية الحفة الجبلية ذات الموقع الحصين في سبيل الثورة، وقد اصدر الفرنسيون حكم الإعدام عليه لدوره في الثورة، وبعد تمكن سلطات الاحتلال من قمع الثورة اضطر لمغادرة سورية متوجها الى فلسطين.

وصل الشيخ عز الدين القسام مع اثنين من رفاقه هما (الشيخ محمد الحنفي (مصري)، والشيخ علي الحاج عبيد (سوري) الى حيفا في صيف عام ١٩٢١، ثم لحقت به أسرته، وقد لفت أنظار المصلين في المسجد الذي لجأ إليه في حيفا مع جماعته في اليوم الاول لوصوله حين انبرى بعد صلاة المغرب لتقديم درس ديني^(٣).

بدأت حياة الشيخ عز الدين القسام العملية في حيفا منذ عام ١٩٢٢ إذ عمل مدرساً في المدرسة الإسلامية في حيفا وإماماً وخطيباً

(١) احمد المرعشلي، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

(٣) أحمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٣٠.

لجامع الاستقلال في نفس المدينة، وقد انتسب الى جمعية الشبان المسلمين في حيفا عام ١٩٢٦، ثم أصبح رئيساً لها، ثم عين من قبل المحكمة الشرعية مأذوناً شرعياً، فأصبح يخرج الى القرى لعقد عقود الزواج وحضور احتفالاته، وبهذا فقد عرف الناس وعرفوه، وزادت شعبيته وذاعت شهرته^(١).

كان لمدينة حيفا التي نزل فيها الشيخ عز الدين القسام خصوصية تمثلت بكونها مدينة ساحلية ويوجد فيها أكبر ميناء بحري في فلسطين وكان استخدامه مزودجاً إذ انه مقر للأسطول الحربي البريطاني، كما انه ميناء يستقبل السفن التجارية وسفن نقل الركاب وكان عبر هذا الميناء يتم تصدير اغلب المنتجات الفلسطينية، وحيفا مدينة سريعة النمو متعددة القوميات والجنسيات، وللوكالة اليهودية مقر رئيسي فيها وبهذا فقد غدت هذه المدينة قاعدة للتهويد، وهي اقرب مدن فلسطين الى لبنان ودمشق، وقد بنيت في أطرافها أحياء من الصفيح يسكنها مواطنون من عرب فلسطين كانوا قد طردوا من أراضيهم التي استولى عليها اليهود، لهذا فقد سكنوا في هذه الأحياء على أمل العمل في ميناء حيفا أو في معاملها، وكانوا يعانون من التخلف وانخفاض الأجور^(٢).

كان عمله كمأذون شرعي لقرى شمال فلسطين جعله قريباً من الواقع الذي يعيشه الفلاح الفلسطيني على وجه العموم، والخطر الذي يواجهه الفلاح في شمال فلسطين على وجه الخصوص، إذ إن الحركة الصهيونية قد استطاعت إن تنتزع قرى بأكملها من الملكية العربية

(١) المصدر نفسه، ص ٢٢٩؛ غسان كنفاني، المصدر السابق، ص ٦١.

(٢) احمد المرعشلي، المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٠؛ عبد القادر ياسين، المصدر السابق، ص ١٤٩ - ١٥٠.

وتحولها الى الملكية اليهودية ولعل من ابرز هذه الشواهد ما حصل في مرج بني عامر (يحتوي على ٢٢ قرية عربية)، وارض وادي الحوارث وطرد سكانه من العرب، وارض الحولة، كما إن الفلاح الذي لم تأخذ أرضه منه كان يعاني من الارتفاع الفاحش للضريبة والانخفاض الشديد في أسعار المحاصيل التي ينتجها لهذا فقد كان يعيش بفقر وحاجة مستمرتين^(١).

اخذ الشيخ عز الدين القسام بالإحساس بخطر الصهيونية، وبأنها جادة في الوصول الى أهدافها، لذلك كان يدعو الناس الى الوقوف بوجهها بلم شملهم واتحاد كلمتهم وبالبعد عن الشقاق والعودة الى تعاليم السلف الصالح، وإذا كان هذا الإحساس أمراً معروفاً لا جديد فيه، إلا إن الجديد الذي ميز القسام عن غيره، وأعطى لحركته صفة التميز هو تركيزه على الاستعمار البريطاني، مدركاً بذلك إن بريطانيا هي العدو الرئيسي الذي يجب مقاومته والتخلص منه، في حين كانت الحركة الوطنية في فلسطين تتجنب المساس بالجانب البريطاني وتحمله مسؤولية ما يجري، وتسعى لمفاوضته والتفاهم معه^(٢).

لقد آمن الشيخ القسام، مستفيداً من دراسته في الأزهر، ومن وقوفه بوجه المحتل الفرنسي، إن المقاومة المسلحة هي الإداة الوحيدة القادرة على إنهاء الاحتلال البريطاني، والحيلولة دون قيام دولة يهودية صهيونية في فلسطين، لكن المشكلة التي واجهته إن المقاومة المسلحة المنظمة كانت من الامور الغير مألوفة لدى أهل فلسطين آنذاك، لان المقاومة لم تتعدى الإضرابات والمظاهرات التي قد تقع خلالها

(١) عادل حسين غنيم، المصدر السابق، ص ١٨٢؛ عبد القادر ياسين، المصدر السابق، ص ١٥٠.

(٢) ناجي علوش، المصدر السابق، ص ٩٩ - ١٠٠.

مصادمات يقتل فيها من يقتل، ويجرح فيها من يجرح، لهذا كان لا بد من تهيئة الشعب الفلسطيني للمقاومة المسلحة، وهذه التهيئة لن تكون إلا بواسطة تنظيم سري يعد فيه المقاتلون عسكرياً وسياسياً، وتشير المصادر إن أول خلية سرية شكلها الشيخ القسام في عام ١٩٢٢، إذ كان يختار الأعضاء بنفسه مستفيداً من كونه إماماً وخطيباً لجامع الاستقلال، ومن عمله كمأذون شرعي الأمر الذي جعله ينتقل بين القرى والمدن من دون إن يثير ريبة سلطات الاحتلال البريطاني وأعاونها^(١).

كان معقل القسام هو الحي القديم في حيفا إذ يسكن الفلاحون العرب الذين نزحوا عن قراهم، واضطروا للعيش في مستوى منخفض من الحياة بسبب الهجرة اليهودية. وأبدى القسام اهتماماً حقيقياً بتحسين أحوال معيشتهم، وبدا بتعليمهم القراءة والكتابة من خلال دروس ليلية، الأمر الذي عمق العلاقة بين الطرفين^(٢).

قسم الشيخ عز الدين القسام التنظيم الذي عمل على اعداداه الى خلايا تضم كل خلية خمسة أفراد فقط، ويقود كل خلية نقيب، مع الحرص على عدم معرفة خلية بالأخرى خوفاً من انكشاف التنظيم، وكان التنظيم يغطي مصروفاته من الاشتراكات الشهرية لأعضائه، إذ إن كل عضو كان يدفع عشر دخله الشهري كاشتراك، وهنا تجدر الإشارة الى إن بعض أعضاء التنظيم قد طلبوا بالتوسع في جمع الأموال من الشعب، وبمختلف الوسائل، إلا إن القسام حذرهم من استعمال العنف مع أبناء الشعب لأن العنف سيعزلهم، موضحاً بما نصه

(١) احمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٣٠؛ عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٢٩٣.

(٢) احمد المرعشلي وآخرون، المصدر السابق، ج٣، ص ٢٣٠.

" إن الشعب سيدفع تيرعات كافية للثورة، بعد إعلانها مباشرة، وبعد إن يعرف أهدافها، ويشاهد الانتصارات".

وأثناء أحداث البراق في آب عام ١٩٢٩^(١)، طلب بعض أعضاء التنظيم إعلان الثورة المسلحة، إلا إن الشيخ القسام رفض هذا الطلب، موضحاً إن الظروف لم تتضح بعد لإعلان الثورة، كما إن التسليح والاستعداد العسكري لم يكتملاً، الأمر الذي جعل بعض الأعضاء ينسحبون من التنظيم، لكن الشيخ القسام تمكن من إعادة تماسك التنظيم والمحافظة على سرية^(٢).

قام الشيخ القسام بتوزيع بعض أعضاء التنظيم على خمسة لجان هي لجنة شراء الأسلحة، ولجنة التدريب، ولجنة الأمن والتجسس وجمع المعلومات عن العدو البريطاني، لجنة الإعلام، ولجنة للاتصالات السياسية، وكان التنظيم قد توسع كثيراً وزاد عدد أعضائه حتى إن بعض المصادر تشير الى إن التنظيم قد ضم ثمانمئة عضو^(٣)، في حين تشير مصادر أخرى الى إن أعضاء التنظيم كانوا بحدود الخمسين عضواً^(٤)، وعلى ما يبدو ان الرقم الثاني يشير إلى عدد أعضاء الجناح العسكري لتنظيم القسام ، وكان هناك (٨٠٠) شخص هم من الأنصار^(٥).

(١) للاطلاع على تفاصيل أحداث البراق ١٩٢٩، يمكن الرجوع الى:- نجيب

الأحمد، فلسطين تاريخاً ونضالاً، دار الجليل، عمان، ط١، ١٩٨٥، ص ٤١.

(٢) غسان كنفاني، المصدر السابق، ص ٦٢؛ عبد القادر ياسين، المصدر السابق،

ص ١٥٢؛ صبحي ياسين، المصدر السابق، ص ٣٥.

(٣) صبحي ياسين، المصدر السابق، ص ٣٤.

(٤) محمد عزة دروزه، حول الحركة العربية الحديثة، منشورات المكتبة العصرية،

لبنان، ١٩٥١، ص ١٢٠.

(٥) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٢٩٢.

ومن خلال قراءة أسماء بعض عناصر تنظيم القسام يتبين لنا إن معظمهم كانوا رجال دين وفلاحين، فمن بين أربعين عضوا نشرت أسمائهم، سبق اسم سبعة وثلاثون منهم لقب "شيخ"، مما جعل أعضاء التنظيم يستحقون صفة المشايخ، كما كان فيهم ستة وثلاثون فلاحاً، وهذا يؤكد إن الدين كان ضمير حركة القسام، وإنها كانت حركة فلاحية في جوهرها^(١)، وبهذا نستطيع إن نقول إن حركة الشيخ القسام قد عبرت بصورة واضحة عن امتزاج الدين بالوطنية.

- حركة الشيخ عز الدين القسام وموقف الحركة الوطنية من استشهاده.

شعر الشيخ القسام بحلول ١٩٣٥، إن الظروف قد نضجت، بما يتيح له خوض غمار العمل العسكري ضد الاحتلال البريطاني والحركة الصهيونية على حد سواء، فقيادة الحركة الوطنية الفلسطينية منقسمة على نفسها، مختلفة في كل شيء إلا في التقرب من سلطات الاحتلال البريطاني، وقد اكتشفت قطاعات واسعة من جماهير الشعب الفلسطيني حقيقة قياداتها، واقتناعها بعدم جدوى الأساليب السلبية في الكفاح، وخاصة بعد إن قدمت جماهير الشعب عشرات المئات من الشهداء في المظاهرات والإضرابات، دون إن يفتتح الاستعمار البريطاني بعدالة مطالب أهل فلسطين، لهذا فقد زادت قناعة أبناء فلسطين بالتحرك ضمن خط الكفاح المسلح^(٢).

أراد الشيخ القسام إن يختبر مدى صلابة تنظيمه وقوته، فزج بعض خلائاه في معارك صغيرة، لهذا فقد شهد المثلث العربي (جنين -

(١) صبحي ياسين، المصدر السابق، ص ٣٥ - ٣٦.

(٢) عبد القادر ياسين، المصدر السابق، ص ١٥٢.

نابلس - طولكرم) اغتيالات للضباط البريطانيين والمتعاونين مع سلطات الاحتلال^(١).

اتصل الشيخ عز الدين القسام بالحاج محمد أمين الحسيني في هذه المدة مرتين، في المرة الأولى أرسل له محمود سالم (احد أتباعه) ليطلب منه تعيينه واعظاً عاماً متقلداً، لتيسير وستر تنقلاته للدعوة الى الثورة في مختلف أنحاء فلسطين، غير إن الحاج أمين الحسيني اعتذر عن الموافقة على الطلب لأنه والكلام ينقله احد رجال القسام " يعمل لحل القضية سياسياً".

اما المرة الثانية فقد أرسل الشيخ القسام الشيخ موسى العزراوي ليخبره عن عزمه إعلان الثورة المسلحة في شمال فلسطين ويطلب منه إعلانها في الجنوب، إلا إن الحاج أمين فيما يروى لم يستجب لنداء الشيخ القسام بدعوى " إن الوقت لم يحن بعد لمثل هذا العمل"^(٢).

أخذت الأوضاع في فلسطين تزداد سوءاً إذ إن خمس الفلاحين العرب قد أصبحوا دون ارض يمتلكونها، كما إن عدد العمال العاطلين في المدن اخذ بالازدياد والمهاجرون اليهود حققوا في عام ١٩٣٥ رقماً قياسياً بلغ (٦٠,٠٠٠) مهاجر، ثم جاءت الاستفزازات الصهيونية كالتدريب العسكري السافر ومهاجمة القرى العربية، والأسلحة المهربة الى المستعمرات الصهيونية، لتؤكد على حقيقة المخاوف التي يشعر بها المواطن الفلسطيني^(٣).

- (١) صالح مسعود أبو يصير، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، منشورات دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٨، ص ١٧٧.
- (٢) صبحي ياسين، المصدر السابق، ص ٣٢.
- (٣) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٢٩٣؛ صالح مسعود أبو يصير، المصدر السابق، ص ١٥٣.

إزاء هذه الأوضاع السيئة في فلسطين، وتشديد سلطات الاحتلال البريطاني لرقابة تحركات الشيخ القسام، لهذا فقد عقد آخر اجتماع لجماعته في مدينة حيفا ليلة ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٣٥، وقرر البدء بالثورة فانتقل مع خمسة وعشرون فرداً من جماعته الى قضاء جنين للدعوة الى الثورة وتدريب الفلاحين، وكان اختياره لقضاء جنين لوقوعه في جبال الجليل الوعرة، ذات المواصلات الصعبة، مما يعرقل مواجهة سلطات الاحتلال له. انتشرت دوريات القسام في قضاء جنين، وحدث إن قتل الشيخ يوسف الزيباوي شرطياً صهيونياً يوم ١٤ تشرين الثاني عام ١٩٣٥، وفي اليوم التالي أي ١٥ تشرين الثاني حصلت مواجهة بين الثوار والشرطة قرب قرية البارد سقط فيها الشيخ محمد الحلولي شهيداً، وقتل اثنان من رجال الشرطة^(١).

دفع هذان الحداث المنذوب السامي الى عقد اجتماع عاجل مع كبار العسكريين البريطانيين في فلسطين، لمواجهة الموقف، وفي مساء ١٨ تشرين الثاني تحركت قوة تقدر بحوالي (٥٠٠) جندي بريطاني وطوقت المنطقة التي وقعت فيها حوادث يومي ١٤ و ١٥ تشرين الثاني وأخذت بالبحث عن المنفذين، وحصل الصدام بين الجانبين صباح يوم ٢٠ تشرين الثاني عام ١٩٣٥ وقد استمر لمدة ست ساعات استشهد فيه الشيخ عز الدين القسام مع اثنين من رفاقه هما الشيخ محمد الحنفي والشيخ يوسف الزيباوي، وجرح كل من الشيخ نمر السعدي والشيخ اسعد المفلح والشيخ حسن الباير وقد تم أسرهم مع الشيخ احمد عبد الرحمن والشيخ محمد يوسف وعربي البدوي^(٢).

(١) صبحي ياسين، المصدر السابق، ص ٣٢.

(٢) عبد القادر ياسين، المصدر السابق، ص ١٥٥ - ١٥٦؛ صبحي ياسين،

المصدر السابق، ص ٣٢.

روى الجانب البريطاني قصة أحداث القسام في تقريرهم السنوي الذي جرى تقديمه الى لجنة الانتداب في جنيف عن وقائع عام ١٩٣٥ بما نصه " انتشرت في الجو إشاعات عن عصابة للإرهاب تألفت بوحى من عوامل سياسية ودينية... وقد قتلوا الشاويش... وسرعان ما أدى هذا الحادث الى اكتشاف عصابة كانت بالجوار تحت قيادة عز الدين القسام، وهو لاجئ سياسي من سوريا، وهو ذو إمكانيات ليست بالقليلة كرجل من رجال الدين، وقد اشتبه به اشتبهاً قوياً قبل ذلك ببضع سنوات، وقيل إن له ضلعاً في أعمال إرهابية..."^(١).

- موقف الحركة الوطنية الفلسطينية من استشهاد القسام.

قامت سلطات الاحتلال البريطاني بتسليم جثث الشهداء الى نويهم فنعتهم المساجد ومن ضمنها الأقصى، وصلى الناس عليهم في كل مكان صلاة الغائب، وسار موكب الجنازة وقد رفعت الإعلام العربية، وأغلقت مدينة حيفا في ذلك اليوم كل محلاتها، وتوجه موكب الجنازة الى المسجد الكبير إذ صلى الناس على الشهداء، وتحولت الجنازة الى مظاهرة كبرى وتم مهاجمة دائرة الشرطة في حيفا، الأمر الذي دفع سلطات الاحتلال الى سحب كل جنودها من الشوارع لتقليل الاحتكاك مع الجماهير الغاضبة. حمل أبناء فلسطين نعش الشهيد القسام الى قرية الياجور والتي تبعد عن حيفا عشرة كيلو مترات مشياً على الأقدام^(٢).

(١) غسان كنفاني، المصدر السابق، ص ٦٢ - ٦٣.

(٢) عادل حسن غنيم، المصدر السابق، ص ١٨٦.

من الملاحظ إن اغلب الذين اشتركوا في تشييع الشيخ القسام ورفاقه هم من الفقراء والبسطاء، أما الزعماء السياسيين فقد تخلفوا عن المشاركة في الجنازة^(١)، وبرقيات التعزية التي أرسلوها كانت فاترة^(٢). لقد أخرج استشهاد الشيخ القسام ورفاقه قادة الحركة الوطنية الفلسطينية مثلما أخرج الجانب البريطاني على حد سواء، إذ إن الجماهير أخذت تقارن بين موقف القسام وجماعته وبين تصارع السياسيين على المناصب في ظل احتلال داعم للوجود الصهيوني.

كان السياسيون الفلسطينيون يدركون مقدار الحرج الذي وضعهم فيه الشيخ القسام ورفاقه عند استشهادهم، لهذا فقد أسرع ممثلوا الأحزاب الفلسطينية لمقابلة المعتمد السامي البريطاني وقدموا مذكرة مطالبين فيها بقيام سلطات الاحتلال بتقليل دعمها للجانب اليهودي بوضع القيود على الهجرة وانتقال الأراضي والعمل على إقامة حكومة ديمقراطية في فلسطين. وقد ختموا مذكرتهم بما نصه:- "أنهم إذا لم يتلقوا عن مذكرتهم جواباً يمكن اعتباره مرضياً، فأنهم سيفقدون كل ما يمتلكونه من نفوذ على إتياعهم. وعندئذ تسود الآراء المتطرفة غير المسؤولة وتتدهور الحالة سريعاً"^(٣).

وعلى ما يبدو ان المعتمد السامي البريطاني شاطر السياسة الفلسطينية الرأي، إذ ابلغ وزير المستعمرات برسالة أرسلها إليه أرفق بها نص المذكرة المقدمة من سياسة فلسطين وجاء فيها بما نصه:- "إن الزعماء العرب محقون في القول بأنهم بدون ذلك- بدون تلبية

(١) كان أكرم زعيتر الشخصية السياسية الوحيدة التي اشتركت في جنازة الشيخ

القسام. ينظر: سميح شبيب، المصدر السابق، ص ٥٠.

(٢) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٩٦.

مطالبهم - سيفقدون ما يملكونه من نفوذ وتختفي بالتالي إمكانات تهدئة الحالة الحاضرة بالوسائل المعتدلة التي اقترحها"^(١).

أقيم في ٩ كانون الاول ١٩٣٥ حفل بمناسبة الأربعين لاستشهاد الشيخ القسام في سينما ابولو بالقدس، وقد تصدرت القاعة صورة الشيخ الشهيد عز الدين القسام وحضره كل السياسيين الفلسطينيين وقاموا بإلقاء الكلمات بهذه المناسبة ويصف الكاتب الفلسطيني غسان كنفاني هذا الحضور بقوله: " يفسر اختلاف موقف الزعماء الفلسطينيين من استشهاد القسام فور حدوثه ومن موقفهم في الاحتفال الأربعين باستشهاده"، فقد اكتشفوا خلال هذه الأيام الأربعين أنهم اذا لم يحولوا ركوب الموجة الشامخة التي فجرها القسام، فإنها ستطويعهم، لذلك قفزوا من الفتور في جنازته، الى المهرجانات والخطابات في يوم الأربعين لاستشهاده"^(٢).

- اثر حركة القسام في قيام ثورة عام ١٩٣٦

استدعى المندوب السامي في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٦ ممثلي الأحزاب الفلسطينية لإبلاغهم رد وزارة المستعمرات على مطالبهم سابقة الذكر، إذ طرحت فكرة إقامة مجلس تشريعي، وإصدار قانون يمنع انتقال الأراضي من العرب الى اليهود بعد استثناء أراضي قضاء بئر السبع ومناطق المدن والأراضي المزروعة بأشجار الحمضيات، اما بالنسبة لوقف الهجرة اليهودية وفقاً كاملاً فهذا الأمر لا يمكن البت فيه "اطلاقاً في الوقت الحاضر"^(٣).

(١) عبد الوهاب الكيالي، المصدر السابق، ص ٢٩٦.

(٢) غسان كنفاني، المصدر السابق، ص ٦٢.

(٣) ناجي علوش، المصدر السابق، ص ١٠٥.

إعلن حزب الدفاع تأييده لمشروع إقامة مجلس تشريعي على أساس " انه توريث للسياسة الانجليزية ووضعها امام الأمر الواقع" واجتمعت الهيئة العامة للحزب في ٢٩ آذار عام ١٩٣٦، وأصدرت بياناً أشارت فيه الى مؤامرات لليهود على المجلس التشريعي، والى حجم الأضرار التي لحقت فلسطين من جراء رفض مشروع المجلس التشريعي لعام ١٩٢٢، وإعلنت صراحة قبولها لإقامة مجلس تشريعي في فلسطين على الرغم من انه لا يحقق كل رغبات أبناء الشعب^(١).

عقد رؤساء الأحزاب الفلسطينية اجتماعاً في ٣١ آذار عام ١٩٣٦ من اجل توحيد الموقف الفلسطيني من العرض البريطاني، إذ وافقت جميع الأحزاب على العرض، باستثناء الحزب العربي إذ أشار رئيسه إن لجنة الحزب التنفيذية ستجتمع لتحديد موقف الحزب من العرض البريطاني^(٢).

إعلن الحزب العربي في ١٤ نيسان عام ١٩٣٦ رفضه للمجلس التشريعي وذلك لأنه:- " لا يتفق مع مطالب البلاد وأمانها في الاستقلال التام، والوحدة العربية" ويضيف بما نصه:- " وانه مناقض لعهد عصبة الأمم ومنافٍ لما تتطلبه نصوص صك الانتداب"، إلا إنه إعلن موافقته على إرسال وفد الى لندن لبحث القضية من أساسها^(٣).

جاء موقف الحزب العربي مغايراً لمواقف الأحزاب الفلسطينية الأخرى، لهذا فقد ظهر امام الرأي العام بمظهر الحريص على الاستقلال التام وتحقيق رغبات البلاد، وان كان بقبوله الاشتراك في الوفد الذاهب الى لندن للمفاوضة، قد ترك باب المساومة مع بريطانيا

(١) علي سعود عطية، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٢) ناجي علوش، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٣) علي سعود عطية، المصدر السابق، ص ١٢٦.

مفتوحاً على مصراعيه^(١)، وهكذا فقد تجدد الصراع بين القيادات الفلسطينية على قيادة الحركة الوطنية وعلى تشكيل الوفد الذاهب الى لندن^(٢).

كان أبناء الشعب الفلسطيني يراقبون ما يجري من صراع بين قادة الأحزاب على قيادة الحركة الوطنية، وعلى تشكيل وعضوية الوفد التفاوضي الذاهب الى لندن، ويقارنون بين هذه التصرفات وحركة الشيخ عز الدين القسام، وعلى ما يبدو إن الكفة الثانية والمتمثلة بحركة الشيخ القسام ونشاطها العسكري أخذت ترجح في ذهن ووعي أبناء الشعب الفلسطيني وأصبح الكفاح المسلح هو الحل، لهذا فان بدايات ثورة عام ١٩٣٦ كانت عفوية، فالدعوة الى الأضراب في يافا واستجابة باقي مدن فلسطين لهذه الدعوة وإعلان الإضراب العام في ١٩ نيسان عام ١٩٣٦ في عموم مدن فلسطين والمواجهات التي حصلت مع الصهاينة في القدس وغيرها من المدن الفلسطينية كانت عفوية ومن صنع الجماهير ومن دون أي تخطيط مسبق^(٣).

في هذه الإثناء اخذ رفاق القسام بالظهور من جديد ونفذوا عمليات مسلحة ضد القوات البريطانية وضد الصهاينة الأمر الذي دفع العديد من أبناء فلسطين الى الانضمام الى جماعة الشيخ القسام، وبهذا فقد اكتسبت ثورة عام ١٩٣٦ طابعها المسلح الأمر الذي جعلها تختلف عن سابقتها في اقتصرها على المظاهرات التي يصاحبها بعض المواجهات^(٤).

(١) ناجي علوش، المصدر السابق، ص ١٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٠٦ - ١٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٨.

(٤) غسان كنفاني، المصدر السابق، ص ٦٣.

المصادر

أولاً: رسائل الماجستير واطاريج الدكتوراه الغير منشورة

١. عصمت برهان الدين عبد القادر، دور النواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني ١٩٠٨-١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب - جامعة الموصل ، ١٩٨٩.
٢. كريم مطر حمزة الزبيدي، المفتي محمد أمين الحسيني وأثره في السياسة العراقية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٩٨٩.

ثانياً : الموسوعات

١. أحمد المرعشلي وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، ج ١، ٢، ٣، ٤ دمشق ، ١٩٨٤.
٢. الآن بالمر ، موسوعة التاريخ الحديث ١٧٨٩ - ١٩٤٥ ، ترجمة سوسن فيصل السامر ويوسف محمد أمين ، ج ١ ، منشورات دار المأمون للترجمة والنشر ، بغداد ، ١٩٩٢.
٣. حميد الجميلي وآخرون، موسوعة اعلام العرب في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج١، منشورات بيت الحكمة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٠.
٤. عبد الرزاق محمد اسود ، الموسوعة الفلسطينية ، ج ٢ ، الدار العربية للموسوعات ، بغداد ، بدون تاريخ.
٥. عبد الوهاب المسيري وسوسن حسين، موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية، منشورات مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام، القاهرة، ١٩٧٤.
٦. مؤيد توفيق العقرباوي ، قاموس القضية الفلسطينية الحديث والمعاصر ١٩٠٠-٢٠٠٠ ، دار المنار، عمان ، ط١، ٢٠٠٠.

ثالثاً: الكتب باللغة العربية

١. اكرم زعيتر، القضية الفلسطينية، منشورات دار الجليل ، عمان ، ط٣ ، ١٩٨٦.
٢. سميح شبيب ، حزب الاستقلال العربي في فلسطين ١٩٣٢-١٩٣٣ ، منشورات مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨١
٣. صالح مسعود ابو يصير ، جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن، منشورات دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٦٨.
٤. صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٩ ، دمشق ، ١٩٥٩.
٥. عارف العارف ، المفصل في تاريخ القدس ، منشورات مكتبة الاندلس ، القدس، ط١، ١٩٦١.
٦. عبد القادر ياسين، كفاح الشعب الفلسطيني قبل عام ١٩٤٨ ، سلسلة دراسات فلسطينية ، منشورات مركز ابحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٥.
٧. علي سعود عطية، الحزب العربي الفلسطيني وحزب الدفاع الوطني، منشورات جمعية الدراسات لعربية، القدس، ١٩٨٥.
٨. عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث ، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، ط٢، ١٩٧٣.
٩. محمد أنيس ، تاريخ القضية الفلسطينية ، مطبعة جامعة القاهرة، مصر ، ١٩٦٢.
١٠. محمد السمرة وآخرون ، فلسطين ارضا وشعبا وقضية، منشورات جامعة الدول العربية، ١٩٨٢.
١١. محمد عزة دروزة، حول الحركة العربية الحديثة ، منشورات

المكتبة العصرية ، لبنان ، ١٩٥١.

١٢ مذكرات الحاج أمين الحسيني، اعداد وتصنيف عبد الكريم العمر، منشورات المطبعة الأهلية للطباعة والنشر، دمشق، ط ١ ، ١٩٩٩.

١٣ مذكرات عوني عبد الهادي، تقديم وتحقيق الدكتورة خيرية قاسمية، منشورات مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ط١، ٢٠٠٢.

١٤ ناجي علوش، الحركة الوطنية الفلسطينية أمام اليهود والصهانية ١٨٨٢ - ١٩٤٨ ، بيروت ، ١٩٧٤.

١٥ -----، المقاومة العربية في فلسطين (١٩١٧-١٩٤٨)، سلسلة كتب فلسطينية - ٦ ، منشورات مركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ط١، ١٩٧٥.

١٦ نجيب الاحمد ، فلسطين تاريخيا ونضالا ، دار الجليل ، عمان ، ط١، ١٩٨٥.

رابعاً: الدوريات العلمية

١. بربرة حداد ، الموقف البريطاني في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٢٠ ، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ١٧ ، ١٩٧٣.

٢. خيرية قاسمية ، المقاومة العربية للصهيونية في أواخر العهد العثماني (١٩٠٨-١٩١٧) الاتجاهات الرئيسية، مجلة دراسات تاريخية، دمشق، عدد ١١ ، ١٩٨٣.

٣. صلاح عيسى وجميل عطية، أربعة وجوه لوعد باطل قصة وعد بلفور، صحيفة الوطن، الكويت، عدد ٤٥٧٧، ١٩٨٧.

٤. عادل حسن غنيم، ثورة الشيخ عز الدين القسام ، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ٦ ، ١٩٧٢.

٥. غسان كنفاني، ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ في فلسطين: خلفيات
وتفاصيل وتحليل، مجلة شؤون فلسطينية، بيروت، عدد ٦،
١٩٧٢.

الكتب الأجنبية

Britain and Palestine 1914-1948, Jones, Philip
Oxford, 1979.

The Movement of Sheikh Izz Ad-Din Al-Qassam and Its Impact on the National Palestinian Movement until 1936

By

Inst. Wissam Hussein Abdul-Alrazzaq, Ph.D.

College of Arts/ Al-Iraqia University

Abstract

The paper sheds light on the British control over Palestine and its role in supporting the establishment of the Zionist state.

The National Palestinian Movement's situation of the British support to the establishment of the Zionist state in Palestine had been divided into two parts. The first part believed in the necessity of encountering the Zionist Movement solely, and to trying to win Britain to the side of the Arab right or eliminate it at least.

The second part believed that Britain and the Zionist Movement were two sides of one coin therefore, they should be faced together, and to focus on Britain particularly. The most prominent leader of this part was Sheikh Izz Al-Din Al-Qassam who worked out a military organisation for that task. He declared an armed revolution against the British control over Palestine in 1935. That revolution convinced the other nationalists in the necessity of the military action against Britain and the Zionist Movement hence, Sheikh Izz Al-Din Al-Qassam Movement was the real initiator of the great Palestinian revolution (1936-39).



**التحديث والإصلاح السياسي
في الوطن العربي**

**د. خميس دهام حميد
كلية العلوم السياسية - جامعة بغداد**

مُقَدِّمَةٌ

تعد عملية التحديث والإصلاح السياسي من ضمن عمليات التغيير والحركة المستمرة التي تشهدها المجتمعات المختلفة في العالم، وخاصة لما لها من أثر في إصلاح البناء السياسي وفق صيغ جديدة أفرزتها الظروف الدولية الراهنة وعلاقة هذا الإصلاح في التأثير والتأثر على المستويات كافة، الاجتماعية منها والسياسية والاقتصادية.

لقد برزت مؤخراً ظاهرة الإصلاح في المجتمع العربي وبرزت عملية التغيير الاجتماعي نحو تحقيق الإصلاح السياسي ضمن سلسلة متتابعة في الصعود والانحدار والنمو الذي تجلّى في هذا المجتمع عبر التاريخ من أملاك الفعل الحضاري، الى الانحدار نحو الهاوية عندما انهارت الدولة العربية الإسلامية على أيدي المغول عام (٦٥٦هـ) - (١٢٥٨م)، ليكون المجتمع بذلك فريسة استعمار متتابع ومتواصل الى يومنا هذا من خلال السيطرة الاستعمارية الأمريكية على مقدرات العالم واحتلالها لافغانستان والعراق.

وعندما حققت بعض البلدان استقلالها في خمسينات القرن الماضي، أنكشف مفهوم التحديث والإصلاح السياسي، في مؤشرات يمكن ملاحظتها ورصدها والتي تضمنتها الحرية تلك التي أخذت مفاهيم عديدة تتعلق بالاستقلال السياسي والاقتصادي مفهوم الديمقراطية، وحق المشاركة السياسية.

وقد تجلّى التساؤل التالي في هذا البحث، الذي يدور موضوعه حول ماهية أساسيات التحديث والإصلاح والتنمية السياسية العربية وهل أدت المشاركة السياسية الجماهيرية وخاصة تنظيماتها المتمثلة بالأحزاب السياسية على تحقيق الإصلاح السياسي في المجتمع العربي؟

لقد عالج الباحث هذا الموضوع من خلال الاعتماد على منهجين أساسيين لغرض التوصل الى الاجابة الشافية لهذا التساؤل أولها المنهج التاريخي الذي يهدف الى التعرف على الماضي الذي يوصل لمعرفة الحاضر ومن ثم نستطيع أن نرسم دراسة المستقبل، أما المنهج الثاني الذي اعتمده الباحث فهو المنهج التحليلي من أجل دراسة وتحليل ظاهرة التحديث والاصلاح السياسي ومن ثم تقويمها، وبناءً على ذلك تمت دراسة الموضوع وفق هيكلية البحث التي تتضمن خمسة مباحث، شمل الأول مدخل لمفهوم التحديث والاصلاح السياسي، وتناول المبحث الثاني متطلبات التحديث والاصلاح السياسي، عبر مناقشة قضايا التحرر من الاستعمار، وقضية الاندماج العربي ومن ثم الاعتماد على الذات، أما المبحث الثالث فتناول المشاركة السياسية عبر معالجة موضوع المشاركة في الدساتير العربية، ومناقشة واقع الاستقرار السياسي، ومن ثم سيادة ثقافة الحوار بدلاً من العنف. أما المبحث الرابع فعالج موضوع الاحزاب السياسية العربية عبر تناول عوامل نشأة الاحزاب تلك، وانتقال التجارب السياسية في الوطن العربي من الاحادية الحزبية إلى الحزبية المتعددة، أما المبحث الخامس فتناول ابعاد عملية الاصلاح السياسي في الوطن العربي وأهم الاشكاليات التي تواجهها، كما تضمن البحث الخاتمة التي أحتوت على أهم الاستنتاجات.

المبحث الأول

مفهوم التحديث والإصلاح السياسي

أن التطور حقيقة مميزة في الحياة كأفراد وجماعات ومجتمعات. وأن ما يربط هذا التطور هو التحديث والتنمية، اللذين يحدثان تحولاً يقع على التنظيم الاجتماعي، أي تدخل أوضاع جديدة على البناء الاجتماعي من نظم وعلاقات وتفاعلات اجتماعية نتيجة لانبثاق قاعدة جديدة لتنظيم السلوك على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تمس الوجود الاجتماعي.

أن هذا التطور المصحوب بالتغيير التي تتخذه عملية التنمية والتحديث والإصلاح السياسي قد يأخذ أشكالاً عديدة ومتفاوتة، فقد يكون على شكل ثورة، وقد يكون مفاجئاً وجذرياً وعنيفاً وقد تتخذ صورة إصلاح فيكون متمهلاً جزئياً وبطيئاً^(١). أن هذه الأشكال خلقت تداخلاً في المصطلحات المرادفة لعملية التحديث والإصلاح السياسي مثل التطور، التقدم، التحديث، التنمية، النمو..... الخ، والتي تدخل كلها ضمن عملية التطور المستمر نحو التغيير، إلا أن هناك فروقاً دقيقة تتجلى بينها لأجل الدخول إلى عملية تحديد مفهوم التحديث والإصلاح السياسي، ويمكن أن نحدد هذه المظاهر المتداخلة كما يأتي:

أ. ظاهرة التغيير السياسي:

يشير مفهوم التغيير إلى حدوث تحولات بنيوية تنظيمية على المجتمع دون أن يكون له اتجاه محدد، بحيث يمكن أن يكون تقدم أو تخلف، أي أن التغيير السياسي يشير إلى مفهوم محايد يمكن أن يتضمن

(١) مقدمة عن التغيير والتنمية، د. عبد المنعم محمد بدر، دراسات في المجتمع العربي، اتحاد الجامعات العربية، الأمانة العربية، عمان، الأردن، ١٩٨٥، ص ٤٧١.

الى ما هو أحسن أو ما هو أسوأ، وهذا ما يمكن ملاحظته في الثورة الأمريكية وقيادتها للمجتمع الأمريكي نحو التقدم، وعملية وصول هتلر الى الحكم التي ساهمت في ظهور العنصرية والنازية ومن ثم تقسيم الدولة الألمانية عقب الحرب العالمية الثانية. بينما ظاهرة التحديث السياسي فهي ظاهرة تشير الى أدراك تنموي يتضمن حكم تقويمي^(١) يرتبط بمثل أعلى أو باهداف معينة أي بمعنى أنه تغيير إيجابي بالنسبة للبناء السياسي.

ب. ظاهرة النمو السياسي:

تشير ظاهرة النمو السياسي الى التزايد المستمر والتغيير المتواصل في الهياكل الاجتماعية- السياسية، ومن الملاحظ إن النمو السياسي يحدث في الغالب عن طريق التطور البطيء والتحول التدريجي أي يتخذ أسلوب الإصلاح^(٢)، بينما يشير مفهوم التحديث السياسي الى عملية الإرادة والتخطيط والجهد المنظم لاحداث تغيير على المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتتسم هذه العملية بالعمق والجزرية والسرعة بحيث تأخذ كل جوانب النسق البنائي والوظيفي للمجتمع^(٣).

(١) مفهوم التنمية السياسية، عبد اللطيف القصير، جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية، طبع مكتب الطباعة المركزي- جامعة بغداد، ١٩٩١، ص ١.

(٢) المشكلات السياسية في العالم الثالث، د.رياض عزيز هادي، مطابع التعليم العالي في الموصل، اموصل ١٩٨٩، ط٢، ص ١١٢.

(٣) د.عبد المنعم بدر، مصدر سابق، ص ٤٧٣.

ج. ظاهرة التغرب:-

وهي ظاهرة تميل الى عملية نقل وانتشار أنماط ثقافية ارتبطت بالتجربة الأوروبية الغربية، وتتضمن المؤسسات السياسية مثل البرلمان، الاحزاب السياسية، التقنية، الادارة، القوة العسكرية، الالعاب الرياضية والموسيقى، أي نقل نمط ثقافي بغض النظر عن الاعتبارات الجغرافية، في حين تبنى عملية التحديث السياسي على أساس النقل الحضاري ولكن على أن يطوع ذلك النقل وفق النمط الثقافي السائد في البناء الاجتماعي بما يعزز عملية تحديث النظم والقيم، أي شكل آخر أن التحديث السياسي هو امتزاج الدخيل بالاصيل على أن تستفيد منه كل القطاعات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية بحيث لا يهدم الجديد كل قديم، ولا تؤثر القيم الداخلة على القيم الاصيلية ويصبح الانسان سيداً لنظام لا عبداً خاضعاً لاوضاع وتقاليد عفا عليها الدهر^(١).

د. ظاهرة التمدن:-

وهي ظاهرة يتغير بموجبها الاسلوب التقليدي القديم لحياة المجتمع الى أسلوب أكثر حداثة ومعاصرة، بينما التحديث السياسي يقبل ظاهرة التحول الى ما هو أحدث وأكثر معاصرة كقيمة اجتماعية^(٢).

هـ. ظاهرة التنمية:-

وهي مجموعة التحولات في الهياكل الذهنية والمؤسسات كشرط لاستمرار التقدم الى أمام، وكما انها تعني كذلك القدرة على مواجهة الآثار والمشاكل السياسية المترتبة على عملية التغيير الاجتماعي بينما

(١) علم الاجتماع السياسي وقضايا التخلف والتنمية والتحديث، د.قباري محمد اسماعيل، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٠، ص ٥٠١-٥٠٢.

(٢) د.عبد المنعم بدر، مصدر سابق، ص ٤٧٢-٤٧٣.

التحديث السياسي فهو حالة محددة من حالات التنمية تتسم بثلاث سمات:

- أ. نظام اجتماعي يعرف ظاهرة الابتكار والتجديد باستمرار دون أن يفقد تماسكه أو تضامنه الداخلي، بعبارة أخرى قبول فكرة التغيير كقيمة أساسية اجتماعية.
 - ب. أبنية اجتماعية متميزة ومتخصصة وقادرة على التكيف مع الظروف الجديدة.
 - ج. إطار اجتماعي قادر على توفير المهارات والمعرفة الضرورية للحياة في عالم متقدم تقنياً^(١).
- أي أن التنمية هي أحد اشكال عملية التغيير الاجتماعي، بينما التحديث هو حالة خاصة تشمل كل الظواهر المتضمنة لعملية التقدم والتغير والتمدن في المجتمع.
- من هنا يمكن القول أن التحديث السياسي هو عملية مركبة مستمرة من الشكل التقليدي الى الشكل الحديث، أي انه سلسلة التغييرات الثقافية والبنائية التي تعتري الانساق السياسية في المجتمعات المتقدمة ويشمل ذلك المجالات التنظيمية وتحليل الانشطة والعمليات والنظم التي تتعلق بصنع القرارات السياسية، وتستهدف تحقيق أهداف جميع أفراد المجتمع وتشير كذلك الى عملية التباين في البناء السياسي وعلمانية الثقافة السياسية، والقدرة على تحسين اداء النسق السياسي في المجتمع^(٢).

(١) عبد اللطيف القصير، مصدر سابق، ص ٢.

(٢) التغيير الاجتماعي والتنمية السياسية في المجتمعات النامية، د. حسين عبد الحميد أحمد رضوان، دراسة في علم الاجتماع السياسي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ١٩٨٨، ص ١٤.

ويتضمن التحديث السياسي على:-

١. توسيع وتركيز السلطة وتوافر التمايز والتخصص وتكامل

البناءات السياسية.

٢. تعتبر المشاركة السياسية مظهراً مميزاً للتحديث السياسي ويتم

ذلك بممارسات اعداد كبيرة من اللاصفوة السياسية في العمل

السياسي والاندماج النفسي في العملية السياسية، وتعتبر

المشاركة معياراً لوجود الدولة وتأكيداً لهويتها القومية، ومن

خلال المشاركة يدلي الافراد باصواتهم في الانتخابات، وتسمى

الجماعات طوعية التأثير على السياسة العامة، أو تنظم الى

الاحزاب السياسية المؤثرة في اختيار المرشحين للعمل

السياسي.

٣. علمانية النسق السياسي ويقصد بها معرفة الانسان لنفسه

ولعالمه من حيث أنه أصبح أكثر عقلانية وأقل اتجاهاً نحو

الدين^(١).

أي بكلمة أخرى يمكن القول أن التحديث السياسي يعني ظهور

النظام السياسي العقلاني الذي يعتمد على التعددية واللامركزية وحرية

التعبير التي يكفلها الدستور واحترام الملكية الخاصة والحرية

الاقتصادية وبناء نظام برلماني تمثيلي والاقرار بشرعية الاحزاب

وجماعات الضغط، في إطار تحقيق التوازن، أي الفصل بين السلطات

الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية ضماناً للحريات السياسية التي

تعد القيمة العليا للتحديث والتنمية السياسية.

أن هذا التحديد للتحديث السياسي يجعلنا أن ننوه الى أهمية

تضمينه آليات تتعلق أولاً بالمساواة بين المواطنين بغض النظر عن

(١) المصدر نفسه، ١٧-١٨.

أنتمائهم الديني أو العرقي أو الفكري وأقامة نظام قانوني مبني على أساس الكفاءة والقدرة على الانجاز، وثانياً أهمية تحقيق النظام العام للدولة. للاستقرار السياسي الذي يعد من أبرز المعايير للتمييز بين الدول الديمقراطية المستتدة على سياسة الاجماع والشرعية والتنظيم والفعالية وبين الدول الدكتاتورية الفاقدة لهذه العوامل.

وازاء مجتمعنا العربي فأن التحديث السياسي يتحدد في كونه تنظيم للحياة السياسية بما يترتب عليه حقوق والتزامات سياسية واجتماعية محددة تنطلق من الرابطة الاقليمية بين المواطن والوطن، ومن ثم تضحى التنمية السياسية في هذا الإطار هي:-

أ. أن تكون القومية والفكر القومي هي التعبير الرئيسي في الحياة السياسية.

ب. أن التحديث السياسي يعني تطوير المشاعر غير المترابطة وغير المنظمة بين الشعب العربي لإجل تحقيق درجة عليا من التكامل.

ت. ترسيخ المؤسسات السياسية المبنية على المشاركة السياسية الشعبية بحيث تمثل البناء القومي للمجتمع العربي، وبحيث تستطيع ترجمة مشاعر الولاء القومي الى سياسات وبرامج عمل^(١).

ويمكن القول أن التحديث السياسي في المجتمع العربي يتمثل بالظاهرة السياسية في إطار القومية وفي إطار مؤسسات الدولة القومية.

(١) النظرية السياسية والعالم الثالث، د.محمد مضر مهنا، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ١٩٨٣، ص٨٦.

و- الإصلاح السياسي:-

على الرغم من اللغة المشتركة والسياق الثقافي المشترك وكذلك ما تبقى من القومية العربية الجامعة، فإن البلدان المكونة للمنطقة العربية تتباين بدرجة كبيرة في الحجم والسمات الطبيعية والسكان والمصادر وفي تطورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، أنها تملك مقاربات متعددة نحو مدى المشاركة السياسية، ومدى احترام التعددية والحقوق المدنية والسياسية، ودرجة تطور المجتمع المدني وكذلك في توجهها اذا كانت (علمانية أو إسلامية) ولا تزال الخلافات الثنائية بين الدول العربية تلج وهي كثيراً ما تتفرق في المحافل الدولية أو الاقليمية، وبينما لا تعد المشاركة السياسية عامة منافية للاسلام، فإن الديمقراطية لم تحرز القدر نفسه من التقدم في المنطقة العربية^(١)، ويذهب بعضهم الى أن الصراع العربي-الاسرائيلي معرقل واسع للتقدم في المنطقة، وبينما يقر آخرون بأن هذا الصراع حاسم بشأن التوصل الى تسوية سلمية عادلة ودائمة بين الفلسطينيين والاسرائيليين، فإنهم يذهبون الى أن الإصلاح السياسي سيبقى معطلاً الى أن تتم مثل هذه التسوية، وفي هذه الحالة ستكون الشعوب العربية الخاسر الأكبر في ذلك، كما أن هناك عقبات أخرى أمام الإصلاح من بينها غياب الارادة السياسية، من جانب اولئك الموجودين في السلطة، ووجود مقاومة ضد إدخال الاجراءات التي يمكن أن تبدو نزولاً عن الضغط الخارجي والتزاماً بجدول اعمال الديمقراطية الغربية^(٢)، والخوف من عواقب متصورة مزعومة للاستقرار تنتج عن دعم التعددية والقصور أو

(١) (مؤتمرات) مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٩٣،

تموز ٢٠٠٣، ص ١٨٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٨٢.

الخمول من جانب اولئك الممسكين بالسلطة وضعف وانقسام احزاب المعارضة من دون وجود قادة ملهمين وموحدين، وغياب الضغط الشعبي مع ضآلة الوعي السياسي لأفراد المجتمع، وضعف وهشاشة منظمات المجتمع المدني.

المبحث الثاني

متطلبات التحديث والتنمية السياسية العربية

تعد الامة العربية من الامم الفريدة في المجتمع الدولي التي حققت وضعاً متقدماً من خلال اسهامها الماضي في الحضارة البشرية أو تردد الحديث عن صفاتها القومية، ولكن بعد سقوط الدولة العرية الاسلامية، نرى سريان التخلف على هذه الامة ولعدة قرون، ولاجل السيطرة والقضاء على هذا التحدي المتمثل بالتخلف يجب الاسراع بتنمية وتحديث سياسي شامل، أي اجراء عملية تغيير وتقدم جذري في كل مجالات الحياة العربية وعلى كافة الاصعدة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وهذا وحده يجعلنا نعيش حضارة العصر بما تحمل من تنمية وتحديث.

ولاجل السير نحو تحقيق تنمية وتحديث عربي ينبغي الانطلاق من خصوصية البيئة العربية ليتسنى لنا الالمام بها لكي نظهر الشخصية العربية في أي خطوة نحققها الى امام، خاصة ونحن نعيش في تجمع مع (اسرائيل) التي يعدها الكثير أوروبا الشرق الاوسط، وكذلك نعيش عقدة التفوق الاوروبي، التي تغذي اطماع اوروبا والولايات المتحدة الامريكية لاجل التوسع وفرض المزيد من التبعية والسيطرة على سياسات الاقطار العربية واقتصادياتها.

لهذا فإن الالمام بالبيئة العربية يستدرجنا الى أهمية وضع شروط أساسية لاجل الدخول الى تنمية وتحديث عربي، ويمكن أن تتمثل كما يأتي:-

المطلب الأول: (التحرر من اغلال التبعية)

من العبث التكلم عن التنمية والتحديث السياسي العربي قبل التحرر من التبعية التي فرضتها الحقبة الاستعمارية، حيث أن التحرر من قيود التبعية بكافة اشكالها هو الشرط الاساسي لامكان التحديث، وأن التناقض بين التبعية والتنمية تناقض اصيل وكامل لا يقبل أنصاف الحلول^(١)، لان تخلف الاقطار العربية هو نتاج أصيل للتبعية الاستعمارية التي سببت تحطيم التوازن القديم لاقتصاديات البلدان المتخلفة^(٢).

لقد كان لأثر الاستعمار خلق حالة من التبعية الاقتصادية بالاعتماد على الغرب في كل ما تحتاجه من المواد المصنعة، وجعل الاقطار العربية تعتمد فقط على سياسة تصدير السلع الاولية، ومن ثم أن الفائض الاقتصادي في المجتمع العربي استغل في أغراض غير انتاجية بأغراض تهم رفاهية شيوخ القبائل وكبار الملاكين وجهاز السلطة الذي يخدم تلك الاوضاع، أو يحول الى بنوك القوى الرأسمالية الذي يستثمر الفائض لزيادة معدلات التنمية لمجتمعاته^(٣).

ويلاحظ أن تواجد الاستعمار قد تعزز ليس فقط على المستوى الاقتصادي، بل على مستوى التبعية السياسية، حيث أن العديد من

(١) في التنمية العربية، د.اسماعيل صبري عبد الله، دار الوحدة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣، ط١، ص٢٥-٢٦.

(٢) د.رياض عزيز هادي، مصدر سابق، ص٤٩.

(٣) د.اسماعيل صبري عبد الله، مصدر سابق، ص٢٦.

الاقطار العربية لها ولواءات سياسية وليس فقط ولواءات اقتصادية، وقد توضحت هذه الولاءات عبر السماح ببناء العديد من القواعد العسكرية في الارض العربية مثل قاعدة الظهران الجوية الامريكية، والقاعدة الجوية ومحطة الاتصالات الالكترونية والمراقبة في سيدي يحيى في المملكة المغربية، والقاعدة الملكية الجوية في جزيرة المحرق، وقاعدة الجفير في البحرين، ومطار الصخير في المنامة، القاعدة الجوية في منطقة الذبية، المطار العسكري في مسقط، القاعدة الجوية في المغيرة وأخرى في الجبل الاخضر، والقواعد الجوية في خميس مشيط وتبوك في السعودية^(١).

وترسخت هذه الولاءات خلال الحرب العدوانية على العراق في ١٩٩١/١/١٧ حيث قدمت أقطار الخليج العربي، ومصر، وسوريا والمملكة المغربية الدعم المادي والمالي والعسكري للولايات المتحدة لاجل ضرب العراق، وكانت تلك الخطوة سبباً في أن يتواجد الاستعمار مباشرة في الارض العربية، وتعزز تواجده فيما بعد اتفاقات عسكرية ثنائية عقدتها الولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا مع كل قطر خليجي على حدة عام ١٩٩٢، وكان هذا التواجد سبباً في قبضة الاستعمار على الموارد العربية وخاصة النفط الذي يعد أهم سلعة اقتصادية.

وأخيراً أدت هذه الولاءات وخاصة بعد انحسار الدور الروسي الى تصفية القضية الفلسطينية من خلال مؤتمر مدريد ١٩٩١ اتفاقات أوسلو ١٩٩٥ بين الفلسطينيين و(الاسرائيليين) والتي فسحت المجال لاتفاقات عربية مع الكيان الصهيوني، وبالتالي السير في مشروع الشرق الأوسط الجديد الذي دعا إليه شيمون بيريز والذي دعا إلى

(١) مجلة الطليعة العدد التاسع سنة ٣ آذار ١٩٨٥، ص ٤٢-٤٤.

وضع الخبرة الاسرائيلية والاقتصاد العربي في إطار عمل مشترك في منطقة الشرق الاوسط.

أن كل ذلك يدعونا للقول أن شرط أزاحة التأثير الاستعماري من المنطقة، وإلغاء أو تخفيف تبعية الاقتصاد العربي ومن ثم استثمار الناتج القومي العربي الذي يزيد عن حاجة المجتمع الضرورية في زيادة الانتاج يجب أن يتم بقوى سياسية تقود التنمية والتحديث السياسي، أي ربط عملية الاستقلال السياسي والاقتصادي بعملية التحرر الذي به تسترد حرية الارادة الوطنية المهيمنة على القطاعات المسيطرة على الاقتصاد القومي، وثانياً خلق قيادة وطنية قادرة على استثمار وسائل الانتاج الاساسية وتوجيه النظام الاقتصادي وأخيراً ازالة القواعد العسكرية الموجودة في المنطقة العربية الذي أخذت الدول الخليجية العربية، خاصة بعد أزمة الكويت، تعويض المستعمر عن نفقاته.

أن شرط التحرر من الاستعمار سوف يكفل مستوى معيشي افضل لغالبية الشعب العربي وحياء أفضل الى المستوى المادي والاقتصادي والثقافي مما يؤدي الى وضع أهداف للسياسة الاقتصادية تتجاوز الناتج القومي لتمتد بتحديد أهداف قيمة يتفق عليها المجتمع العربي نفسه ومن أهمها قيمة الحرية والعدالة الاجتماعية وقيمة التواصل الانساني، وتحقيق هذه القيم يمكن أن تتحقق معدلات مرتفعة من التنمية والتحديث السياسي الذي يؤمن الرفاهية الاجتماعية والاقتصادية^(١).

(١) النظرية الغربية والتنمية العربية، التنمي اعربية/ الواقع والطموح، د.نادية رمسيس، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (٦) ط ١ ت ٢ ١٩٨٤، ص ١٩١-١٩٢.

المطلب الثاني: الاندماج العربي

لاجل التطرق عن تحديث سياسي عربي شامل وعميق وثابت لابد من شرط تحقيق مستوى معين من التوحد العربي والذي يجب أن يبدأ وفق صيغ التعاون المنسق يمتد الى التكامل فالاندماج لينتهي بالوحدة، حيث أن المنطقة العربية تعد العمق السياسي والاقتصادي لكل أقطارها سواء أريد بذلك العمق أن يكون سوقاً للسلع والخدمات، أو مدى لاندماج مؤسسات الانتاج أفقياً أو عمودياً أو مصدراً للموارد البشرية أو المادية، أو سياجاً أميناً للمكتسبات الانمائية، أو قاعدة صلبة للأمن القومي^(١).

ويلاحظ أن أهم ما طرأ على الساحة العربية هو ظهور ما يعرف بالدولة القطرية أو الاستقلال السياسي المجرء عند انتهاء الحربين العالميتين ليتجاوز تعدادها أكثر من عشرين دولة تشترك بصفات وكما يأتي:-

- أ. ترسيخ أطر الدولة القطرية التي وجهت عنايتها بوضع خطط للتنمية والتحديث الاجتماعي والاقتصادي وحسب الامكانيات المادية، تخص اهتماماً خاصاً بنشر التعليم واقامة المرافق المادية والحديث عن طرق ومبادئ ووسائل اتصال ومستشفيات وملاعب رياضية لا أكثر^(٢).
- ب. تبين أنظمة الحكم في اقطار الوطن العربي، ففي بعضها يسود النظام الملكي، وأخرى نظام جمهوري وقسم منها نظام الامارة

(١) التنمية العربية والمثلث الحرج، التنمية العربية/ الواقع والطموح، د.يوسف صايغ، مصدر سابق، ص ١١١.

(٢) التحديث في المجتمع العربي، مصطفى عمر التنير، مجلة المستقبل العربي عدد ١٢٨ ت ١٩٨٩، ص ٥٣-٥٤.

او السلطنة الذي يشبه الى حد بعيد النظام الملكي، أن اختلاف انظمة الحكم ستتبع اختلاف المؤسسات التشريعية والتنفيذية واساليب عملها، ومن ثم عكس في تباين النظم الاقتصادية، حيث تبنى بعضها النظام الرأسمالي وآخر الاشتراكي، مع فوارق واضحة في التطبيق سواء مع النظام الاول أو الثاني. أن هذه المتغيرات السابقة الذكر أدت الى ظهور عقبة في تحقيق الاندماج الاقليمي، حيث نظر الى الاندماج الاقليمي بأنه يحد من حرية العمل الوطني أو السيادة الوطنية، ومصدر للسيطرة من قبل دولة واحدة أو أكثر من البلدان الاقوى على بقية البلدان الضعيفة^(١).

أن هذا التخوف الذي تبديه الاقطار العربية يمكن أن يتبدد من خلال التذكير اولاً على الرغم من احتلال الانظمة في أوروبا فأنها تسعى جاهزة في سبيلها لاجل تحقيق الوحدة الاوروبية الكاملة وفق اتفاقات ما سترخت وكذلك دعم السوق الاوروبية المشتركة والاتحاد الاوروبي لاجل تحقيق الوحدة الاقتصادية الكاملة، واذ كانت خطوات التوحد بينت أفق التشابه في سياساتها الليبرالية وهيكلتها الاقتصادية، فأن التوحد العربي يمكن أن يترسخ بمقومات أقوى من الجماعة الاوروبية تتمثل بالتراث واللغة العربية الواحدة والتاريخ المشترك والمصير الواحد لمجموعة قومية استمرت آلاف السنين، وثانياً لأن الاقطار العربية تتميز كل منها بعجز في مورد أو أكثر، فتحقيق عملية التنمية والتحديث في كل قطر من الاقطار العربية يفرض أن تبحث عن مصادر لاستكمال هذه الموارد، والاولى بها أن تعتمد على موارد بعضها البعض لأن ذلك ما يحقق زيادة المنافع لمجموعها، وخاصة أن

(١) العوامل المعوقة والدافعة للتنمية في المجتمع العربي، دراسات في المجتمع العربي، د.خالد الحامض، مصدر سابق، ص ٥٢٦-٥٢٧.

العالم يسير وفق نظام العالمية، وذلك النظام الذي يمكن بتداخل وتنافس اقتصاديات البلدان الواحدة بالآخرى، وأن هذا التدخل يؤدي الى تنافس اقتصاديات البلدان المتقدمة الضخمة مع اقتصاديات البلدان العربية الصغيرة التي قد تكون متخلفة أو في مرحلة النمو مما يؤدي الى عدم امكانية منافسة الشركات العالمية في كثير من المشاريع الاقتصادية المطروحة في السوق العالمي، ولهذا وفي ظرف سير النظام الدولي الاقتصادي الى العالمية نرى أن اتفاق الاقطار العربية على مستويات معينة في الاصعدة الاقتصادية وترك الخلافات السياسية جانباً، يمكن أن يحقق نوع من التوحد لاجل منافسة الشركات العالمية الضخمة ذات الارصدة والرساميل العالمية، وبالتالي تدخل الى السوق العالمي بقوة في كسب المشاريع المطروحة فيه^(١).

ان ذلك يمكن أن يغري بلداً عربياً في القبول ببعض القيود لاجل الاقتناع بأن المزايا التي سيحققها من جراء هذا الاندماج سيساهم في تعجيل التنمية الاقتصادية والوطنية، خاصة عندما تقتنع الحكومات والرأي العام بضرورة احترام قواعد المشاركة القائمة والوفاء بالتزاماتها، حينئذ يمكن أن يتحقق الكثير من التحديث على المجتمع العربي أولاً خاصة عندما توضع صيغ لاقامة مؤسسات اقليمية تكفل بالقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية ثانياً من خلال استخلاص المصلحة المشتركة للمنطقة، والمساهمة في اعداد برامج العمل والدراسات الاقليمية وتنسيق السياسات وتعزيز التضامن الاقليمي^(٢)،

(١) ابعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل، د. عبد الحميد ابراهيمي،

مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٦، ط٤، ص٢٩٦.

(٢) اخذت فكرة العالمية من محاضرة الاستاذ الفاضل د. وميض مجال نظمي بتاريخ

ع/ك٢/١٩٩٥ والاستاذ د. محمد ربيع في محاضراته بتاريخ ١١/٥/١٩٩٤.

الذي هو أهم درجة في تحقيق التحديث السياسي لأنه قد يؤدي الى تكامل الجزء مع الكل ويعطي شعوراً للشعب العربي بالانتماء لوطنهم الكبير.

المطلب الثالث: الاعتماد على الذات

يعد هذا المبدأ من أهم المبادئ التي يمكن أن تحرر الشعب العربي من التبعية وتحقيق التنمية والتحديث، حيث لا يمكن التكلم عن تنمية وتحديث سياسي والوطن العربي يستورد معظم غذاءه من الدول الاجنبية التي قد تفرض مع استيراد الغذاء قيوداً على قراره السياسي وتضعه بمستوى التبعية.

أولاً: حيث يتوضح انخفاض وعجز في الاكتفاء الذاتي للانتاج للفترة ما بين (١٩٨١، ١٩٨٥، ١٩٩١) فبعد أن كان الاكتفاء الذاتي عام ١٩٨١ نحو ٦٢% أصبح عام ٨٥ نحو ٤٠% وفي عام ١٩٩١ نحو ٣٧%، ويأتي هذا العجز نتيجة لصغر الرقعة الزراعية التي تستثمر في الوطن العربي حيث تقدر مساحة الاراضي القابلة للزراعة نحو ٢٢٠ مليون هكتار لا يستغل منها سوى ٤٠ مليون هكتار، وتقدر الموارد المائية المتاحة عام ١٩٩١ نحو ٣٥٠ مليون متر مكعب لا يستثمر منها سوى ١٧٠ مليون متر مكعب^(١).

ولكون الانتاج الزراعي العربي يميل الى سد حاجة الاستهلاك المحلي فقط ولاعتماد الزراعة على وسائل الانتاج الزراعي البدائية التي لا تواكب التطور العلمي والتقني، يجعلنا أن نقول، ومن أجل تحقيق تنمية وتحديث سياسي، وفي ظل نظام يميل نحو العالمية في الاقتصاد، أهمية استثمار سلة الغذاء لتحقيق نسبة عالية من الاكتفاء الذاتي وتصدير ما يفيض من الغذاء ثانياً، وأخيراً منافسة الشركات

(١) د. عبد الحميد ابراهيمي، مصدر سابق، ص ٢٩٦-٢٩٧.

العالمية في السوق العالمي، وذلك من خلال متغيرات تتمثل في توجيه الرأسمال العربي للاستثمار في المشروعات الزراعية التي يمكن اقامتها في اقطار ذات الامكانيات الزراعية والتي لا يوجد لديها رأسمال كاف مثل مصر والسودان اولاً، وتحديث القطاع الزراعي من خلال استخدام الاساليب الزراعية المتطورة والاستفادة من معطيات العلم في الزراعة ثانياً، وتوسيع مساحة الرقعة الزراعية في إنشاء السدود وخزانات الماء واستغلال المياه الجوفية وتحلية مياه البحر ثالثاً، واخيراً رسم سياسة عربية متجانسة في الانتاج الزراعي على أساس نوع من التخصص المتكامل، على أن يؤخذ بنظر الاعتبار الميزة النسبية الاقتصادية لكل قطر عربي وعلى أساس الامكانيات المتوفرة لديه^(١).

ثانياً: لا يمكن الحديث عن تنمية وتحديث الاصلاح السياسي دون تحقيق واكتساب نسبة عالية من التكنولوجيا ليتسنى الخروج من تبعية الدول المالكة لها، ومن ثم ممارسة الاستقلال والاعتماد على الذات، لأن اكتساب القدرة التكنولوجية وتوطينها يدعم الفعاليات القومية والقطرية ويجعلها مسايرة مع معطيات واحتياجات المجتمع العربي واهدافه الاستراتيجية وفي مقدمتها الامن القومي بشتى جوانبه والتصنيع الاساسي^(٢).

حيث أن شراء منتجات العلم والتكنولوجيا واستخدام الخبرة الاجنبية المؤسسية أو الفردية المؤهلة يجب أن يكرس لإجل التنمية

(١) التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٢، جامعة الدول العربية، تحرير

صندوق النقد العربي، أبو ظبي ص ٣٧، ٤٠، ٤٥

(٢) مدخل لاستراتيجية التنمية الصناعية والتعاون الصناعي العربي، المنظمة العربية

للتنمية الصناعية بغداد ١٩٨٩، ط ١، ص ٣٤-٣٥.

العربية من خلال توطين العلم والمهارات التقنية في المجتمع وقبول كل ما ينطوي عليه هذا التوطين من تغيير في التقاليد الاجتماعية والثقافية، وفصل الأسواق الوطنية في الاندماج العميق بأسواق الدول الأجنبية، وجعل الأسواق القطرية سوقاً مشتركاً لممارسة التكنولوجيا الذاتية، لهذا يوصف الجهد العربي الاستثماري للتكنولوجيا حالياً ليس جهداً انمائياً صحيحاً يهدف إلى تطوير المؤسسات الوطنية وينقل المهارات والخبرات التنظيمية التي يمكن تطبيقها من جديد في ظروف مماثلة بل ومختلفة، حيث أن أسلوب التعاقد مع الشركات الأجنبية على أساس تسليم المنشآت جاهزة لا يسمح بأي نقل فعلي للتكنولوجيا، لأن التكنولوجيا لا تكمن في التجهيزات بل في المعرفة التي تسمح بتصميم وإنتاج التجهيزات، وكذلك فإن الكثير من الأقطار العربية (خاصة الخليجية) تدعو إلى الاستيراد العشوائي والمكثف للخبرات التكنولوجية خارج إطار أي خطة محلية واضحة المعالم لتأمين نقل فعلي للتكنولوجيا الصناعية الحديثة^(١)، وهذا يساهم في استمرار واحتكار التكنولوجيا فقط للغرب ومن ثم استمرار التبعية العربية له.

ويمكن القول أن برامج التنمية وخطط التقدم الحضاري العربي بصدد نقل التكنولوجيا لا تكمن بعملية النقل الحضاري فقط وإنما المهم هو تطويع هذه التكنولوجيا^(٢)، ويتطلب لإنجاز هذا الهدف ثلاث

(١) مؤشرات قطرية للتنمية العربية، التنمية العربية، الواقع والطموح، إبراهيم العيسوي، مصر سابق، ص ٢٥٧.

(٢) البعد التكنولوجي للوحدة العربية، انطوان زحلان، مركز د.و.ع، بيروت ١٩٨١، ط ١، ص ١١٤-١١٦.

اتجاهات تتعاقد لتطوير قدرة ذاتية في نقل وتطوير العلم والتكنولوجيا وتمثل كما يأتي^(١):-

١. انتشار وتطوير الفنون الانتاجية التقليدية والتي قد تكون تعرضت للانقراض او الاهمال بسبب الغزو التكنولوجي الغربي في إطار التنمية.

٢. التوصل الى التكنولوجيا المتصلة بالانتاج الحديث في الصناعات الاساسية اللازمة للبيئة التحتية للتطور التكنولوجي والصناعي وخدمة القطاعات الاقتصادية المختلفة، بما في ذلك الانتاج الصغير القائم على تطوير التكنولوجيا التقليدية.

٣. دعم البحث والتطوير في مجال العلم الحديث والتكنولوجيا مع التركيز على بعض الميادين التي يتوقع لها أن تكون رائدة في التطور الانساني ككل، وأن تكون لها أهمية حاسمة في الصراع التكنولوجي مستقبلاً مثل الالكترونيات الدقيقة والمعلوماتية وبما يخدم تطوير التكنولوجيا التقليدية والحديثة ودمجها في بناء تكنولوجي متميز.

من ناحية أخرى نرى من الأهمية إدخال التكنولوجيا في ميادين الصناعة الحربية التي تعد مهمة للحفاظ على الامن القومي العربي لما يواجهه من تحديات خارجية أولاً، ولكي لا يستمر هذا الوطن أسيراً في فلك التبعية السياسية للدول المصدرة للسلاح، لذا فإن التعاون بين الاقطار العربية وتبادل الخبرات وإعطاء قسم من الاموال التي تبذر في شراء السلاح، لدعم المشروع المشترك للصناعة الحربية وفق قوانين واعراف تؤمن المصادقية لاجل إزالة الشكوك العربية المتبادلة وبالتالي تحقيق تنمية حربية ذاتية، اضافة الى ما تستورد الاقطار العربية لاجل

(١) د.قبارى محمد أسماعيل، مصدر سابق، ص ٥٠١.

الحفاظ على الاستقلال السياسي والاقتصادي أولاً ومن ثم الحفاظ على الأمن والاستقرار الداخلي ثانياً.

المبحث الثالث

المشاركة السياسية

تحتل المشاركة السياسية جانباً مهماً وكبيراً من عملية التحديث والتنمية والإصلاح السياسي، حيث تعني إمكانية الشعب في المساهمة سياسياً كأفراد وجماعات ضمن نظام ديمقراطي، كأفراد يمكن أن يساهموا في الحياة السياسية كناخبين أو عناصر نشطة سياسياً، غير أنه كثيراً ما تكون مشاركتهم أكثر فعالة من خلال العمل الجماعي كأعضاء في تنظيمات مجتمعية، وتعد الأحزاب السياسية إحدى المؤسسات الرئيسية لاجل تحقيق التحديث السياسي لأنها تضمن مشاركة الأفراد في الحياة السياسية.

ولقد كان لظهور قوى سياسية جديدة نتيجة للتغيرات والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، أن تحصل هذه القوى على درجة معينة من الاستقلالية السياسية، وأن تتجح جهود الشعب في المشاركة بالحياة السياسية وتنتهز القوى السياسية القديمة المستتدة^(١)، ولقد كان لسعي الشعب بجعل السلطة بيده أن يكون هناك اعتراف بتجمعات الأفراد للدفاع عن ارادتهم ومصالحهم على ضوء ما تملكه كل مجموعة منها الحق في التعبير^(٢).

من هنا يمكن القول أن الضمان الوحيد لان تكون السلطة السياسية معبرة عن الشعب ومصالحه، ولجل ممارسة التحديث

(١) عن غياب التنمية في الوطن العربي، التنمية العربية/ الواقع والطموح، د.نادر

فرجاني، م.د.و.ع، بيروت ١٩٨٤ ط٤، ص٦٥.

(٢) د.حسين عبد المجيد أحمد رضوان، مصدر سابق، ص٢١-٢٢.

السياسي يجب أن تقوم السلطة على مشاركة سياسية شعبية فاعلة من خلال إعادة توزيع القوة والسلطة في المجتمع، أو الشعب في أن يكون له نصيب في اتخاذ القرار مع وزن في توزيع عادل لثمار النشاط الاجتماعي - الاقتصادي المادي والمعنوي.

أن مثل هذه السلطة للشعب تمكنه الخوض في غمار التغيير الاجتماعي - السياسي الجذري الذي يشكل لب عملية التحديث ويؤكد الهوية العربية المستقلة في النموذج العربي للتحديث^(١). ويمكن دراسة المشاركة السياسية العربية في ثلاث مستويات رئيسية وكما يأتي:-

المطلب الأول: المشاركة السياسية في الدساتير العربية

تبرز أهمية التنظيم والبناء المؤسسي في المشاركة السياسية أو وفق صيغ دستورية وقانونية، أساس توجيه الجهود وأدارة الصراع خاصة في المجتمع العربي لانه مليء بالحيوية والحركة والافكار الفردية والمقومات المطلوبة لنهضة عربية حضارية، ولتحقيق ذلك نرى أن الدساتير العربية أقرت التنظيمات والجمعيات وخاصة الاحزاب السياسية، واستتدت بذلك على مبادئ الديمقراطية وحقوق الشعب العربي وحياته وتطبيق القاعدة الاساسية التي تعتبر الدولة اقليمياً وشعباً وحدة لا تتجزأ، وهذا ما يتجلى في الدستور العراقي المؤقت لعام ١٩٧١ المادة ٢٦ (يكفل الدستور حرية الرأي والنشر والاجتماع والتظاهر وتأسيس الاحزاب السياسية والنقابات والجمعيات وفي أغراض الدستور وضمن حدود القانون)، دستور المملكة المغربية عام ١٩٧٢ الفصل الثالث (الاحزاب السياسية والمنظمات النقابية والمجالس

(١) الاحزاب السياسية ودورها في انظمة الحكم المعاصرة، د.نعمان الخطيب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣، ص٢٠٧.

الجماعية والفرق المهنية تساهم في تنظيم المواطنين وتمثيلهم وأن نظام الحزب الوحيد غير مشروع)، دستور مصر عام ١٩٧٨ المادة الخامسة منه تتضمن على (يقوم النظام السياسي في جمهورية مصر العربية على أساس تعدد الاحزاب)، دستور الكويت عام ١٩٦٢ المادة ٤٢ منه (التأكيد على حرية تكوين الجمعيات والنقابات على أسس وطنية وبوسائل سلمية مكفولة) وكذلك تبنت الدساتير العربية مبدأ سيادة الشعب، ففي مصر المادة ٣ من الدستور ١٩٧٨ (أن السيادة للشعب وحده، وهو مصدر السلطات ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها ويصون الوحدة الوطنية على الوجه المبني في الدستور)، الدستور المؤقت العراقي عام ١٩٧١ المادة الثانية (الشعب مصدر السلطة وشرعيتها) الدستور السوري عام ١٩٧٣ الفقرة ٢ من المادة الثانية (السيادة للشعب ويمارس السلطات على الوجه المبني في الدستور)، دستور ليبيا عام ١٩٦٩ المادة الاولى (ليبيا جمهورية ديمقراطية، السيادة فيها للشعب)، دستور السودان المادة الثانية (أن السيادة في جمهورية السودان الديمقراطية للشعب ويمارسها عن طريق مؤسساته ومنظماته الشعبية الدستورية)، دستور البحرين عام ١٩٧٣ الفقرة ٢ من المادة الاولى (نظام الحكم في البحرين ديمقراطي، السيادة فيه للشعب مصدر السلطات)، واخيراً الدستور الجزائري الصادر عام ١٩٧٦ المادة الخامسة منه (أن السيادة الوطنية ملك الشعب يمارس عن طريق الاستفتاء أو بواسطة ممثليه المنتخبين)^(١).

أن تحليلاً لهذه الدساتير تتبين المشاركة السياسية الشعبية من خلال إعطاء حرية العمل الجماعي وجعل السيادة ملك للشعب، ولكن عند تحليل الأمر الواقع نرى ما يأتي:-

(١) د.نادر فرجاني، مصدر سابق، ص ٦١.

١. أن عملية اتخاذ القرار وتركيز السلطة السياسية في معظم الاقطار العربية هما بيد حاكم وجماعة صغيرة من المرئدين والتابعين، ثم تتوزع مسؤوليات التنفيذ بيد جهاز اداري لتتحكم القيادة السياسية في الشؤون الداخلية والخارجية، وهذا ما يتوضح في الكويت واقطار الخليج العربي والسودان، مصر، ليبيا، وسوريا، والعراق، حيث رغم اقرارها الحق في تكوين الاحزاب والجمعيات الا أن الواقع العملي يبدو غير ذلك، حيث أن القيادة هي التي تقرر الشكل الذي تراه مناسباً لمشاركة بقية المواطنين في الحياة السياسية، وليس أمام الشعب سوى قبول قرارات القيادة السياسية الملهمة والامثال لتوجيهاتها والوقوف معها في السراء والضراء، ويعكس شكل هذه المشاركة بالنموذج البطريركي حيث يتجه القرار من أعلى الى اسفل ولا يسمح بالرأي المخالف الا في حدود ضيقة لان القيم الثقافية التي تتحكم في اتخاذ القرار هي من نوع القيم العمودية التي تبارك التأييد وتحت على التضامن^(١). ولهذا يمكن القول ان الارادة السياسية الشعبية العربية لا تملك امكانات الضغط والاستحواذ على وسائل القيادة السياسية في معظم الاقطار العربية، مما أدى الى تهميش دورها وتحويله تابع لها وهذا خلق معضلة في تحقيق تحديث سياسي أو تطور حضاري لا يمكن أن يبدأ ويستمر عطاؤه الا عندما يصبح في قدرة الارادة الاجتماعية توجيه الارادة السياسية.

٢. ومن خلال تحليل الدساتير العربية الأنفة الذكر، نجد ان هذه الدساتير اولت كشرط من متطلبات المشاركة السياسية والديمقراطية تمكين الافراد من الاختيار بين احزاب سياسية متنافسة والادلاء بأصواتهم في انتخابات حرة وبطريقة الاقتراع السري، ولكن الذي يلاحظ أن

(١) د.نعمان الخطيب، مصدر سابق، ص٢٠٦، ص١١٥-١١٦.

أمر تداول السلطة في الاقطار العربية محتكر بيد الفئة الحاكمة التي أقرت هي نفسها المشاركة السياسية وحق التنظيمات السياسية في التنافس والسيادة ملك الشعب، قد تبين في عدم إعطاء الاتجاهات المعارضة فرصة جدية لان آليات السلطة العربية لم تعطي أو تشجع لاقلية اليوم تصبح في الاغلبية غداً، وهذا مما يؤدي الى عدم مصداقية الدساتير العربية، لان جوهر الديمقراطية هو حقوق الانسان السياسية والاجتماعية أولاً او تعدد الاتجاهات السياسية ثانياً وامكان تداول السلطة ثالثاً^(١)، وهذا ما يلاحظ في انتخابات الرئاسة المصرية عام ١٩٩١ أو التونسية ١٩٩٠ واليمنية ١٩٩٤ لم يكن سوى مرشح واحد هو مرشح الحزب الذي يحكم في السلطة رغم أن هذه الانظمة تقر في دساتيرها على الديمقراطية والتعددية الحزبية والتنظيمية، وهذا أن دل على شيء فيدل أن الاحزاب الحاكمة في السلطة والتي كانت قد اعلنت النضال من أجل الديمقراطية لا تمارس الديمقراطية في حياتها الداخلية، وكذلك لا تمارس هذه الديمقراطية في التعامل مع الاحزاب والاتجاهات التقدمية الموجودة معها في الساحة نفسها مع أن التعامل الديمقراطي بين التنظيمات السياسية وهي في المعارضة هو أفضل مدارس أسس المشاركة السياسية الديمقراطية الشعبية^(٢). وقد كان أثر هذه المشاركة المشوهة ظهور جماعات ضغط ونوادي واحزاب سياسية تأخذ اشكالا من العنف المتطرف واثارة التوترات لاجل تحقيق مستوى معين من الديمقراطية والمشاركة السياسية وهذا ما نراه في احزاب المعارضة في مصر والجزائر.

(١) مصطفى عمر التنير، مصدر سابق، ص ٥٥.

(٢) نحو فهم افضل للتنمية باعتبارها عملية حضارية، التنمية العربية، الواقع والطموح، د. علي خليفة الكواري، مصدر سابق، ص ٧٦-٧٧.

٣. ويتجلى من خلال تحليل الدساتير العربية الآنف الذكر، أن المشاركة السياسية تعني مساهمة اتجاهات سياسية مختلفة، وهذه العملية تحتمل الاجتهاد، والخلاف في الرأي هو وسيلة اكتشاف الحل الصحيح، وان الانفراد بالرأي هو الوسيلة المضمونة لارتكاب الاخطاء، لذا فتعدد الاتجاهات المنظمة وحققها في مخاطبة الناس هي خطوة في جعل الشعب في النهاية هو الحكم في ترجيح أحد الاتجاهات، وبذلك نقدر أن نصل الى قمة المشاركة السياسية في صنع القرار وتحمل المسؤولية، وأن مثل هذه الديمقراطية سوف تتجاوز ديمقراطية التمثيل الذي يمارسها المواطن العربي من خلال مندوبه في البرلمان دون أن يمارسها ممارسة يومية^(١)، وهذا ما يتوضح من خلال انتخاب مجالس النواب في العديد من الاقطار العربية مثل الاردن، مصر، التي تأخذ بالاطار الليبرالي في مجالسها الوطنية البرلمانية حيث ينتهي دور المواطن عند الانتخاب، والتي قد يجبر المواطن على ادلاء صوته لمرشح معين تحت متغيرات القهر والاجبار وشراء الاصوات لصالح الحزب الحاكم، وهذا عكس ما ترتأيه ديمقراطية المشاركة السياسية في الاستمرار مع المتغيرات والتطورات الجديدة، وتعبئة الشعب عنها لاتخاذ قرارات يتحملها الشعب نفسه، من هنا تظهر مصداقية السلطات الوطنية العربية في تبنيها المشاركة السياسية من عدمه، لتكون عملية التحديث السياسي هي عملية تخدم مصلحة الوطن والامة.

أما هذا التشويه للمشاركة السياسية يجعل من المواطن العربي مواطناً لا يشارك في اعداد الجسم الاجتماعي والسياسي (الوطن) الذي يعيش فيه ولو أنه عضو فيه، ولا يشارك في القرار أو المتغيرات التي

(١) د. اسماعيل صبري عبد الله، مصدر سابق، ص ١٨٢.

تمس الجسم الاجتماعي والسياسي للوطن، ولم يطرأ أي تغيير على المجتمع العربي منذ تحقيق الاستقلال عن الاستعمار طالما استمرت المشاركة بهذا المستوى^(١).

المطلب الثاني: الاستقرار السياسي

يعد الاستقرار السياسي وصيانة الامن الاجتماعي وتوفير السلامة العامة من المتطلبات الأساسية لتوفير الطمأنينة بين أفراد المجتمع لاجل تحقيق مشاركة سياسية واسعة وجدية، وهذا يتوضح من مدى مساهمة الجماعات المختلفة في المجالس النيابية مقارنة مع نسبة السكان، ونسب تمثيل الفئات الصغيرة والفقيرة في المجالس النيابية وعدم ارغامهم بالقهر والقوة في التصويت لصالح مجموعة معينة^(٢) أولاً، وثانياً مدى بقاء الحكام والمسؤولين والمؤسسات الدستورية في مواقعها ومهامها ومدى ثبات القوانين ومرونتها مع تطور الظروف الدولية^(٣)، واستناد القائمين على الحكم عليها، وثالثاً مدى صيانة حرية المعارضة السياسية والصحافة إضافة الى حرية الرأي في سر وحرية^(٤).

وقد اتخذ عدم الاستقرار السياسي في الاقطار العربية أشكالاً متعددة أولها الأشكال تمثل في الانقلابات العسكرية مثلما حصل في السودان وموريتانيا حيث لعب الجيش دور غير اعتيادي في الحياة

(١) د. اسماعيل صبري عبد الله، مصدر سابق، ص ١٨٢.

(٢) د. اسماعيل صبري عبد الله، مصدر سابق، ص ١٨١.

(٣) ازمة علم الاجتماع، أم ازمة المجتمع، نمو علم اجتماع عربي، محمد شقرون، م.د. الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (٧) بيروت ١٩٨٩، ط ٢، ص ٧٤.

(٤) ابراهيم العيسوي، مصدر سابق، ص ٢٦٦.

السياسية مما أثر على سير عملية التنمية والتحديث السياسي ومن ثم جمود عملية المشاركة السياسية.

أما الشكل الثاني في عدم الاستقرار هي الحروب الاهلية التي كان لها دور في تعطيل عملية المشاركة السياسية من خلال تهديد الاستقرار السياسي وثبات مؤسسات الدولة وقوانينها، ومن ثم إطفاء دور الشعب في اتخاذ القرار المناسب لحل هذه الازمات لاستغلاله من الفئات القائدة لهذه الحروب الاهلية وهذا ما نراه في الحروب الاهلية في لبنان التي امتدت عشرة سنوات، والصومال منذ عام ١٩٩٤ حتى الآن، واليمن في عام ١٩٩٤ ولازال الصراع مستمراً مع الحوثيين ومع الجنوبيين المطالبين بالانفصال.

كما ويأخذ الشكل الثالث في عدم الاستقرار السياسي نتيجة وجود حركات تمرد وانفصال تلك التي أثرت على الوحدة الوطنية وعلى المؤسسات الدستورية لهذه الوحدة التي تصون المشاركة السياسية، ومن ثم تؤثر على شعور الشعب بالولاء لوطنهم واعتزازهم بالانتماء اليه وهذا ما يلاحظ من خلال انفصال جنوب السودان في شباط ٢٠١١ والاستقلال شبه الكامل الذي يعيشه اقليم كردستان العراق منذ عام ١٩٦١، ورغبة جنوب اليمن في زعزعة الوحدة الوطنية لليمن ومؤسساتها التي ترسخت وفق صيغة المشاركة السياسية في وضع دستور الوحدة عام ١٩٩٠ ولازال الاضطرابات من اجل الانفصال مستمرة حتى يومنا هذا.

أما الشكل الرابع من ظاهرة عدم الاستقرار السياسي المهدد للمشاركة السياسية هو بروز صراعات حزبية ودينية وطائفية عنيفة، نتيجة لعدم التكيف المتبادل مع المؤسسات الموجودة في الدولة، مما يؤدي الى ظهور سياسيين فاعلين على الساحة العربية متخذين من

صيغة العنف المتطرف كوسيلة لتحقيق المصالح والمطالب، وهذا ما يلاحظ في الحركات الإسلامية الموجودة في الجزائر ومصر، ففي الأولى غدر بها في انتخابات عام ١٩٩١ حيث الغيت الانتخابات التي افزت بها جبهة الانقاذ بزعامه عباس مدني لتتوجه الى صيغ العنف لاجل تحقيق مطالبها، وفي الثانية كان نشاط هذه الحركات نتيجة عدم الرضا على سياسات الحكام المصريين في الانفتاح مع الغرب والتعامل مع اسرائيل. أن هذا ساعد على عملية الارباك في الاستمرار بعملية المشاركة السياسية في هذين البلدين ومن ثم زعزعة المؤسسات السياسية والدستورية فيها.

ان هذا يجعلنا أن نقول مع هنكتون أن تحقيق الاستقرار السياسي في المنطقة العربية، وخاصة السياسية هي الصراع من اجل السلطة، يبرز من خلال توسيع المشاركة السياسية بوضع سياسات عامة في اختيار الاشخاص للمناصب الرسمية وتداول السلطة وتوفير آليات المشاركة في النظام السياسي والقدرة على معالجة الازمات والانقسامات والتوترات والاستجابة للمطالب السياسية الشعبية حيث أن التنمية والتحديث السياسي ترتبط بطبيعة العلاقة بين المؤسسات السياسية الفوقية والتحتية والرسمية وغير الرسمية لتحقيق المطالب الاجتماعية^(١).

(١) مقدمة عن التغيير والتنمية، دراسات في المجتمع العربي، د.عبد المنعم محمد بدر، اتحاد الجامعات العربية/ الامانة العامة، القاهرة ١٩٨٥، ص٤٩٢.

المطلب الثالث: ثقافة الحوار بدلاً من ثقافة العنف

ان نجاح المشاركة السياسية العربية يتوقف على جملة من المستلزمات والقيم الثقافية، فالديمقراطية تفترض إطاراً ثقافياً لها، وهذا الإطار الثقافي يتمثل في عدد من القيم ابرزها العقلانية، أي الايمان بمحورية العقل الانساني في تنظيم المجتمع، وايضاً^(١) الحرية الفردية كقيمة أساسية في المجتمع، وعدم التطرف في الافكار السياسية نحو الدين والايديولوجية. وان كان إخفاق تجارب المشاركة السياسية الشعبية وديمقراطية تعدد الاتجاهات في الاحزاب السياسية والتنظيمات السياسية التي عرفتها بعض الاقطار العربية بسبب غياب هذا الإطار الثقافي القيمي.

لذلك فإن نجاح تجربة المشاركة السياسية في المنطقة العربية يفترض تعميم الثقافة الحديثة التي تؤكد على الايمان بالقيم الأنفة الذكر، إضافة الى تداول السلطة واحترام الراي والرأي الآخر. أن كل ذلك يتطلب الوقت والممارسة، ومن الممكن بناء حلقات هذه الثقافة الوطنية بشكل تدريجي (وخاصة اقطار الخليج العربي التي لا تعرف غالبيتها المشاركة السياسية الشعبية وتنظيماتها) من خلال زج المواطنين فردياً أو جماعياً في احزاب سياسية أو مؤسسات المجتمع المدني التي تركز على الحوار والتسامح، لاجل ممارسة الحق الانتخابي بحرية والتمتع بالحقوق والحريات الاساسية، مما يسمح في نهاية المطاف بتشكيل وعي ثقافي ملائم للمشاركة السياسية الشعبية.

ويبلي رغبات الجماهير التي بدأت تتطلع الى التغيير والمشاركة والاصلاح السياسي لكن هذه الجماهير ترفض الاصلاح المصدر من الخارج لان هذا الاصلاح سوف يلبي طموحات خارجية ولا ينسجم مع

(١) د. عبد المنعم محمد بدر، مصدر سابق، ص ٤٩١.

التطلعات الداخلية فأخذت ترفض النماذج الغربية التي لا تتسجم وواقع المجتمعات العربية من قيم روحية وعادات وتقاليد ثقافية مختلفة عن المجتمعات العربية وأخذت تؤكد على أن يكون الإصلاح نابع من واقع هذه المجتمعات العربية، وأن خير أسلوب هو ثقافة الحوار الهادئ البناء لتحقيق الإصلاحات السياسية والتغيرات المطلوبة في النخب السياسية بدلاً من انتهاج لغة العنف والعنف المضاد.

المبحث الرابع

الأحزاب السياسية

تستأثر دراسة الأحزاب السياسية في عالمنا اليوم باهتمام بالغ نتيجة الدور الذي تلعبه داخل تركيبة الدولة الحديثة^(١)، حيث أن الأحزاب السياسية تعد سمة أساسية للتحديث السياسي لما تقوم به من تنظيم للرأي العام وبذل الجهد في عملية الامداد السياسي واختيار القيادات السياسية سواء في الديمقراطيات النسبية أو الديمقراطيات القديمة أو الدول ذات الاتجاه الشمولي (أنظمة الحزب الواحد)، أي بمعنى آخر أن تضع الصفوة السياسية مصالح الجماهير في اعتبارها سواء بالالتزام بايديولوجية حق الجماهير في المشاركة في تقرير السياسة العامة، أو الأخذ بالاعتبار حقهم في اختيار القادة، أو التأكد من أن الصفوة الدكتاتورية ملتزمة بالوسائل المنظمة للضبط وتعمل بموجبها^(٢)، أي أن تحليل عملية التحديث السياسي لأي دولة، التي تتجلى من خلال تحليل نظامها السياسي، يتطلب تحديد القوى المختلفة

(١) النظريات السياسية والعالم الثالث، المكتب الجامعي الحديث، د.محمد رضا مهنا، الاسكندرية ١٩٨٣، ص ١٩٥.

(٢) د.حسين عبد الحميد أحمد رضوان، مصدر سابق، ص ١٦.

في ممارسة السلطة والتأثير عليها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من أجل تلبية حاجات الشعب^(١).

ولهذا ربط الكثير من المفكرين بين التنمية والتحديث وبين الاحزاب السياسية، حيث هناك اتجاهين^(٢).

أولهما: - يعتبر الاحزاب السياسية هي نتيجة لعملية التنمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أي بهذا المعنى تعتبر الاحزاب السياسية بمثابة تابعة لعملية التنمية والتحديث.

ثانيهما: - يعتبر الاحزاب السياسية قوة مستقلة وهي نفسها قادرة على التأثير في عملية التنمية ونرى أن الصنف الاول يفسر الحالة المطبقة على أوضاع البلدان المتقدمة، وفي حين أن الصنف الثاني ينطبق على الاقطار العربية، حيث أن الاحزاب السياسية كانت هي المحرك الاساسي للتنمية السياسية أكثر من كونها نشاطاً لها.

وفي هذا المجال ربط العديد من المفكرين مثل (واينر) بين أزمة التنمية والتحديث السياسي (أزمة الشرعية وأزمة التكامل والاندماج القومي وأزمة المشاركة السياسية) وبين ظروف النشأة الحزبية^(٣)، حيث أن أزمة الشرعية تتعلق، بما يخص وطننا العربي، ما قامت به الحركات القومية من المحاولة لتغيير نظام الحكم القائم وتغيير

(١) الاحزاب السياسية، دراسة سويسولوجية، روبرت توميشال، ترجمة منير مخلوف، دار الانماء للطباعة والنشر، بيروت ط ١ ١٩٨٣، ص ١٤.

(٢) أنظر بالتفصيل أ.حسين عبد الحميد رضوان، مصدر سابق، ص ١٦-١٧.
الاحزاب السياسية والنظم الحزبية، ب.د.شمران حمادي، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٥ ط ٢، ص ١٢-١٧.

(٣) د.نعمان الخطيب، مصدر سابق، ص ٧.

القواعد التي تحدد ماهية القائمين بالحكم وكيفية اختيارهم لها، وكان نتيجة فشل الحكومات الاستعمارية للاستجابة للمطالب العربية أن تظهر أزمة المشاركة السياسية التي أبرزت صيغاً في العمل السياسي من خلال تكوين الأحزاب السياسية والتنظيمات المحلية لاجل اكتساب التأييد المحلي، وقد كان لظهور أزمة التكامل والاندماج القومي مترافقة مع أزمة الشرعية من خلال محاولة التنظيمات السياسية العربية منذ بداية القرن العشرين ولغاية منتصفه على أهمية تحقيق الوحدة العربية القومية والتغلب على سيادة الدولة القطرية وبالتالي الاسهام في عملية التنمية والتحديث السياسي.

المطلب الأول: عوامل نشأة الأحزاب السياسية العربية

مع بداية القرن العشرين ولغاية فترة الخمسينات تجلت ظاهرة الأحزاب السياسية- وضوح نتيجة لازمات الشرعية والمشاركة السياسية والاندماج القومي، حيث نرى في بداية القرن العشرين وخلال فترة استبداد السلطان العثماني عبد الحميد الثاني وبطشه بزعماء الحركة القومية الجديدة خلق حالة من الشك في شرعية النظام العثماني ومن ثم خلق أزمة المشاركة السياسية التي كانت نتيجتها انبثاق احزاب وجمعيات ومننديات سرية وعلنية تهدف الى بعث الروح القومية لدى العرب⁽¹⁾ في وطنهم الكبير والتحرر من السيطرة العثمانية من خلال توجيه نداءات للعرب تدعوهم فيها للثورة ضد الاستبداد والاستعمار والاستغلال الذي يمارسه الاتراك ضدهم أو الوقوف ضد الاستعمار الاوروبي الذي بدأ يتغلغل في الاقطار العربية ومن هذه الجمعيات جمعية رابطة الوطن العربي التي تأسست عام ١٩٠٤، جمعية الاخاء

(1) Daries, Loan, social mobility and political change, George Allen and Unwin L.T.D, 1946, p.35.

العربي العثماني عام ١٩٠٨، جمعية المنندى الادبي عام ١٩٠٩، حزب اللامركزية في مصر ١٩١٢، الجمعية القحطانية ١٩٠٩ وجمعية الفتاة عام ١٩١١^(١).

ومن خلال استقراء تلك التنظيمات يلاحظ أنها لم تكن جماهيرية وانما أقتصرت على نخبة من المثقفين وذلك لقلّة الوعي السياسي وسيادة الامة وعدم وجود ممارسة سابقة في مجال الديمقراطية^(٢)، وقد دعت هذه التنظيمات الى الادارة اللامركزية أو المطالبة بنوع من الاستقلال لهذا اعدت أحزاب اصلاحية وليست ثورية^(٣). كما ويلاحظ أن هذه الاحزاب لم تتكون نتيجة كتل برلمانية في جمعية تشريعية ولا نتيجة وجود مؤسسات ساهمت في ظهور احزاب سياسية نتيجة تشجيع الدولة وفق تفسير موريس ديفرجيه في ظهور الاحزاب نتيجة عوامل داخلية وخارجية^(٤)، بل بزغت هذه الاحزاب نتيجة للسلطة المستبدة المطلقة للسلطين العثمانيين التي لم تكن تتحداها أية توازنات مؤسسية،

(1) Wemen, Myron and La palombara, Jaseph, The Impact at parties on political Derelopement, princepton, New Jersey, Princeton University press 1966 p.303-304.

نقلًا عن د.حسين عبد الحميد احمد رضوان، مصدر سابق، ص ٢١.

(٢) بصدد الافكار القوية لهؤلاء المفكرين يمكن مراجعة

الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث (في لبنان، سوريا، مصر)، أ.ز.أ. ليفين، ترجمة بشير السباعي، دار ابن خلدون، بيروت ك ١ ١٩٧٨ ط١، وكذلك الفكر القومي العربي في المغرب العربي، خيرية عبد الصاحب راوي، دار الرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢ ط١.

(٣) الحياة الحزبية في سوريا بين عامي ١٩٠٨-١٩٥٥، محمد حرب فوزات، ص ٣١-٧٢ (حول الاحزاب السياسية في العهد العثماني وبعد انتهاءه).

(٤) محاضرات في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام، جميل صليبا، المطبعة الكمالية، القاهرة ١٩٥٨، ص ٥٠.

وكذلك للحكم الاستعماري الاوروبي الجديد الذي أعاق نمو المؤسسات البرلمانية، وهكذا يمكن القول أن الاحزاب في الفترة العثمانية كانت ابداع عربي كتعبير عن المعارضة، أو التحريض ضد الحكم العثماني أو ضد الحكم المحلي المطلق^(١).

أما في فترة الاستعمار الاوروبي فيلاحظ أن معظم الاحزاب التي شكلت في المنطقة العربية قبل الاستقلال فقد انبثقت نتيجة أزمة الشرعية والمشاركة السياسية أما لمقاومة الحكم المستبد الذي يستخدم القمع السياسي لاجل تفريغ الحياة السياسية، وهذا ما يلاحظ مع الاحزاب السياسية في اليمن الشمالي منذ عام ١٩١٤ ولغاية ١٩٦٢ حيث ارتبط نشاطها بالعمل السري لاجل أزاحة نظام الامامة واطلاق الحريات لحق التجمع والصحافة وابداء الرأي، ويممن ان تتمثل هذه الاحزاب في حزب الوطنيين الاحرار عام ١٩٤٤، تجمعات تعز^(٢)، وقد ظهرت الاحزاب والحركات والتجمعات السياسية لمواجهة ومقاومة الاستعمار ومن ثم ازاحته عن المنطقة باعتباره هو مصدر البلاء والتخلف الذي يواجهه الشعب العربي، وكذلك اعتبار هدف الاستقلال هدف رئيسي لهذه الاحزاب اضافة الى صياغة الدستور ويجاد برلمان وحياء نيابية، وهذا ما يتمثل في اليمن الجنوبي عند قيام النادي الاصلاحى الادبي عام ١٩٣٤، الحزب الوطني عام ١٩٣٩، الاتحاد اليمني عام ١٩٤٢، الجمعية اليمنية الكبرى ١٩٤٦، رابطة ابناء الجنوب، حركة القوميين العرب، الاتحاد الشعبي وطلائع

(١) المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٢) اخذت فكرة موريس ديفرجيه حول الاحزاب من د.حسين عبد الحميد رضوان، مصدر سابق، ص ١٧-٢٠.

الماركسيين^(١). وفي مصر مثل الحزب الوطني عام ١٩٠٧ حزب الوفد، ١٩١٨^(٢)، حزب البعث في سوريا ولبنان والاردن والعراق ١٩٤٧، وفي سوريا ايضاً حزب الشعب والحزب الوطني والحزب الشيوعي، في الاردن حزب الشعب، حزب التضامن وحزب النهضة^(٣)، أما في المغرب العربي فهناك حزب الشعب الجزائري الذي تحول الى جبهة تحرير الجزائر عام ١٩٥٥، جمعية العلماء المسلمين في الجزائر ١٩٢٤، حزب الدستور التونسي، جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين، كتلة العمل الوطني والحزب الوطني وحزب الوحدة المغربية^(٤).

وقد كان للجمعيات والتنظيمات في الوطن العربي التي نشأت خارج الكتل البرلمانية (التفسير الخارجي لموريس ديفرجيه في نشأة الاحزاب) دور كبير في أن تتطور الى احزاب سياسية بعد استلهاهم مبادئها، وهذه ظاهرة سياسية عربية حديثة تضمنت صراعات مع

(١) مستثنى من ذلك حالة معينة في تكوين حزب الحرية والائتلاف العثماني عام ١٩١١ حيث تكونت نتيجة كتلة شكلها النواب العرب في البرلمان التركي في آذار ١٩١١، أي وفق التفسير الداخلي لنشأة الاحزاب السياسية حسب مقولة موريس ديفرجيه، أنظر يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، جورج انطونيوس، ترجمة د.ناصر الدين اسعد ود.احسان عباس، دار العلم للملايين بيروت ١٩٦٩، ط٣، ص ١٧٩.

(٢) انظر أربك ماكرو، اليمن والغرب، ترجمة د.حسين عبد الله العمري، دا الفكر، دمشق ١٩٨٧، ص ٨٧، د.احمد محمد نعمان، حال القضية اليمنية، دار الجنوب للطباعة، عدن ١٩٥٦، ص ٢٠.

(٣) انظر بالتفصيل الزهور تدفن في اليمن، أ.وجيه أبو ذكري، مطابع دار السياسة القاهرية، بلا سنة ص ١٣١-١٣٢، ب.ابراهيم العبيدي، الحركة الوطنية في جنوب اليمن المحتل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ١٩٧٩، ص ٧٠-٩٠.

(٤) د.نعمان الخطيب، مصدر سابق، ص ٥١٠-٥١٥.

الجماعات الحاكمة لاجل المطالبة بحق التمثيل والانتخابات الواسعة، أو تعبر عن ايديولوجيات دينية أو علمانية تطالب بمواجهة الحكم العربي المستبد أو ازاحة الاستعمار الاجنبي^(١)، وهذا ما يلاحظ مثلاً في اليمن النادي العربي الاسلامي الذي تطورت حركته المتسترة الى حزب سياسي سمي حزب الاحرار عام ١٩٤٤، والمؤتمر العمالي الذي تطورت حركت الى الحزب الاشتراكي عام ١٩٧٩^(٢) وفي لبنان نشوء احزاب اساسها منظمات الشباب مثل حزب النجادة عام ١٩٥٤ وحزب الكتائب عام ١٩٥٢ حيث كان أساسها منظمي النجادة والكتائب اللتين تأسست عام ١٩٣٦، والاحزاب الاسلامية في الوطن العربي التي انبثقت نتيجة للجمعيات والحركات الاسلامية، واحزاب الجمعيات والمننديات الادبية مثل جمعية العربية الفتاة كان أساسها في نشوء احزاب سياسية في سوريا مثل حزب الاستقلال العربي وحزب التقدم^(٣)، ومثلما ولدت أزمة الشرعية والمشاركة السياسية احزاباً كثيرة تمكنت من اداء دورها حسب ظرف الدولة العربية المعنية، نرى ان العديد من الاحزاب السياسية برزت نتيجة وجود أزمة التكامل والاندماج القومي، حيث خرج الوطن العربي من الاستعمار العثماني والاوروبي وهو متمزق ومجزأ ومقسم الى دويلات عديدة رغم ترابطها القومي العربي، وكذلك وجود دول ممزقة على المستوى القطري مثل اليمن.

(١) محمد حرب فوزات، مصدر سابق، ص ٨٠-٩٠.

(٢) انظر بالتفصيل الفكر القومي العربي في المغرب العربي، خيرية عبد الصاحب

راوي، دار الجماهير للنشر ١٩٨٢، ص ٦٩-٧٢.

(٣) د.شمران حمادي، مصدر سابق، ص ١٠.

ان هذه الازمة ولدت أحزاباً سياسية خاضت نضالاً قومياً ووحيدياً للتغلب على التحديات والصعوبات التي واجهتها كأقطار منفردة، خاصة بعد تأثرها بالفكر القومي لـ عبد الرحمن الكواكبي ومحمد عبدة... الخ حيث اعطت هذه الافكار أثرها في توعية الجماهير العربية في الحاجة الملحة الى الاحزاب القومية الوحدوية مما ساعد على قيام العديد منها رغبة في اجتياز ازمة التكامل والاندماج القومي، متمثلة في سوريا حزب البعث العربي الاشتراكي، الحزب الوطني، حزب الشعب، حركة القوميين العرب، الحزب الاشتراكي العربي، حركة التحرير العربي، وفي الاردن حزب الشعب العربي، حزب التضامن، في العراق حزب البعث، حزب الاستقلال، الحزب الوطني الديمقراطي، نادي البعث القومي، وحزب الاصلاح⁽¹⁾، وفي مصر تهيأ نشوء الجامعة العربية التي كانت وليدة انتشار الفكر القومي على امتداد الساحة العربية ومن ثم نشوء الاتحاد القومي عام ١٩٥٦، أما في المغرب العربي نرى أن لجنة تحرير المغرب العربي التي تكونت في القاهرة عام ١٩٤٧ بزعامة الامير عبد الكريم الخطابي ووافق على قيامها كل من حزب الاستقلال المغربي والحزب الدستوري القديم والجديد في تونس وحزب الشعب الجزائري وحزب الاصلاح الوطني والحزب الثوري في المغرب، التي أكدت في ميثاقها بأن المغرب العربي أبن الاسلام وعلى الاسلام عاش وعلى الاسلام يسير في حياته المستقبلية وأن المغرب العربي جزء لا يتجزأ من الوطن العربي بلاد

(1) الحركة الوطنية في اليمن الشمالي - رسالة ماجستير مقدمة الى معهد الدراسات القومية والاشتراكية، شاعر محمود خضير، غير منشورة ١٩٨١، ص ٥٠.

العروبة مع الدعوة للاستقلال التام لأقطار المغرب العربي من الاستعمار^(١).

ويلاحظ أن وجود مثل هذه الايديولوجيات القومية الوحودية في العديد من الاحزاب والمنظمات السياسية يؤدي بالضرورة عاجلاً أم آجلاً الى تقاربها والتقاءها اذا ما توفرت الظروف الموضوعية والتنازل للقيادات من خلال تحقيق اتحاد للحركات الشعبية القومية، ولكن هذه المحاولات في الاقتراب لتجاوز أزمة التكامل القومي قابلها أولاً تقاطع أيديولوجي مع الاحزاب الماركسية والدينية والفكرية، وقد كان هذا التقاطع عامل عرقله للتوحد والاندماج القومي والوحدوي بسبب اختلاف الطروحات الايديولوجية واختلاف اولويات الوحدة في اهداف كل حزب أو تنظيم عربي سياسي، وثانياً ذوبان عدد من الاحزاب والتنظيمات القومية ونشوء احزاب أخرى واندماج بعضها ببعضها الآخر نتيجة لما فرضه عامل الاستقلال والقطرية من ظروف جديدة تفرض من الحركات الوطنية أما اعادة النظر ببرامجها ليوكب المرحلة القادمة أي مرحلة ما بعد الاستقلال القطري، أو أن تتخلف ويكون مصيرها الانتهاء، وهذا ما يلاحظ في تونس، المملكة المغربية ولبنان الذي لم يسمح للحزاب القومية بالوجود، وفي الاردن في البداية لم يسمح لها بالوجود عام ١٩٨٩ ولكن المظاهرات والاحتجاجات للشعب الاردني على ذلك، دفع الحكومة بالسماح لها بالعمل عام ١٩٩٠، وفي السودان لم يسمح سوى للحزاب الاسلامية، أما في بلدان الخليج العربي حيث لا وجود للحياة الحزبية فلا يوجد أي مجال للاهتمام الفكري بالاندماج أو التكامل القومي^(٢). واما الاحزاب القومية المستمرة في نضالها القومي

(١) د.شمران حمادي، مصدر سابق، ص ١١.

(٢) جميل صليبا، مصدر سابق، ص ٣٩-٥٠.

فنها لا تعطي في أولويات افكارها واهدافها أهمية للوحدة العربية، أوّ تلتقي مع بعضها من حيث الفكر واساليب تحقيق الاهداف القومية والوحدية^(١).

أن هذا يجعلنا أن نقول ان الاحزاب السياسية العربية وكتحديث سياسي لم تكن بمستوى التمكن من اجتياز أزمة الاندماج القومي مثلما اجتازت أزمة الشرعية والمشاركة السياسية.

وقد تجلت أزمة الاندماج الوطني في اليمين، حيث تمكنت الاحزاب والتنظيمات والجمعيات والنوادي السياسية الالتقاء على محور أساسي هو تحقيق الوحدة الوطنية سواء في نضالها السري او العلني، حيث أقرت ثلاث أساسيات هي القضاء على نظام الامامة في اليمين الشمالي اولاً، وطرد المستعمر الانكليزي من اليمين الجنوبي ثانياً، وتحقيق الوحدة اليمنية ثالثاً، وقد كان هذا الالتقاء بالاهداف وبمختلف الاتجاهات للحركات السياسية أن تتوحد الجهود في إعلان الوحدة الوطنية اليمنية عام ١٩٩٠ خاصة بعد أن أطفئ الصراع بين حزب التجمع للإصلاح (إسلامي) بزعامة عبد الله الاحمر، والحزب الاشتراكي اليمني الذي كانت مبادئه تتنافى مع المبادئ الاسلامية بقيام حزب المؤتمر الشعبي العام عام ١٩٨٢ والاتفاق على الميثاق الوطني للوحدة^(٢).

(١) علم الاجتماع السياسي، د. احسان محمد الحسن، مطابع جامعة الموصل، الموصل ١٩٨٤، ص ١٧٢.

(٢) التعددية السياسية في العالم العربي، د. نور فرحات، مجلة الوحدة، نيسان ١٩٩٢، ص ٥٠.

المطلب الثاني: الوطن العربي من نظام الحزب الواحد الى التعددية

ارتبطت عملية التحديث السياسي العربي فيما يتعلق بالاحزاب السياسية وأخذها بنظام الحزب الواحد او التعددية الحزبية من مدى إعطاء القيادات العربية دور للجماهي في المشاركة والمساهمة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، من خلال متغيرات تتمثل بفسح المجال للديمقراطية التي تؤدي الى حرية تشكيل الاحزاب والمنظمات والجمعيات السياسية دون قيد اولاً، ومن خلال تداول السلطة السياسية بأنتخابات حرة تنافسية ثانياً واخيراً تشريع قانون الحقوق والحريات، ولهذا تباينت الاقطار العربية ووفق هذه المتغيرات في تبنيها للواحدية أو التعددية.

١. برزت التعددية الحزبية لدى الاقطار العربية قبل الاستقلال نظراً للظروف الاجتماعية والفكرية والاقتصادية والسياسية التي ساهمت في وضع بصماتها بهيئة احزاب وحركات وتنظيمات سياسية، وتمثلت الظروف بالسعي الى مقاومة النفوذ الاجنبي ونيل الاستقلال من خلال صراع خاضته الاحزاب السياسية لمواجهة قوى متعددة داخلية وخارجية. كما وأن الاستعمار شجع على قيام التعددية الحزبية لاستخدام سياسة فرق تسد لاجل ضرب الحركات الوطنية العربية اولاً، وتحقيق التوازن بين وجوده وقوى النضال الشعبي ثانياً، وتمزيق المجتمع العربي أخيراً، فقد شجع الاستعمار على تأسيس عدد من الاحزاب السياسية الموالية له، وهذا ما يلاحظ مثلاً في مصر حزب الامة، الحزب الوطني الحر، حزب مصر المستقلة^(١). وفي اليمن الجنوبي مثل الحزب الوطني الاتحادي عام

(١) د. احسان محمد الحسن، مصدر سابق، ص ١٧٤.

١٩٥٢^(١)، والحزب الدستوري في العراق، حزب الكتائب في لبنان^(٢)، اضافة الى تشجيعه لاحزاب موالية للسلطة (تلك الداعمة للاستعمار) واحزاب مبنية على أسس قبلية واحزاب خاصة بفئات معينة من الشعب مثل الاحزاب الحضرية في اليمن في الخمسينات^(٣).

وعند حصول الاقطار العربية على استقلالها مارس نوع من الديمقراطية الليبرالية على النمط الغربي ومثابه للدولة المستعمرة، وهذا ما يلاحظ التعددية الحزبية في مصر، العراق، لبنان، الاردن، السودان، المغرب، تونس، ليبيا، الصومال، موريتانيا وسوريا، حيث قامت مجالس وطنية وتشريعية انتخبت وفق ممارسة ديمقراطية بوجود أحزاب متعددة^(٤).

٢. خلال فترة الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن العشرين فإن كثير من الاقطار العربية التي كانت تأخذ بالتعددية الحزبية كتحديث سياسي، بدأت تأخذ بنظام الحزب الواحد

(١) جريدة الانباء الكويتية في ١٢/٣/١٩٨٣، وعن التقاء الاحزاب اليمنية حول أهمية الوحدة اليمنية أنظر:-

أ. خالد بن محمد القاسمي، الوحدة اليمنية ارادة شعب، دار الثقافة العربية، الشارقة ١٩٨٧.

ب. أريك ماكرو، مصدر سابق.

ت. إبراهيم العبيدي، مصدر سابق.

ث. شاكرو محمود خضير، مصدر سابق.

(٢) نعمان الخطيب، مصدر سابق، ص ٥١٥.

(٣) اليمن شماله وجنوبه، محمود كامل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة بلا تاريخ، ص ٢٧٨.

(٤) د. احسان محمد الحسن، مصدر سابق، ص ١٦٥.

متأثرة بتجربة الاتحاد السوفيتي سابقاً بتبنيها نظام الحزب الواحد وكانت تربط ذلك بمتغيرات تتعلق كما يأتي:-

١. عدم توافق التعددية الحزبية مع أوضاع تخلف هذه الاقطار العربية لان التنمية تتطلب سلطة قوية ومستقرة.

٢. لاجل تقويت فرصة تفتيت المجتمع وترسيخ الوحدة الوطنية والاستقرار.

٣. اعتبار الاحزاب هي المسؤولة عن تدهور الاوضاع الاجتماعية.

٤. التدخل الاجنبي لصالح النخب التقليدية الحاكمة.

٥. انقسام الاحزاب وتشردمها وتكالبها على السلطة واتهام بعضها البعض بتشويه العمل الحزبي وهذا ما يلاحظ مثلاً في مصر حيث أنقسم حزب الوفد الى حزبين، حزب الوفد والحزب السعودي، والوفد نفسه الى حزب الوفد والكتلة الوفدية، وفي المملكة المغربية أنقسام حزب الاستقلال الى حزبين الاستقلال والاتحاد الوطني للقوى الشعبية، والآخر أنقسم الى حزبين بظهور الاتحاد الاشتراكي للقوى الشعبية^(١).

أن المتغيرات الآتية الذكر جعلت من الرئيس الراحل جمال عبد الناصر أن يصف التعددية الحزبية (كانت الاحزاب في هذا الوقت تمثل أقصى مراحل الانتهازية، كانت تضلل الشعب وتقدم له الوعود ولكنها كانت تتعامل مع الاستعمار، وتتآمر معه وتيسر مهمته هذه الاحزاب كانت تبحث عن مصالحها، مصالح الاقطاعيين، مصالح الرجعيين، مصالح المستغلين، مصالح فئة من الرأسماليين الفاسدين^(٢)،

(١) محمود كامل، مصدر سابق، ص ٢٨٠.

(٢) محاضرة لطلبة الدراسات العليا، د.رياض عزيز هادي، بتاريخ ٢٠/١٢/١٩٩٤.

والرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين أكد أن التعددية داخل الحزب الواحد هي خطر مميت ويجعل من الحزب جسد بلا روح^(١). ويمكن أن تتمثل هذه الاخطار بجهة التحرير الجزائرية والحزب الدستوري في تونس وتجربة الحزب الواحد في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر (هيئة التحرير عام ١٩٥٣، الاتحاد القومي ١٩٥٦، والاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٦١)، والاتحاد الاشتراكي العربي عام ١٩٦٣ في العراق أثناء حكم الرئيس عبد السلام محمد عارف، وانعدام الحياة الحزبية في الاردن عند فشل انقلاب أبو نوار عام ١٩٥٧، وليبيا نظام شبه عسكري (اللجان الثورية) بعد أن كان تعددية حزبية في زمن السنوسي^(٢).

من ناحية أخرى أن نظام الحزب الواحد في الاقطار العربية اختلف عن تجارب نظام الحزب الواحد في الاتحاد السوفيتي سابقاً واوربا الشرقية، حيث ركزت الاخيرة على فئة معينة من الافراد توافرت فيهم شروط معينة أتجهت ارادتهم للانضمام لهذا التنظيم الذي يحمل برنامجاً محدداً لا تقبله فئات أخرى بالمجتمع، مما يجعله سهل العداء لهذه الفئات، بينما الحزب الواحد في مصر والجزائر... فأنها كانت تضم في عضويتها كل من يؤيد مبادئ الثورة دون تحديد فئة

(١) ثورتنا الاجتماعية، مجموعة الخطب للرئيس الراحل جمال عبد الناصر في مؤتمرات التعاون، سلسلة اخترناك رقم ٦٦ عدد خاص، نقلاً عن الاحزاب السياسية المعاصرة في مصر، د. شفيق السامرائي، مجلة الأمن القومي عدد ٢ سنة ١٠، ١٩٨٢، ص ١٣٠.

(٢) د. نور فرحات، مصدر سابق، ص ٥٦.

معينة وشروط معينة سوى أن لا يكون الاعضاء من الانتهازيين والمستغلين أي أنها كانت أحزاب تمثل كل الشعب^(١).

المبحث الخامس

الإصلاحات السياسية العربية وأثرها في الانتفاضات الشعبية

في نهاية العقد الأخرين من القرن العشرين يلاحظ أن العديد من الأقطار العربية اتجهت نحو التعددية مرة أخرى لمسببات تتمثل بعدم ضمان الاستقرار السياسي الضروري للتنمية، حيث أن معدلات النمو لم تكن بالمستوى المطلوب في الدول التي تأخذ بنظام التعددية أولاً، وعدم التمكن من تقليل حدة المشاكل الاجتماعية التي أدت إلى هجرة الكفاءات وهروبها ثانياً، وبقاء القيادات القديمة محتكرة للسلطة دون إعطاء المجال للقيادة الجديدة ثالثاً، وكان ذلك سبب في تمزيق الوحدة الوطنية نتيجة الحروب الأهلية المستمرة التي أدت إلى تصدع كيان الدولة ومؤسساتها وتعريض سيادتها واستقلالها لمخاطر التدخل أو التهديد الأجنبي رابعاً خاصة وأن الحزب الواحد لم يضمن التمثيل الواسع للشعب وسبب في انبثاق البيروقراطية ونقص الكوادر الحقيقية وضعف التنسيق^(٢) ولأن الاستقرار الذي حققه الحزب الواحد كان شكلياً لأنه لم يؤد إلى القضاء على الصراع من أجل السلطة لأن السياسة في جوهرها هي الصراع من أجل السلطة، وأخيراً تعزز تيار التعددية بعد انهيار الأنظمة الشيوعية (الاتحاد السوفيتي سابقاً وأوروبا الشرقية) ذات نظام الحزب الواحد. وهذا ما يلاحظ مثلاً:

(١) د.نعمان، مصدر سابق، ص ٦٤٤، ٤٣٠ - ٤٥٧ - ١١٦.

(٢) السلطات الثلاثة في الدساتير العربية وفي الفكر العربي الإسلامي، أنظر بهذا العدد سليمان الطماوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٥٠.

١. الجزائر وأحداث الضغوط الشعبية والجماهيرية التي شهدتها عام ١٩٨٨ نتيجة لعجز الحكومة في القضاء على المشاكل الاقتصادية والمديونية، وعدم مشاركة الجماهير بالسلطة أو إعطاء الكوادر الشابة الفرصة، أن كل ذلك أدى إلى أن تتبنى الجزائر نظام التعددية الحزبية في ١/٧/١٩٨٩، والذي كان بدوره نقلة سياسية واجتماعية في العمل السياسي الاحزاب السياسية المعارضة لسياسة النظام، أن الاحزاب السياسية لم تقف مطالبها عند الإجازة فقط وإنما على العديد من الاصلاحات السياسية والاجتماعية التي تعمل الاحزاب الجديدة لتحقيقها كجزء من برامج المعارضة لسياسة الحكومة وهذا كله أدى الى فوز أحزاب المعارضة في انتخابات ١٩٩١/١١/٢٦ أن الحكومة الجزائرية ألغت الانتخابات مما عرضها لأزمات مستمرة أدت الى أن تعيش البلاد في حرب أهلية بسبب عدم امتثال الحكومة للأساليب الديمقراطية في مشاركة الجماهير بالسلطة وفي معالجة الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية^(١)، هذا ما دفع بالحكومة الى إصدار قانون العفو والمصالحة عن الجماعات التي حملت السلاح بعد إلغاء نتائج الانتخابات التي فازت بها جبهة الانقاذ وقد طرح هذا القانون للاستفتاء بالبلاد وحصل على أكثر من ٩٠% تأييداً لخطوة الحكومة للخروج بالبلاد من دوامة العنف المسلح وهذا المشروع طرحه الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، فلاقى ترحاب بين أوساط الشعب الجزائري إلا أن هذا العمل لم يعد كافياً لمطالب الشعب الجزائري خصوصاً بعد تعديل الدستور

(١) د.نعمان الخطيب، مصدر سابق، ص ٥١٦.

الجزائري والتجديد مرة أخرى ليوتفليغة والذي لاقى معارضة شديدة من قبل أوساط المعارضة.

٢. الأردن حيث أنها تبنت التعددية الحزبية عام ١٩٨٩ نتيجة للتطورات العالمية الأنفة الذكر، وللاضطرابات الشعبية الضخمة التي جعلت من ملك الأردن أن يأمر بالتعددية الحزبية قبل أن يصدر قانون الأحزاب السياسية، وكان قانون عام ١٩٩٠ من المرونة بحيث برز أكثر من (٥٠) حزب في ساحة صغيرة مثل الأردن، ولتعيش الأردن حالة توازنات بين أحزاب موالية للسلطة وأخرى معارضة بشتى اتجاهاتها ولكثرة الاحزاب طبقت الأردن نظام ترشيح الناخب لمرشح واحد ولحزب واحد^(١).

٣. مصر فقد كان لتوجيه الانتقاد الى الاتحاد الاشتراكي العربي من الرئيس المصري أنور السادات ومن عدد من أعضاء الشعب، أن يقيم الرئيس السادات مناير داخل الاتحاد الاشتراكي ليعبر كل منها عن الأفكار والأهداف والمصالح الخاصة به، وفي تطور لاحق أعلن السادات في ١١/١١/١٩٧٦ تحول هذه التنظيمات الى أحزاب سياسية ثم صدر قانون الاحزاب في ١٩٧٧/٦/٢٠ وعدلت المادة الخامسة من الدستور المصري وأصبحت تنص على أن يقوم النظام السياسي في جمهورية مصر العربية على أساس تعدد الاحزاب^(٢) ولكن دون تفعيل لهذه المادة.

(١) د.نور فرحات، مصدر سابق، ص٤٨.

(٢) جريدة الشيطان، ١٥ ت ١ / ١٩٩٣.

وبعد اغتيال السادات ومجيء الرئيس حسني مبارك الى الحكم والذي حكم البلاد (٣٠ عاماً) بقبضة من حديد منذ عام ١٩٨١^(١)، إلى شباط ٢٠١١ وقد استبد في تطبيق قانون الطوارئ وقمع الحريات وزج بمئات المفكرين جماعة الأخوان المسلمين والتيارات المعارضة الأخرى في السجون، وبعد الضغوط الداخلية المطالبة بالاصلاحات السياسية في مصر أفرج عن عدد من الشخصيات وقام بتعديل المادة (٧٦) من الدستور المصري لكي يسمع بوجود أكثر من مرشح للرئاسة^(٢) ولكنه اشترط حصول المرشح على تأييد ٢٥٠ نائب من مجلس الشعب لكي يحصل على الترشح وقد عارض هذا التعديل أغلب فئات الشعب المصري لأنه تعديل صوري وليس جوهري وعندما طرح التعديل للاستفتاء لم يشارك سوى ٢٥% من مجموع الناخبين الذين يحق لهم التصويت في الاستفتاء وحصل التعديل على نسبة ٥٣% من المصوتين مما دفع المعارضة المصرية الى التشكيك بدستورية التعديل، وقد تمت الانتخابات الرئاسية المصرية والتي شارك فيها تسعة مرشحين الى جانب الرئيس حسني مبارك الذي حصل على ٧٣% من الاصوات علماً أن نسبة المشاركة كانت لا تتجاوز ٥٢% وهذا يدل على أن هناك فئات كبيرة من المجتمع قد امتنعت عن التصويت لعدم رضاها عن الانتخابات ورافضة التجديد للرئيس حسني مبارك وهذا ما عبرت عنه حركة كفاية في مظاهراتها التي رفعت شعار لا للتمديد لا للتوريث ومطالبة بانتخابات نزيهة وشفافة وعدم التجديد لمبارك، قد شككت المعارضة في نسبة الاصوات التي تدعي أن الحزب الحاكم زورها لصالح الرئيس مبارك.

(١) د. نعمان الخطيب، مصدر سابق، ص ٥٣٠-٥٣٣.

(٢) د. نور فرحات، مصدر سابق، ص ٥٥.

أن الضغوط الداخلية والخارجية والأمريكية خاصة بعد إعادة انتخاب بوش لولاية ثانية عام ٢٠٠٤^(١) دفعت بالنظام المصري الى السماح للمعارضة وخاصة لجماعة الإخوان المحظورة الى الدخول في الانتخابات البرلمانية التي مرت في عام ٢٠٠٦ وقد حصلت على أكثر من (٨٠) مقعد في البرلمان مما يؤكد أن المعارضة أصبح لها صوت مسموع في داخل قبة البرلمان بعدما كانت محرومة ومحاربة على الساحة السياسية المصرية على الرغم من كل عمليات التزوير وأعمال العنف التي مورست من قبل الحكومة والحزب الحاكم ضد المعارضة في الانتخابات البرلمانية التي تمت في عام ٢٠١٠ قاطعة أحزاب المعارضة هذه الانتخابات بسبب عمليات التزوير وتضييق الخناق على المعارضة.

أن هذه الإصلاحات الهامشية ما كانت لتحصل لولا الضغوط الداخلية والخارجية ومنها الأمريكية التي ضغطت على النظام المصري لإدخال إصلاحات حقيقية على النظام السياسي والسماح بالحريات وإطلاق سراح المعارضين السياسيين ومنهم أيمن نور المرشح الذي حصل على المرتبة الثانية من حيث الأصوات بعد الرئيس مبارك والذي اعتقلته السلطات المصرية بحجة تزوير توكيلات المواطنين عند تشكيله لحزبه والذي حكم عليه خمسة سنوات مع الأشغال الشاقة، وقد أعلنت الحكومة الأمريكية عن تأجيل النظر في قبول مصر في منظمة التجارة العالمية لحين إدخال إصلاحات حقيقية والافراج عن المعارضين السياسيين، شابة العلاقة الأمريكية- المصرية الفتور بسبب هذه المواقف مما دفع بالحكومة المصرية الى رفض المطالب الأمريكية

(١) المركز الدستوري لحزب البعث العربي الاشتراكي، حسن غريف العبيدي، الدار العربية للطباعة، بغداد ١٩٨٢، ط١، ص ٨٤-٨٦.

بعزل حركة حماس التي فازت في الانتخابات رداً على الضغوط الأمريكية عليها عندما زارت وزيرة الخارجية الأمريكية القاهرة بعد الانتخابات الفلسطينية. كل هذه الاصلاحات الشكلية فجرت الثورة الشعبية في مصر بعد ثورة تونس.

٤. تونس وبعد قيام زين العابدين بن علي بانقلابه في ١٩٨٧/١١/٧ ومن أجل دعم وضعه الجديد سارع الى إعلان الديمقراطية والسماح للقوى السياسية بالمشاركة وإطلاق جميع المعتقلين السياسيين، ومن ثم تبني التعددية الحزبية كنظام سياسي، ولكنه استثنى من النشاط السياسي الأحزاب الدينية والقومية واقتصر على الاحزاب ذات الإطار الليبرالي والقطري وحضر الجمع بين قيادات الاحزاب وقيادة الجمعيات^(١) ولكن ممارسة القمع السياسي والأوضاع الاقتصادية المزرية والبطالة أشعلت فتيل الثورة بعد احراق المواطن التونسي اليوعزيزي لنفسه بعد فشله في ايجاد فرصة عمل والتي أطاحت بالرتب بن علي

٥. العراق وكتحديث سياسي أخذت طابعاً خاصاً بقيام نظام الحزب القائد، وتقوم التعددية الحزبية في هذا النظام على إعطاء الحزب القائد الدور الأول والرئيس لقيادة السلطة والمجتمع، وتعتمد نفسه بالوقت مشروعية تعدد الاحزاب نظراً لكون حزب البعث قائد ثورة ١٧-٣٠ تموز ١٩٦٨ وادعى بأنه يحظى بدعم الاكثرية الساحقة من الجماهير حول مبادئه ومنهجه. وقد أكد نظام الحزب القائد في علاقته مع الأحزاب الأخرى بأنها علاقة استراتيجية ومركزية نابعة من الديمقراطية الشعبية، تلك التي

(١) جريدة الثورة في ٢٨/٤/١٩٩٣.

تؤكد مسؤولية البعث وحده بل مسؤولية كل الشعب بغض النظر عن انتماءاتهم الحزبية والعقائدية التي تتجسد من خلال أحزاب سياسية جديدة والتي لا تتعارض فلسفتها مع مصلحة الوطن والشعب^(١).

وقد أدى تمسك الحزب بالسلطة وعدم إشراك الأحزاب السياسية الأخرى الى ظهور أحزاب معارضة دينية وأخرى علمانية ترفض مبدأ سيطرة حزب واحد على السلطة فكانت هذه الأحزاب، الحزب الشيوعي العراقي الذي انفصل عن الجبهة والأحزاب الكردية التي تطالب بحق تقرير المصير للأكراد في شمال العراق وأحزاب دينية مثل حزب الدعوة والمجلس الأعلى للثورة الاسلامية وحركة الأخوان المسلمين في العراق، والتي عادت الى العراق بعد الاحتلال الأمريكي عام ٢٠٠٣ تحت اسم الحزب الاسلامي العراقي^(٢).

أن أغلب هذه الأحزاب كانت معارضة للنظام وكان منها ما يمارس العمل السري داخل العراق والآخر يعمل خارج العراق الى أن تم التغيير عن طريق استخدام القوة العسكرية من قبل الأمريكان وحلفائهم لكي يدخلوا الإصلاحات السياسية بالقوة بعد ما عجزت هذه الأحزاب عن التغيير بنفسها وهذا ما خلق مشاكل عديدة داخل المجتمع العراقي وأدخل البلاد في دوامة العنف، فالقسم الأكبر من الشعب العراقي يرفض الطريقة التي تم بها التغيير حيث تم استبدال الدكتاتورية باحتلال وهذا ما جعل الإصلاحات السياسية والتجربة الديمقراطية في

(١) المعارضة السياسية وأنماط علاقتها بالنظم الحاكمة في دول مجلس التعاون الخليجي، مفيد الزبيدي، مجلة المستقبل العربي، مركز الدراسات العربية، بيروت، العدد ٣٢٠، تشرين الأول ٢٠٠٥، ص ٦٣.

(٢) المشاهد السياسي، ٢ آذار ٢٠٠٤، ص ١٠.

العراق بمأزق حقيقي بين مؤيد وبين رافض لهذا الأسلوب^(١)، وما عزز عوامل الرفض سلوك قوات الاحتلال وعدم صدق نواياهم واهاناتهم المتكررة لأبناء الشعب العراقي والفضائح التي تظهر يومياً من تعذيب المعتقلين وتهب خيرات هذا البلد دون أن تحسن أي وضع من أوضاع الشعب العراقي في مجال الخدمات، الصحية والتعليم وقطاع الكهرباء والماء لا بل زاد الأمور تعقيداً حينما عمدت على زيادة الضرائب وأسعار المحروقات التي أصبحت شحيحة في بلد يملك ثاني احتياطي في العالم من مخزون النفط وارتفاع معدل البطالة، كل هذا دفع الى حالة عدم الاستقرار والفوضى، وأصبحت التجربة العراقية بدلاً من أن تكون مثلاً يحتذى، أصبحت يضربها المثل على فشلها هذا مادافع بالشعب العراقي إلى الخروج بمظاهرات للمطالب بالاصلاحيات السياسية الحقيقية والتغير الحقيقي وهذا الموضوع عزز مواقف بعض قادة الدول العربية والمطالبة بضرورة أن يكون الإصلاح من الداخل.

٦. اليمن فقد كان حدث الوحدة الوطنية عام ١٩٩٠ له أثر في أن تأخذ بالتعددية الحزبية وفق المادة ٣٩ من دستور الوحدة، وفي عام ١٩٩١ صدر قانون الأحزاب، وكان في أثر انتخابات عام ١٩٩٣/٤/٢٧ أن تشكل أول حكومة ائتلافية بثلاث أحزاب^(٢).

من ناحية أخرى يلاحظ رغم اعتبار عالمنا اليوم عالم الديمقراطية والتعددية الحزبية، والذي من خلالهما يحكم على البلد بالديمقراطية وبالتعددية السياسية واحترام حقوق الانسان، ورغم تأكيد المجتمع الدولي بمنظوماته الدولية وتأكيد ما يسمى بالوضع العالمي الجديد على

(١) المشاهد السياسي، ٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٤، ص ١٠-١١.

(٢) (دراسة في الاتجاهات الاصلاحية في السعودية) عبد العزيز الغريب مجلة دراسات شرق أوسطية، السنة ٩ العدد ٢٧ ربيع ٢٠٠٤، ص ٦٥.

هذه المبادئ، إلا أننا نرى أن العديد من الأقطار العربية مثل أقطار مجلس التعاون الخليجي، لم تأخذ بهذا النظام الا مؤخراً لأنها تحرم حتى وجود الأحزاب السياسية، مما جعل الجماهير بعيدة عن المساهمة في رسم الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتلك البلدان ولتحتكر السلطة بيد فئة معينة تمارس السلطة بالقوة جاعلة هدفها تفرغ ساحتها من الحياة السياسية.

ولكنها مؤخراً رضخت للضغوط الداخلية والخارجية بوجوب القيام بالإصلاح السياسي في أنظمتها السياسية فكانت تتحرك ببطء ووما دفع المعارضة إلى النزول إلى الشارع وخاصة في الكويت والبحرين حيث وصلت الأمور في الكويت بين النواب الاسلاميين والحكومة الى المواجهة، اذ هدد جاسم الخرافي رئيس مجلس الأمة بحل البرلمان، ورئيس الوزراء آنذاك صباح الأحمد الصباح الرضوخ لمساومات الإسلاميين^(١)، ودعا الى الانفتاح وسن قانون منح المرأة حق الترشيح والانتخاب الذي وافق عليه مجلس الأمة الكويتي في النهاية ليعطي المرأة جزء من حقوقها السياسية ولكن هذه الاصلاحات لم ترقى إلى مستوى طموح الشعب الكويتي وخاصة الاسلاميين الذي تعرض ممثلهم إلى الاعتداء والضرب من قبل الحكومة في قبة البرلمان وكذلك حرمان شريحة واسعة تمس البدون حتى من حق المواطنة دفعهم القيام بالمظاهرات للمطالبة بحقوقهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

٧. السعودية تعد قضية الإصلاحات والحياة الدستورية من القضايا موضع الخلاف بين المعارضة والسلطة، حيث ناشد في الثالث والعشرين من شباط عام ٢٠٠٤ حوالي ٩٠٠ شخصية من دعاة

(١) مؤتمرات، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٩٣) بيروت، تموز ٢٠٠٣، ص ١٨٢-١٨٣.

الإصلاح، ولي العهد (آنذاك) الأمير عبد الله بن عبد العزيز بضرورة وضع جدول زمني للإصلاح السياسي والاقتصادي في السعودية، ووجهوا إليه رسالة بالتزام الإصلاح طريقاً للتغيير وتنفيذ الوعود وتحويلها الى واقع ملموس من خلال تأسيس نقابات ومؤسسات المجتمع المدني ومحاربة التطرف وضمان حرية التعبير وتعزيز دور المرأة في المجتمع^(١).

ودعا "التحالف الوطني من أجل الديمقراطية في السعودية" من مقره في لندن الى إجراء الإصلاح الحقيقي الفعلي، وأعلن أن الجيل الجديد بحاجة الى تغيير جذري في السياسة والمجالات الاقتصادية والاجتماعية ليبعد البلاد عن العنف الطائفي والقبلي والديني^(٢).

وظلت مطالب مختلف القوى السياسية السعودية في الداخل والخارج عام ٢٠٠٤ حول انتخاب مجالس لنواب الشعب من أهل العلم والخبرة بانتخاب شعبي، وتوسيع المشاركة الشعبية، والاسراع في الإصلاح، والسماح بقيام المجتمع المدني ومؤسساته، واستقلال القضاء، ومكافحة الفساد، والفصل بين السلطات الثلاث، وتمكين المرأة من أداء دورها في المجتمع والحياة الاقتصادية، وعلى أثر تلك الضغوط الداخلية والخارجية جرت أول انتخابات بلدية في تاريخ المملكة في عام ٢٠٠٥ على أن تعين الحكومة نصف عدد الاعضاء بعد أن استبعدت المرأة من المشاركة، ونتيجة الثورات الشعبية التي حصلت في تونس ومصر وليبيا والبحرين مما دفع بوزير الخارجية العودة إلى التصريح ان

(١) مصر.. الى أين، انتخابات الرئاسة في مصر وتأثيراتها المحتملة في عملية التحول الديمقراطي: رؤية تحليلية، حسن نافعة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسة الوحدة العربية، العدد (٣٢٠) تشرين الأول ٢٠٠٥، ص ٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ١١.

الحوار والحلوى إلى طاولة المفاصل في الأسلوب الوحيد لتحقيق الإصلاحات في المملكة أما في الإمارات فقد صدر قانون لأول مرة بضرورة إيجاد برلمان منتخب علماً أن دول الخليج لم تقر لحد الآن ولم تسمح بوجود أحزاب سياسية، أن هذه التطورات الشكلية لا تتسجم مع طموح الجماهير في الإصلاح السياسي ومع طموح الحليف الأكبر لدول الخليج، والولايات المتحدة الأمريكية، لقد أصبحت التجربة العراقية التي تتشدد بها الولايات المتحدة بالنسبة إلى دول الخليج النموذج السيء للديمقراطية فدعت إلى أن ينبع الإصلاح من الداخل ورفض الدعوات الخارجية والنماذج المستوردة للإصلاح، وهذا ما دفع واشنطن إلى الرضوخ بعد فشلها السياسي في العراق وبدأت تدعو إلى أن ينبع الإصلاح من الداخل وليس من الخارج.

الخاتمة

يمكن اعتبار المشاركة السياسية أهم صيغة للتعبير عن التحديث والاصلاح والتنمية السياسية لأنها تعني إمكانية مساهمة الفرد أو الجماعة، وحتى نظام ديمقراطي يؤمن الاعتراف بتجمعات الافراد الجزئية، في اتخاذ القرار اولاً، والدفاع عن المصالح ثانياً والمشاركة في توزيع القوة والسلطة.

ولكن الذي نراه في أغلبية الاقطار العربية تركز السلطة السياسية واتخاذ القرار في يد فئة حاكمة وضمن نموذج بطريركي اولاً، وأن أمر تداول السلطة محتكر بيد الفئة الحاكمة ثانياً، كما ويتجلى الانفراد بالرأي دون احترام رأي الآخرين بأنها صيغة مستمرة ودائمة في المجتمع العربي.

وهذا يدعو للقول هناك انعدام في مصداقية غالبية الدساتير العربية، لأن جوهر الديمقراطية هي حقوق الانسان السياسية والاجتماعية أولاً وتعدد الاتجاهات السياسية ثانياً، وإمكان تداول السلطة ثالثاً.

لما كان لدور عدم الاستقرار السياسي، من خلال الانقلابات العسكرية والحروب الأهلية وحركات التمرد وانبثاق الحروب الدينية والطائفية، أن يسبب الحد من المشاركة السياسية نتيجة عدم وجود مستلزمات وقيم ثقافية لأن الديمقراطية تفترض أطاراً ثقافياً يتمثل في عدد من القيم التي تتعلق بالعقلانية والحرية وعدم التطرف واتخاذ مبدأ تداول السلطة واحترام الرأي والرأي الآخر.

وبعد ظهور الاحزاب السياسية نتيجة لأزمة المشاركة السياسية لأجل اجتياز أزمة الشرعية أولاً من خلال إزاحة الاستعمار أو تغيير نظام الحكم القائم وتغيير القواعد التي تحدد ماهية القائمين بالحكم وكيفية

اختيارهم لها، وثانياً لأجل اجتياز أزمة التكامل والاندماج القومي التي لم يتحقق منها سوى نسبة ضئيلة.

ويمكن أن نرى أن غالبية الاقطار العربية سواء تلك التي لا تعترف بالحياة الحزبية (دول الخليج العربي) وتلك التي لها حياة حزبية، بأن الحاكم أو الحزب الذي يمارس السلطة لا يمارس الديمقراطية مع نفسه في حياته الداخلية ولا تمارس الديمقراطية في التعامل مع الاحزاب الأخرى، مع العلم أن التعامل الديمقراطي بين الاتجاهات السياسية وهي في المعارضة هو أفضل المدارس لتربية النشوء الديمقراطي.

لهذا يمكن القول أن أزمة الشرعية، المشاركة السياسية والاندماج القومي من صنيع التحديث السياسي مستمرة في معظم الاقطار العربية ما دام هناك صعوبة في التنازل عن جزء من سلطة النظام البطريركي أولاً، وانعدام في القيم التي تتمثل بالعقلانية وحرية الرأي وتداول السلطة ثانياً.

أن هذا يدعونا للقول أن التحديث والتنمية السياسية في معظم الأقطار العربية تعيش في كساد ضمن هذه، المستويات من الديمقراطية الأنفة الذكر، التي تحد الشعب من المشاركة السياسية، مما ساهم في تعميق القطرية وتهيئة السبيل في استمرارية العديد من الأقطار العربية تابعة وذات ولاء وهذا ما نعيشه في عالما العربي المعاصر الذي يتجلى فيه توسع الانشقاقات والانقسامات والتفتت العربي نتيجة لاستبعاد الشعب عن المشاركة في القرارات السياسية ولاحتكار السلطة وابقاءها لدى الجيل القديم دون إعطاء الجيل الجديد الفرصة.

أما الاهتمامات الأخيرة بالاصلاحات السياسية فهي لم تكن بناء على رغبة القادة السياسيين في البلدان العربية وإنما نتيجة ضغوط

شعبية داخلية ودولية خارجية تقوده الولايات المتحدة الامريكية لنشر نموذجها في الديمقراطية والعولمة لكي تسيطر على مقدرات الشعوب بعد أن انتهى دور بعض الزعماء بالنسبة للإدارة الأمريكية ولم يعد مقبولاً داخلياً وخارجياً مما جعلها تفكر بتغيير الوجوه لضمان المصالح الأمريكية، وأن التجربة العراقية في الاصلاح السياسي دفع بعض قيادات الدول العربية الى التفكير بهذه الاصلاحات ولو بشكل بطيء جداً كونهم لا يرغبون بها وفق الضوابط الأمريكية وإنما يريدونها وفق مصالحهم الشخصية فبدأ البعض يتحدث عن مشاركة سياسة وانتخابات وتعددية حزبية والقسم الآخر يفرج عن المعتقلين السياسيين لإرضاء المعارضة السياسية وأن هذه العملية سوف تفشل اذا ما توفرت النية الحقيقية في الإصلاح والمشاركة السياسية والسماح للرأي والرأي الآخر أن يسود في جو هادئ من الحوار بدلاً من لغة التفجير والاختطاف والقتل والتعذيب والعنف والعنف المضاد.

المصادر

١. (مؤتمرات) مجلة المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢٩٣، تموز ٢٠٠٣.
٢. ابعاد الاندماج الاقتصادي العربي واحتمالات المستقبل، د. عبد الحميد ابراهيمي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٦، ط٤.
٣. الاحزاب السياسية المعاصرة في مصر، د. شفيق السامرائي، مجلة الأمن القومي عدد ٢ سنة ١٠، ١٩٨٢.
٤. الاحزاب السياسية ودورها في انظمة الحكم المعاصرة، د. نعمان الخطيب، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٣.
٥. الاحزاب السياسية، دراسة سويسولوجية، روبرت توميشال، ترجمة منير مخلوف، دار الانماء للطباعة والنشر، بيروت ط١ ١٩٨٣.
٦. اخذت فكرة العالمية من محاضرة الاستاذ الفاضل د. وميض مجال نظمي بتاريخ ع/ك/٢/١٩٩٥ والاستاذ د. محمد ربيع في محاضراته بتاريخ ٥/١١/١٩٩٤.
٧. اخذت فكرة موريس ديفرجيه حول الاحزاب من د. حسين عبد الحميد رضوان.
٨. ازمة علم الاجتماع، أم ازمة المجتمع، نمو علم اجتماع عربي، محمد شقرون، م.د. الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (٧) بيروت ١٩٨٩، ط٢.
٩. انظر أربك ماكرو، اليمن والغرب، ترجمة د. حسين عبد الله العمري، دا الفكر، دمشق ١٩٨٧، ص ٨٧، د. احمد محمد

- نعمان، حال القضية اليمنية، دار الجنوب للطباعة، عدن
١٩٥٦.
١٠. أنظر بالتفصيل أ.حسين عبد الحميد رضوان، مصدر سابق،
ص ١٦-١٧. الاحزاب السياسية والنظم الحزبية، ب.د.شمران
حمادي، مطبعة الارشاد، بغداد ١٩٧٥ ط ٢.
١١. انظر بالتفصيل الفكر القومي العربي في المغرب العربي،
خيرية عبد الصاحب راوي، دار الجماهير للنشر ١٩٨٢.
١٢. البعد التكنولوجي للوحدة العربية، انطوان زحلان، مركز
د.و.ع، بيروت ١٩٨١، ط ١.
١٣. التحديث في المجتمع العربي، مصطفى عمر التتير، مجلة
المستقبل العربي عدد ١٢٨ ت ١ ١٩٨٩.
١٤. التعددية السياسية في العالم العربي، د.نور فرحات، مجلة
الوحدة، نيسان ١٩٩٢.
١٥. التغيير الاجتماعي والتنمية السياسية في المجتمعات
النامية، د.حسين عبد الحميد أحمد رضوان، دراسة في علم
الاجتماع السياسي، المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية
١٩٨٨.
١٦. التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٩٢، جامعة الدول
العربية، تحرير صندوق النقد العربي، أبو ظبي.
١٧. التنمية العربية والمثلث الحرج، التنمية العربية/ الواقع
والطموح، د.يوسف صايغ، مصدر سابق
١٨. الحركة الوطنية في اليمن الشمالي - رسالة ماجستير مقدمة الى
معهد الدراسات القومية والاشتراكية، شاکر محمود خضير،
غير منشورة ١٩٨١.

١٩. الحياة الحزبية في سوريا بين عامي ١٩٠٨-١٩٥٥، محمد حرب فوزات، ص ٣١-٧٢ (حول الاحزاب السياسية في العهد العثماني وبعد انتهاءه).
٢٠. خالد بن محمد القاسمي، الوحدة اليمنية ارادة شعب، دار الثقافة العربية، الشارقة ١٩٨٧.
٢١. دراسة في الاتجاهات الاصلاحية في السعودية، عبد العزيز الغريب مجلة دراسات شرق أوسطية، السنة ٩ العدد ٢٧ ربيع ٢٠٠٤.
٢٢. الزهور تدفن في اليمن، أوجيه أبو ذكري، مطابع دار السياسة القاهرية، بلا سنة ص ١٣١-١٣٢، ب.ابراهيم العبيدي، الحركة الوطنية في جنوب اليمن المحتل، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد ١٩٧٩.
٢٣. السلطات الثلاثة في الدساتير العربية وفي الفكر العربي الاسلامي، أنظر بهذا العدد سليمان الطماوي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٧٩.
٢٤. علم الاجتماع السياسي وقضايا التخلف والتنمية والتحديث، د.قباري محمد اسماعيل، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٠.
٢٥. علم الاجتماع السياسي، د.احسان محمد الحسن، مطابع جامعة الموصل، الموصل ١٩٨٤.
٢٦. عن غياب التنمية في الوطن العربي، التنمية العربية/ الواقع والطموح، د.نادر فرجاني، م.د.و.ع، بيروت ١٩٨٤ ط ٤.
٢٧. العوامل المعوقة والدافعة للتنمية في المجتمع العربي، دراسات في المجتمع العربي، د.خالد الحامض.

٢٨. الفكر الاجتماعي والسياسي الحديث (في لبنان، سوريا، مصر)،
أ.ز.أ. ليفين، ترجمة بشير السباعي، دار ابن خلدون، بيروت
ك ١ ١٩٧٨ ط ١، وكذلك الفكر القومي العربي في المغرب
العربي، خيرية عبد الصاحب راوي، دار الرشيد للنشر، بغداد
١٩٨٢ ط ١.
٢٩. في التنمية العربية، د. اسماعيل صبري عبد الله، دار
الوحدة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨٣، ط ١.
٣٠. مجلة الطليعة العدد التاسع سنة ٣ آذار ١٩٨٥.
٣١. محاضرات في الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام، جميل صليبا،
المطبعة الكمالية، القاهرة ١٩٥٨.
٣٢. مدخل لاستراتيجية التنمية الصناعية والتعاون الصناعي
العربي، المنظمة العربية للتنمية الصناعية بغداد ١٩٨٩، ط ١.
٣٣. المركز الدستوري لحزب البعث العربي الاشتراكي، حسن
غريف العبيدي، الدار العربية للطباعة، بغداد ١٩٨٢، ط ١.
٣٤. المشكلات السياسية في العالم الثالث، د. رياض عزيز
هادي، مطابع التعليم العالي في الموصل، اموصل ١٩٨٩،
ط ٢.
٣٥. مصر.. الى أين، انتخابات الرئاسة في مصر وتأثيراتها
المحتملة في عملية التحول الديمقراطي: رؤية تحليلية، حسن
نافعة، مجلة المستقبل العربي، مركز دراسة الوحدة العربية،
العدد (٣٢٠) تشرين الأول ٢٠٠٥.
٣٦. المعارضة السياسية وأنماط علاقتها بالنظم الحاكمة في دول
مجلس التعاون الخليجي، مفيد الزبيدي، مجلة المستقبل العربي،

- مركز الدراسات العربية، بيروت، العدد ٣٢٠، تشرين الأول
٢٠٠٥.
٣٧. مفهوم التنمية السياسية، عبد اللطيف القصير، جامعة
بغداد/ كلية العلوم السياسية، طبع مكتب الطباعة المركزي-
جامعة بغداد، ١٩٩١.
٣٨. مقدمة عن التغيير والتنمية، د. عبد المنعم محمد بدر،
دراسات في المجتمع العربي، اتحاد الجامعات العربية، الامانة
العربية، عمان، الاردن، ١٩٨٥.
٣٩. مقدمة عن التغيير والتنمية، دراسات في المجتمع العربي، د. عبد
المنعم محمد بدر، اتحاد الجامعات العربية/ الامانة العامة،
القاهرة ١٩٨٥.
٤٠. مؤتمرات، مركز دراسات الوحدة العربية، مجلة المستقبل
العربي، العدد (٢٩٣) بيروت، تموز ٢٠٠٣.
٤١. مؤشرات قطرية للتنمية العربية، التنمية العربية، الواقع
والطموح، ابراهيم العيسوي.
٤٢. نحو فهم افضل للتنمية باعتبارها عملية حضارية، التنمية
العربية، الواقع والطموح، د. علي خليفة الكواري.
٤٣. النظريات السياسية والعالم الثالث، المكتب الجامعي الحديث،
د. محمد رضا مهنا، الاسكندرية ١٩٨٣.
٤٤. النظرية السياسية والعالم الثالث، د. محمد مضر مهنا،
المكتب الجامعي الحديث، الاسكندرية ١٩٨٣.
٤٥. النظرية الغربية والتنمية العربية، التثمي اعربية/ الواقع
والطموح، د. نادية رمسيس، مركز دراسات الوحدة العربية،
سلسلة كتب المستقبل العربي (٦) ط ١ ت ٢ ١٩٨٤.

٤٦. يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، جورج انطونيوس،
ترجمة د. ناصر الدين اسعد ود. احسان عباس، دار العلم
للملايين بيروت ١٩٦٩، ط٣.
٤٧. اليمن شماله وجنوبه، محمود كامل، مكتبة الانجلو المصرية،
القاهرة بلا تاريخ.

48. Daries, Loan, social mobility and political
change, George Allen and Unwin L.T.D, 1946.
49. Wemen, Myron and La palombara, Jaseph, The
Impact at parties on political Derelopement,
princepton, New Jersy, Princeton University
press 1966.

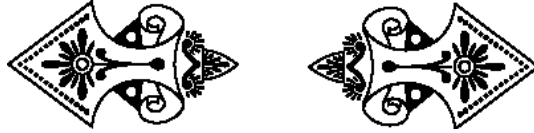
Political Renewal and Reformation in the Arab Homeland

Asst. Prof. Dr.

Khamees Dham Hameed
College of political science
Political system department

It is noticed at the end of the last two decades of the 20th century that many Arab countries are directed to pluralism again due to reason such as political instability necessary for the process of development and construction .first, the average of growth was not up to the required level in a state having plural system. Second , inability to reduce social difficulties leading to emigration of the elite .third, old leaders forestall power without granting a space for youth leadership. Fourth, the third reason was for breaking the national unity due to continuous civil wars and disintegration of the states entity and its institutions and subjecting its sovereignty and stability to dangers of foreign intervention and threats, especially that the one party system did not ensure fair and wide representation of people out of which emerged beaurocracy, shortage of real staff and weak coordination .the political stability that the one party achieves was in form because it does not diminish the struggle for power because politics in essence is the struggle for power. Plurality current is reinforced after the fall of the communist systems (soviet union formerly and eastern Europe) of one party system. Recent interest in political reformations was not built on the desire of political leaders in the Arab countries but on internal popular pressure and international pressures led by U.S. to spread its model of democracy and globalization to control destinies of populations after ending the role of some leaders who are no more

accepted internally and externally and change faces to ensure American interests. The Iraqi experience in political reformation lead some of the Arab states leaders to think of these reformation slowly as not to correspond the American terms but according to their personal interests. so some speak about political participation, elections ,party pluralism ,others release political apprehended to satisfy political opposition .this process will fail if there is real intention in political reformation and participation , setting opinion and the opposite opinion to prevail in tranquil conversations instead of bombing , grabbing, murdering ,torturing , violence and abhorrent violence.



Aspects of testing and Factors Affecting it

By: Ahmad Abdul wahab Mahdi
Iraqi university
Arts of College

Chapter one

Aspects of testing

1.1 general review

One of the main fields of applied linguistics is language teaching. The application of linguistics to language is concerned with accounting for what happens when people teach and learn language and also with attempting to control and direct the process with making it as efficient as possible (Corder, 1973: 349).

An experiment, in its scientific sense, is the process of testing a hypothesis, usually about some relationship of cause and effect and in applied linguistics this principally means the relationship between the teaching materials and their exploitation, and language learning, so what is investigated in this case is the effect on learning situation (Corder , 1973:352).

Applied linguistic is involved in all experimental studies of language teaching. But not all experimentation in language teaching is an evaluation of applied linguistic techniques and what is common to all experiment in language teaching is the measurement of the learner's knowledge of the target language and this is done by tests (Corder, 1973:353).

As Finocchiaro (1986:126) points out that English curriculum and the criteria and measures for judging its efficiency should be built into the program from the long experience of continuously in the light of the findings of a valid, reliable, and comprehensive testing program.

1.2 Definition of the test

Testing is an essential component of educational evaluation which is influential in determining what is to be taught or learnt (Al-Hamash and Younis, 1975:74).

As a result, it is important to determine the following elements:

- 1- Educators set objectives.
- 2- Learning experiences are developed on the basis of the objectives.
- 3- The development of evaluation procedures that are, in turn, based on the learning experiences and the objectives.

Therefore, textbooks and classroom materials should be prepared to achieve the objectives and teachers of English should also be trained to teach the books and to present the materials according to the most modern methods and all this can be completely useless if the tests given are not based on the objectives (Ibid).

Language tests, according to Corder (1973:351), are measuring instruments and they are applied to learners, not to teaching materials or teachers and for this reason they do not tell us directly about the contribution of the teacher to the learning process. They are designed to measure the learner's knowledge of or competence in the language at a particular moment in this course and nothing else (Ibid).

As Corder (1973:351) points out the knowledge of one pupil may be compared with the knowledge of others or with that of the same pupil at a different time, or with some standard or norm. What is learnt from comparison is of no interest in itself but it's what one can infer it that is of interest and importance (Corder, 1973:352). This is the difference between measurement and evaluation which are distinct but logically related processes (Ibid).

Measuring the learner's knowledge is a means of evaluation not only the learner himself, but also the teacher and the teaching materials. The test results are neutral; they are merely the data from which to deduce

something about any factor in the teaching (Corder, 1973:352).

Simply, testing, for language teacher is a means of checking what learners can do with the language and also what they cannot do with it. Testing may be conducted before, during or after a course or it may not even connect with a course and it may be for individual learners or it may be to check the capability of a whole class. Thus, testing is concerned with teaching and learning processes.

1.3 the purposes of the test

There are a number of reasons for why we test which depend on the purpose (s) of the test itself. Al-Juboury (2000:8-9) points out that there are at least seven important purposes which indicate seven different emphases in measuring learners ability and potential, they are:

- A- Placement: to place or classify students or learners on a suitable course.
- B- Diagnosis: to specify the student's particular strengths and weaknesses.
- C- Evaluation: to evaluate the effectiveness of the syllabus and the method(s) of teaching so as to make adjustments when needed.
- D- Progress to test what the learners have learned of the specific syllabus and what progress they have made.
- E- Accreditation: to provide evidence that student has undergone a course of training or study and is qualified to practice his profession.
- F- Selection: to select as fairly as possible the best candidates or nominees for a limited number of places or jobs or for higher education.
- G- Prediction: to discover potential abilities and aptitudes and to predict probable future successes whether in school or outside.

These purposes provide a useful summary of the uses of tests (Ibid). A single test may have more than one purpose but the more multi-purpose it is; the less satisfactory it is likely to be.

1.4 Determination of test data

It is important to determine the time or period of testing. As Al-juboury (2000:15) points out that there are three terms "terminal", "periodic", and "continuous" tests which can be introduced at different stages of a course of study. They can be explained as follows:

- 1- Terminal (for final) test: it takes place at the end of a predetermined period or unit as a school year or a course of study; therefore it ought to concern itself with the whole of what is being taught.
- 2- Periodic test: it measures levels of achievement reached at predetermined intervals throughout the course.
- 3- Continuous test: it is given to have a continuous updating of judgment about a student's performance.

"in schools or classes where students work individually under contracts which list performance objectives, tests are generally given when the learner feels he has fulfilled his contract to his satisfaction and is thus ready to take the test" (finocchiaro, 1986:128).

In stating performance objectives these criteria noted:-

- 1- The structure or category to be studied; e.g. the simple past tense of irregular verbs.
- 2- The number of practice sentences the learner is to do.
- 3- The time he should take to do them
- 4- The degree of mastery, e.g.20 out of 25, must be grammatically correct (Ibid).

Some educators are beginning to question the advisability of using performance objectives in many situations. While it is true that students should know what is expected of them, factors such as strict attention

to time, degree of mastery expected, and other motivational problems have made psychologists and others pause in their advocacy of performance objectives. They feel that many learners would suffer under such pressure (Ibid).

In addition to these tests, it is sometimes helpful to make a test before the beginning of the course which may determine the learner's knowledge and capability, and what type of teaching method(s) is /are required to master the teaching materials.

1.5 What do we test?

The answer to this question it is clearly language with its system of skills and components. Indeed, language skills are so complex and so related to each other that it may seem impossible to separate them for the purpose of any kind of test (Al-Juboury, 2000, 13).

1- Listening

It may be tested through using the phone name discrimination, stress and intonation as well as recorded texts followed by questions of varying techniques (Al-Juboury, 2000:14).

2- Speaking

It is in the form of an interview, picture, description or role playing (Ibid).

3- Reading

It is in the form of giving questions to students to test their ability to understand a text by applying certain cognitive skills as scanning, skimming and drawing conclusion (Ibid).

4- **Writing** it is usually in the form of letters, instructions, account of past events and the like (Ibid). the linguistic components of the forgoing skills are:-

- | | | |
|------------|---------------|----|
| 1- Grammar | 2- vocabulary | 3- |
| phonology | | |

These may be isolated for teaching and testing purposes (Ibid).

According to Finocchiaro (1986:130-6) testing can have other types of division as in the following:

1- Testing the features of language

It is the type of test which includes the testing of:-

- a- Knowledge of the sound system.
- b- Grasp of grammatical items.
- c- Knowledge of vocabulary.

2- Testing the communication abilities:

It includes the testing of:-

- a- Listening comprehension.
- b- Speaking ability.
- c- Reading ability.
- d- Writing ability.

3- Testing cultural understanding:

Objective tests and essay tests may be used to test knowledge of facts and insight into cultural behavior. (Finocchiaro, 1986:135).

4- Testing literary appreciation:

Objective and assay tests will be useful in this type of testing.

Whatever the type of tests is, it should depend on the nature of the test itself and what it tests, and on the age of the students (or learners).

1.6 How do we test?

This question may be answered either through the consideration of a series of conflicting modes of testing or in terms of describing the variety of testing techniques (Al-Juboury, 2000:12). So we have:

- a- Modes of testing and
- b- Techniques of testing.

These two concepts will be taken in details in the following:

- a- Modes of testing

There are many modes of testing which apply different techniques and some of the major ones are:

1- Formal and informal

Formal tests are standardized, large-scale tests which are prepared by professional testing services to assist in situations in selection, placement, and evaluation of students (Al-Juboury, 2000:13). While informal test is often used diagnostically by the teacher to obtain reliable insights about the students ability and state of development (Ibid).

2- Formative and summative

Formative test help to judge the degree of mastery attained and to diagnose a student's weaknesses to remedy the problems (Finocchiaro, 1986: 138). "The summative test on the other hand is usually given at the end of a course to measure the sum total of the material covered " (Al-Juboury, 2000:13).

3- Continuous and terminal

Continuous tests mean continuous updating of judgment about student's performance in relation to a specific subject, while terminal test takes place at the end of the course (Ibid).

4- Internal and external

Internal test is usually carried out by the teacher of the subject once a month or a year to check student's progress, while external one is usually constructed by a team of specialists or an organization outside the school and applied on thousands of students for the purpose of selection or placement (Al-Juboury, 2000: 13).

5- Examination and coursework:

"Examinations are either school examinations constructed by the teacher or teachers of the subject in a given school, or ministry examinations constructed and administered by the ministry of Education. Coursework which is a piece of work that has a unity of theme or

objective, is completed by the students under the supervision of their teachers." (Ibid).

B-Techniques of testing

There are three major types of the techniques of testing.

They are:-

- 1- Written test
- 2- Oral test
- 3- Aural test

The process of choosing the appropriate one is governed by a number of considerations which are:-

- a- Subject matter
- b- purpose
- c- age
- d- Ability, and e- time (Al-Juboury, 2000:26).

"Each technique has advantages and disadvantages, and there are both advantages and disadvantages in using a variety of techniques" (Ibid).

- 1- Written test: it is simply a paper and pencil examination. When describing written test there is a wide range of terms which run from "open" to "close". The former asks the student to supply material or requires more writing than reading and it is likely to be easier to set than to mark and to provide limited coverage (Al-Juboury, 2000:27). While the latter one, i.e., the closed end test makes the student selects from the given material and has more reading to do than writing and it is easier to mark than to set and permit a wide coverage (Ibid).

As Al-Juboury (2000:27) points out that when considering the construction of writing tests there is a tendency to use the three broadly based headings of:

A- Objective item (or test)

It is asked in such a way that there is only one predetermined correct answer and it is important to emphasize that the only thing that is objective about an objective test is its making everything else about it involve the making of a judgment (Ibid).

This type of test includes the following types:-

1- Multiple-choice test

It may be necessary to start with familiarizing the terminology used, namely:

- a- Discrete item / a single complete item.
- b- Stem / the initial part of the item which may be in the form of incomplete statement or question.
- c- Options / all the choice or answers
- d- Key / the correct answer
- e- Distractors / the incorrect choices.
- f- Item set / five or more items based up on common material (Ibid).

2- True / False test

It consists of a declaration statement that the test is asked to mark as true or false , he is asked to select only one (Ibid p32).

3- Matching test

It "consists of two lists with instructions as how the matching is to be undertaken" (Al-Juboury, 2000:34).

The items in the first list of which a match is sought are called premises and those in the other list from which a selection is made are called responses. The pupil's task is to identify the pairs of items that are to be associated (Al-Juboury, 2000:34).

4- Rearranging test

It demands the arrangement of a number of words to make a meaningful sentence or to arrange a jumbled series of sentences to formulate a meaningful and coherent piece of writing (Ibid.35).

5- The test is given a group of words followed by a number of incomplete sentences and he is asked to supply the most appropriate words that can full the blanks (Ibid: 36).

6- Labeling test

"The test is required to label certain areas of a diagram or picture". (Ibid).

B- Semi-objective items

It combines some of the virtues of both objective and subjective tests, it also fills "the gap in assessment techniques between the free responses sought by essay writing and the limited responses needed by objective items" (Al-Juboury, 2000:37).

Semi- objective tests "are considered the most promising forms for measuring understanding, reasoning, creative, thinking and problem solving. (Ibid:28)

This type of test includes the following types:-

(1) Transformation test

It is extremely useful for testing the learners' ability to construct and produce sentences and a wide range of grammatical areas can be covered in this test format (Al-Juboury, 2000:39).

(2) Completion test

It is a useful means of testing the student's ability to produce correctly grammatical and meaningful sentences, thus, a semantic task or structural one can be covered in this test (Ibid).

(3) Cloze test

It is simply a test in which the testee are given a paragraph with deleted words which they have to give either from their own or from a given list.

(4) Short-Answer test

It "measures higher mental processes such as reasoning, creative thinking problem solving and valid conclusion" (Al-Juboury, 2000:42). It is usually set in the form of several sub-questions.

(C) Subjective test

In this type of test which is called free response test, the testee has to decide what to include and what to exclude in his answer and there is normally no precise limits in the questions themselves as to the length or style of answer (Ibid.p.22). What is subject in this test is the marking because it is affected by the judgment of the tester. This type of test includes the following types:-

(1) Composition test

"This test requires continuous writing attempt to discover competence in the production of written English. Composition is a task that involves the learner in writing grammatically correct sentences and linking these sentences to form continuous pieces of writing which express the writer's thoughts on a certain topic for a certain purpose. "Al-Juboury,2000:79).

Composition test can be free or guided composition .the former is used with advanced learners while the later with beginners and less advanced learners and can have different forms.

(2) Essay test

It has no part in a beginning language program, so this type of test is useful and desirable at the more advanced levels (Finocchairo,1986:128) for teachers, essay tests are difficult to grade and for learners, the subjective elements in the essay test may cause apprehension (Ibid.p.129).

Only through essay tests can we judge the student's use of varied structures, the richness of their vocabulary and their ability to express ideas with clarity and precision. In other words the longer essay tests permit us to judge the ability of students to use language as a tool for written communication. (Finocchiaro, 1986:128-9).

(3) Précis test

It is a kind of subjective test which means the process of making summary or digest from a long piece of writing which may be a story, a novel or a long written text.

Besides all these types of written test Al-Hamash and Younis (1975:75-6) added that there are also a dictation test which is mainly for the sake of testing spelling which can be full or partial dictation and the vocabulary tests which measure the knowledge of individual vocabulary items and an important distinction should be made between the active and passive vocabulary (Al-Juboury,2000:55).

(2) Oral test

Speaking is a complex skill requiring the simultaneous use of a number of different abilities, (Al-Juboury,2000:90) like the oral production of sounds stress, rhythm, and intonation patterns (Finocchiaro,1986:129).

"It is necessary to distinguish between acquiring controls of elements of language (pronunciation, vocabulary and grammatical patterns) via speaking on one hand, and communication one's idea via speaking on the other hand. Oral assessment, therefore, should cover not only accurate language but also fluency (i.e. ease and speed of the flow of speech) together with comprehension of what is being said". (Al-Juboury,2000:90).

This type of test includes the following techniques:-

A- Dialogue

It is of two types: teacher / student or student. This technique is used with all levels of the teaching and learning process. The student's performance is evaluated on the bases of fluency (ease and speed) and

intelligibility (segmental features and super-segmental process like stress and intonation) (Ibid.p.92).

B- Interview

It offers a realistic means of testing the total oral skills in a nature speech situation but the scoring is highly subjective (Al-Juboury,2000:93). It is of two main type's individual interview (teacher / student) or group interview (groups of two or three students). The latter one is nowadays strongly recommended although it is treated as an option. (Ibid). so the teacher is able to concentrate more on testing the testees and less on guiding or leading the conversation (Ibid).

C- Picture

It provides a realistic context for a brief and structured conversational exchange which may be chosen by the teacher or the students themselves.

D- Situation

"The student may be about a certain situation to which he is expected to make suitable response" (Al-Juboury,2000:96).

E- Reading aloud

The testee may be asked to read aloud passages or lines from the textbooks or from any other source. The teacher should test according to a few specific points and he has to evaluate the student's ability to read with ease and speed (Al-Juboury,2000: 96).

F- Sound discrimination and sound production. It should be together with the previous one "since the reading test evaluates correct pronunciation of single words as well as handing stress intonation and rhythm".(Ibid.p.42).

2- Aural test

It is still little used in contrast with how much listening is done in daily life. Listening and understanding spoken English involves the students in a range of skills:-

- 1- The ability to identify words from a blur of speech.
- 2- Recognizing the significance of stress and intonation.
- 3- Retaining what is heard long enough for the message to be understood in its entirety.
- 4- Anticipating or predicating what is likely to be heard in a given situation.

Aural test may be divided into two main broad categories:-

- 1- Tests of phoneme discrimination as well as stress and intonation.
- 2- Tests of aural comprehension (Ibid).

1.7 kinds of tests

According to the different purpose of testing, there are four major kinds of testing language? They are:-

- 1- Achievement / Attainment test.

These types of tests can be subdivided into:-

A- Class progress test

It is designed to measure the extent to which the students have mastered the material taught in the classroom; therefore it is based on the language program which the class has been following. Its aim is to stimulate learning and to reinforce what has been taught (Al-Juboury, 2000: 11).

B- Achievement test

It is more formal test than the progress test and it is intended to measure achievement on a large scale, so most annual school examinations and all public examination which are intended to show mastery of a particular syllabus are of this type (Ibid).

- 2- Proficiency test It also tests or measures what testees have learnt but it is in no way related to any syllabus or teaching program (Ibid).

This type of test concerned simply with measuring the student's control of the language in the light of what he will be expected to do with it in his future performance of a particular task. Typically, proficiency tests are used in the placing of individuals in learning groups appropriate to their level of knowledge- beginner intermediate , advanced, etc. (Ibid).

TOFEL and ELTS are two of the best known internationally organized proficiency tests.

3- Aptitude test

It is also called prognostic test. It is designed to measure the student's probable performance in a foreign language which he has not started to learn. (Al-Juboury, 2000, 12).

This type of test seeks to predict the student probable strengths and weaknesses in learning foreign languages by measuring his performance in an artificial language (Ibid). It consists of many factors including: motivation, age, intelligence, and memory ... etc.

4- Diagnostic test

The aim of this test is to find out the strong and weak points of the class as a whole and individual student so that appropriate remedial actions can be taken where and when necessary (Ibid).

Therefore proficiency and achievement tests are used frequently for diagnostic purpose.

1.8 characteristics of testing

A test is a tool of measuring the students' achievement, so it could be sharp or dull, useful or useless, good or bad, but it should be as good, sharp and useful as possible and this requires a group of the following characters:-

1- Objectivity

A test is said to be objective if two or more independent people score one paper or test papers and they are bound to same number of marks (Al-Hamash and Younis, 1973:76).

Therefore a test is constructed in such a way that there is no room for expression of examiners subjective opinions (Ibid).

2- Scorability

It means that each section should be given a greed mark which should be distributed among the sub-sections either evenly or according to their importance (Ibid). A good test should not have an accumulated of high or low scores because having an accumulation of high scores means that the test is too difficult. (Al-Juboury, 2000:108). The total of the marks allotted to the different types should be equal to the general total decided on. (Al-Hamash and Younis, 1975:77).

3- Practicability

The practical or usable test is one that it really can be administered; therefore, there are two main parameters to be involved: the cost in time and money and personnel of administrating and scoring of the test (Al-Juboury,2000,24).

4- Sampling adequacy

It means that the test should sample the material adequately (Al-Hamash and Younis,1975:77). It is demanding "that all the material covered in the course should have a chance of appearing in the test. Since language skills are oral and written this demands the use of oral as well as written tests" (Ibid).

5- Reliability

It "means the stability of test scores. Presumably, if the same test is given twice to the same group of students, under the same conditions, it would give the

same results" . (Al-Juboury, 2000:23). So, the requisites of a dependable test are:-

A- Multiple samples

The more samples of students performance we take the more reliable will be our test of their knowledge and ability (Ibid).

Therefore, a test should contain a wide variety of levels of difficulty and it must be long enough to provide a generous sampling of the areas tested (Ibid.p.24).

B- Standard conditions

The reliability of the test scores can be assured only if all students take the examination under identical conditions (Al-Juboury, 2000: 24).

C- Standard tasks

"All students must be given the same items or items of equal difficulty (Ibid).

D- Standard scoring

"All tests must be scored in an identical manner. The score should give the same or nearly the same score repeatedly for the same test performance. (Ibid). Objective test tends to be more reliable than the free response or subjective test.

6- Validity

As pilliner (1968:30) points out validity of any examination test procedure may be broadly as the extent to which it does what it is intended to do. There are four kinds of validity , they are:-

a- Content validity

The most important thing for the teacher is "the extent to which a test adequately covers the syllabus to be tested" (Al-Juboury, 2000:22).

"The valid test must be based up on a careful analysis of the subject or skill we are testing. It must

also be constructed as to present adequately each portion of this analysis" (Ibid).

b- Empirical validity

If we are to check the effectiveness of a test and to determine how well the test measure, we should then relate the test scores to some independent and outside criteria such as scores given at the end of the course or the teacher's judgment of his students or an external examination(Ibid.p.23).

c- Face validity

It means the way the test looks to the examinees, supervisors or in general to the people concerned with the education of the students (Al-Juboury,2000:23).

d- Construct validity

A test is said to process construct validity if it is designed in accordance with a theory of language behavior and learning" (Ibid).

Chapter two

Factors Affecting Testing

2.1 The teacher's effect on the reliability of test

The teacher is the most important element in the field of the learning process as he is the only and directs model, guide, supervisor, advisor as well as the maestro of the learning process.

As a result, the student admires his teacher and trusts him enormously which pave the way for the student to approve whatever comes from his teacher.

When the student feels the reverse, he usually (for one reason or another) doesn't convey this publicly in the presence of his teacher. Otherwise, he will repress it deep in himself, and may even show face expressions completely different from his real feelings towards his teacher.

There are many reasons that may lead the student to gain negative feelings towards the teacher. From the

many reasons, one can mention, for example, the following:

- a. The vague and traditional style of teacher.
- b. The tough and inanimate personality of the teacher (even if he follows good modern methods).
- c. The lack of giving a preparatory instruction for the nature of the coming test (in order not to shock the student with the odd style of the test).
- d. Haughtiness when speak answering, directing or connecting a mistake to the student.

2.2 The effect of the family on the student score

One of the basic needs for humans is the feeling of security and confidence, which are a primitive instinct in humans (and also even for animals).

This element can support human with rational behavior and enable them to do as best as they could. The first source of security and confidence begins within the family (John,1975:116).

The family can support the individual student with reasons that lead to security and confidence and at the same time can inspire the individual with negative feedings. When the latter option is the choice, this will be reflected obviously on the test paper. This is due to the fact that the mind of the student will be haunted with family affairs.

As a result of being busy with family affairs, then the mind of the student will lose control on his thought and they would overlap and then the control on the test paper would be at its lowest level. This happens primarily with male- students rather than female students.

The main reason for the gender losing control rather than other is due the fact that, the male is of

sequential functions that can process one problem only at a specific moment, while females are of specific (multi-functions) mind functions that can process more than one function or problem at the same time (Ibid: 124).

And this helps the female do the complex home duties at the same time for example cooking and washing dishes. While a male does only the mission that he is working on, and when he is asked to do another job he would refuse and may be driven angry.

In returning to the role of the family and the students. One can say that the family can affect the student's score in the test negatively or positively.

The family should provide the student with all reasons that help the student to score well in the test and dominate any cause that may affect his test score badly. Even if there is tension between parents, they should take a brake in front of their family member, especially at the examination dates.

There are other kinds of distraction that may scatter the concentration on the students in the test and which the family has the great portion to increase them. For example; the noise, the disunited of the family members, the difficult financial affairs...etc.

Also, the hunger is an important element that causes the escapeness of the student's concentration in the test. Even in some religion " it is favorable that worshiper has already been bodily satisfied before he comes to pray, in order to enter the divine contemplation without any destructions that may deprive him from the divine communication.

Thus, the family should insist that the student has his meal before leaving to do his test (also when there is no test).

2.3 student's negative feelings

Humans characters consist of a combination of interests which may be called drives (Mcdougall,1960:139) these drives make a person do things that are quite necessary for his basic needs concerning nearly all aspects of life. For example, the drive of hunger makes a person ask for food; also the drive of ambition drives him to climb the ladder of success in different fields of life.

The student also may be affected by some drives of different kinds. From these drives is the "negative drive". And it can be called as "negative" because of the fact that such drives can be harmful for other as well as the person himself.

Hatred is really as destructive for the conscious of the student as it is consuming as extra energy (Adock,1964:187). There are many causes for the first spark of the hatred specifically in the field of the student which is the class, when the students have some defective points on his teacher, when he envies a lucky students who gains the simpler type of the test (as he thinks) or when he originally was brought up without having an enough share of how to be satisfied and love others.

Such feelings would negatively make the score of the student at the bottom of the degree level, because of a great part of the mind is occupied with hatred and there is hardly so little part of the mind to function the different other side of the life affairs involving the test score.

2.4 The interests of the student in a field rather than another

Cleverness is not enough for someone to be unique among others. It is important to the cleverness to be supported with some motivation that conform the

interest and desire. Parents usually force their sons to choose a major of study because (as they see) it is more superior than the major that their sons desire to master. In such cases, parents act as a block stone in their son's way and affect badly their scores in their undesired majors. The nature of the humans looks for what is prevented. Therefore, this leads the students to neglect what they have forced him to choose. Thus, in order to score well in test, parents should expose themselves exclusively and take in consideration the tendencies of their sons in certain choices.

Another type of interest is plain within the test paper. The interest of a student in a certain type of question is clearly different from another type. For example:- in the following three types of testing, writing oral and aural test cannot all of them be of great concern to the student, instead he may be concerned with one type rather than the other. And this inconsistency may have the following reasons:

The first case:

In the written test, the student may be not as fast as normal hand writer which lead to his frustration when he feels that he cannot translate his information on paper.

The second case:

The student may be efficient at writing and listening, but he is not fluent at speaking. Or he may have the fluency but as most people do, fears or avoid making a speech in public (Baird,1960:98).

The third case:

The student may be efficient at writing and speaking but at listening he may face obstacles due to the fact that listening and information analyzing demand a long exposure to dialogue and listen until he

trains his ears to pick up the words even if they are assimilated by the native speaker.

Thus, the interest of the student in one field or type of question in a test rather than another can be clearly shown in the test and it is easy for the teacher to recognize these phenomena.

Chapter three **Conclusions**

On the bases of the contents of this paper, it is concluded that:

1. Testing is an integral part of the teaching learning processes: its contents and objectives govern the contents and objective of testing.
2. The testing program is based on multidimensional principles and governed by a set of objectives. These principles and objectives are closely related to those of the teaching learning process.
3. There are a great number of types of tests, the choice of which is decided by the contents and purposes of the syllabus.
4. The most important features of a test is its validity , i.e. its being able to measure what it is indented to measure.
5. Both objective and subjective types of tests are usually used for the performance of different purposes of testing.
6. The farther the teacher is from subjectivity in scoring the better the performance of the test is.
7. English language tests used at school aim at evaluating individual performance, group performance, and teacher performance (or teaching effectiveness).

By individual performance we mean the achievement of the learner over a period of time, say a month, a term, or an academic year in connection with a specific course of study. By group performance, we mean achievement of all learners we have in the course compared with one

another or even compared with another group of learners at the end of a month, a term or an academic year.

- 8- Evaluation of the learner's achievement helps the language teacher to:-
 - a. Identify the problematic areas that need to be re-explained or drilled.
 - b. Enable the learner to realize his ability in expressing himself using correct forms of the language he is learning.
 - c. Enable the learner to identify his errors and learn from them, i.e., the test can serve as an excellent teaching device.
 - d. Discover his learner's errors and prepare the necessary remedial exercises.
 - e. Upgrade his learners to a higher stage (i.e. level) when he finds that possible.
- 9- Like other instruments, tests can be of great use or of little use.

Tests vary in aim, accuracy, sharpness or length. A language teacher is supposed to know how to set valid and reliable tests.

Bibliography

A dcock, C.J (1964) **Fundamentals of psychology**. Great Britain, Hazell Watson and Viney Ltd.

Al-Hamash, Khalil and Younis, Hamadi (1975) **Principle and Techniques of Teaching English as a second language**. (3rd ed). Baghdad.

Al-Juboury, Nejat Ahmed (2000) **A language Teacher's Guide to assessment** . Baghdad.

Abdul-Jabbar A-Darwesh, Faris Al-Jarah (1987). **An Elementry course in testing English as a Foreign language**. (Frist Ed.) Baghdad.

Baird, G. (1960) **Essentials of General Speech**. Mcgraw-Hill Book Company, ING.

Corder, S.Pit (1973) **Introducing Applied Linguistics**. Great Britain, Hazell Watson and Viney Ltd.

Finocchiaro, Mary (1986) **English as a Second Foreign Language**. Regents Publishing Company. Inc. USA.

John, B. (1975) **Faces of the Functional Mind**. Mcgraw-Hill Book Company, ING.

Mcdougall, W. (1960) **An Introduction to Social Psychology**. Great Britain by Morrison and Gibb. Ltd. London and Edinburgh.

Oller, J. (1979) **Language Tests at School , a Pragmatic Approach**. London, Longman.

